


مرآة البحرين
Bahrain Mirror

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOC.ORG

# إهداء

«لأن أموات هذا العام كانوا أعشق الأحياء»

إلى أعشق الأحياء في عام 14 فبراير



# المحتوى

## الفصل الأول



## ثورة وانفتحت


17 ■ 14 فبراير
محطات لا تزال مفتوحة

27 ■ ما بعد 14 فبراير

33 ■ البحرين
سيرة المقاومة المدنية

47 ■ مختبر الميدان

51 ■ مشاهدات الميدان

57 ■ ائتلاف 14 فبراير
سيرة مختصرة

65 ■ الأداء الأميركي تجاه
ثورة البحرين

77 ■ المنظمات الدولية
وحالة البحرين في 2011

85 ■ سترة عاصمة الثورة

93 ■ تقرير المصير

101 ■ ساحات المحاكم

109 ■ الاحتلال العسكري
لمجمع السلمانية الطبي

119 ■ الانتفاضة البحرينية
بالأرقام

## الفصل الثاني



### الشهادات


125 ■ توني ميتشل

137 ■ طه الدرازي

147 ■ علي الديري

173 ■ اعترافات ثائر

177 ■ من أيام الغدر

183 ■ عادل المرزوق


## الفصل الثالث




### الفضاء الافتراضي للثورة


197 ■ الإعلام السياسي

205 ■ إلى فضاء تويتر

211 ■ نبيل رجب

217 ■ زينب الخواجة

225 ■ إنترنت يعمل... إلى حد ما


## الفصل الرابع



### مملكة في مهب تقرير


233 ■ تناقض النسختين

237 ■ السلامة الوطنية

243 ■ "نمط متكرر"

251 ■ غلطة "شاطر" أم؟

255 ■ على حساب الحقيقة

## الفصل الخامس



### الحوارات


261 ■ الشيخ علي سلمان

277 ■ مريم الخواجة


## الفصل السادس




### مكارثية المثقفين


285 ■ "هيكل" يعترف و"تشومسكي" يشرشح و"المرزوقي" البحرين حرة

291 ■ "أسرة الأدباء"

299 ■ عام مكارثية الثقافة البحرينية


## الفصل السابع

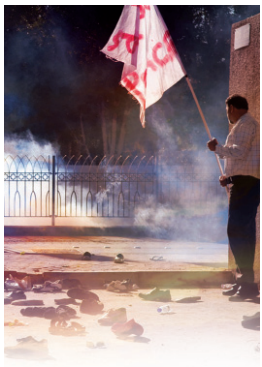

### الصورة والثورة


319 ■ يقظة الصورة

325 ■ أيقونة الصورة

329 ■ لما الكراريس

333 ■ حذاء موزة

## الفصل الثامن



## تجارب السجن


339 ■ هكذا خَفَتَ صوت الشهيد زكريا العشيري

349 ■ في مكان تحت الشمس

355 ■ المحامي محمد التاجر

365 ■ علي جواد في "العتمة"


## الفصل التاسع




## السلام والدخان


373 ■ أبيض أزرق...

383 ■ عاصمة أدخنة الموت

393 ■ البحرين سيرة المقاومة المدنية

407 ■ هدايا الطفل البحريني

419 ■ "شحوال" و"الأباتشي" و"كاتبن الطائرة العمودية"

427 ■ "تن تن تتن"


## الفصل العاشر




## الإعلام وصناعة الكذب


435 ■ بين مؤيد للنظام الملكي ومعارض

441 ■ الداخلية داخل شاشة العائلة

449 ■ الإحتلال العسكري لمجمع السلمانية الطبي

459 ■ خطابات الملك تكذبها الأيام التي لم نعشها قبل

467 ■ تلفزيون المكارثية العربية

# الفصل الحادي عشر



## مقالات في الثورة


483 ■ البحرين: الهوية العربية الضامنة للتغيير

489 ■ 14 فبراير ملحمة الحرب والسلم

495 ■ المستحيل ... ممكن

501 ■ المفارقة بين 1995 و2011

509 ■ سنة أولى انتفاضة ما لها وما عليها

519 ■ عندما يُصبح علم البحرين "جريمة"!!

525 ■ نافذة على خطى الثورة

533 ■ نحن وأمريكا

537 ■ استبداد النّظام: حكاية فشل

# الافتتاحية



**الساحات العامة هي حصاد البحرينيين في 2011.**

**ماذا فعل البحرينيون بساحاتهم؟ حرروها من قبضة السلطة التي تشدهم للماضي، فتحوها على المستقبل، عرّوا السلطة في هذه الساحات، أحدثوا قطيعة لتاريخها القبلي، جعلوها ذكرى سيئة لاستبدادها، جعلوا العالم يراهم من بؤرة لؤلؤة الحرية لا فوهة بئر النفط، أعلنوا من هم فيها، شكلوا هويتهم الجديدة، رسموا ملامح دولتهم المدنية، دخلوا الربيع العربي، حولوها من الجغرافيا إلى التاريخ، أخرجوا أجمل ما فيهم.**

**إنها ساحة دوار اللؤلؤة (14 فبراير/ شباط)، وساحة شارع البديع (احتلوا شارع البديع)، وشوارع المنامة (طوق الكرامة) والميادين العامة (مهرجانات المعارضة) والساحات المفتوحة في القرى والمناطق (تقرير المصير)، ومقدمات بيوتهم (لحظة الحسم).**

**الإنجاز الأعظم للبحرينيين أنهم صنعوا هذه الساحات، تلك هي فضاءات الديمقراطية، لا ديمقراطية بدون ساحات عامة، صناديق الاقتراع هي حصالة هذه**

الساحات، ومتى غابت الساحات، صارت هذه الصناديق حصالة السلطة، تضع فيها من تشاء وما تشاء.

هكذا كان التحول نحو الساحات العامة، تعميق للتجربة السياسية لشعب البحرين، فالشأن العام هو ميدان السياسة.

صارت ساحات إرادة، إرادة السلطة وإرادة الشعب، السلطة أخرجت أسوأ ما فيها في هذه الساحات، خطابات كراهية، استقطابات طائفية، انتهاكات إنسانية، تدمير المجتمع المدني. إرادة الشعب أخرجت أجمل ما فيها، خطابات تسامح ومحبة، سلمية، صمود أسطوري، معارضة سياسة مدنية رشيدة، مقاومة مدنية فريدة، تضامن اجتماعي عميق، ثقة قوية بتحقيق ما تريده هذه الإرادة: لن نترك الساحات.

لم تنجح المولاة في خلق ساحات عامة، لأنها لم تملك إرادة عامة، ظلت إرادتها خاضعة لصاحب السلطة، لذلك ما زالت في كل مرة تحقق فيها إرادة الساحات العامة انتصاراً رمزيا، تستصرخ صاحب البلاط.

لماذا الفاتح ليست ساحة عامة، لأنه لو كان كذلك ما تركوه. ظل بلاطا من بلاطات السلطة التي لا يحق لك أن تطأها إلا حين تدعوك.

حصاد 2011 هو تتبع دقيق لأحداث هذه الساحات وقراءة عميقة لخطابتها، واستشراف لمحصلة هذا الصراع ونتائجه. انحازت "مرآة البحرين" لهذه الساحات، ووجدت حقيقتها تتمرأى بقدر ما تُظهر ما يجري في هذه الساحات.

فيما سيلي جهد متواضع، نضعه بين أيدي القاريء، سهرنا عليه ساعات متواصلة وصلنا فيها الليل بالليل، اشترك في تحريره طاقم كبير من أبناء الساحات، وبناتها، صحافيون وصحافيات، نشطاء فنيون مصورون هواة محترفون وعابرو سبيل. تطوعوا معنا برجاء من يعرف ما يريد: وطن واحد عام موحد ديمقراطي يحتضن الجميع الناس فيه مواطنون سواسية لا رعايا في مزرعة. فلهم كلهم جزيل الشكر.

بين أيدينا مادة ضخمة تطل من زوايا مختلفة على حصاد ساحات 14 فبراير/ شباط المترامية بعد عشرة أشهر ونصف، وقد ارتأينا، لضرورات فنية، النشر الإلكتروني المتتابع بزخم يومي لمدة أسبوع، على النشر دفعة واحدة. على أن نضع بين يدي القاريء حصيلة كل هذا الجهد في كتاب مطبوع، ينشر قريباً. كل عام وأنتم وساحاتكم بخير.



# الفصل الأول
# ثورة وانفتحت



# 14 فبراير
# محطات لا تزال مفتوحة

**لكل حدث تاريخي محطاته المفصلية التي تميز بين ما قبلها وما بعدها. المحطات تحدث تحولات حاسمة: تهدئة أو تصعيد أو تعقيد أو مواجهة أو مصالحة. الحدث البحريني الذي بدأ في 14 فبراير بحزمة من المطالب الديمقراطية المتواضعة، مقارنة بمطالب شعوب الربيع العربي، مر بمحطات عنيفة وقاسية، أحدثت انعطافات خطيرة جاء معظمها تصعيدياً، هذه الانعطافات جعلت العودة لما قبل 14 فبراير مستحيلاً، كما جعلت الخيار الديمقراطي الحقيقي هو المخرج الوحيد للأزمة المتفاقمة بين النظام المستبد وغالبية الشعب. كيف تصاعدت حدّة الحدث البحريني؟ وما هي أكثر المحطات توتيراً وتصعيداً؟ وهل هناك منعطفات إيجابية؟ وهل انتهت؟ وإلى أين تسير؟ هذا ما يحاول أن يحصده هذا التقرير.**



■ الشهيد علي مشميع

## ■ فتح الشهادة..

في صفحة 14 فبراير التي دشنت الحركة الاحتجاجية في البحرين، عبّرت عن مطالب سياسية شبابية غير منتمية لأي حزب سياسي، حملت شعار "الشعب يريد إصلاح النظام"، مطالبها: إلغاء دستور 2002 الذي فرض على الشعب بشكل غير قانوني، وحل مجلسي النواب والشورى، وتكوين مجلس تأسيسي من خبراء وكوادر من الطائفتين السنية والشيعية لصياغة دستور تعاقدي جديد ينص على أن الشعب مصدر السلطات جميعاً، برلمان كامل الصلاحيات، رئيس وزراء يُنتخب مباشرة من الشعب، البحرين مملكة دستورية تحكمها أسرة آل خليفة ويمُنع على أفرادها تولي مناصب كبيرة في السلطات الثلاث: التشريعية، التنفيذية، القضائية. إطلاق جميع الأسرى السياسيين الحقوقيين وتشكيل لجنة وطنية للتحقيق في مزاعم التعذيب وملاحقة ومحاسبة المسؤولين قانونيا.

كما طالبت الحركة بضمان حرية التعبير، والكف عن ملاحقة الصحافيين قضائياً، ومنع حبسهم في قضايا النشر، وعدم التضييق على الإنترنت وفتح المجال أمام التدوين، واستقلالية هيئة الإذاعة و التلفزيون، وعدم تدخل الأجهزة الأمنية في عمل المؤسسات الإعلامية، وضمان استقلالية القضاء وعدم تسييسه. وأخيراً طالب شباب 14 فبراير بتشكيل لجنة وطنية للتحقيق في مزاعم التجنيس السياسي وسحب الجنسية البحرينية لمن ثبت حصوله عليها بشكل غير قانوني أو بسبب دوافع سياسية.

كثيرون لم يتوقعوا أن تحقق هذه الحركة ضجة قوية، خصوصاً أن أياً من قوى المعارضة الرسمية لم تعلن موقفها. كثيرون اعتقدوا أنها لن تتجأوز تحركات شبابية مبعثرة يتم التعامل معها سريعاً. لكن ما حدث كان كافياً ليغير كل هذا، إنها سقوط الشهيد الأول سريعاً نتيجة للقمع العنيف الذي قوبل به المحتجون. علي مشيمع (21 سنة) أول ضحية في الأحداث، وقبل أقل من 24 ساعة، يسقط الشهيد الثاني فاضل المتروك (32 سنة) أثناء تشييع الأول.

لم يكن الأمر يحتاج لأكثر من هذا لتتحول الحركة الشبابية إلى ثورة شعبية غاضبة، وليعلو سقف الاحتجاج: "الشعب يريد إسقاط النظام". بعد دفن الشهيد الثاني يتقرر التوجه إلى دوار اللؤلؤة، المكان الذي تم اختياره موقعاً استراتيجياً، للبدء باعتصام حتى تحقيق المطالب. لا أحد يعرف ماذا ينتظره من مصير، يبدأ الشباب زحفهم بغضب يكاد ينفجر.

## ■ اعتذار الملك..

15 فبراير ظهراً، وفيما الزحف سار نحو دوار اللؤلؤة، يخرج الملك على شاشة التلفزيون، يعرب عن أسفه للحدث الذي وقع: "على ضوء ما جرى من حوادث متفرقة يوم أمس واليوم وكانت هناك للأسف وفاة لاثنين من أبنائنا الأعزاء، وعليه نتقدم بتعازينا الحارة لذويهما وأن يلهمهم العلي القدير الصبر والسكينة والسلوان. كما ليعلم الجميع بأننا قد كلفنا سعادة الأخ جواد بن سالم العريض نائب رئيس مجلس الوزراء بتشكيل لجنة خاصة لمعرفة الأسباب التي أدت إلى تلك الأحداث المؤسفة التي جرت". منذ ذلك التاريخ، لم يسمع أحد عن نتيجة واحدة خلصت إليها هذه اللجنة.

الجماهير الغاضبة تصل الدوار، الأمن يختفي من المشهد، الجماهير تتزايد، الصرخات الغاضبة تتعالى: الشعب يريد إسقاط النظام. كانت المطالبة بالإسقاط انفعالية، ولم تكن قد أخذت بعد طابع الحسم بعد، رغم الغضب.

## ■ رصاص الجيش..

كلمة الملك، كان يمكن لها أن تحدث تهدئة تساهم في عودة المطالب للمربع الأول، لو واصل النظام احتواء الغضب بنحو إيجابي. لكنها لم تلبث أن نكثت مصداقيتها بعد الهجوم على المعتصمين وهم نيام فجر 17 فبراير. الهجوم كان وحشياً، شارك فيه رجال الأمن وقوات الجيش. سقط في هذا اليوم المفصلي من تاريخ البحرين 4 شهداء، محمود أحمد مكي (23 عاماً)، وعلي منصور خضير (53 عاماً) بقذائف انشطارية االشوزن، وعيسى عبدالحسن (60 عاماً) بطلق رصاص انشطاري مباشر أدى إلى انفجار في جمجمة الرأس، والشاب علي المؤمن (22 عاماً) بقذيفة انشطارية في الفخد عند الحوض تسببت في تهتك الأوعية الدموية. هذا اليوم شهد أيضاً منع وصول الإسعاف إلى دوار اللؤلؤة صباحاً، بالإضافة إلى التعرض للمسعفين وضربهم، مما أثار الكادر الطبي الذي خرج في مسيرة غاضبة تطالب بإقالة وزير الصحة.

هكذا أصبحت حصيلة الشهداء 6 خلال 3 أيام فقط، وهي حصيلة جعلت الشعب يدرك أن نظاماً مستهتراً بحياة شعبه، لا يمكن أن يؤتمن على وطن. قاد ذلك إلى تحول في الشعار. علت الصرخات: "من يوم الخميس أنهينا الكلام، الشعب يريد إسقاط النظام"، صار مطلب الإسقاط حقيقياً عند البعض، فيما بقي انفعالياً عند البعض الآخر.

لم يقف الاستهتار الرسمي بأرواح الشعب عند هذا الحد، ففي 18 فبراير وفيما انتهت

الجماهير الحزينة والغاضبة من تشييع 3 شهداء صباحاً من منطقة سترة، وفيما توافدت عصراً لختام مجلس عزاء علي عبد الهادي مشيمع من مقبرة جدحفص، خرج الشباب الغاضب رافعاً يده العزلاء أمام دبابات ومدرعات الجيش المنتشرة حول الدوار، تقدم الشباب بصدورهم العارية وبأيديهم الممدودة للأعلى، فكان الجواب طلق رصاص حي من الجيش، وسقوط الشهيد عبد الرضا بوحميد (38 سنة). وكانت فاجعة لن ينساها الشعب للجيش.

## ■ تهدئة ولي العهد..

وبينما رصاص الجيش يخترق رأس بوحميد، كان ولي العهد يفاجئ الجميع بزيارة غير متوقعة لتلفزيون البحرين الرسمي، يوجّه خطاباً وَجِلاً ومرتجلاً للجميع: "أقدم التعازي لكل شعب البحرين على هذه الأيام الأليمة التي نعيشها، وأريد أن أوجه رسالة للجميع للتهدئة، نحتاج فترة أن نقيم ما صار ونلم الشمل ونستعيد إنسانيتنا وحضارتنا ومستقبلنا. نحن اليوم على مفترق طريق، أبناء يخرجون وهم يعتقدون أن ليس لهم مستقبل في البلد، وآخرون يخرجون من محبة ومن حرص على مكتسبات الوطن، لكن هذا الوطن للجميع ليس لفئة على فئة، لا هو للسنة ولا هو للشيعة هو للبحرين وللبحرينيين، وفي هذه اللحظات يجب من كل إنسان مخلص أن يقول كفاية ما خسرناه في هذه الأيام، صعب استعادته، لكن أنا مقتنع بعمل المخلصين".

سيعيش المشهد العام منذ 19 فبراير انسحاباً لقوات الأمن ومدرعات الجيش بناء على أوامر ولي العهد، وعودة المعتصمين إلى الدوار بسلام. حتى 3 أسابيع سيبقى المحتجون يمارسون اعتصامهم السلمي بأمان، يعبرون عن آرائهم واختلاف سقف مطالبهم، دون أن يأخذ النظام مبادرة جدية للتغيير، فيما سوى الحوار الذي بادر إليه ولي العهد، ودعمه الملك، وبقي يرأوح مكانه حتى دخول جيش درع الجزيرة.

## ■ تجمع الفاتح..

21 فبراير، اجتمعت حشود موالية للنظام أمام جامع الفاتح، بموازاة اعتصام المحتجين في دوار اللؤلؤة، ألقى فيه الشيخ عبد اللطيف المحمود خطاباً معتدلاً، قبل أن ينقلب عليه كلياً في التجمع الثاني في 2 مارس. في التجمع الثاني وصف المحمود المحتجين بـ"دعاة الطائفية"، واتهم الحركة الاحتجاجية أنها تسعى لـ " حدوث المواجهات الدامية مع قوات الأمن لأنها كانت تراهن على وقوع قتلى، وتحرص على تأجيج نار الفتنة"، ثم عاد ليؤكد أنها "تحاول أن تؤجج الفتنة بين طوائف المجتمع" وأن لديها "مخططات لنشر الفوضى في البلاد"، قبل أن يختم كلامه محذراً "فإننا لا نضمن الانفلات الأمني كردة فعل لما يقع على أبنائهم وفلذات أكبادهم".

سيكون تجمع الفاتح نواة لتكوين حزب سياسي يقدم نفسه أنه يمثل الطائفة السنّية في البحرين، ويطلق على نفسه في 19 يوليو اسم (تجمع الوحدة الوطنية)؛ ليصير بعدها

حزب موالاة رسمياً، تنحصر مهمته في الوقوف ضد مطالب قوى المعارضة، وفي تبني الرواية الرسمية للأحداث، وحملها إلى كل مكان يمكن الوصول إليه من العالم.

## ■ البلطجة..

خطاب المحمود في الفاتح يوم 2 مارس، كان كافياً لتشجيع خروج جماعات من المجنسين في منطقة مدينة حمد (المختلط سكانها بين سنة وشيعة)، جماعات مسلحة تحمل الأخشاب والأسلحة البيضاء، تجوب الشوارع بحثاً عن أي شيعي ليطردوه أو يهددوه أو يهاجموه. استمر الوضع خلال الليلتين التاليتين 3 و4 مارس. وبدلاً من علم البحرين، كان علم القاعدة يرتفع فوق الأكتاف.

تلك بداية المواجهات التي افتعلتها أطراف من النظام، لزج البلاد في فتنة طائفية، تشغل الرأي العام عن القضية المطلبية الوطنية. وبداية ظهور البلطجية، الذين جرى استخدامهم في تحويل البلد إلى حالة من الانفلات الأمني، وإلصاقها بالمحتجين، وهي الحجة التي استخدمت لقمع الحركة الاحتجاجية.

في 7 مارس تواصل مسلسل الانفلات مع الحادثة الشهيرة لفتاة البسيتين، التي بصقت على المتجمهرين بالقرب من المرفأ المالي ودهست اثنين منهم، قبل أن تلوذ بالفرار. وما تلاها من فزعة طائفية سنية، تجمع عند منزلها ما يقارب 1000 من المسلحين بالسيوف والأخشاب، وهاجموا كل من مرّ هناك من سكان القرى الشيعية بالمحرق.

كانت تلك بداية لتشكيل ميليشيات مدنية مسلحة، عند مداخل المناطق التي يقطنها مواطنون سنّة، قبل أن تتطور باتجاه مهاجمة مناطق الشيعة وقراهم من قبل مسلحين مدنيين (بلطجية)، وهو ما كان يحدث تحت مرأى رجال الأمن وحمايتهم.

13 مارس، شهد تصعيداً جديداً لأحداث الانفلات الأمني التي أريد أن يقصم بها ظهر الحركة الاحتجاجية، مهاجمة جامعة البحرين التي كانت تشهد احتجاجات طلابية، من قبل عدد من البلطجية المسلحين، سُمح لهم بالدخول إلى الحرم الجامعي وتهديد الطلاب وضربهم باستخدام أدوات حادة وأخشاب. وفي مساء اليوم نفسه، انتشرت الجماعات المسلحة (البلطجية) تعيث بجميع القرى الشيعية، تطور بعضها إلى إطلاق الرصاص الحي، في غياب متعمد من قوات الأمن.

حدث هذا قبل أن يتم استهداف مقر جمعية وعد المعارضة في منطقة المحرق، وحرق مقرها في منطقة أم الحصم، وقبل أن يتم تكسير مطبعة صحيفة الوسط المعارضة في 14 مارس، بالإضافة إلى تكسير محلات "جواد" التجارية المملوكة لتاجر شيعي في كل من مناطق الرفاعين والبسيتين وعوالي.

## ■ مبادرة ولي العهد..

"لا أريد أن ألوم أي أحد، أنا أحترم الوفاق كما أحترم الآخرين، اليوم وقت الجلوس

والحوار وليس الكفاح"، كانت تلك مبادرة الحوار التي دعا إليها ولي العهد عندما فاجأ تلفزيون البحرين بزيارته في 18 فبراير. أعقبها أمر ملكي "على إثر مبادرة ولي العهد (..) الصادقة والصريحة والنابعة من قلب مواطن بحريني صادق أصيل والتي أعلنها في تلفزيون البحرين هذا المساء (أمس)، وإيمانا منا بعزيمة الشباب، فقد أمرنا بتكليفه بالحوار مع جميع الأطراف والفئات في مملكتنا الحبيبة من دون استثناء وأعطيناه جميع الصلاحيات اللازمة لتحقيق الآمال والتطلعات التي يصبو إليها المواطنون الكرام بكافة أطيافهم".

الأحد 5 مارس، التقى ولي العهد بالجمعيات السياسية المعارضة، نقلت إليه رؤيتها للحوار، والركائز الأساسية التي تعتقد أنه لا يمكن أن يكون فاعلاً بدونها. في 13 مارس، أبدى ولي العهد موافقته على المبادئ السبعة وهي مجلس نواب كامل الصلاحيات، حكومة تمثل إرادة الشعب، دوائر انتخابية عادلة، التجنيس، محاربة الفساد المالي والإداري، أملاك الدولة، معالجة الاحتقان الطائفي، و غير ذلك من مبادىء ومحاور للحوار الوطني. وأكد على ضرورة الاستجابة الفورية للدعوة للحوار لكل من يريد السلم والأمن والإصلاح من أجل تحقيق مستقبل زاهر ومشرق لكافة أبناء البحرين. كما أوضح عدم الممانعة من عرض ما يتم التوافق عليه في الحوار الوطني في استفتاء خاص يعكس كلمة الشعب الموحدة.

14 مارس، عقدت الجمعيات السياسية المعارضة مؤتمراً صحافياً قالت فيه إنها «كانت ولاتزال مع الحوار»، مؤكدة الحاجة إلى تشكيل مجلس تأسيسي، كما طالبت بتوضيحات رسمية من سمو ولي العهد بشأن موافقته على مبادئ الحوار التي أعلنت في وسائل الإعلام المحلية أمس الأول «من أجل أن يكون الحوار جديّاً». كان هذا هو اليوم الذي دخلت فيه قوات درع الجزيرة، ليتم وأد مبادرة ولي العهد، قبل أن ترى النور.

## ■ درع الجزيرة..

في 14 مارس، بدأت قوات درع الجزيرة بالوصول إلى البحرين، أعلنت وكالة (بنا) أنه "بدأت طلائع قوات درع الجزيرة المشتركة بالوصول إلى مملكة البحرين نظراً لما تشهده البحرين من أحداث مؤسفة تزعزع الأمن وتروع الآمنين من المواطنين والمقيمين"، هذا يؤكد أن الانفلات الأمني الذي أخذت إليه البلاد، كان مقصوداً لتبرير دخول الجيوش، والبدء بالقمع الهستيري للحركة الاحتجاجية.

## ■ السلامة الوطنية

في 15 مارس يصدر المرسوم الملكي بإعلان حالة السلامة الوطنية، والسبب كما يقدمه «الظروف التي تمر بها مملكة البحرين والتي جرت فيها تصعيدات أمنية مست أمن البلاد وعرضت حياة المواطنين للخطر وأضرت بمصالحهم وأرزاقهم وتعدت على ممتلكاتهم وطالت مؤسسات الدولة ودور العبادة وأساءت لمنابر العلم في المدارس



والجامعات وحتى وصلت لتطال مهنة الطب الإنسانية وحولت المستشفيات إلى بؤر رعب وترهيب كما عملت على الإضرار بعجلة التنمية والاقتصاد البحريني».

مدير القضاء العسكري بقوة دفاع البحرين يصدر تصريحاً بإعلان حالة السلامة الوطنية اعتباراً من 15 مارس ولمدة ثلاثة أشهر، واتخاذ الإجراءات بحق الخارجين على القانون وفرض هيبة الدولة، وتكليف القائد العام لقوة الدفاع بالتنفيذ. ومنع التجول في أماكن وأوقات معينة، وإخلاء بعض المناطق، ومنع التجمعات، ووضع ضوابط على ارتياد بعض المناطق أو الخروج منها وكذلك التفتيش والقبض على المشتبه بهم.

ستكون هذه البداية المفتوحة لارتكاب أبشع أنواع الانتهاكات والجرائم في حق طائفة كاملة من الشعب، وهو ما أسماه تقرير بسيوني تخفيفاً "سوء فهم حالة السلامة الوطنية"، فيما هي استباحة مطلقة ومحمية من المساءلة.

## ■ استباحة سترة

في اليوم نفسه، تعمد جماعات مدنية مسلحة بمهاجمة عدد من المناطق والقرى الشيعية مستخدمة الرصاص الحي دون أن تواجه من قبل الأمن. وتتعرض جزيرة سترة إلى الهجوم الأعنف بين تلك المناطق الذي استمر لساعات أطلق خلالها الأهالي نداءات الاستغاثة وتدخلت بعدها قوات مكافحة الشغب والتي قامت بالتدخل لإطلاق مسيلات الدموع والرصاص المطاطي والشوزن على الأهالي الذين كانوا يقأومون الجماعات المسلحة. تمارس قوات الأمن والجيش ضدها قمعاً عنيفاً، ينتج عنه سقوط أحمد فرحان (30 عاماً) برصاص فجر رأسه بشكل مريع، وبنغالي الأصل حأول حماية نساء سترة، وأكثر من 250 مصاباً، بينهم 65 حالة حرجة. واحتجاجاً على هذا التعاطي الأمني الوحشي في أول أيام السلامة الوطنية، فإن جملة من الاستقالات من المناصب الرسمية في الدولة يعلن عنها أصحابها كرد فعل مباشر.

## ■ التطهير..

في 16 مارس تتم مهاجمة المعتصمين في كل مكان، القيادة العامة لقوة دفاع البحرين في بيانها "صباح هذا اليوم الأربعاء الموافق 16 مارس 2011م بدأت قوات من الأمن

العام والحرس الوطني وبمساندة من قوة دفاع البحرين بعملية (تطهير) دوار مجلس التعأون والمرفأ المالي ومجمع السلمانية وما حولهم وإخلائهم من الخارجين عن القانون الذين روعوا المواطنين والمقيمين وأرهبوهم وأساءوا للاقتصاد الوطني وقد تم تنفيذ العملية حسب الخطة الموضوعة لها بكفاءة واحتراف مع مراعاة السلامة للجميع". في هذا اليوم سقط جعفر محمد عبد علي سلمان (41 سنة)، وأحمد عبدالله حسن (23 سنة)، وجعفر عبدالله معيوف (30 سنة)، كما قتلت رصاصة حية آسيويا (48 سنة) يعمل حارسا في إحدى الشركات في قرية الحجر. تمت محاصرة الدوار بالكامل من قبل الجيش، كما تم احتلال مجمع السمانية الطبي بالكامل من قبل الجيش، وتحويل إدارته في يد العسكر.

### ■ إزالة الدوار..

في تجمع الفاتح الثاني بتاريخ 2 مارس، وبعد خطاب المحمود التحريضي ضد المحتجين، صرخت بعض الأصوات: الشعب يريد إزالة الدوار، وكرر الباقي الهتاف مراراً. 18 مارس، وبعد يومين من مهاجمة الدوار ومحاصرته، تمت أسرع عملية من نوعها في تاريخ البحرين، إزالة الدوار واستبداله بإشارة ضوئية، وفي تبرير مضحك سخر منه الرأي العالمي، قالت السلطات إن سبب إزالة الدوار هو استبداله بإشارات ضوئية لتخفيف الضغط على الحركة المرورية في الحي التجاري في العاصمة. المضحك الأكثر أن المنطقة التي أُريد تخفيف الضغط على حركتها المرورية، واتهم المحتجون بأنهم عطلوها، لا تزال مغلقة بكاملها ومحاصرة بقوات الأمن من كل جهة، وغير مسموح بالعبور خلالها منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

### ■ حوار التوافق..

بعد الضغوط الخارجية على النظام البحريني من أجل البدء بحوار وطني مع المعارضة من أجل الخروج من الأزمة، التف النظام بتمرير ما أسماه بـ(حوار التوافق الوطني) خلال شهر يوليو/ تموز الماضي. جعله أشبه بملتقى عام أو لقاء مفتوح بين القوى المجتمعية المختلفة، فيما غاب هو عنه. وكأن الأزمة هي بين اطراف الشعب، لا الشعب مع النظام. تضمن (اللقاء المفتوح) دعوة أكثر من 300 جهة مشاركة، غُيّب الهدف الرئيسي، وضيعت الأزمة بين الرتوش الشكلية، ما أدى إلى إعلان الوفاق كبرى جمعيات المعارضة انسحابها منه في 16 يوليو، وأعلنت باقي الجمعيات السياسية عدم جديته، ما كشف أمام العالم تحايل النظام وعدم جديته في القيام بأي إصلاح حقيقي.

### ■ تقرير بسيوني..

ومع استمرار الضغوط العالمية على النظام أمام فضائح الانتهاكات التي ارتكبها في حق الشعب، ومع الجهود الحقوقية الداخلية والعالمية في فضح الانتهاكات والمطالبة

بمحاسبتها، كان النظام مع تحايل آخر لتخليص نفسه وتبرئتها، أصدر الملك في 29 يونيو/ حزيران، أمراً بإنشاء لجنة مستقلة لتقصي الحقائق في أحداث فبراير/ شباء ومارس/ آذار، أطلق عليها اللجنة الملكية المستقلة لتقصي الحقائق، تتألف من شخصيات حقوقية دولية برئاسة محمود شريف بسيوني (عينه الملك)، وعضوية كل من فيليب كيرش، ونايجل رودلي، وماهنوش ارسنجاني، وبدرية العوضي، على أن ينشر التقرير كاملاً بعد عرضه على الملك قبل 30 أكتوبر/ تشرين الأول. وأن يتضمن الانتهاكات الحقوقية التي وقعت خلال تلك الفترة.

أكد الملك في كلمة ألقاها في مجلس الوزراء في ذلك اليوم، أنه "لن يتم التهاون أو التساهل حيال ثبوت أية انتهاكات لحقوق الإنسان من أي كان، فهذه الأفعال لا تساعد أحدا، بل تؤذي الجميع".

يتأخر تسليم التقرير حتى 23 نوفمبر/ تشرين الثاني، وفي محفل رسمي يحضره الملك وولي العهد ورئيس الوزراء، يلقي بسيوني خلاصة تقرير اللجنة وتوصياتها، يتحدث عن انتهاكات حقوق الإنسان التي وقعت: التعذيب، الاستخدام المفرط للقوة مما أدى إلى القتل، أساليب التعذيب المرصودة من الصعق بالكهرباء والحرمان من النوم واللكم والضرب بخراطيم المياه. اعترافات انتزعت تحت التعذيب، الاستناد إليها في المحاكمات، سجناء رأي، الاعتداءات اللفظية والتهديد بالاغتصاب وإهانة الطائفة الدينية للمسلمين الشيعة وهدم مساجدهم، قطع بعثات مئات الطلاب الجامعيين، وقطع أرزاق آلاف الموظفين من مختلف الوزارات والشركات التي راحت تتبارى بفصل المزيد من الخونة والمجرمين والعملاء. ينفي التقرير وجود أي إثبات على تورط إيران في الحدث البحريني. تسرد اللجنة توصياتها، من بينها تشكيل لجنة مستقلة لمتابعة تنفيذ التوصيات.

بعدها مباشرة وفي المحفل نفسه، يلقي الملك كلمته، وعلى خلاف ما جاء في التقرير المعتمد من قبله، يؤكد الملك التدخل الإيراني، ويأمر بتشكيل فريق عمل حكومي (!) لدراسة التوصيات. تكون هذه الكلمة بمثابة الصفعة الجديدة للشعب، وتأكيداً أن الحكومة رغم كل ما ثبت من تورطها، باقية ومحمية من قبل رأس الدولة، وأن التقرير ما هو إلا ورقة لتجميل صورة النظام في الخارج، وأنه لا لإصلاح أي وضع في الداخل.

## ■ وماذا بعد..؟

لم تنته محطات سيرة 14 فبراير/ شباط بعد؛ لأن الثورة نفسها لم تخمد ولم تفتر، لا تزال مفتوحة على الحدث الذي يصنعه الشعب في الساحات، ولا يزال القمع المفرط والقتل والاعتقال والتعذيب وقطع الأرزاق مستمراً، ولا يزال الشعب مصرّاً على تقديم المزيد وتقرير مصيره بيده، ولا يزال حلمه الوصول إلى مطلبه الديمقراطي المحدد، ولا تزال الأحداث ترسم نفسها على أرض الواقع كل يوم وكل ليلة وفي كل منطقة صمود، ولا تزال المحطات المفصلية آتية.




# ما بعد 14 فبراير
## مطالب متنافرة وإرادات سياسية متناحرة

خلقت الثورة التونسية أوضاعاً عربية محفزة للتغيير، كانت تتجه في جميع الأقطار نحو تحقيق العدالة الاجتماعية، ذلك أن أنظمة الحكم التي هيمنت على الواقع العربي افتقدت لأبسط أسس الحكم الرشيد.

تفجرت الأزمة غربا في تونس، كان كثيرون يستبعدون أن تتجه نحو الشرق، إلا أن التحليلات الجيوسياسية التي ارتكزت على علاقات الجوار المصري-الاسرائيلي وما يمثله نظام حسني مبارك من ضمانة لأمن إسرائيل وعملية السلام، سقطت أمام الإرادة الشعبية المصرية.

ظنت أروقة الحكم العربية ورعاتها الغربيون أن آخر المفاجئات حدثت على ضفاف النيل، وأن المياه تبدو راكدة في الخليج الدافئ، الذي يسبح على آبار النفط التي تختزن نحو 80 في المائة من طاقة العالم.

لقطع الطريق على أية دعوات للغضب الخليجي، بادر شيوخ الإمارات الصغيرة إلى توزيع الهبات والعطايا بشكل استثنائي. كانت البحرين من بين الدول التي أعلنت عن منح ألف دينار لكل عائلة بحرينية لاعتراض دعوة تم إطلاقها على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك بإعلان 14 فبراير/ شباط يوما لغضب بحريني. و جاء الرد في مواقع التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية على رشوة القبيلة: "لا ألف ولا ألفين موعدنا يوم الاثنين".

بالفعل كانت المناطق البحرينية ومنذ صباح الاثنين 14 فبراير، ذكرى إصدار الملك الدستور المنحة، قد انطلقت في تظاهرات وتجمعات استجابة للدعوة.

كان بيان يوم الغضب البحريني الذي أطلقته مجموعة شبابية على الشبكة العنكبوتية يدعو إلى كتابة دستور جديد، بالإضافة إلى إنشاء هيئة مفوضة شعبيا تعمل للوصول إلى توافق ومصالحة وطنية، تمر عبر البت والمحاسبة في التعديات على الثروات العامة والتجنيس السياسي، وضحايا الأمن من معتقلين ومعذبين، بالإضافة إلى الفساد.

لا تبدو هذه المطالب جديدة على الشعب البحريني ولا العائلة المالكة، كان الاثنان يعرفان أن تلك المطالب تسير باستمرار جنبا إلى جنب مع الزمن، وأن العائلة كانت ولا زالت تلعب على عامل تضييع الوقت وتمييع المطالب.

ورغم أن الثورة البحرينية شهدت تحولات كبيرة وخطيرة، كان يُراد منها أن تغير القوى المعارضة مركزها في التفأوض نحو تغيير نوع التحول المطلوب، إلا أن مطالب المعارضة استمرت في إطار الدعوة إلى التحول نحو الديمقراطية بشكل جاد.

سقط الشهيد علي مشيمع في الديه مساءً ليتبعه فاضل المتروك صباح اليوم التالي. بدا وكأن الدماء ترسم طريقا أحمر نحو اللؤلؤة. هذا ما حصل فعلا، سيطر الآلاف على دوار اللؤلؤة في قلب العاصمة المنامة بعد تشييع المشيمع في عصر الثلاثاء.

كانت كرة الثلج تتدحرج جماهيريا بعد الخميس الدامي وجمعة عبدالرضا بوحميد. الجمعيات السياسية المعارضة تصيغ رؤى للحل تمر عبر لجنة تأسيسية لكتابة دستور ديمقراطي وتفعيل ما نص عليه ميثاق العمل الوطني، من حكم ملكي دستوري على غرار

الديمقراطيات العريقة، وهو السقف الأقل بين الثورات العربية، فيما بدا أن سقوفا أخرى بدأت ترتفع.

السقف الأقل، لكنه استنفر من استنفر. كان رجْعُ مطالب المعارضة في دوار اللؤلؤة، يُسمع في مسجد الفاتح بالجفير: "لنا مطالب"... مطالب لائتلاف جمعيات دينية موالية وشخصيات مستقلة بذات الاتجاه، بعد أن أعلن ولي العهد مبادرة لحوار وطني شامل.

تلا رئيس التجمع الوليد أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة البحرين المعارض السابق عبداللطيف المحمود مطالبه: لا تمكنوا من يريد الشر للوصول إلى مآربه، والتأكيد على شرعية نظام الحكم.

أعرب المحمود عن أسفه لأرواح المواطنين التي أزهقت، وطالب بمحاسبة المتسببين، كما دعا الحكومة، في سياق مقطوع، إلى الإفراج عن جميع سجناء الرأي. وقال المحمود إن المشروع الإصلاحي ليس نهاية المطاف، وأن الدعوة إلى الإصلاح مستمرة.

وفيما يشبه قطع الطريق على حلول لا تضمن موافقة تجمعه قال المحمود: إن أي مطلب وطني لا يمكن إقراره والاستجابة له دون توافق عليه من جميع مكونات المجتمع.

على الجانب الآخر بدأت المعارضة وولي العهد فتح قنوات اتصال مباشرة للدفع بعملية حوار جدية تفضي إلى حلول... اتصالات سرية، لقاءات غير معلنة، نوايا لولي العهد لزيارة مركز الاعتصام المفتوح باللؤلؤة!

## ■ تجمع الفاتح

كل ذلك غير معلن، ما هو معلن أن تجمع الوحدة الوطنية برئاسة المحمود الذي أسف على أرواح الضحايا، في التجمع الأول في 21 فبراير/ شباط، عاد في 2 مارس/ آذار ليطالب السلطات بتطبيق قانون التجمعات للحفاظ على النظام العام.

وقال مخاطبا الملك: الشارع يطالب بإرجاع الأمور إلى نصابها وتطبيق القوانين الخاصة بالتجمعات والمسيرات على الجميع، داعيا لإزالة مظاهر الاعتصام في السلمانية أيضا.

رفض تجمع الوحدة التعديلات الوزارية التي دفعت إلى توسيع حصة الطائفة الشيعية في حكومة خليفة بن سلمان الذي يرأس الوزراة منذ 4 عقود. وصف عبداللطيف إسناد الإسكان لمجيد العلوي والصحة لنزار البحارنة والكهرباء لعبدالحسين ميرزا والعمل لجميل حميدان، بأنها ذات وقع سيّىء على مناصريه.

هاجم المعلمين والأطباء، وجميع المهنيين الذين استجابوا لدعوات الإضراب، وطالب باستبدال المقصرين ومحاسبتهم. وصحيح أنه طالب بسرعة إجراء الحوار مع ولي العهد دون شروط إلا أنه اشترط عدم إقالة الحكومة لبدء الحوار.



الحوار الذي بدا وكأنه يتقدم بدفع دولي، أعلن ولي العهد بعد زيارة وزير الدفاع الأميركي إلى البحرين أن استفتاءً شعبيا سيجري حول أي تغييرات مقترحة، ومن ثم أصدر ديوانه ما بات يعرف بـ "النقاط السبع" كأساس للحوار.

مجلس نواب كامل الصلاحيات، حكومة تمثل إرادة الشعب، دوائر انتخابية عادلة، التجنيس، محاربة الفساد المالي و الاداري، أملاك الدولة ومعالجة الاحتقان الطائفي، هي المبادئ السبعة التي أعلن عنها ولي العهد السبت 12 مارس ليلا.

لكن الأجواء في صبيحة الأحد لم تكن أجواء حوار، وإنما كانت أجواء حرب، هجمت الشرطة على المعتصمين أمام المرفأ المالي، بينما كان مجموعة من الأمن بلباس مدني، وعصابات مدعومة من أقطاب في العائلة الحاكمة يهاجمون جامعة البحرين.

لا مكان للعقل، يبدو أن النظام حسم خياره: الآن يبدأ الحل الأمني الإقليمي، وبغطاء دولي من الحليف الأميركي. دخلت قوات سعودية بلواء درع الجزيرة، رفضت المعارضة ورحبت الموالاة، تم الإعلان عن حالة السلامة الوطنية... الحكم اليوم للعسكر.

استمر البطش لأشهر، كان الهدف تغيير مراكز التفأوض، لكن جماهير المعارضة بدأت تستعيد عافيتها. وبدأت مع انتهاء "حالة السلامة الوطنية" تعلن نفسه مجددا. لا مكان للتراجع، تظاهرات، تجمعات، مهرجانات: نحن في الشارع ومطالبنا رغم القمع لا زالت.

## ■ وثيقة المنامة

وبعد ثمانية أشهر "12 أكتوبر" تمكنت جمعيات معارضة "الوفاق، وعد، التجمع القومي، التجمع الوطني، الإخاء الوطني" من صياغة رؤية موحدة لمطالبها تحت مسمى وثيقة المنامة، جددت فيها المطالبة بحكومة منتخبة تمثل الإرادة الشعبية، ونظام انتخابي عادل يتضمن دوائرانتخابية عادلة، وسلطة تشريعية تتكون من غرفة واحدة منتخبة، وتنفرد بكامل الصلاحيات التشريعية والرقابية والمالية والسياسية، وقيام سلطة قضائية

موثوقة مستقلة، بالإضافة إلى أمن للجميع.

لم تخلق آلة القتل معادلة جديدة، بقيت المعادلة كما هي معارضة تطالب بالإصلاح الدستوري والتحول نحو الديمقراطية والمسأواة، في مواجهة نظام يعمل على تكريس الدكتاتورية والفصل الطائفي.

## ■ وثيقة الفاتح

بين هذا وذاك تقدمت ثلاث جمعيات موالية "المنبر الإسلامي، الأصالة الإسلامية، التجمع الدستوري" انشقت عن تجمع الوحدة الوطنية، بورقة أسمتها وثيقة الفاتح تعرض فيها رؤيتها للحل.

شرعية نظام الحكم، مكافحة الفساد، إصلاح القضاء، محاربة التمييز بكل أشكاله، رفض العنف واستغلال الأطفال، والوحدة الخليجية الاتحادية.... هذه وثيقة الفاتح التي وصفها عضو تجمع الوحدة الوطنية المحامي عبدالله هاشم بالمبتذلة.

إذاً، رؤى متباينة للحل، اقتربت شكليا على مستوى وثيقة المنامة والنقاط السبع لولي العهد، لكن إرادات سياسية متضاربة لا زالت تتجاذب القرار السياسي. مطالبات كثيرة طرحتها قوى متصارعة، اختلفت وثائقها وأطرها لكنها تبقى متسقة مع الاتجاهات التاريخية لتلك القوى.

فبينما تطالب قوى المعارضة بامتداداتها التاريخية تعزيز المشاركة السياسية عبر إصلاح البنية السياسية والتشريعية في البلاد، تتركز مطالب الموالاة على تعزيز المكاسب الاقتصادية مع بعض الإصلاحات السياسية المحدودة مع المحافظة على جوهر نظام الحكم وبنيته.



# البحرين
## سيرة المقاومة المدنية

فيما يلي تقرير تأملي تتبّعيّ -وليس تأريخيا، لثورة 14 فبراير- ومن خلال مسبر مُحدّد هو مقولة: المقاومة المدنية. تهدف القراءة إلى رصْد أهم وسائل النضال السلمي التي اعتمدتها هذه الثورة، وتسليط الضّوء على السياق الحاضن والمولِّد لها، إضافة إلى النقاشات التطورية والحجاجية التي تزامنت أو تأثرت بها. يعتمد التقرير/ القراءة منهجيا على كتاب "المقاومة المدنية" للباحث البحريني عبدالهادي خلف، كما أنها تستضيء بكتاب جين شارب "من الدكتاتورية إلى الديمقراطية"، وتعدّ كتابات شارب واحدة من إحالات خلف المرجعيّة. تمثّل هذه القراءة اقتراحا تمهيدياً لأي جهد توثيقي مفصّل لأيّام الثورة، وهو مشروع وطني يُراد له الإنجاز في أقرب وقت.

كانت الثورة المصرية – ومن خلفها ثورة الياسمين في تونس – هي محطّ أنظار البحرينيين. يسجّل المتابعون أنّ النموذج السلمي للثّورة لم يكن عصيا تطبيقه في البحرين، ولكن السؤال الذي ظلّ يشغل كثيرين هو: ما مدى السلمية التي يمكن الالتزام بها، لاسيما في ظلّ سجالاتٍ سابقة داخل البيت المعارض حول أساليب النضال والاستراتيجيات، والاختلاف على الوصفة السّلمية؟

حينما خرج البحرينيون يوم 14 فبراير، انكسرت الهواجس تلقائيا. لم يخضع الجميع لدورات تدريبية في المقأومة المدنيّة، ولم تكن برفقتهم فرق منظّمة تجيد فنّ الاستنزاف اللا عنفي لقوات الأمن. اكتفي البحرينيون بخبراتهم المتراكمة وصدى الرّبيع العربي، وبالمعجم الثقافي والقيمي الذي يتمثّلونه في إدارة سلوكهم الخارجي. على هذا النحو مرّ ذلك اليوم.

## ■ مشهد مختبري: سلميّة اليوم الأوّل

المكان: قرية الديه عند الشارع المقابل لمجمع جيان التجاري. الزمان: 14 فبراير 2011. الساعة: الثالثة والنصف عصرا. المناسبة: يوم الغضب في البحرين.

تتقدّم القوات إلى التجمع السلمي الذي بدأ للتّو. كان الضابط يأمر القوات بالتقدم، فيما عيونه مشغولة في جهاتٍ شتى. عندما تُدير الوجه نحوه أكثر، تتأكّد أن أعصابه تتجه ناحية قرية سنابس، وتحديدا على ضفافها المحاذي لبؤرة الأنظار يومها؛ دوار اللؤلؤة. المشهد من جهة جيان يبدو شبيهاً بسيل من الألوان الرمادية. القوات تتجه بهيبةٍ مفتعلة نحو مجموعات مختلطة (شباب، شابات، أطفال) تضجّ باللافتات. لا يستوعب المرء الحدث المرتقب. أيّ متابع حريص على الوقائعية سيضطر لأن يترك الزوايا الآمنة والاقتراب نحو نقطة الاحتشاد أملاً في التقاط الصّورة المحفوفة بالغموض.

المفاجئ أن المتظاهرين كانوا ثابتين في أماكنهم، لا يعتريهم الخوف من الفوّهات التي تكاد تلتصق بهم. تقترب من القوات فتجد حيرةً صفراء تخيّم على الوجوه المختبئة تحت الخوذات. لم يتغيّر الموقف السلمي حين تمّ الإطلاق. تفرّق الجمْع تحت وابل الغازات، ولكن ليعود من جديد. تلك كانت الالتقاطة الأولى لأنفاس المقأومة المدنية للثّورة الجديدة. القرية المعروفة سابقا بمواجهاتها الشديدة مع القوات، بدت مختلفة هذه المرة. في واحدة من الإعادات، تقدّم شبان يعرضون على القوات لافتات مطلبية هاتفين: "سلمية سلمية". على مقربة من المشهد، يراقب القيادي في جمعية الوفاق، سيد هادي الموسوي، فتى صغيرا يحمل حجرا، ليقترب من الأخير شابٌ آخر ويُذكّره بالدّرس الأول:

"سلمية". ونجح الاختبار.

### ■ الاعتصام المركزي في دوّار اللؤلؤة

دخل المحتجون دوّار اللؤلؤة ظهيرة 15 فبراير محمّلين بملفين متبادلين سيمثلان جوهر المناقشات الداخلية للحركة الاحتجاجية: الأول الشعار المطلبي وتوحيده، والثاني: استراتيجيّة المقاومة المدنية القادمة.

نظرا لسقوط اثنين من الشهداء (الشهيد علي مشيمع 14 فبراير، والشهيد فاضل المتروك 15 فبراير)، فقد وجد شعار إسقاط النظام بيئته المؤاتية. ونظرا لذلك، لم يكن مستغربا أن المتظاهرين الذين تقاطروا لاحتلال الدّوار والاعتصام فيه كانوا يهتفون بذلك الشعار. كان ذلك، على الأقل، المشهد الأكثر اتساعا وتقبّلا. سيؤثر ذلك لاحقا على إدارة العمل اللا عنفي المنتظر، إلا أن الاعتصام في الدوار، واستطاعة المعتصمين تنفيذ ورش عمل مفتوحة، سيمكّن من إعداد تدريجي وغير مكتوب لمانفيستو المقاومة السلمية. ينبغي تسجيل أن شعار إسقاط النظام لم يخضع لشطب إرادي من جانب المشاركين في الاعتصام، وبدلا من ذلك جرت عمليات مراجعة أو تحسين أو تركيب توافقي للشعار. لم يكن الأمر مثاليا، وبرزت بعض ردود الفعل غير المتوازنة، ولكن في كل الحالات، ظل الشعار ثابتا في مكانه، واعتلى المنصة الرئيسية للاعتصام. ويمكن استنتاج أنّ المفهوم الواضح للمقاومة المدنية لدى المعتصمين كافة؛ أسهم في اقتراح المعالجات التوفيقية، كما هي محأولة إبراهيم شريف – أمين عام جميعة وعد – في تفسير مفهوم إسقاط النظام بما يجعله مسأويا للشعار المطلبي المنافس آنذاك: المملكة الدستورية. لقد أدرك الجميع أن تقديم تنازلات، ولو على مستوى الشعار، يُفقِد الاعتصام جوهره في التحدي والنضال الجاد. وفي الحدّ الأدنى، فإن مقولة التوازن القوي – التي بلورها غاندي – تفقد اعتباريتها لو جرت تنازلات على هذا الصعيد، حيث تتمسك المقأومات الحقيقية بمواقف سياسية صلبة تفرض قدرا من التوازن مع السلطة المدجّجة بالسلاح، في مقابل الشعب الأعزل الذي قرّر السلوك اللا عنفي في النضال.

جوهريا، سيؤدي الاعتصام في الدوار، وبالكيفية التي تمّت، إلى تحقيق أثرين أساسيين يؤكد عليهما المهتمون بالنضال السلمي وفنونه. فقد عزّزت النقاشات المفتوحة الإقدام المدهش على تجأوز الخوف، وإسقاط جدار الخشية من السلطة وقمعها، وهي من مستلزمات التحدي السلمي الناجح. ومن ناحية أخرى، رسّخت تلك العادة المدنية التقبل الديمقراطي لوجهات النظر الأخرى، والتسامح الواقعي مع الأيديولوجيات المتعددة التي

يمكن أن تنخرط في العمل الجماهيري السلمي. لاحقا، وعندما تشتد إجراءات السلطة، ستتبلور الفائدة القصوى للتعزيزات المعنوية والتثقيفية التي وفّرتها طأولات الحوار في الدوار.

## ■ اختبارات السّلمية: الوردة، العلم الوطني، الصّدور العارية

بعد الهجوم الوحشي والغادر على المعتصمين فجر الخميس، 17 فبراير – وقد أدى إلى سقوط أربعة من الشهداء – انتقل مسار التحدي السياسي إلى حدود جديدة من المواجهة. استخدام العنف الذي سبّب مزيدا من الشهداء، سوف يعيد ممارسة الأسلوب المتكرر للمقأومة المدنية، وهو تحويل الجنائز إلى احتجاجات غاضبة ضد النظام. عملت الجنائز على إبراز الفجيعة وبالتالي تعرية وجه النظام من ناحية، وأكّدت على الزخم الثوري من جهة أخرى. وهذه وسيلة مركزية على امتداد ثورة اللؤلؤة كون الأخيرة تميزت بقوافل متتالية من الشهداء، وهو ما سيبرر ظهور عدد من الوسائل الرفضية الخاصة ببيئة الجنائز وتشييعها، من قبيل فعالية الشموع، التي ستجد حضورها الأبرز والأوسع بعد الهجوم الثاني على الدوار، وانتقال الاحتجاجات إلى القرى والمناطق في أغلب الأوقات.

في يوم 20 فبراير، دخل التحدي المقأوم مرحلة جديدة، كان عنوانه العريض: الصدور العارية. وكان الشهيد رضا بو حميد رمزه الكبير (1).

كان المطلوب التغلّب على استراتيجية الالتفات والاجراءات الاستيعابية للنظام، وذلك بعد إثبات القدرة على إجهاض إجراءاته القمعية المختلفة.

في المرحلة الثانية من اعتصام الدوار، استطاعت الثورة السلمية أن تُكرّس ثقافة الإقناع والتحدي بالأسلوب المدني (2). برز شعار "أنا الشهيد التالي" في هذا السياق، ولم يكن يحمل رسالة عنفية أو رغبة في الموت العبثي كما صوّره الإعلام التابع للنظام. في الواقع، مثّل هذا الشعار، والسلوكات الاحتجاجية التي صاحبته – من قبيل ارتداء الأكفان والتقدّم العاري نحو القوات المعتدية – أجلى مظاهر التمرّس على إسقاط الخيار القمعي، وهو مشهد احتفلت به الصحافة العالمية ودلّت عليه العبارة الشهيرة "مثخنون بالجراح ولكن لا ينحنون".

اشتغل المعتصمون في هذه الفترة على ابتكار الرموز والثيمات، وتنوعت الأساليب التعبيرية وأدوات الفن. أعطى الاعتصام – إضافة إلى مشاعر الإقدام – فرصة هائلة لإطلاق المواهب والإشارات الاحتجاجية، وتم توظيف كل شيء في هذا الاتجاه القدو

(النارجلية) (3)، النفيش (الذرة)، اللوحات الجدارية، التعبيرات الساخرة. ظهر في هذه الفترة تعبير "شحوال" (4) (كيف حالك؟) تعبيرا عن الإيذاء النفسي لمعنويات النظام، وتذكيره بقرب الرحيل.

## ■ دوّار اللؤلؤة: الاعتصامات والمسيرات الدّوارة

إعادة الاعتصام في دوار اللؤلؤة عزّز قيمة التحدي السياسي وجدوى المقأومة المدنية، وقد سارع المعتصمون إلى توسيع نطاق النقاشات في ساحة الاعتصام. تعبيرا عن المشاركة الشعبية العارمة في الاعتصام، انطلقت من ساحاته المسيرات المختلفة. وهي وسيلة هامة لإعطاء الزخم العام للاحتجاجات، وتجديد انطلاقتها، والتحشيد المتواصل للمطالب المرفوعة، وصولا إلى محاصرة النظام وتحقيق التوازنات المطلوبة.

في هذا السياق، سيّرت المعارضة مسيرة الشهداء الحاشدة (5)، والمسيرة التي طافت على مبنى الحكومة (6) والمرفأ المالي(7). وصولا إلى الاعتصام الجزئي الذي أريد له الاستمرار يوميا قرب قصر القضيبية(8).

في هذه الفترة، بدأ تجمع الفاتح يأخذ تصعيدا لجهة التشكيك في النضال المطلبي لثورة فبراير، وأخذت تظهر على السطح بدايات الاصطفاف الطائفي. في هذا الإطار، خاضت الثورة جهدا مضنيا للوقوف في وجه هذا التشطير، وأكّدت على البعد الوطني للحركة الاحتجاجية من خلال ابتكار الشعارات الوطنية (إخوان سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه) والسلسلة البشرية التي انطلقت من مسجد الفاتح ذهابا إلى دوار اللؤلؤة(9).

## ■ دوّار اللؤلؤة: توسيع الدائرة الخانقة..

الإضراب العمالي والمرفأ المالي

بحسب طبيعة الأعمال الاحتجاجية، فقد كان من الطبيعي أن تزداد وتيرة التصعيد النضالي على مستوى العدد والكيف. ومن حيث تنويع المبادرات، تم توجيه المسيرات لتتخذ أدواراً مركبة في التعبير الاحتجاجي من جهة، وإلحاق المزيد من الضغط المعنوي على النظام. وفي هذا السياق، تم توجيه مسيرات إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون، والمسيرة التي تحرّكت باتجاه الديوان الملكي (10)، والأخيرة التي انطلقت إلى قصر الصافرية (11) وطوّقت أسواره.

أجّج من هذا الصعيد، انكشاف خطة الاحتواء للنظام، وسعيه الدؤوب لتطويق الاحتجاجات من خلال وسائل استيعابية وتفريغية واستخدام الأدوات التلقيدية في إثارة

الخلاف الطائفي. وكان من الطبيعي أن تأخذ المقاومة المدنية حراكا تصعيديا، قد لا يكون محسوبا تماما، رداً على منأورات النظام، التي كان يمكن أن تُهدِّد أساس الحركة الاحتجاجية برمتها.

في هذا الإطار، كان إغلاق المرفأ المالي(12)، والتي عدّت خطوة تصعيدية متقدّمة في مجال المقاومة المدنية، وتعدّد بشأنها الآراء. وبرغم أن هذه الخطوة أحيطت منذ بداياتها بالنقاشات المتعددة، فإنها لم تكن مفاجئة، وقد عمِد المحتجون منذ الأيام اللاحقة للاعتصام في الدوار، إلى توسيع الخيام، وتم تثبيت خيمة خاصة بالمعتصمين عند المرفأ المالي نفسه، كما كان ساحة مفضّلة لعدد من الاعتصامات في هذه الفترة. وعدا عن رمزية هذا المكان، والذي ارتبط بعملة الدينار (قيمة شرائه من جانب رئيس الحكومة)، فإنه يمثّل في نظرية المقاومة الإيجابية هدفا مطلوبا وبإلحاح، وبمعزل عن الاختلاف الذي ورد بشأن التوقيت.

## ■ ما بعد دوّار اللؤلؤة: التاريخ المفصّل للمقاومة المدنيّة

من دخول قوات درع الجزيرة (13)، وإخراج المعتصمين من الدوار وتدمير نُصب اللؤلؤة، وإعلان الطوارئ، وعودة النظام لاستخدام عمليات القمع الواسعة، تكون المقاومة المدنية في ثورة فبراير قد دخلت تاريخها الحقيقي.

في الفترة الأولى لهذه المرحلة، ستكون الجنائز هي الوسيلة الاحتجاجية الأبرز، وذلك نظرا إلى أعداد الشهداء وتوالي الأنباء بشأن سقوطهم. يمثل خبر الشهادة حافزا لتنظيم استعدادات واسعة للتشييع، وفي حين انتهت أغلب الجنائز في هذه الفترة دون تدخل القوات، إلا أن الأهالي كانوا يحرصون على تجديد الاحتفاء بالشهداء ليلا من خلال مسيرات الشموع (14)، وهي الفعالية التي برع البحرينيون في تقديم معانيها النضالية. كما أن إنهاء مراسيم العزاء (كسار الفاتحة) تكون عادة مناسبة لتجديد الزخم الثوري، وهي عادة ما تكون عرضة لتدخل القوات واندلاع المواجهات.

برز التكبير (15) من أسطح المنازل باعتباره الفعالية الليلية المركزية. ويشير تدخل القوات وبطشها الهمجي إلى الدّور المعنوي والاحتجاجي لهذه الفعالية التي التزم بها الأهالي في توقيتات معينة وبأساليب تكاد تكون متشابهة.

جنبا إلى ذلك، اتسع في هذه المرحلة استخدام الأبواق لعزف النغمة المعروفة (تن تن تتن) (16). كانت النغمة في فترة الاعتصام بالدوار تؤدي دور التعريف بهوية المحتجين، وعبّرت عن تصاعد المطلب الثوري من جانب آخر. ولذلك فقد كان توظيفها وقتئذ يحمل

طابعا مطلبيا وكرنفاليا. بعد ذلك، أضحت النغمة وسيلة احتجاج وترهيب نفسي للقوات، وتشير المواد الفلمية إلى حضورها الدائم في الاحتجاجات التي بدأت تعود في فترة الطوارئ على مستوى القرى، وهي تصدر في الغالب من البيوت وأسطح المنازل لإعطاء المتظاهرين زخما معنويا وإظهار الاعتراض في وجه القمع الذي يزحف باتجاههم.

مع الإعلان عن موعد إنهاء الطوارئ، بدأت المقأومة المدنية تستعيد التقاطتها الثورية الجديدة. بدأت برامج التحشيد للعودة إلى دوار اللؤلؤة (17) على مدى زمني متواصل. وتم ابتكار فعالية متنقلة بين القرى والمناطق تحت عنوان "تقرير المصير" والذي بدأ لأول مرة في منطقة جدحفص (18) متزامنا مع وصول لجنة تقصي الحقائق التي شكلها النظام.

أعادت فعاليات تقرير المصير الأنماط الخاصة بالنضال اللا عنفي في البحرين. فبرز الإبداع في مقأومة العنف بوسائل لا عنفية، مع إظهار مستويات عالية من الشجاعة في وجه القمع العنيف الذي خلّف المزيد من الشهداء والضحايا (19).

وبصحبة هذه الفعاليات الشعبية، بدأت المعارضة (وعلى رأسها الوفاق)، وفور انتهاء الطوارئ، بإعادة الحضور الشعبي، وبدأت تدشين سلسلة من الاعتصامات الأسبوعية السّيارة في مناطق البحرين. وقد أفادت هذه الاعتصامات في تثمير الحراك الدبلوماسي في الخارج، وفرض معادلات جديدة في التحدي السياسي.

نوّع المحتجون وسائل في الاحتجاج، ومن ذلك تدشين فعاليات شعلة "تقرير المصير" (20) والتي جالت على مختلف مناطق البحرين. وهي فعالية ذات طابع معنوي، وتقوم على الاعتصام الجزئي، وإلقاء البيانات والخطب الثورية، مصحوبا برمزيات معينة، في مقدمتها الشعلة التي تنافست المناطق في طريقة تقديمها لجمهور المعتصمين. وتشهد المناطق بعدها موجة جديدة من المسيرات والتي تلجأ القوات إلى قمعها وتفريقها بالقوّة. ضمن المناقشات الداخلية، تم التأكيد على ضرورة الحشد الاحتجاجي قريبا من العاصمة ومحأورها الرئيسية. وفي ذلك، كانت فعاليات العودة إلى دوار اللؤلؤة، والتي أخذت أشكالها المتنوعة، وأبرزها مع دخول فعالية طوق السيارات (21)، والتي استخدمت بفعالية بهدف غلق الشوارع الرئيسية، ولاسيما المحيطة بالعاصمة ودوار اللؤلؤة.

في هذه الفترة، كان مفهوم تحرير الدوار مسيطرا على الفعاليات الاحتجاجية المختلفة، وقد أُعطي بعدا بطوليا ومؤثرا مع إقدام بعض الأفراد على دخوله في مشاهد أعادت تصوير الشجاعة والسلمية.

واستتباعاً لفكرة العودة إلى الشوارع الرئيسية، تجددت الاعتصامات المركزية في شارع البديع ومناطق أخرى، تحت عنوان "احتلوا شارع البديع" (22) و"احتلوا الكورنيش". ملحق مسرد: أساليب العمل اللا عنفي في ثورة 14 فبراير

## ■ أولاً: أساليب الاحتجاج والإقناع

• تصريحات رسمية: صدور خطابات عامة مؤيدة للثورة من جانب الرموز الدينية والسياسية، واجتهاد الرموز لأجل وضع الثورة في سياقها المحلي والإقليمي. وتأكيد هذه الخطابات على الأسلوب السلمي، وعدم التنازل وتقديم التراجعات، بما يفيد الإجماع على المفهوم "المقأوم" للاحتجاجات القائمة، وعدم القبول بأية تسويات مبهمة أو الحلول الرمادية.

• مخاطبة الجماهير العريضة: ابتكر المحتجون يوميا الشعارات والهتافات، وعبر ذلك عن وعي شعبي لتطورات الأوضاع، والإصرار على المضي والثبات (من بعد الخميس أنهينا الكلام.. الشعب يريد إسقاط النظام، بلطجية بلطجية يا حكومة يا غبية...) / الرسوم الكاريكاتيرية، وقد استخدمت بطرائق مختلفة، مع الاستثمار الكبير لوسائل الاتصال الاجتماعي، وكانت وسيلة فعالة في تسخيف المواقف الرسمية وإبطال مزاعم النظام بطريقة الفكاهة والسخرية / الكتابة عبر اللافتات، وهي أداة حاضرة في المسيرات كلها، وقد اختزلت الموقف الشعبي من الإرجراءات والتطورات الراهنة / الكتابة على الجدران وفي الجو وفي الأرض. وقد توسّعت هذه الطريقة على امتداد يوميات الثورة، وباستخدام تجهيزات فنية متنوعة من قبيل الطائرات الورقية والبالون والأصباغ العريضة للكتابة على الأرض.

• احتجاجات جماعية: الاعتصامات استمرت على امتداد الثورة، وتنوعت بين الاعتصام المركزية (اعتصام اللؤلؤة، اعتصامات تقرير المصير، اعتصامات احتلال شارع البديع..) والاعتصامات المناطقية التي لم تتوقف.

• أعمال رمزية عامة: رفع الأعلام البحرينية، وفي أقسى لحظات القمع والمواجهة مع القوات/ إقامة الصلاة في المساجد المهدّمة / الاستخدام المتواصل لنغمة "تن تن تتن".

• ممارسة الضغط على الأفراد: بفضل وسائل الاتصال الاجتماعي الحديثة، كان للمسئولين نصيب واسع من النقد والضغط النفسي، حيث كان من السهل البوح بالتوبيخ والملامة ومن غير الخشية الأمنية.

• المسرح والموسيقى: لجأ المحتجون إلى إنتاج مواقف مسرحية مصورة، وأغلبها ساخرة، للردّ على ادعاءات النظام، وقد أثرت بشكل واضح في فضح هذه الادعاءات، كما يوضح الموقف الرسمي والمناصرين له من الإعلام والإخفاق في هذه المعركة / الأناشيد الثورية والموسيقى التعبيرية، وقد برع فيها المحتجون على امتداد الثورة، وأسهمت في ترسيخ الثورة وتأكيد انتشارها الشعبي.

• المواكب: لم تتوقف المسيرات على امتداد أيام الثورة وظلت الشوارع حاضرة بالجماهير/ بعض الأعمال الموكبية كانت عبارة عن استعراضات خاصة لبعض المجموعات الثورية، بغرض التأكيد على الحضور في الشارع، أو لأجل تقديم رسائل رمزية ونفسية / مثلت المواكب الدينية والعزائية رسالة ثورية مباشرة في حياة الثورة، وكان التمسك بها أثناء قانون الطوارئ، وما صاحبها من مواجهات، تأكيدا على التواجد النضالي وعدم الاستسلام/ ابتكر البحرينيون قوافل السيارات الاحتجاجات في إطار العودة إلى محيط العاصمة والشوارع الرئيسية، وضمن محاولات الرجوع إلى الدوار. وكانت هذه القوافل ذات رسائل قوية في إبراز التأزم السياسي القائم وفاعلية المبادرة الشعبية.

• تكريم الشهداء: وهي وسيلة لم تغب عن المشهد الثوري، فكانت جنائز الشهداء بمثابة الدعوة المتجددة للتواجد الثوري، ومثلت مراسيم (كسار الفواتح) موعدا لإظهار الشجاعة في مقأومة العنف الرسمي/ وقد لجأ المواطنون إلى إقامة تشييع رمزي لبعض الحالات (حال شهيدة السيخ، وحالات الضحايا الذين يموتون تحت تأثير الإصابات).

## ■ ثانياً: أ- أساليب اللا تعأون الاجتماعي:

• نبذ الأشخاص: لجأ المحتجون إلى سلوك بعض أشكال المقاطعة الاجتماعية لبعض الرموز الرسمية والشخصيات المهتمة بارتكاب الانتهاكات، وتبع ذلك حجب العواطف الإيجابية عن الشخصيات الإعلامية والصحافية التي شاركت في الدفاع عن حملات القمع ومؤازرة النظام في سياساته المختلفة. إلا أن هذا السلوك لم يخضع للتقنين أو الإدارة التحريمية من الجهات المعتبرة.

• اللا تعأون مع المؤسسات: ويمكن الإشارة هنا إلى إضربات الطلاب عن المدارس في أوقات القمع الشديدة، أو حين تكون هناك فعالية احتجاجية قريبة، أو حينما يتعلق الأمر بالاحتفالات الرسمية (احتفالات 16 و17 ديسمبر)/ وكذلك مقاطعة الطلاب للمهرجات الرسمية التي تُقام في المناسبة المذكورة.

ب- أساليب اللا تعأون الاقتصادي:

• الإضراب: وقد تم تنفيذه في فبراير ومارس ردا على عنف السلطة، وتعبيرا عن فقدان الأمن والأمل تجاهه. وكان الإضراب مؤثرا، بسبب شموله لمختلف المؤسسات الحكومية والشركات والمصانع الكبرى، وهو ما استدعى وجود مداخلات متكررة لإيقافه، وهو ما تم بالفعل بعد اشتراط الاتحاد العام لعمال البحرين ضمان سلامة العمال والطلاب.

• الإغلاق: ويمثل غلق المرفأ المالي الخطوة التصعيدية الأكثر تأثيرا في أحداث الثورة.

• المقاطعة الاقتصادية: وتمثل ذلك بمقاطعة المحلات التابعة لرموز النظام، أو تلك التي أبدت دعما علنيا له ووقفت في وجه المحتجين بشكل سافر وقمعي/ فعالية تصفير البنوك، بسحب الودائع والرواتب من البنوك التي شاركت في استهداف المواطنين/ سياسة التقشف بالامتناع عن ارتدياد المراكز التجارية، وخاصة في بعض المواقف، من قبيل مقاطعة مركز "السيتي سنتر" جزئيا بعد اعتقال النساء وإهانتهن داخل المجمع أثناء فعالية للعودة إلى الدوار.

## ج - أساليب اللا تعأون السياسي:

• نبذ السلطة: اشتعل ازدراء النظام طوال أيام الثورة، تتابعا مع سقوط الشهداء والضحايا، وجرى تعميم الرفض العام للنظام والدعوة لمقأومته. وصدرت هذه الدعوات بشكل مباشر من الأوساط الثورية، والجماعات التي تتولّى تسيير التظاهرات والاحتجاجات.

• امتناع المواطنين عن التعأون مع الحكومة: مثّلت مقاطعة الانتخابات التكميلية، مثل انسحاب كتلة الوفاق، خطوة هامة على صعيد تفريغ الشرعية الشرعية والشعبية من النظام، وإظهار الرفض الشعبي له/ ومن جهة أخرى، عبّر رفض حلّ النظام لبعض المؤسسات تعبيرا عن الاعتراض السلبي تجاهه ومقأومة قراراته وعدم اتباعها (حل جمعية المعلمين، الموقف من جمعية المحامين، وجمعية الأطباء)/ كان لرفض المساعدات الخاصة بشهر محرم شكلا مباشرا لعدم التعاطي مع رأس النظام، وكانت بمثابة رسالة حية على كشف ازدواجية النظام في الموضوع الديني لجهة هدمه المساجد/ كان لمقاطعة اللجان والجمعيات الحكومية دوره المتواتر في إبراز التحدي، ومثال ذلك كان انسحاب الوفاق من لجنة الحوار الحكومية، وعدم مشاركة المعارضة في لجنة متابعة توصيات لجنة بسيوني.

• بدائل الجمهور للطاعة: تمثّل هذا اللون من المقأومة في رفض التفرّق أثناء الاعتصامات

والاحتشاد، والإصرار على متابعة الاعتصام مرة بعد أخرى.

## ■ ثالثاً: أساليب التدخّل اللا عنيف

التدخل النفسي: وأبرز أمثلته كان في الصيام (الإضراب عن الطعام)، والذي لجأت إليه المعارضة في أوقات مختلفة، مثل فعالية جمعية وعد، وفعالية المتضررين من وزارة التربية/ التحرّش باستخدام العنف، وهي وسيلة جدلية، رأتها بعض المجموعات الثورية وسيلة نفسية رادعة، وكانت تمارس بشكل محدود، بغية التخويف، وليس إيقاع الأذى أو القتل.

- التدخل الجسدي: ومن أساليبه كان الاعتصام المتكرر، في مواجهة العنف، واستخدام الغارة العارية اللا عنفية أثناء الاعتصامات والتظاهرات/ الاحتلال اللا عنيف لبعض المواقع أو الشوارع الرئيسية، مثال فعالية "احتلوا شارع البديع".
- التدخل الاجتماعي: ومثاله المقاطعة الإعلامية والكلامية/ التعويل على وسائل اتصال وإعلام خاصة وبديلة عن الإعلام الرسمي، كما هو الحال مع الإعلام الإلكتروني مثلا.
- التدخل الاقتصادي: وعبرت عنه بوضوح حملات التضامن الاجتماعي عن المفصولين والمتضررين من سياسات النظام.
- التدخل السياسي: ومن أمثلته كشف هوية العاملين مع أجهزة الأمن والمجموعات الأمنية المدنية / إظهار الرغبة في السجن وعدم الخشية منه، كما عبر عنه الأفراد الذين اقتحموا الدوار، وكذلك السلوك اللا عنفي للناشطة زينب الخواجة.




■ **مرفقات:**

(1) الشهيد عبد الرضا بو حميد
http://www.youtube.com/watch?v=JbOgSqge_lo&feature=results_main&playnext=1&list=PL023C342D3C832349

(2) أنا الشهيد التالي
http://www.youtube.com/watch?v=0_azsRwNcYg&feature=relate

(3) بناخذ فره بالقدو
http://www.youtube.com/watch?v=KoxgzgDf6gk

(4) أغنية خليفة شحوال
http://www.youtube.com/watch?v=qPfbreYYHmE

(5) مسيرة الوفاء للشهداء – الدوار
http://www.youtube.com/watch?v=xT3JtbcX3EM

(6) الاعتصام أمام مبنى الحكومة
http://www.youtube.com/watch?v=w6zBI-ER7qY

(7) اعتصام المرفأ المالي
http://www.youtube.com/watch?v=jYi35gBpi0Q

(8) الاعتصام أمام قصر القضيبية
http://www.youtube.com/watch?v=KDV24Ms_XIw

(9) السلسلة من الفاتح إلى الدوار
http://www.youtube.com/watch?v=t64MvUgHyvQ

(10) مسيرة الديوان
http://www.youtube.com/watch?v=lDb8DGshC_w

(11) مسيرة قصر الصافرية
http://www.youtube.com/watch?v=0vZniOi2Mro

(12) إغلاق المرفأ المالي
http://www.youtube.com/watch?v=QH7eKXAHqvk

(13) اقتحام الدوار ودرع الجزيرة
http://www.youtube.com/watch?v=dRjqbfhIfRA

(14) مسيرة شموع
http://www.youtube.com/watch?v=BxBtfXrSS9w

(15) التكبير من سطح المنازل
http://www.youtube.com/watch?v=-5zl544svDI

(16) تن تن تتن
http://www.youtube.com/watch?v=TxPfh6YWm-I

(17) التحشيد للعودة إلى الميدان
http://www.youtube.com/watch?v=TWnA3Z4T7eg

(18) تقرير المصير 1 – جدحفص
http://www.youtube.com/watch?v=eQJ0_js0xek

(19) انظر تقرير: المقأومة المدنية – مرآة البحرين
http://bhmirror.no-ip.org/article.php?id=1513&cid=74&st

(20) فعالية شعلة تقرير المصير – عالي
http://www.youtube.com/watch?v=Gfxf879ph6Y

(21) طوق الكرامة
http://www.youtube.com/watch?v=SibnDNH9jyg

(22) احتلوا شارع البديع
http://www.youtube.com/watch?v=Fe43pHE4zL4



# مختبر الميدان

**هل يمكن لخطاباتنا أن تغادر خصوصية لونها الواحد، وأن تأتلف مع لون غيرها، دون أن تتواجد معه في مختبر عمل واحد؟**

**مساء اليوم الأول من الاعتصام في الدوار (15 فبراير)، كتبت على صفحتي في الفيس بوك وفي تويتر: لن يتحول (دوار الؤلؤة) إلى (ميدان تحرير) حقيقي، ما لم يشعر الجميع على اختلاف توجهاتهم الدينية والفكرية، أنه المكان الذي يمثلهم جميعاً، وأنه يعبر عن مطالبهم ورؤاهم، لا أنه يمثل طيفاً واحداً، أو لوناً واحداً.**

يبدو أن هذه العبارة لامست حينها هواجس كثيرين علقّوا وأرسلوا. استشعروا مثلي أن بعض الهتافات بدت كأنها تنطق عن ثقافة خاصة. ورغم تفهمي للخلفية الدينية التي ترجلت منها تلك الهتافات بشكلها العفوي، إلا أني لم أجد بدّاً من الإشارة أنها تناسب سياقات دينية خاصة، لا تجمعاً مدنياً عاماً يدعو إلى الديمقراطية والحرية، فضاء عام يشترك فيه الشيعة والسنة والإسلاميون وغير الإسلاميين. كان ذلك في اليوم الأول.

في اليوم التالي استطعت أن ألمس بوضوح، تراجع هذا النوع من الهتافات، وتكثيف الشعارات ذات الخلفية الوطنية العامة. شعار "لا سنية لا شيعية كلنا وحدة وطنية" كان الأبرز. سنجد أيضاً تنوعاً ملفتاً فيمن يصعدون المنصة ليلقوا خطاباتهم الوطنية، واستحضاراً لأناشيد وطنية.

الصديقة سعاد الخواجة، وضعت على صفحتها في تويتر مساء (16 فبراير): أثناء مروري على الدوار، سمعت أحدهم من فوق المنصة يصيح في الميكرفون: "نداء لأخواتي.. عليكن بالحشمة". قبل أن يمسك الميكرفون شاب آخر، يتدارك موقف سابقه، ليقول فيما يشبه الاعتذار: "إنها مسألة حرية شخصية".

كان تداركاً سريعاً إذاً. خطاب الأول نطق عن تراكم ثقافي ديني، لكن الثاني لفته، إلى أن الميدان مكان مدني. والمكان المدني قابل لكل الصور المتنوعة. بل إنه يتسع ويثرى بكثرة ما يستوعب من تنوعات.

الخطاب بدأ يتنقح أكثر بعد العودة بتاريخ (19 فبراير)، إثر ما عرف بيوم تحرير الدوار. بدأ أكثر حرصاً على الاحتفاء بالتنوع الوطني المتواجد هناك، وأكثر اهتماماً بتشجيع هذه التنوعات لتصعد منصة الكلام. الأسود الذي كان طاغياً على نساء الدوار في اليوم الأول، بدأ يداخله اللون. الألوان بدأت تشعر أنها ليست وجودات شاذة وسط السواد. والأسود بدأ ينسجم مع الألوان التي راحت تمازجه في حضور جميل. من هنا يمكننا أن نتحدث عن ائتلاف عملي، لا كلامي. فالألفة يخلقها الإلتقاء لا التباعد. لا ينشأ الائتلاف وسط تباعد يفصل بين مكانين أو جماعتين، بل عبر اجتماعهما معاً في مكان واحد يأتلف بهما، قبل أن يأتلف بخطابهما.

هكذا تتعلم خصوصياتنا أن تغادر مناطقها إلى منطقة عامة ليست تخصها وحدها. وبهذا يُشهد لميدان اللؤلؤة أنه أول مختبر حقيقي يجمع ألوانا فكرية مختلفة من إسلامية وعلمانية، تتهجى حروفها الأولى المشتركة، بعد أن كانت متنافرة لفترة طويلة من الزمن، ومن حفوق حشيش هذا المكان المفعم بالحركة والحياة، ومن تحت لؤلؤته الشامخة أعمدتها، تصوغ جميعاً أبجديات خطاب وطني مشترك.



# مشاهدات الميدان
# ما قبل خميس المجزرة

## ■ الثلاثاء 15 فبراير 2011

طفلة صغيرة لا تتجأوز الخامسة، تجلس عند خيمة صغيرة فُرشت لحمايتها من البرد، تحمل لافتة مكتوب عليها "نحن أهل سلم". آخر يحمل علماً كبيراً للبحرين، يفوق طوله بكثير، تكاد لا تلحظه لولا أن ترى علماً يبدو كأنه يتحرك وحده. فتيات يلتففن حول مجموعة من الأوراق البيضاء الكبيرة، يكتبن عليها شعارات باسم الوطن. شباب يفترشون الأرض، بعد صباح طويل، يتناولون وجبة خفيفة، أسألهم: وماذا عن نظافة المكان. يقولون: الفضلات نلقيها في هذه الأكياس، لا تقلقي فالنظافة أولاً. أبتسم وأغادر. تلك بعض التفاصيل القريبة. لكن ما إن ترفع بصرك قليلاً، ستجد حولك ألوفاً، وقوفاً، يتحلقون حول شعارات وهتافات تصدح حول دوار اللؤلؤة. الدوار المركزي في العاصمة والذي صار يوصف الآن بميدان تحرير البحرين، أو ميدان اللؤلؤ.

الآن عصر 15 فبراير. المحتجون وصلوا قبل قليل إلى الدوار قادمين من مراسم دفن الشاب علي مشيمع. قُتل برصاص الأمن إثر خروجه في مسيرة احتجاج سلمية أمس. الصباح كان ملتهباً وغاضباً. السخط الشبابي على رجال الأمن بلغ أقصاه، انفجر بعد قتل شاب آخر هو فاضل المتروك في مسيرة تشييع الأول وتخلف جرحى. صار الأمر أكثر هيجاناً. الجميع يصر على "سلمية"، لكن الشعارات لم يكن ممكناً كبح جماح غضبها. بعد عنف الأمن المتواصل من صباح 14 حتى صباح 15، انسحب رجال الأمن. تزامن ذلك مع خطاب الملك الذي أبدى أسفه على فقد الشابين وأمر بتشكيل لجنة تحقيق. الانسحاب بدا مراجعة من قبل الحكومة لعنفها، أو محاولة لامتصاص الغضب الذي بلغا سقفاً عالياً جداً. تُرك للمحتجين أن يمارسوا شعاراتهم في دوار اللؤلؤة. كانت هادرة ومنفعلة. مكبرات الصوت لم تحضر الميدان بعد. جماعات كثيرة تتوزع المكان يهتف كل منها بغضب.

لا تبدو الشعارات أنها تعبر عن المطالب الأولية التي دعت إليها البيانات السابقة لـ14 فبراير. المطالبة "بإصلاح النظام" تحولت بعد أحداث اليوم الأول إلى مطالبة "بإسقاط النظام". هذا عن الهتافات المتفرقة. لكن ماذا عن البيانات التي تمثل المعتصمون؟ لا تزال الرؤية غير واضحة في ذلك الصخب.

لا شك أن الألوف التي افترشت دوار اللؤلؤة والمنطقة المحيطة، استلهمت من ثورة ميدان التحرير في مصر الكثير. سلمية الحركة هي الإلهام الاكبر. مع المساء كان ثمة تنظيم قد بدأ. مكبرات الصوت تحضر إلى الميدان. يتشكل مسرح يلتف حوله المعتصمون

والمشاركون. تختفي التجمعات الصغيرة هنا وهناك، يتحول الجميع إلى مركز واحد حول نصب اللولؤة. يُعلن عن بدء تشكيل لجنان منظمة. يُدعى الجميع للمشاركة. تُنصب بعض الخيم. يُعد مسرح للخطابة. تُوظب شاشة بث مباشر. تُوفر بطانيات ووجبات طعام.

تبقى الشعارات بحاجة إلى أن تنفضّ عن ارتجالها المنفعل. أن تأتي بمقاس يسع التنوع والتعدد والاختلاف. أن تأتي محمولة على قلب وطن. ثمة من يعد (من فوق المنصة) بتوحيد الشعارات وتقنينها.

الوصول إلى الدوار يصير أكثر صعوبة. كذلك الخروج. شباب ينظمون حركة السيارات. يبدو الجميع وكأنه يتقبل الازدحام بروح مرحة. المكان يبدو أريحيا رغم سخونة الشعارات وانفلاتها. الوجوه تبدو أقل تجهماً وأكثر تبسماً. ربما شعور بأن شيئاً من الغضب أزاحه التعبير. ثمة ما يوحي بأن الناس هنا بدأت تتنفس. الأهم، أن لا رجال أمن يهددون الكلام. الطقس يلهم الأنفاس أن تستحضر قلب الوطن.

## ■ الأربعاء 16 فبراير 2011

يوم قبل المجزرة.. يصلي المعتصمون سنة وشيعة صلاة ظهر واحدة. صفاً واحداً لا صفين. اللؤلؤ يحمي ظهورهم وفي عيونهم فضاء وطن.

الشباب يعيدون طلاء نصب اللؤلؤة. بالأمس، كتبوا انفعالاتهم الهائجة بعد عودتهم من دفن الشهيد الأول. كتبوا: الشعب يريد إسقاط النظام. كتبوا: الله خلق الإنسان ليعيش حراً. كتبوا وكتبوا.. لكنهم اليوم أكثر تعقلاً وأكثر هدوءاً. ها هم يعيدون النصب نحو البياض، بل يزيدونه نصوعاً لؤلؤياً..

تمر مسيرة منأوئة تهتف باسم النظام. تحمل أعلام البحرين. من طريق الدوار تحديداً تمر، حيث المعتصمون. إستفزازاً؟ ربما. هتافات تناقض الهتافات. تتعالى الأصوات. الشباب المعتصمون يتجهون نحو منأوئيهم: سلمية سلمية، يقولون. يمدون لهم شيئاً من الحلوى. يبتعد المنأوئون عن الطريق.

قبل المجزرة بساعات.. أرى خيمة تجلس عند بابها سيدة أجنبية. وحدها تجلس وسط كل هذه الحشود المجتمعة. ألتقط لها صورة. تبتسم. أسألها ما إذا كانت صحافية. تهز رأسها بالنفي: فقط أعيش هنا في البحرين. كيف ترين الحدث؟ أسألها. بانفعال سعيد تقول: رائع ما أرى، جميل هذا الحراك، الناس رائعون ولطفاء، أنا سعيدة بتواجدي هنا.

قبل المجزرة بساعات أيضاً.. ألتقط صورة لفتاة تحمل حاسوبها الشخصي وتستند إلى

جذع شجرة. ترافق عائلتها التي تجلس في طمأنينية بسيطة. وقريباً منها، أرقب لجنة الإسعافات الأولية تعد نفسها. تنظم أدويتها وأدواتها وترتدي ما يشير إليها. تختصر لها مكاناً صغيراً، وخيمة. شباب وشابات بلباسهم الأبيض يجهزون لطارئ بسيط يأتي. هل كان أحدهم يتوقع لوهلة، أن الطارئ الذي سيأتي فجراً بعد ساعات قليلة، لن يحتمله مجمع طبي كامل (السلمانية)، وسيفزع له طاقم طبي كامل.

قبل المجزرة بساعات أيضاً.. بالكاد أستطيع الحركة داخل الدوار. أخيراً أصل المنصّة بعد جهد وزحام. كلما اقتربت من المنصة صار الزحام أشد والحركة أصعب. المنصة هي هدف في عصر ذلك اليوم. مكنني من الوصول توقف الهتافات استعداداً للصلاة، وانفضاض الناس إلى حد ما عن المنصة. أطلب الالتقاء بأحد المنظمين. يسألني أحدهم: أي صحيفة تمثلين. أجيب: صحافة حرة تمثل نفسها. يأتيني أحد الشباب. نأخذ طرفاً للحديث. أسأله في كثير من الأمور. أقف أكثر عند الشعارات التي تبدو منفلتة وغير مروضة. يخبرني أنهم يعملون على التقنين. يشرح لي عن صعوبة التحكم في انفعالات الغاضبين: "لأول مرة نعيش تجربة كهذه. العدد كبير. وصل بالأمس في ذروته إلى ما يقارب ٤٠ ألفاً. صعب أن نتحكم في كل الشعارات والهتافات الصادرة من كل هذا الجمع. نحتاج قليلاً من الوقت لنسيطر على الانفعالات ونوجهها. نعد بذلك".

أسأله عن شعار " الشعب يريد إسقاط النظام" إلى أين تذهبون بهذا الشعار؟ يؤكد: "لا يتجأوز إسقاط الحكومة، نريد مملكة دستوية. هذا سقفنا المتفق عليه. الناس لبسها الشعار لفرط ما ثبّتته التجربة المصرية. نحن نعمل على توجيه الشعار وتعديله بما يتناسب مع مطالبنا. لا نحتاج سوى لقليل من الوقت".

لكن.. لم يدرك الصباح الشعار ليتوجه نحو التقنين، ولم يدرك الصباح الميدان ليغسل وجهه بالضوء، ولم يدرك النيام أن يوقظهم سلام الأذان، فقد كان الليل يخطط لاغتيال الفجر، ولم تستيقظ الصلاة..












إحدى الحقائق التي أبرزها الربيع العربي هي ظهور فاعلين جدد على الساحة السياسية ينافسون الفاعلين التقليدين سواء كانوا شخصيات سياسية أو أحزاب وحركات وجماعات سياسية تمتهن العمل السياسي منذ فترات طويلة. وغدا ما عرف الربيع العربي بأنه زمن جديد فإن الفاعلين فيه هم فاعلون جدد أيضا لهم مطالبهم وأدواتهم وطريقتهم الخاصة في ممارسة السياسة وصياغة تطلعات اجتماعية تدور حول الحرية والكرامة والعدالة.

الفاعلون الجدد يمثلون تشكيلات شبابية غير متجانسة اجتماعيا أو سياسيا يرتبطون عبر وسائل الاتصال الحديثة خصوصا الفيس بوك والتوتير هدفهم الوحيد هو استبدال الأنظمة السياسية القائمة بأنظمة ديمقراطية حديثة.

لقد استطاعت هذه التشكيلات الشبابية غير المتجانسة الإطاحة بأعتى المستبدين في العالم العربي في فترة قصيرة جدا لم تتجأوز الشهر في تونس ومصر وعلى إثر تلك النجاحات تصاعدت تشكيلات شبابية في بلدان عربية أخرى لتحقيق نتائج على غرار ما حدث في تونس ومصر.

البحرين واحدة من تلك البلاد التي تأثرت كثيرا بمد الربيع العربي إذ استطاع الشباب وبسرعة فائقة من تنظيم أنفسهم على الإنترنت وتحديد يوم غضب بحريني لا يزال مشتعلا منذ انطلاقته في يناير 2011. يقودنا هذا إلى التأكيد على أن ما حدث في البحرين من ثورة ويوم غضب لم يكن ليحدث لولا وجود هذه التنظيمات والتشكيلات الشبابية الصاعدة والمؤثرة في تحريك الأوضاع بفعالية أكبر من الفاعلين القدماء والفاعلين التقليدين. وفي الحقيقة فإن تاثير التنظيمات الشبابية في معظم بلاد الربيع العربي كانت أقوى جماهيريا وأشد حماسة وتصلبا في المطالبة بالديمقراطية الحقيقة من الفاعلين التقليدين عبر شعار واضح هو الشعب يريد إسقاط النظام الذي تحول لحركة ميدانية تنتج ممارسات غير مألوفة في العمل السياسي ومكثفة لممارسات سياسية تقليدية.

في يناير وقبل استقالة حسني مبارك بدأ الشباب في بث دعوات يوم غضب بحريني من قبل مجموعات شبابية منشغلة بالهم السياسي البحريني وهنا نلحظ أول فارق نوعي بين تشكيلات الشباب في مصر وتونس مثلا وبين تشكيلات البحرين، فالغالب على مصر وتونس هم الفئة غير المسيسة أما في البحرين فهم معتقلون سابقا أو ناشطون ميدانيا في الحراك السياسي القائم منذ 2007. الدعوة ومضمون الخطاب مثّل فارقا نوعيا آخر هو البدء بالسياسة في البحرين وليس بالأمور المعيشية والاقتصادية كما في مصر وتونس.

الفارق الثالث والأهم أن مجتمعات الربيع العربي كانت مهزومة حزبيا والجماعات السياسية شبه منبوذة في الأوساط الشعبية، في حين أن صغر مساحة البحرين وحداثة عهدها بالتنظميات السياسية العلنية وتغلغل بعضها في الأوساط الاجتماعية أعطى لبعضها مثل جمعية الوفاق قوة ضخمة لا يستهان بها.

صبيحة 14 فبراير 2011 كان شباب ثورة 14 فبراير متهيئين تماما لدخول زمن

الثورة ميدانيا وإعلاميا ونجحوا في ساعات قليلة في إخراج ملك البحرين متأسفا وواعدا بالإصلاح.

وكان هذا مكسبا لزيادة الزخم الجماهيري وتدافع الناس لنقطة التجمع المركزية التي حددها الشباب وهي دوار اللؤلؤة وسط العاصمة. كلفت عملية الوصول للدوار ونصب خيام الاعتصام الدائم شهيدين والعديد من الجرحى. وقبل هذا النجاح حقق الشباب نجاحا أكثر أهمية وهو القدرة على قيادة الأحداث وتوجيهها وإبقاء الجمعيات السياسية والمرجعيات الدينية في موقع الداعم والمساند وهو ما وفر للتشيكلات الشبابية منطقة خاصة في المجال السياسي وأصبح أمراً واقعياً الحديث عن تشيكلات شبابية بجانب جمعيات سياسية.

المطالب التي رفعت قبل يوم الغضب من قبل التنظيمات الشبابية كانت إصلاحية لكنها متقدمة وكان أبرزها الدعوة لكتابة دستور عقدي للبحرين يضمن الفصل الحقيقي بين السلطات الثلاث ويضمن استقلالية وشعبية السلطة التشريعية والقضائية، إلا أن هذه المطالب سرعان ما شهدت تغييرا جوهريا بعد الخميس الدامي 17 فبراير تحت عنوان "من بعد الخميس أوقفنا الكلام الشعب يريد إسقاط النظام".

رغم نصب الخيام وإقامة الاعتصام الدائم في الدوار لم تظهر تلك التشيكلات بشكل علني أو بشكل منظم تماما، استغرق الأمر بعضا من الوقت. من الممارسة العملية اليومية في دوار اللؤلؤة كانت تظهر تسميات عديدة وتدور أحاديث علنية وغير علنية حول الأيام المقبلة وكيفية التعامل مع المتغيرات خصوصا مع تزايد الحضور الجماهيري في الدوار واعتلاء المنصة فيه. بعد يومين من الاعتصام كانت الحكومة مستعدة للإجهاز على الاعتصام ومن فيه عبر عملية شاملة. حوصر المحتجون ومُنعت الأطقم الطبية من الوصول إليهم، وانتشر الجيش في العاصمة وضواحيها. عملية وحشية دفعت بالمعارضة إلى الانسحاب من مجلس النواب. وسط تنديد محلّي ودولي أمام استباحة الدماء، أطلق وليّ العهد مبادرة للحوار بتكليف من الملك وبترحيب دولي وخليجي، وأمر بسحب الجيش من العاصمة. عاد الهدوء الحذر، واستعاد المحتجّون شارعهم ودوارهم.

قادت الجمعيات السياسية فترة ما بعد المجزرة فقدم أعضاء جمعية الوفاق استقالتهم من مجلس النواب وتصدروا التصريحات الإعلامية، لكنهم لم يكونوا ميدانيين فنشطت التشيكلات الشبابية مرة أخرى وبكثافة في الدعوة للعودة للدوار والإعلان عن بداية مرحلة جديدة تحت شعار الشعب يريد إسقاط النظام، وهنا بدأت هذه التشيكلات أكثر

وضوحا وتمايزا عندما استطاعت أن تعود للدوار وتجبر القوات الأمنية وقوات الجيش البحريني على التنازل والانسحاب وأن يظهر ولي العهد مباشرة على تلفزيون البحرين، يدعو للحوار وسحب القوات من الشوارع والسماح بالتظاهر.

أضاف مشهد تصدي شباب ثورة 14 فبراير لقوات الجيش وكسر حاجز الخوف قوة سياسية وقيادية للتشيكلات الشبابية، وإليها نسب فضل العودة للدوار مرة ثانية وبدلا من إشعال يوم غضب واحد تحول المطلب لمطلب ثوري بامتياز. لقد استطاعت ديمقراطية الدوار أن تكون ديمقراطية حقيقية تسمح بالتعددية والحرية في طرح الآراء مهما كانت فطرحت الجمعيات السياسية مطالبها ممثلة في الملكية الدستورية وطرحت التشيكلات الشبابية رؤيتها السياسية ممثلة في بيان سياسي بتاريخ 19 فبراير موقع من (شباب 14 فبراير أحرار 14 فبراير / دعم 14 فبراير / شهداء 14 فبراير/ شباب ميدان الشهداء) طالبوا فيه:

**أولا:** الإطاحة بنظام آل خليفة القمعي بالكامل، فلا ملكية دستورية ولا دستور عقدي، فالشعب هو الذي سوف يختار النظام الذي يخضع له ويصيغ دستوره، في عملية استفتاء عام تحت إشراف منظمات وهيئات مستقلة محلية ودولية.

**ثانيا:** محاكمة أزلام النظام الخليفي ومرتكبي المجازر على جرائمهم ضد شعب البحرين، ومحاكمة العصابة والتنظيم السري الذي تم الكشف عنه في تقرير البندر والإطلاق الفوري للمعتقلين السياسيين، وتعويض أسر الشهداء بتعويضات معنوية ومادية ورد الاعتبار لهم.

**ثالثا:** استعادة ما تمّ سرقته من قبل أزلام النظام من أموال وأراضي لخزانة الدولة.

**رابعا:** إلغاء جميع ما تمّ من تجنيس سياسي على أساس طائفي وسياسي وإيقاف محأولات التغيير الديمغرافي

**خامسا:** إلغاء جميع أشكال التمييز والتهميش وإقامة نظام عادل قائم على التسأوي بين المواطنين.

**سادسا:** تشكيل جيش شعبي من المواطنين وإقالة المرتزقة والأجانب من الجيش الحالي ومحاسبة الذين قاموا بالمجازر الجماعية ضد شعبنا في يوم الخميس الدامي والجمعة السوداء.

**سابعا:** تشكيل حكومة انتقالية سريعة تمهيدا للحكومة الوطنية القادمة التي تمثل الشعب تمثيلا عادلا، وضع جدول زمني لكل التغييرات والإصلاحات المطلوب القيام بها. هكذا إذاً وتحت فوهة البنادق والمدرعات تشكل أول تنظيم شبابي موحد وبرز كفاعل جديد في المجال السياسي وبتسارع الأحداث السياسية، تأكدت قوته السياسية والميدانية إلا أن ثمة مفصلين أبرزا الإئتلاف كقوة ملموسة ومؤثرة وذات وزن شعبي وقيادي.

**الأول:** توسع الفعل الثوري خارج منطقة الدوار.

**الثاني:** إخلاء الدوار وإعلان السلامة الوطنية.

في الحدث الأول كانت وجهة نظر الجمعيات السياسية المعارضة هي البقاء في منطقة الدوار والإبقاء على مظاهر الاعتصام السلمي فيها، في حين أن دعاة يوم الغضب 14 فبراير كانوا يرون أن أسلوب الضغط الشعبي يحتاج لمزيد من التوسع وإثبات القوة، وهذا لا يحدث إلا عبر ضخ مزيد من الفعاليات المساندة للاعتصام المركزي. كان هذا الاختلاف متوقعا وضروريا لتمايز ائتلاف 14 فبراير عن سائر القوى السياسية التقليدية القديمة، بما فيها الحركات غير المرخصة كحركة حق وتيار الوفاء. بالإضافة لذلك فإن ضغط العنصر الزمني بدأ يأخذ مداه مسببا بلبلة في الوسط الشعبي حول وجود مفأوضات وخطط لإنهاء الزخم الثوري.

ابتدأت أفعال ائتلاف 14 فبراير بالدعوة لمسيرات أسبوعية في مناطق حساسة وتسيير مظاهرات ضخمة من الدوار لتلك المناطق والمراكز الرسمية مثل مبنى الأمن الوطني ومبنى تلفزيون البحرين ومبنى وزارة الداخلية والديوان الملكي وأقواها محاصرة قصر الصافرية. وفي الحقيقة كانت هذه المسيرات الجماهيرية أفعالا سياسية تؤكد تمايز الفاعلين الجدد عن نظرائهم التقليدين وترسخ مطلبهم القاضي بإسقاط النظام كخطوة أولى لبناء الديمقراطية والدولة الحديثة.

الحدث الثاني كان أصعب الأحداث التي مرت بها ثورة البحرين وأقسى الفترات التاريخية التي لم تُمحَ من ذاكرة الشعب، فقد دخلت الثورة في مرحلة جديدة من العقاب والتدويل. أُعلنت الأحكام العرفية، وسُلّمت البلاد إلى قوة الدفاع بقيادة خليفة بن أحمد، شقيق رئيس الديوان خالد بن أحمد، الجناح المتشدّد الذي يتبع نايف السعودي، وتوارى وليّ العهد عن الأنظار، مع ذلك فقد ظل هذا الحدث منقسما على نفسه مراكما أحداثا وسياسات قديمة وجديدة فقد وجد الائتلاف نفسه أمام ثلاثة تحديات صعبة؛ أولها التحدي الأمني القمي والهجمة الوحشية الطائفية، والثاني تضاد الرؤية السياسية بين مطلب الجمهورية ومطلب الملكية الدستورية، أما التحدى الثالث فهو تحدي البقاء والقيادة لجماهير ثورية.

تحت كل عنوان كانت العناوين تكثر وتتضخم بتضخم الأحداث ومرارتها من جهة وتشابه الظروف والاستجابات من جهة ثانية. ابتدأ الائتلاف في مواجهة القمع الأمني والاحتلال بمسيرة من الدوار ناحية السفارة السعودية، وبدلا من الدخول في سجال سياسي مع الأطراف المعارضة أعلن عن أحقية تقرير المصير كخطوة متوازنة لا يسقط فيها مطلب الجمهورية ولا يقع تحت سقف الملكية الدستورية وأثبت في فترة السلامة الوطنية وما بعدها قدرة فائقة على إدارة الصراع مع القوات الأمنية والحفاظ على الروح الثورية لدى الجماهير المنضوية تحته وعلى الآخرين الذين يختلفون معه.

ومن الطبيعي أن طول مدة القمع واشتداد حدته من شأنها أن تخلق تباينا في أدوات النضال والمواجهة وهو ما أدى بالفعل لتخلي بعض فصائل الائتلاف عن مطلب إسقاط النظام وتأييدها لما عرف بوثيقة المنامة التي طرحت من قبل الجمعيات السياسية المعارضة وهو ما تأكد بعد الإعلان عن توصيات لجنة بسيوني حيث أصبحت تلك التوصيات بمثابة السقف الأعلى للجمعيات السياسية في حين اعتبرها الائتلاف احتيالا والتفافا على مسيرة الثورة وتضحياتها.








أحبك يا وطني



# الأداء الأميركي تجاه ثورة البحرين:
# صداقة القتلة والسفّاحين ليست عيباً

في 1 فبراير 2011 اتصل نائب الرئيس الاميركي جوزيف بايدن بملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة. في إشارة واضحة بأن الأميركيين يستطلعون وضع حليفهم الذي يتوعده مواطنوه بثورة. ربما ضحك الاثنان أثناء المكالمة، فالشعب الخليجي الذي تم تنميط صورة مهينة له لن يثور! أليس كذلك؟!

جاء اليوم الموعود للثورة.الاثنين 14 فبراير 2011، سقطت الرهانات وسقطت معها الصورة النمطية المُهينة للأبد. فاجأ شعب البحرين الجميع بثورة عارمة أجبرتهم على الصمت ومراقبة الأمواج البشرية التي تهتف بالحرية في الشوارع رغم القمع الدموي الذي أسفر عن سقوط شهيدين خلال يومين فقط، ووصول الجماهير الثائرة إلى الموقع المركزي للاعتصام في دوار اللؤلؤة.

خرج الملك ليعتذر لشعبه، وبعدها بسويعات كان قد أطلق جيشه وحرسه الوطني ومرتزقة وزارة الداخلية لقتل المعتصمين النائمين الذين كانوا يحلمون بالحرية في خيامهم بدوار اللؤلؤة. اقتلعت القوات المتظاهرين وتسلم الجيش موقع الدوار وأصدر بيانه رقم واحد.

17 فبراير 2011، وزيرة الخارجية التي كانت تتسلم التقارير التفصيلية من المنامة تحذر من انفجار التظاهرات، فقد صرحت لأول مرة أن الولايات المتحدة تدعم إجراء تغيير «حقيقي وملموس» لشعب البحرين وتحث الحكومة على التحلي بضبط النفس قبل احتجاجات متوقعة يوم الجمعة. وصفت كلينتون البحرين بأنها بلد «صديق وحليف» وقالت إنها أبلغت نظيرها البحريني « بأهمية ألا يشوب ذلك أعمال عنف مع الأخذ في الاعتبار أنه ستكون هناك جنازات عقب صلاة (الجمعة) غدا. وقالت للصحفيين «إننا ندعو الى تغييرات حقيقية وملموسة للناس هناك».

### ■ ضبط النفس

من جانبه حث البيت الأبيض حكومة البحرين بعد مجزرة يوم الخميس 17 فبراير على التحلي بضبط النفس تجاه المحتجين سلميا. هكذا ببساطة، لا إدانة في الموقف الاميركي «ضبط النفس». أقصى ما قاله جاي كارني المتحدث باسم البيت الأبيض للصحفيين إن الولايات المتحدة تعارض استخدام العنف ضد المحتجين. التوقع الأميركي لم يخب فقد انطلق يوم الجمعة مئات الشبان يتقدمهم البطل الأسطوري الشهيد عبدالرضا بوحميد ليواجهوا رصاص الجيش الذي أطلق الرصاص- لأول مرة في تاريخه - باتجاه المواطنين العزل.

رأى الأميركيون المشاهد المروعة التي نقلتها شاشات التلفزة العالمية لمواطنين عزل

يستقبلون رصاص الجيش المدعوم أميركيا بالكامل بصدورهم العارية. الإحراج كان شديداً، لذا بادر الرئيسي الذي خسر حليفه المصري حسني مبارك منذ أيام فقط (11 فبراير 2011)، للاتصال بحليفه الملك البحريني، وجاء في الخبر الذي تناقلته وكالات الأنباء أن الرئيس الاميركي باراك اوباما أدان في اتصال هاتفي أجراه الجمعة مع ملك البحرين، استخدام قوات الأمن البحرينية العنف ضد المتظاهرين ما أسفر عن سقوط أربعة قتلى وعشرات الجرحى.

أعلن البيت الأبيض في بيانه « إن الرئيس اوباما أجرى مكالمة مع ملك البحرين حمد بن عيسى ال خليفة هذا المساء لبحث الوضع الراهن في البحرين». وتابع البيان ان اوباما «كرر انه يدين العنف الذي استخدم ضد متظاهرين مسالمين وحض حكومة البحرين على ضبط النفس ومحاسبة المسؤولين عن العنف». وأضاف «قال الرئيس إن الولايات المتحدة، بصفتها شريكة للبحرين منذ زمن طويل، تعتقد ان استقرار البحرين يتوقف على احترام حقوق شعب البحرين وعلى (اعتماد) عملية اصلاحات مهمة تلبي تطلعات البحرينيين.

## ■ ورقة ولي العهد

أدخل الأميركيون ورقة ولي العهد الذي دعا لسحب الجيش، وعودة الهدوء وقال ان من حق الناس التظاهر. عاد المتظاهرون إلى دوار اللؤلؤة في اليوم التالي 19 فبراير بعد انسحاب الجيش وقوات المرتزقة التي كانت تحاصر المكان. بات النظام المدعوم أميركياً محاصراً، لذا رمى الأميركيون ورقة جيفري فيلتمان الذي زار البحرين، وصدح بتصاريح صحفية ليس لها آخر. انقسم النشطاء تجاه وجود فيلتمان بين من رآه حلّال المشاكل المستعصية، وبين من رآه مبعوثا لإعادة التقييم الذي ستنطلق من بعده حرب على الثورة.

فيلتمان ملأ الفضاء الإعلامي بمفردة الحوار لكنه أظهر انحيازاً تاماً، حين علق على رسالة ست جمعيات معارضة لولي العهد تشترط فيها إقالة الحكومة قبل البدء بأي حوار، وعددا آخر من الشروط. قال فيلتمان بانحياز تام في تصريحه الشهير في أوائل شهر مارس: «الشروط مرفوضة». بذلك قطع بصفته ممثلاً عن الولايات المتحدة الاميركية الطريق لتأسيس حوار حقيقي، كان واضحاً أن فيلتمان ينتظر شيئاً قادما من وراء البحار!

لم يطل انتظار فيلتمان، ففي يوم السبت الموافق 12 مارس 2011 وصل وزير الدفاع الاميركي روبرت غيتس إلى السعودية للتباحث طبعاً في الشأن البحريني، وكان الحديث الحاسم بينه وبين ولي العهد السعودي نايف بن عبدالعزيز الذي قال له – حسب وسائل إعلام فرنسية- إنه لن ينتظر سقوط الحكم السعودي كما سقط نظام مبارك، وأنه سيتدخل في البحرين عسكرياً.

## ■ تصريحات غيتس

صَمَت وزير الدفاع الأميركي عن النوايا السعودية. وصل بعدها إلى البحرين التي كان الوضع فيها يتدهور أمنياً، التقى جيتس ولي العهد الأمير سلمان بن حمد، الذي كان يخوض نقاشات حامية خلف الكواليس مع المعارضة لتأسيس قاعدة صلبة لحوار حقيقي يتم ختامه باستفتاء شعبي.

قال غيتس في تصريحاته العلنية»ينبغي على البحرين إجراء إصلاحات سياسية جوهرية وسريعة لوضع حد لأي تدخل إيراني محتمل». وقال للصحافيين – بحسب ما نقلت وكالة الأنباء الفرنسية – في طائرته العسكرية بعد زيارته للمنامة انه «رغم عدم وجود أي إشارة على تورط خارجي في التحركات الاحتجاجية التي انطلقت في الرابع عشر من فبراير 2011، فإن إيران قد تتدخل في الوضع السياسي في البحرين بسبب التكوين المذهبي».

لم يُشر جيتس للخطر الحقيقي الذي كان يتهدد البحرينيين، تحدث عن احتمال تدخل إيراني. إشارة لم يلحظها أحد حينها، أوحت بأن ثمة خطراً ما يتهدد البحرين من جهة الشرق، لكن الحقيقة أن آلاف المدرعات عبرت بعد ساعات من رحيل غيتس من جهة الغرب، دخلت القوات السعودية والإماراتية، ومعها قوة قطرية صغيرة تم سحبها لاحقا، فيما أحجمت الكويت عن التدخل سوى بحرياً ، أما عمان فقيل أن قواتها الجوية ستساهم في حماية الأجواء البحرينية لكن لم يتبين للبحرنيين أثر التدخل العماني.

تعرض البحرينيون من القادة السياسيين والحقوقيين والمواطنين العاديين خصوصاً من الطائفة الشيعية، إلى أسوأ حملات القمع، حملة قمع مست كل شيء في حياتهم، مست الأنفس، والأموال، والمقدسات الدينية، والأعراض، لقد تجاوزت أنواع الانتهاكات التي

حصلت في الجزيرة الصغيرة 50 نوعاً، من الأنواع التي حددتها المنظمات الحقوقية العالمية. ابتكر النظام المدعوم أميركياً ومعه حلفاؤه الخليجيون انتهاكات جديدة لم تحددها قوائم المنظمات العالمية.

ترك الأميركيون حلفاءهم يعيثون فساداً في الأرض، وركزوا إعلامهم وجهودهم نحو ليبيا، كانت الصفقة واضحة ضرب ليبيا بغطاء عربي خليجي كامل، مقابل صمت أميركي عن إبادة البحرينيين وهو الأمر.

### ■ غطاء هيلاري

وزيرة الخارجية الاميركية هيلاري كلينتون، قالت في تصريح لها بعد دخول القوات السعودية والاماراتية والقطرية البحرين لمشاركة الجيش المدعوم بقوات سبعة أجهزة أمنية، إن دخول قوات (درع الجزيرة) هو عمل قانوني، وحثّت على ضبط النفس! هكذا ببساطة. صحيح أنها قالت ان الحل في البحرين هو حل سياسي وليس عمل عسكري، لكنها ختمت تصريحها بما يمكن عدّه كوميديا سوداء، إذ قالت «إن من الضروري أن تتفادى جميع الأطراف العنف والاستفزازات». من عاش في البحرين منذ 16 مارس 2011 يعرف إلى أي مدى يغرق هذا التصريح في العته والكذب والزور، كان الناس محاصرين يتلقون أقسى الضربات والانتهاكات ولم يكن لديهم سوى أصواتهم التي يرفعونها مرتين ليلياً عند الثامنة والعاشرة بهتاف (الله أكبر).

لقد شرعنت كلينتون أساس وجود القوات التي احتلت الجزيرة وحاولت اغتيال حلم البحرينيين العُزّل بالحرية، وطفقت تتحدث عن ضبط النفس وتفادي الاستفزاز والعنف من جميع الأطراف. استدراكات لم تخفِ بشاعة الجرم الأميركي الذي مثل في حده الأدنى تقديم غطاء وشرعنة وإطار قانوني للجريمة.

بعد شهر كامل من القمع والقتل والهتك الذي مارسته قوات النظام مع حلفائها، بدأ الإعلام العالمي يعطي حيّزاً لما يحصل في البحرين من بشاعات على يد الأجهزة الأمنية التي يتحكم الملك وعائلته فيها، إضافة للقوات الخليجية، وكان تقرير مراسلة قناة السي ان ان (امبيرا ليون) أول ثغرة في جدار الصمت الرهيب تجاه البحرين. سلط الإعلام




■ جيفري فيلتمان مساعد وزير الخارجية الأميركية لشئون الشرق الأوسط

الأميركي أضواءه من جديد، وتحدث مملثو المنظمات الحقوقية العالمية عمّا رصدته منظماتهم من بشاعات، فانحرجت الإدارة الأميركية فبعثت فيلتمان مجدداً!

جاء جيفري فيلتمان للمنامة يتحسس ما إذا كانت الضحية ستستسلم أم لا، كان جواب المعارضة على لسان القيادي الوفاقي خليل المرزوق (لن نرفع الراية البيضاء.. أخبر حلفاءك أن حملة القمع لن تفيد). عاد فيلتمان ليكمل حلفاؤه ما بدأوه قبل شهر. أما وزير خارجية النظام فقد استبق لقاء فيلتمان بالتأكيد على بقاء قوات درع الجزيرة. وحاولت مفوضة الاتحاد الأوربي (اشتون) زيارة البحرين لكنها فشلت؛ فقد اسمعها السعوديون كلاماً قاسياً، وسافر الملك للإمارات لكي لا تصل هي للبحرين. ففشلت زيارة أشتون.

صمود المعارضة المعزز بالثبات الجماهيري، منع سقوط أي مطلب من المطالب السياسية التي رُفعت أثناء اعتصام دوار اللؤلؤة، ساهمت هذه الحقيقة في التأكيد للأميركيين أنه لا يمكن لأحد أن يوقع في المعارضة ورقة استسلام، رغم مخاضات الآلام الرهيبة التي كان يعيشها الشعب كل دقيقة.

### ■ اتصال أوباما

بعد نحو عشرة أيام من عودة فيلتمان إلى الولايات المتحدة، وتحديداً في الأول من مايو 2011 أجرى الرئيس الأميركى اتصالا هاتفيا مع حليفه الملك البحرينى، قال في الجانب المعلن منه إن استقرار البحرين يعتمد على احترام حقوق الجميع، وأن الولايات المتحدة تعتقد أن البلد بحاجة إلى عملية إصلاح جوهرية تستجيب لتطلعات كل

البحرينيين. وجاء في بيان صدر عن البيت الأبيض تلك الليلة إن الرئيس اوباما بحث مع العاهل البحرينى «الوضع القائم في البحرين». حاول الأميركيون التحرك لكي يخففوا انتقادات الإعلام والحقوقيين تجاه موقف إدارتهم المخزي.

وبعد 18 يوماً وتحديداً يوم 19 مايو ألقى الرئيس الأميركي خطاباً حول الأوضاع في الشرق الأوسط، قال فيه كلاماً غطّى فيه الأفعال الشنيعة لحلفائه تحت مسمى (الحق في استتباب الأمن)، لكنه اعترف أن كل ما حصل لم يقض على المطالب السياسية التي عضّ عليها شعب البحرين رغم الجراح.

قال أوباما في ذلك الخطاب «البحرين شريك طويل المدى، ونحن ملتزمون بأمن البحرين، ونحن ندرك أن إيران حاولت استغلال الأوضاع في البحرين، وأن الحكومة البحرينية لديها حق مشروع في استتباب حكم القانون، لكننا أصررنا علناً وفي لقاءات خاصة أن القوة يجب ألا تستخدم ويجب احترام الحقوق المشروعة لشعب البحرين، وأن هذه الخطوات لن تجعل المطالب المشروعة تختفي». في عبارته الأخيرة يجب أن يكون واضحاً أن أثر الصمود الشعبي لم يكن هيناً بل إنه كان عصياً على الكسر رغم الجيوش ورغم تأكيد أوباما بطريقة ناعمة على حق حلفائه في القمع تحت مسمى استتباب الأمن الذي لم يهزم المتظاهرين السلميين في أي مرة منذ انطلاق ثورتهم.

أوباما أيضاً اعترف أن حلفاءه هدموا مساجد للطائفة الشيعية في إطار حملة القمع، وقال إن من حق الشيعة ألا تهدم مساجدهم. رأى أوباما أن «السبيل الوحيد لاتخاذ خطوة إلى الأمام هو أن على الحكومة والمعارضة أن يبدآ الحوار، ولا يمكن أن يكون هناك حوار حقيقي حين يكون بعض المحتجين السلميين في السجون، وأشار إلى أن الحكومة يجب أن تخلق الظروف المناسبة للحوار، وعلى المعارضة أن تشارك من أجل مستقبل عادل لجميع البحرينيين».

حلّ الأول من يونيو وانتهى مفعول مرسوم قانون السلامة الوطنية. عادت الناس التي لم تتوقف عن التظاهر ما أمكنها، إلى التظاهر بصورة أوسع فاستمر القمع الوحشي. بعد شهر تحركت خلاله ماكينة المعارضة في اعتصامات جماهيرية بدأت ببلدة سار في



■ الدكتور محمود شريف بسيوني (رئيس لجنة تقصي الحقائق)

13 يونيو 2011. أعلنت الحكومة عن (حوار التوافق الوطني)، ضغطت أميركا بقوة لكي تدخل جمعية الوفاق في هذا الحوار، وبعد مشاورات ومناكفات إعلامية، شاركت الوفاق وانسحب منه قبل انتهائه، وتبرأت هي وجمعيتان معارضتان أخريان هما وعد والتجمع القومي من مخرجات الحوار، وأكدوا أنه لا يمثل رأي الشعب ولا يمكن قبول هذه المخرجات.

## ■ مخرج تقرير بسيوني

في الجانب الأهم، يروي أحد قادة المعارضة أن أميركا هي التي منعت مناقشة وضع حقوق الإنسان في البحرين في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، يقول «قررت سويسرا طرح الملف البحريني في جلسة عامة، حضرها الاميركيون بعد أن تيقنوا من قدرة سويسرا على جمع العدد المطلوب لطرح الملف البحريني في جلسة رسمية علنية للمجلس، وتعهدوا أنهم سيجبرون النظام البحريني على لجنة تحقيق ذات طابع دولي وسيلزمون النظام بتوصيتها، وأن المطلوب من سويسرا عدم طرح الملف البحريني، إزاء التعهد الأميركي وافق السويسريون وجاء الأميركيون ببسيوني ولجنته التي شكلوها من ألفها إلى يائها».

أنقذ الأميركيون حليفهم من إدانة أكيدة في مجلس حقوق الإنسان، أتى بسويني للبحرين فلم يتغير شيء، سقط عدد كبير من الشهداء ولم تتوقف الانتهاكات بل مورس منذ 1 يونيو حتى اللحظة العقاب اليومي الجماعي على كل مناطق المعارضة بالغازات السامة.

جرت انتخابات برلمانية تكميلية، ضغط الأميركيون كي تشارك المعارضة فيها رغبة

في الايحاء بأن مؤسسات حليفهم النظام عادت للعمل وأن ثمة تفاهماً جرى، رفضت المعارضة بشكل قاطع أن تشارك في المهزلة فأطلق الضوء الأخضر بصورة موسعة للقمع والاستباحة، وصار يوما 23 و24 سبتمر يوميّ عار على النظام إذ مارس فيهما أبشع الجرائم على المتظاهرين السلميين الذين سعوا للعودة إلى دوار اللؤلؤة، فقد حاولت قوات الأمن حرق متظاهرين وهم أحياء في منطقة السنابس، وأعادت مشهد أبوغريب في تكويم المعتقلات البحرينية على الأرض في مجمع السيتي سنتر.

صدر تقرير بسيوني الذي صرحت الوزيرة كلينتون أن إدارة بلادها ستلزم النظام الحليف في المنامة بتنفيذ توصياته، كان ذلك مجرّد هراء، فقد ترك الأميركيون أمر تنفيذ توصياته للنظام الذي قام بكل الجرائم التي وثقها التقرير. تشكلت لجنة برئاسة رئيس مجلس الشورى المُعيّن علي صالح الصالح وأعطيت للمعارضة حصة ضئيلة في عضوية اللجنة، كانت المفاجأة أن الأميركيين ضغطوا أيضاً على المعارضة لكي تشارك، قالوا للمعارضة: كيف سيعود المفصولون لأعمالهم إن لم تشاركوا في اللجنة؟ بدا واضحاً أن الاميركيين يلعبون بدناءة تامة، وانهم يتنصلون من كل شيء يعدون به.

المحصلة أن الإدارة الاميركية أدانت فعل القتل مرة واحدة فقط وتحديداً بعد إطلاق الرصاص الحي في 18 فبراير، ودون ذلك: مبعوثون، لجان، نصائح، حثّ، إشادة... أداء أميركي يقول للعالم بوضوح، إن: صداقة القتلة والسفاحين وتسليحهم وتدريبهم ليست عيباً!

■ **هوامش:**

1- اتصال نائب الرئيس الاميركي بملك البحرين، صحيفة الشرق الأوسط،2فبراير2011،العدد 11754.

http://aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11754&article=606529&feature=

2- تصريح وزير الخارجية الاميركية بضرورة إيجاد تغيير حقيقي، وكالة رويترز.

http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=29524574

3- أوباما يدين مقتل متظاهرين برصاص الجيش، 19 فبراير، موقع ايلاف نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية

http://www.elaph.com/Web/news/2011/2/632973.html

4- ولي العهد البحريني يدعو لسحب القوات العسكرية من الشوارع، 19 فبراير 2011، صحيفة الوسط العدد 3088

http://www.alwasatnews.com/3088/news/read/528052/1.html

5- وصول وزير الدفاع الاميركي للمنامة ولقاؤه بالملك وبعدها بولي العهد البحريني، 12 مارس، صحيفة الوسط العدد3109.

http://www.alwasatnews.com/3109/news/read/532072/1.html

6- تصريح هيلاري كلينتون بعد دخول قوات درع الجزيرة للبحرين، 16 مارس، صحيفة الوسط العدد 3113

http://www.alwasatnews.com/3113/news/read/532540/1.html

7- تقرير مراسلة قناة السي ان ان (امبرا ليون) عن البحرين

http://www.youtube.com/watch?v=wsXxbusimgA

http://www.youtube.com/watch?v=dbmPXr6bMdU&feature=related

8- عودة جيفري فيلتمان للمنامة ولقائه بممثل المعارضة خليل المرزوق، صحيفة الأخبار اللبنانية، العدد 1393

http://www.al-akhbar.com/node/10443

9- اتصال الرئيس الاميركي بملك البحرين في الأول من مايو 2011، موقع ايلاف، نقلا عن وكالة الأنباء الكويتية

http://www.elaph.com/Web/news/2011/5/651118.html

10- خطاب أوباما في 1 مايو 2011، الجزء المتعلق بخصوص البحرين، صحيفة الوسط العدد 3177

http://www.alwasatnews.com/3177/news/read/561867/1.html




# المنظمات الدولية وحالة البحرين في 2011



لم تكن المنظمات الدولية غائبة عن الحدث البحريني خلال العام المنصرم، إذ كانت في معظمها مؤثرة ومتأثرة بما يحدث في البحرين باعتباره حدثاً استثنائياً يستحق الاهتمام والتفاعل الدولي. وقد اكتسب دعم المنظمات الدولية على اختلافها أهمية كبرى في الملف البحريني، وخصوصاً مع غياب الدعم الرسمي الدولي للحركة الديمقراطية في البحرين، فقد وفرت هذه المنظمات الدولية شبه "غطاء دولي بديل بشكل في منعطفات كثيرة منه - ولا يزال - أوراق ضغط رئيسية على الحكومة البحرينية.

ولقد تفاعلت العديد من المنظمات الدولية حول العالم مع المشهد البحريني منذ بداياته في شهر فبراير مطلع العام 2011، وكان من المثير للاهتمام تنوع تلك المنظمات، إذ لم تقتصر تلك المنظمات على منظمات حقوق الإنسان الكلاسيكية، ولكن انضمت إليها أيضاً المنظمات الداعمة لحرية التعبير، والصحافة، ومنظمات دعم الأطباء، والرياضيين، والمدرسين والمحامين وغيرها بما يعكس تنوع القضية البحرينية وتعدد الأطراف التي تم استهدافها جراء الأحداث التي جرت في البحرين منذ فبراير 2011.

## ■ منظمات حقوق الإنسان

تقع منظمة " هيومن رايتس ووتش" على رأس قائمة المنظمات الحقوقية الدولية التي تبنت القضية البحرينية منذ بداياتها، ولم تكن علاقة هذه المنظمة بالبحرين جديدة إذ لطالما اهتمت هذه المنظمة ومديرها جو ستورك بموضوع البحرين، وكان لها العديد من الأنشطة المرتبطة بقضايا التعذيب في البحرين.

ومنذ فبراير 2011، قامت هيومان رايتس ووتش بإرسال ممثلين عنها إلى البحرين، والتقت بالعديد من النشطاء والمتضررين، وقامت بعمليات الرصد والضغط وإصدار التصريحات والرسائل الداعمة للمتضررين، كما أصدرت عدداً كبيراً من التقارير المرتبطة بالوضع البحريني وكانت أحد أهم المصادر التي وثقت ما حصل ويحصل في البحرين(1).

أما منظمة هيومن رايتس فيرست(2) فقد كانت أيضاً على رأس المنظمات الحقوقية الدولية التي اهتمت منذ البداية بقضية انتهاكات حقوق الإنسان في البحرين، بل وخصصت لها ملفاً منفصلاً في عملها الحقوقي. وقد زار ممثلو هذه المنظمة البحرين عدة مرات لجمع المعلومات والاطلاع على الوضع، وأصدرت المنظمة عدة تقارير كمراجع للحالة البحرينية أحدها عن حالات التعذيب(3) والآخر بعنوان " البحرين... الحديث بنعومة"(4).

أما مجلس الاتحاد الأوروبي فقد عبر هو الآخر عن اهتمامه بانتهاكات حقوق الإنسان في البحرين منذ بداية الأحداث مطلع هذا العام، إذ أصدر عدة بيانات وتصريحات كان آخرها شديد اللهجة معبراً عن قلقه الشديد من الوضع في البحرين ومحذراً من تفاقم خطورة الوضع في حال استمرت الانتهاكات على ما هي عليه(5).

## ■ منظمات الصحافة وحرية التعبير

كانت الحالة البحرينية موضوعاً رئيساً من الموضوعات التي ركزت عليها منظمات الصحافة وحرية التعبير حول العالم، فقد كانت الانتهاكات التي تعرض لها الصحافيون والكتاب وأصحاب الرأي والمثقفون والشعراء مثار اهتمام وتركيز العديد من المنظمات الدولية التي تهتم بموضوعات حرية التعبير وحماية الصحافيين.

ووضعت منظمة مراسلون بلا حدود في تقريرها السنوي الذي صدر في ديسمبر 2011 البحرين على قائمة الدول الأكثر خطورة على حياة الصحافيين، وضمنت التقرير بالانتهاكات التي تعرض لها الصحافيون والمدونون في البحرين بما فيها مقتل الناشر كريم فخراوي والمدون زكريا العشيري جراء التعذيب في السجن(6).

وقد اهتمت منظمة مراسلون بلا حدود بوضع الصحافيين في البحرين منذ بداية حملة الانتهاكات التي استهدفتهم، ولا تزال هذه المنظمة التي يقع مقرها الرئيس في فرنسا تهتم بتوثيق ما يحصل للصحافيين في البحرين علاوة على إصدار البيانات التي تدين هذه الانتهاكات.

أما منظمة حماية الصحافيين ومقرها نيويورك فقد اهتمت بشكل استثنائي بوضع الصحافيين والكتاب في البحرين، وكانت تتابع بشكل حثيث الانتهاكات والمحاكمات التي يتعرض لها الصحافيون في البحرين وتصدر التقارير والبيانات لدعمهم. وفي بادرة لدعم حرية الصحافة في البحرين اختارت منظمة حماية الصحافيين أن تمنح جائزتها السنوية لحرية الصحافة لرئيس تحرير صحيفة الوسط الدكتور منصور الجمري الذي تعرض وصحيفته وعدد من العاملين فيها لهجمة كبيرة جراء تغطية الأحداث التي جرت في دوار اللؤلؤة بين شهري فبراير ومارس، حيث رفعت قضية ضد الصحيفة اتهمتها فيها وزارة الإعلام بالفبركة وتعرض رئيس تحريريها مع مدير التحرير ورئيس قسم المحليات للتحقيق والإيقاف عن العمل(7).

وتابعت عدد من المنظمات الدولية الأخرى التي تهتم بقضايا حرية التعبير موضوع البحرين وأصدرت عدداً كبيراً من البيانات والتقارير بهذا الشأن، ومنها الشبكة الدولية لتبادل المعلومات حول حرية التعبير IFEX، ومنظمة قلم PEN الأميركية.



## ■ المنظمات المهنية

حصدت قضية الأطباء البحرينيين الذين لا يزالون يتعرضون للمحاكمات في البحرين جراء معالجتهم الجرحى في الهجوم على المعتصمين في شهري فبراير ومارس من 2011 تأييداً منقطع النظير من قبل منظمات حقوقية وطبية عديدة حول العالم، فقد كان للخصوصية التي تمتعت بها هذه المسألة بالذات جراء اتهام أطباء محترفين بجرائم أثناء قيامهم بعملهم الإنساني حافزاً للعديد من المنظمات الدولية وخصوصاً الطبية منها للتحرك ودعم الشعب البحريني من هذا الباب.

وعندما يأتي الحديث عن المنظمات الدولية الداعمة للأطباء البحرينيين، لا يمكن إغفال دور الوفد الإيرلندي المكون من عدد من أشهر الأطباء والجراحين في إيرلندا والذي قام بزيارة البحرين للاطلاع على وضع الأطباء والقضايا المرفوعة في حقهم. وعلى الرغم من الدراما التي صاحبت زيارة الوفد إلى البحرين إلا أن الوفد قام بإصدار عدد من البيانات التي دعم من خلالها موقف الأطباء البحرينيين وحث المجتمع الدولي على القيام بما يستلزم لمساعدتهم(8).

وقامت عدد من المنظمات الطبية والصحية ومنظمات العاملين في الحقل الصحي حول العالم بإصدار بيانات وتقارير متعددة تدعم قضية الأطباء في البحرين، وعلى رأسها منظمة أطباء من أجل حقوق الإنسان(9) وكان لقطاع الرياضيين أيضاً نصيبه من دعم المنظمات الدولية، إذ تم تشكيل عدد من الحملات الدولية للدفاع عن الرياضيين المعتقلين ومن ضمنها الحملة التي نظمتها منظمة هيومن رايتس فيرتس لدعم الرياضيين البحرينيين في شهر يوليو من 2011(10).

أما المنظمات الدولية التي تهتم بحقوق المعلمين والطلبة فقد كان لها دور أيضاً في دعم قطاع المدرسين المحتجزين أو المفصولين عن العمل، إلى جانب الطلبة الذين تم فصلهم أو سحب منحهم الدراسية جراء مشاركتهم في الاحتجاجات المؤيدة للديمقراطية. ومثال ذلك منظمة التعليم الدولية(11) التي أصدرت عدة بيانات بهذا الخصوص.

كما اختارت منظمة أمنستي انترناشيونال نائبة رئيس جمعية المعلمين جليلة السلمان لتضعها على رأس قائمة عدد من الشخصيات حول العالم التي دعت للدفاع عنها وحمايتها من الاعتقال(12).

### ■ المفصولون من العمل

ولأن للحالة البحرينية خصوصية أخرى ترتبط بتسريح أكثر من 3 آلاف شخص من أعمالهم بناء على مشاركتهم في الاحتجاجات الداعمة للديمقراطية، فقد وجدت منظمات العمل وحماية العمال واتحادات ونقابات العمل حول العالم في الحالة البحرينية قضية تستحق الدعم بكل قوة.

ودأبت منظمة العمل الدولية منذ أشهر على عقد اللقاءات المتكررة والضغط على حكومة البحرين لإعادة المفصولين من أعمالهم، وهي القضية التي لا تزال عالقة على الرغم من إصدار كافة التوصيات بشأنها حتى في تقرير لجنة التحقيق المستقلة.

وقد ازداد الضغط على حكومة البحرين منذ أن رفع 12 اتحاداً عماليّاً دوليّاً في يونيو/ حزيران 2011 شكوى على حكومة البحرين نتيجة انتهاكها معايير العمل وتسريح المئات من الموظفين في القطاعين العام والخاص. فقد تقدم 12 اتحاداً عماليّاً يمثلون (بربادوس، بلجيكا، جنوب إفريقيا، كولومبيا، كندا، غينيا، تونس، فرنسا، بريطانيا، أميركا، الجزائر والنرويج) بشكوى لمنظمة العمل الدولية ضد حكومة البحرين لانتهاكها الاتفاقية (111) الخاصة بالتمييز في الاستخدام والمهنة، وذلك بناءً على المادة 26 من دستور منظمة العمل الدولية.

كانت جهود المنظمات الدولية في دعم قضية البحرين حاضرة ومؤثرة بشكل كبير على مجريات الأحداث فيها، وفي ظل غياب دعم رسمي دولي مباشر للثورة في البحرين شكلت جهود المنظمات الدولية على اختلافاتها نقطة ارتكاز رئيسة أعطت قضية البحرين بعداً دولياً مهماً من المتوقع أن يستمر في العام 2012.



## ■ هوامش

(1)أدخل كلمة بحرين في محرك البحث على موقع هيومان رايتس ووتش وستظهر لك كثير من التقارير:

http://www.hrw.org/ar/

(2)انظر: منظمة هيومن رايتس فيرست

http://www.humanrightsfirst.org/our-work/human-rights-defenders/bahrain/

(3) http://www.humanrightsfirst.org/wp-content/uploads/pdf/Bahrain_A_Tortuous_Process_July_2011.pdf

(4) http://www.humanrightsfirst.org/our-work/human-rights-defenders/bahrain/overview/

(5) http://www.consilium.europa.eu/uedocs/cms_data/docs/pressdata/EN/foraff/122162.pdf

(6) http://en.rsf.org/the-10-most-dangerous-places-for-21-12-2011,41582.html

(7) http://www.cpj.org/awards/2011/mansoor-al-jamri-bahrain.php

(8) http://edition.cnn.com/2011/WORLD/meast/07/14/bahrain.irish.delegation/index.html?eref=edition_world&utm_source=feedburner&utm_medium=feed&utm_campaign=Feed%3A+rss%2Fedition_world+%28RSS%3A+World%29

(9) http://physiciansforhumanrights.org/issues/persecution-of-health-workers/bahrain/.

(10) http://www.humanrightsfirst.org/2011/07/12/guard-the-line-stand-up-for-bahraini-athletes-supporting-democracy/

(11)http://www.ei-ie.org/en/uaas/uaa_details/31

(12)http://www.amnesty.org/en/news-and-updates/fears-bahraini-teacher-after-pre-dawn-arrest-2011-10-18



# سترة عاصمة الثورة

## "مفي مفي.. صموووود"

قرابين مضرجة بالدماء.. شجعان لا يتعبون ولا يكلّون من مواجهة الموت.. كرامةٌ تتنفس في هواء تلك الجزيرة المسيجة ببحرٍ يتلاطم عزةً وشموخاً.. حتى أضحت أيقونة للثوّار.. فأسموها "عاصمة الثورة".

تموضعت في السبق منذ الرابع عشر من فبراير 2011 "اليوم الأول"، حين تجمّع الآلاف في إحدى قراها السبع "الخارجية" هاتفين ومردّدين شعارات التحوّل الديمقراطي، في مظاهرة لم تشهد لها مثيلاً في مثل ذلك اليوم، ويظهر مقطع فيديو يوتيوبي صُور من أعلى، آلاف الرجال والنساء والشيوخ والأطفال محتشدين في شارع رئيس في صورة ناصعة السلمية والتحضّر، سرعان ما تنقلب إلى سحب من الأدخنة المصحوبة بضوضاء طلقات الأعيرة النارية التي انهالت لتخرس تلك الأصوات.(1)

ولكن صوت سترة عصي على التطويع، في الخامس عشر من فبراير نصبوا خيامهم في دوّار لؤلؤة الحريّة، الدوّار الذي سيسميّه الثوّار بعد أيام بـ "ميدان الشهداء"، نسبةً إلى الشهداء الأربعة الذين سقطوا فيه دفاعاً عن كرامتهم وحريتهم وحقّهم في التظاهر السلمي، ثلاثة منهم كانوا من سترة.

ففي فجرٍ كئيبٍ أسماه البعض بـ "الخميس الدامي"، وبعد يومين من الاعتصام قلب "اللؤلؤة"، وبينما المرابطون من رجال ونساء وأطفال نائمون، باغتت قوّات المرتزقة أولئك الآمنين في خيامهم بالنار، وانهالت عليهم من الجسر المحاذي لنصب "اللؤلؤة" بطلقات مسيّل الدموع والمطّاط والقنابل الصوتية والرصاص الانشطاري، لتقدّم حينها "سترة" ثلاثة قرابين؛ شيخ كبير، وشابان في عمر الزهور.

الحاج علي خضير (58 سنة)، البحار الذي عاش طوال حياته في فقر مدقع، كان نائماً في إحدى خيم الميدان، استيقظ مذعوراً من هول الطلقات والقنابل الصوتية، وخرج من خيمته ليبادره أحد المرتزقة بطلقة رصاص انشطاري "شوزن"، لم يتحمّل جسده ذلك الكمّ من الرصاصات التي اخترقت صدره وبطنه، ليسلّم روحه إلى سماء الحرية، وليكون بذلك الشهيد الأوّل في الميدان، تاركاً أربعة أبناء بلا معيل، فأكبر أبنائه "حسن" يبلغ من





العمر 21 عاماً، وهو عاطل عن العمل، في حين تسكن العائلة في منزل آيل للسقوط. (2) محمود أبوتاكي (23 سنة)، الشاب الهادئ، كان يركض من خيمة إلى خيمة، لمساعدة النساء والأطفال والشيوخ على الخروج وإنقاذهم من طلقات النار المتناثرة والمصوبّة نحو النائمين، إلاّ أنه لم يكمل مهمته، رصاص الشوزن مرّة أخرى اخترق جسده الطري والمفعم بالنشاط، فأحاله جثة هامدة.

لم يكن مسموحاً لأحدٍ أن تتحرّك حميته وغيرته وإنسانيته لينقذ ويساعد المروّعين والجرحى والمرميين على تراب ذلك الميدان.. بقي الكثيرون مضرجين بدمائهم وباختناقاتهم، فيما المرتزقة تضرب وتعيث الفساد والتخريب.. هنا استيقظ الشاب المهندس علي أحمد المؤمن (23 سنة)، والذي لم يبت ليلتها في الميدان، إلاّ أنه وجد نفسه بمعية العشرات من الشباب ممّن صمّموا على دخول الميدان لإنقاذ الجرحى، بعد أن كتب على صفحته في الفيس بوك "نفسي فدا وطني"، فكانت قولاً وفعلاً، إذ قدّم نفسه قرباناً ثالثاً من أجل الوطن.

شيّعت سترة المفجوعة أبطالها الثلاثة، وفي جنازة مهيبة لفّها الحزن والغضب، وقف والد الشهيد "أبوتاكي" ليقول "هيهات منا الذلّة"، فردّ عليه أبو الشهيد "المؤمن" بالقول "سنواصل الطريق رغم ما جرى".

وتواصل "سترة" شقّ طريقها نحو الكرامة، حضورٌ لافت في ميدان اللؤلؤة بعد أن استرجعه الثوّار بعزيمة وإصرار أبطال واجهوا رصاص الجيش، كان يتقدمهم الشهيد الأسطوري رضا بوحميد، شعارات الكرامة والعدالة والحرية والمسأواة تصدح من حناجر الجميع، حتى جاء الرابع عشر من مارس 2011، دخلت القوات السعودية تحت غطاء "قوات درع الجزيرة"، فكانت ضربة القمع الأولى في سترة.



وفي الخامس عشر من مارس، كانت سترة على موعد مع هجوم بربري، هجوم استفرغ فيه مرتزقة النظام كل قيم اللاإنسانية والحقد والضغينة ضدّ الأبرياء والعزّل، فتساقط الجرحى واحدا تلو الآخر، في ملحمة قدّم فيها الستراويون أطهر وأسمى ما لديهم من صدق وإخلاص فيما رفعوه من شعارات التضحية والفداء من أجل الوطن، فسقط الشهيدان أحمد فرحان ذو الأعوام الثلاثين "والذي فُضخ رأسه برصاص حيّ(4)، وهو الشاب الذي تحدث أخوه من منزلهم المتهالك في فيلم بثته قناة الـ CNN حول الفقر في البحرين في العام 2007، وكانت عائلة "فرحان" الستراوية أحد نماذج الفقر المدقع التي عرضت في الفيلم (3)، أما الشهيد الآخر، فكان عيسى آل رضي ذا الأعوام السبعة والأربعين، والذي لم تُسلّم جثته إلاّ في التاسع عشر من الشهر ذاته، كما سقط شهيدان من العمالة الآسيوية بالرصاص الحي، كانا يدافعان عن النساء هما ستيفي

إبراهام ذو الجنسية الهندية، وأكلاس ميا ذو الجنسية البنغالية، عدا مئات الجرحى والمصابين الذين فاض بهم مركز سترة الصحّي، والذين تمّ اعتقال أغلبهم بعد أن سيطر الجيش على المركز.

لقد كان ذلك الهجوم قبل يوم واحد من الهجوم التاريخي الثاني الذي نفذته قوات الجيش البحريني ووزارة الداخلية والحرس الوطني على ميدان "اللؤلؤة"، تمهيداً لإحكام السيطرة عليه وإغلاقه (ما زال إلى اليوم مغلقاً ومحاصراً بالمدرعات وقوّات الحرس الوطني)، وقد كان الهجوم ضدّ عاصمة الثورة رسالة من النظام ببدء مرحلة جديدة من العنف الدموي ضدّ الثورة، ذلك العنف المراد له أن يسكت أصوات الحرية والكرامة.

هل تسكت سترة؟!!... هيهات.. هيهات.. فقد كانت التكبيرات تصدح ليلياً من فوق أسطح منازلها تحدياً لحظر التجوّل الذي فرضه الجيش منذ اليوم الأوّل بعد فضّ اعتصام دوار اللؤلؤة في السادس عشر من مارس، وفي اليوم التاسع عشر صدحت حناجر ثوّار سترة في تشييع شهيدهم "آل رضي" بصرخات الرفض والغضب واللاتراجع، ولتبدأ المواجهة غير المتكافئة مع مرتزقة النظام، وهكذا دشّن السترأويون فعالياتهم اليومية الجديدة، مسيرات نسائية ورجالية تجوب أحياءهم وشوارعهم، تحمل الشموع.. وترفض الخنوع، وبالإضافة إلى الشهداء الخمسة الذين سقطوا إبان اعتصام الميدان، قدّموا 7 شهداء آخرين في مسيراتهم وفعالياتهم السلمية والتي تنتهي بطلقات مسيلات الدموع والرصاص المطاطي والانشطاري وغيرها.

واستمرّ السترأويون الأنشط والأكثر حضوراً في ميادين الاحتجاجات، وفي الفعاليات اليومية التي تفننوا في أدائها، بدءاً من احتفاليات الزفاف الرمزي للشهداء الشباب، ومسيرات الشموع الليلية، ومجالس العزاء، والمهرجانات المطعمة بأناشيد الثورة والحماس والرثاء والغضب، وفعاليات "تقرير المصير" الأسبوعية التي كانت تنظمها الحركات الشبابية، والفعاليات الأخرى المتواصلة دون كلل أو ملل، حتى في أيام الأعياد، ففي يوم عيد الفطر شهد صباحه مسيرة احتجاجية، انتهت باستشهاد الطفل علي الشيخ ذي الأربعة عشر ربيعاً، بعد أن أصيب بطلقة مسيّل دموع من موقع قريب في رقبته في الثاني من سبتمبر 2011.

أما النظام، فاستمرّ ولا يزال في استهداف سترة، وفي الانتقام من سترة، والإصرار على إخضاع إباء وشموخ سترة، ولم يستثنِ في استهدافه لها طفلاً ولا شاباً ولا شيخاً، فالحاج



الستيني حسن الستري، كان ذاهباً إلى صلاة الفجر في التاسع عشر من يونيو 2011، حين اختطفته عصابة من مرتزقة النظام وشرعت بتصفيته ورميه في الشارع مضرجاً بدمه، في حين لقي الطفل محمد فرحان ذو الأعوام الستة حتفه بعد استنشاقه كميات من الغازات الخانقة التي أطلقتها مرتزقة النظام على منزله.

ولكن ذلك الاستهداف والإمعان في الانتقام، ستواجهه سترة بمزيد من التحدّي والإصرار والعنفوان، وبمزيد من التضحيات والقرابين.. حتى أنها أبت أن تستقبل العام الجديد دون قربان جديد يشعل ضوءاً جديداً في طريق حريتها وكرامتها، ففي الساعات الأخيرة من العام 2011، سقط الشهيد سيدهاشم سعيد ذو الخمسة عشر ربيعاً، بينما كان يشارك قرب منزله بسترة في فعالية "اللحظة الحاسمة" التي دعا لها شباب الثورة، حين أصابته طلقة نارية في رقبته على يد مرتزقة النظام، ولتستقبل سترة أوّل يوم من 2012، بحمل شهيدها المغدور على الأكتاف، وبالتهليل والتكبير وصيحات الألم والغضب.

"عاصمة الثورة" تقف اليوم، أمام حصاد اثني عشر شهيداً، وآلاف الجرحى، ومئات المعتقلين، بعزيمة أكبر وأكبر، وبإرادة فولاذية، يشهد لها كل السياسيون الذين يزورونها يومياً لكي يغرفوا من معين الإصرار والحماس السترأوي، فكلمة "صمود" لا تفارق ألسن السترأويين في كل لحظة، بها يفتتحون صباحهم ليرسموا بها "الأمل والتفاؤل"، وبها يختتمون مساءهم ليتعاهدوا ويتواصوا على مواصلة المسير واللاتراجع، وقد كتب أحد قياديي جمعية الوفاق سيد هادي الموسوي (وهو من أكثر القيادات تواصلاً مع الجرحى والمعتقلين وعوائل الشهداء) في تويتره "أحلى كلمة تسمع لما السترأوي يقول، مفي مفي صمووود".

■ **الهوامش:**

• الرابط الإلكتروني لمسيرة الرابع عشر من فبراير في سترة:

http://www.youtube.com/watch?v=xdbfiDMDTMw&feature=related

رابط قمع المسيرة:

http://www.youtube.com/watch?v=7BJ9fL2N-dc

• نشرت صحيفة الوسط عن عائلة الشهيد علي خضير، الرابط الإلكتروني:

http://www.alwasatnews.com/3089/news/read/528123/1.html

• الرابط الإلكتروني لفيلم قناة الـ CNN حول الفقر في البحرين:

http://www.youtube.com/watch?v=fDfVo_Noino

• رابط فيديو إصابة الشهيد أحمد فرحان في الرأس:

http://www.youtube.com/verify_controversy?next_url=/watch%3Fv%3DnhVatUkebmM

رابط آخر:

http://www.youtube.com/watch?v=4ESJUOB7s8A





# "تقرير المصير"

## يجوب مناطق وقرى البحرين مرة في كل أسبوع

## "بنك أفكار" الوعي الشبابي يفاجىء المراقبين

## و 4 أشهر من الثبات المر: لامستحيل!

**بدت لدى إطلاقها أول مرة فكرة أناس منأوئين، كفوا عن الإمساك بالأرض، بعد استحكام قبضة العسكر، فلجأوا إلى الرمزيات، وما وراءها. لكننا نعرف الآن، أنها لم تكن فكرة للمنأوءة، بل فكرة شباب مفعم يصر على القول: لا مستحيل! بل يعمل من أجل ذلك. المستحيل الذي لم يعد مستحيلاً، وأخذ يشق طريقه بثقة في أرض السياسة المتحركة، هي فعالية "تقرير المصير"، وشعلتها معاً.**



حين راح القيادي معأون أمين عام "الوفاق" خليل المرزوق 29 ديسمبر/ كانون الأول 2011 في المقشع يقدح النار في شعلة "تقرير المصير"، كان كمن يعترف بأنه ما عاد مجدياً التغافل عن "بنك أفكار" الوعي الشبابي الذي تفتق منذ لحظة 14 فبراير/ شباط. وصار يثبت يوماً بعد يوم أسبقيته في ابتكار وسائل المقأومة المدنية.

كانت الفكرة التي أطلقها ائتلاف شباب 14 فبراير/ شباط كالتالي: اعتصامات موضعية بشكل أسبوعي تنادي بـ "تقرير المصير"، انطلاقاً من مبدأ الحق الثابت أممياً للشعب في تقرير مصيره بنفسه واختيار النظام السياسي الذي يلبي طموحه، بعد استنفاد كامل طقم الحلول مع سلطة لم تعد تعترف بوجود شعب؛ بل صارت وظيفتها تتلخص في إلغائه. هكذا جابت الاعتصامات، وفقاً لجاذبية هذا النداء 10 مناطق طيلة 4 أشهر. لتجد رمزها تالياً في الشعلة، لتبدأ هذه بدورها رحلة أخرى على القرى والمدن. واجهت فعاليات "تقرير المصير"، كما شعلتها، انتقاماً خاصاً من السلطات. وليس سراً أن أكثر فعاليات تقرير المصير كانت تستبق بتواجد عناصر الأمن المكثف، ومباشرة سحقها لكل الأنشطة ذات العلاقة.

رغم ذلك، فقد نجحت في أكثر من مرة في الوصول إلى مرامها، وإذاعة بياناتها. يمثل هذا التقرير سياحة مع الفعالية منذ وهلة انطلاقها في أواخر يونيو/ حزيران 2011.

### ■ جدحفص تحتضن الانطلاقة

في يوم الخميس 30 يونيو/حزيران 2011 زحف آلاف المتظاهرين من مختلف

مناطق البحرين إلى ما يدعونه "مثلث الصمود" في إشارة إلى مناطق السنابس الديه وجدحفص، تلبية لدعوة ائتلاف شباب 14 فبراير/ شباط للاعتصام الأول الذي أسماه "حق تقرير المصير" بساحة سوق جدحفص. لكن قوات الأمن استبقتهم إلى المكان منذ بدء الظهيرة، وتمركزت في الساحة المعدة للاعتصام بأعداد كبيرة.

وقد باغتت المشاركين منذ بدء توافدهم بإطلاق النار عليهم، ما أدى إلى وقوع صدامات وإغراق الأحياء والمنازل بالغازات فأصيب واختنق كثيرون. وكان من المزمع أن تُلقي كلمة للائتلاف في موقع الاعتصام إلا أن قمع السلطات حال دون ذلك.

وقد أكد الائتلاف في كلمته التي نشرها لاحقاً على "أن صمود الشعب في الثورة ومواصلتها حتى انتزاع حقَّه المشروع في تقرير مصير هذا الوطن هو أمرٌ حتمي، وإلاَّ فلن نجد بعدها من ينتشلنا من وحلِ المعاناة وسنكون لعنة الأجيال القادمة لما فرّطنا بهِ من فرصٍ تاريخية". وشدد على أن "من حقِّ الشعب أنْ يُقرر مصيرهُ بنفسه عبر استفتاءٍ عام عبر الأمم المتحدة"، معتبراً "أن الأزمة الخانقة في البحرين منذُ عشرات السنين تتطلبُ منا الإصرار من أجل الوصول لحلٍ جذري، أما الحلول الترقيعية فهي مرفوضة جملة وتفصيلا".





## ■ البلاد القديم.. رايات ترفرف

لم يختلف أسلوب السلطة في مواجهة اعتصام "حق تقرير المصير 1" عن "حق تقرير المصير 2" والذي أقيم في البلاد القديم 7 يوليو/ تمّوز 2011، من حيث تواجد قوات الأمن الاستباقي والبدء بقمع عملية التوافد منذ لحظة البداية. بل إنها، في هذه المرة كثفت من عملية القمع نظراً لموقع ساحة الاعتصام المفتوح من أكثر من جهة. ما أتاح إمكانية التمركز لقوات الأمن في محأور مختلفة، لتباشر بقمع المشاركين.

لكن على الرغم من ذلك فقد تمكن عدد من الشباب والشابات من الوصول إلى موقع الاعتصام رافعين أعلام البحرين وملوحين بها في الهواء. وقد سجل وقوع العديد من الإصابات في إثر الصدامات التي اندلعت، بينها إصابات بليغة.

## ■ سترة.. سقوط شهيدة

كانت المحطة الثالثة لفعالية "حق تقرير المصير" في جزيرة سترة في 15 يوليو/ تموز 2011. وقد طوقت قوات الأمن منطقة الاعتصام للحيلولة دون وصول المتظاهرين له. كما أطلقت النار وقنابل الغازات الخانق بشكل مفرط، ما أدى إلى استشهاد المواطنة زينب آل جمعة (47 عاماً) من منطقة مهزة اختناقاً بعد أن أطلقت عبوة مباشرة على منزلها.

وقد أكد ائتلاف 14 فبراير/ شباط في بيان له على "المضي قُدُماً في مشروعنا الكبير من أجلِّ أن ينال شعبنا حقَّهُ المكفول أممياً، فلن ينتهي الصراعُ في البحرين إلا عبر تمكين الإرادة الشعبية لتختار ما ترتئيهِ مناسباً وملبياً لطموحاتها وتطلعاتها وتختار نوعية النظام الذي يتناسبُ مع أصالتها وثقافتها".

## ■ الدراز.. صدامات عنيفة

احتضنت منطقة الدراز في 22 يوليو/ حزيران 2011 "حق تقرير المصير 4". تصاعد الاحتجاجات بشكل لافت بعد أن حالت قوات الأمن دون وصول المتظاهرين إلى موقع الاعتصام مستخدمة البطش والتنكيل. واندلعت صدامات عنيفة أصيب فيها عدد من المتظاهرين كما جرى اعتقال آخرين.

بدوره، فقد جدد الائتلاف موقفه من "حقنا الإنساني الذي أقرته المواثيق والعهود الدولية قاطبة، بتحديد خياراتنا السياسية عبر نظام سياسي جديد لا مكان فيه لهذه الطغمة الفاسدة التي فقدت كل مقومات الشرعية، وباتت سلطة لا شرعية لها إلا شرعية البطش والقمع، وهي شرعية لا تقرها منظومة الحقوق الإنسانية التي توافق عليها العالم".

## ■ السفارة الأميركية: رسالة مفتوحة

قبل ساعات من اعتصام "حق تقرير المصير 5" الذي صادف يوم 29 يوليو/ تموز 2011 في ساحة السفارة الأميركية بالمنامة، وجه ائتلاف 14 فبراير/ شباط رسالة مفتوحة للإدارة الأميركية دعا فيها إلى "فك الارتباط مع النظام البحريني ورفع الغطاء عنه بشكل كامل، وإعلان موقف عادل من مطالب الشعب البحريني". كما دعا الإدارة الأميركية إلى "انسجام سياستها في هذا البلد مع خطاباتها المعلنة من تأييد حق الشعوب في الديمقراطية وتقرير مصيرها"، محملاً إياها "جزءاً كبيراً من المسؤولية لما جرى على الشعب البحريني من قمع وقتل وتعذيب وإبادة". غير أن السلطات البحرينية كانت لها كلمتها أيضاً. فقد قامت وحدات كبيرة من قوات الأمن بتطويق المنطقة بشكل كلي، إضافة إلى إغلاق جميع المنافذ المؤدية إليها، ومباشرة قمع أية مجموعات تتوافد عليها. وقد اعتبر الائتلاف في وقت لاحق من أن هذا القمع "يكشفُ بجلاء حقيقة الغطاء الذي توفّرهُ الإدارة الأميركية لهذا النظام الدموي".

## ■ بني جمرة.. "دفاع مقدس"

شكّل اعتصام "حق تقرير المصير 6" في بني جمرة يوم 4 أغسطس/ آب 2011 نقلة نوعية في اعتصامات المصير. وذلك لجهة الآلية التي قاموا باعتمادها، في عملية التصدي لعنف الشرطة، والتي صارت تسمى "الدفاع المقدس". وقد حالت دون تمكن قوات الأمن من التقدم رغم أعدادها الهائلة، ومدها بتعزيزات إضافية.



### ■ الدير.. تغير المعادلة ميدانياً

حقق اعتصام "حق تقرير المصير7" يوم 26 أغسطس/ آب 2011 بمنطقة الدير نجاحاً كبيراً رغم أجواء القمع التي فرضتها قوات الأمن. وذلك نظرا لحساسية موقع الدير القريب من مطار البحريني الدولي. ورغم أن الشرطة قد عملت بمساندة عناصر من جهاز الحرس الوطني على استباحة البلدة لساعاتٍ طويلة، إلا أن المتظاهرين استطاعوا اختطاف الساعة الأخيرة لعقد الاعتصام، ونجحت اللجنة التنسيقية في بثّ كلمة الائتلاف في الساحة المقررة، فيما يمكن أن تكون المرة الأولى الذي يتمكن فيها من ذلك.

### ■ عالي.. انتهاكات واعتقالات

واجهت قوات مكافحة الشغب اعتصام "حق تقرير المصير8" بمنطقة عالي في 8 سبتمبر/ أيلول 2011 بالقمع الاستباقي، وحالت دون وصول المتظاهرين إلى موقع الاعتصام. وشهد هذا اليوم صدامات امتدت إلى منطقة بوري المجأورة. كما وقعت العديد من الإصابات وجرت اعتقالات في أوساط المحتجين.

### ■ النويدرات.. صمود!

احتضنت منطقة النويدرات، مسقط رأس أحد قيادات المعارضة، وهو زعيم حركة الوفاء عبدالوهاب حسين "تقرير المصير 9". وشنت قوات الأمن حملة قمع شديدة ضد المتظاهرين قبل بدء الاعتصام، حيث أغرقت الأحياء بالسكنية بقنابل الغاز الخانق فأوقعت اختناقات عديدة. وسرعان ما امتدت المواجهات إلى المناطق المجأورة، المعامير

العكر سترة وسند، حيث استمرت لوقت متأخر من ذلك اليوم.

### ■ السنابس.. انطلاق الشعلة

دشن ائتلاف 14 فبراير/ شباط أسلوبا جديدا في التحشيد لفعالية "حق تقرير المصير 10" عبر إقامة مراسم افتتاحية خاصة بما دعي "شعلة حق تقرير المصير" 27 أكتوبر/ تشرين الأول 2011. وهي فكرة تحاكي الشعلة الأولومبية، بحيث يجري تمريرها على مختلف مناطق الاحتجاجات، ويتم تدشينها في مناسبة خاصة بحضور عوائل الشهداء وجماهير الثورة في أسلوب رمزي يجري التأكيد من خلاله على مواصلة الثورة. وقد مرت الشعلة منذ هذا التاريخ على أكثر من 20 منطقة. ودعا الائتلاف جميع البلدات والمدن للاستعداد لاستقبال شعلة حق تقرير المصير التي ستمرر على كافة أرجاء البحرين وسينتهي بها المطاف في بلدة السنابس القريبة من دوار اللؤلؤة تمهيداً لأول اعتصام صباحي يُقام في دوار مركز البحرين الدولي للمعارض في يوم الثلاثاء 22 نوفمبر/ تشرين الثاني بالتزامن مع معرض الجواهر العربية الذي يقام تحت رعاية رئيس الوزراء. وقد استنفر النظام طاقاته الأمنية في يوم موعد الاعتصام المذكور، وحاصر المنطقة كما قام بقمع المشاركين.



# ساحات المحاكم في البحرين: الفاشية هنا

" يجب أن لا يتعرض المحامون بمن فيهم الموكلون للدفاع عن المتهمين بارتكاب أفعال إجرامية لأية مضايقة أو لتدخل غير مناسب وهم يؤدون واجباتهم المهنية"



## ■ دليل المحاكمات العادلة

في منتصف مارس/ آذار 2011، دخلت قوات درع الجزيرة بأنفاس الغزاة المتلهفين للدّمار. تحلّوا بصفات الجيوش المؤدلجة التي تفوح بعقيدة الفتح. استندت هذه القوات على قانون الطوارئ الذي يتضمن بنودا غير معلنة رآها الناس ملطخة في الشوارع والطرقات وفي منازلهم وعلى الأجساد. لم يُنظر إلى المواطنين باعتبارهم بشرا يستحقوق الحياة، فضلا عن الاحترام والحقّ في العدالة والمسأواة. تولّى الإعلام الحكومي مهمته المفضّلة والمتكرّرة، وقدّم للقوات الغازية ما يحثّها على مزيد من البطش وارتكاب الإهانات الفاحشة.

أخطر ما أثبتته ثورة 14 فبراير، أن البحرين لم تعد تملك جهازا قضائيا مستقلا. في المعنى السياسي، فإن البلاد باتت غابة يحكمها الوحوش والراغبون – لأتفه الأسباب – في ارتكاب المجازر. يؤكّد المحامون وخبراء القانون أن ما يُسمى بمحاكم السلامة الوطنيّة (المحاكم العسكرية) لا علاقة لها بالدستور، ولا بأصول المحاكمات الجنائية. لا ضمانات تُذكر للمتهمين، ولا حد أدنى للعدالة في سير المحاكمات وإجراءاتها.

فيما يلي استعراض لأهم المخالفات التي شهدتها المحاكمات في الدعوى رقم 124/2011 (قضاء عسكري – التحالف من أجل الجمهورية)، بحسب ما أفاد المحامون.

## ■ المتهمون قبل الجلسات: تعذيب برعاية القضاة

تؤكد شهادات المحامين – وتعززها أقوال الأهالي والنشطاء – أن جميع المتهمين كانوا يُعرّضون لوجبات من التعذيب الجسدي والنفسي قبل مثولهم أمام المحكمة، وهي

"حفلة" يُحاط بها من يُقاد إلى الجلسة الأولى خاصةً، وتتم بأيدي الشرطة العسكرية التي تخضع للنيابة العسكرية، وبالتالي لأوامر المحكمة نفسها. الإهانات المهينة لكرامة الإنسان، والتوقيف في أشعة الشمس الحارقة؛ هي الحدود الدّنيا التي نالها المتهمون قبل أن يستقبلهم القاضي!

لا يتطلّب الأمر الدخول في جدلية: هل تعلم المحكمة بذلك أم لا؟ هل هناك أوامر عليا أم أنها تصرفات شخصية؟! تلك هراءات يلوكها الذين يحملون رغبة مفادها: "سنواصل التعذيب، وسنتبرأ منه!" لذلك، لا يخالج أحد الشك في أن أعمال التعذيب التي شهدتها الجدران اللصيقة بكراسي القضاة؛ كانت بأوامر وتوجيهات من النيابة العسكرية، وبرعاية من هيئة المحكمة أيضا. ويؤكّد ذلك أن الأخيرة كانت ترفض مرارا السّماح للمتهمين بالتحدث عن التعذيب الذي يتعرضون له، رغم إدراكهم أن مثل هذه المعاملة تخدش العدالة وتُسقطها. الصورة الواضحة التي ارتسمت للمتهمين، أنهم كانوا يمثلون أمام شركاء في التعذيب، وليسوا قضاة عادلين.

### ■ أوراق الدّعوى: إعاقة العدالة

يؤكد عدم تسليم محامي الدّفاع لنسخ من أوراق الدّعوى؛ النية المشبوهة بشأن تحقيق العدالة. لم يرغب القضاة، ابتداءً، أن ينال المتهمون الفرصة الحقيقية لإظهار براءتهم. وهذه وحدها فضيحة كبرى، تنمّ عن تواطؤ القضاة مع الجلادين. لقد حُرم المحامون من الاطلاع على القضية قبل أول جلسة محاكمة، وذلك رغبةً في قطع الطريق عليهم في إبداء الدفوع الشكلية أو مناقشة المتهمين قبل تلأوة التهم عليهم. وحين اضطرت المحكمة، فإنها اكتفت بتوفير نسخة واحدة من الدعوى – وهي تشتمل على أكثر من خمسة ملفات كبيرة – يُفترض أن يتقاسمها ما يزيد على خمسة عشر محاميا! علما أن مواعيد الجلسات كانت متسارعة، وتفصل بين الجلسة والأخرى أيام معدودات. وإضافة إلى ما يتطلبه نسخ الملفات من وقت، فإن طبيعة قضية الدعوى – غير المسبوقة في القضاء – تتطلب وقتا وجهدا مضاعفا لكي يُتاح للمحامين إعداد دفاع حقيقي لإظهار العدالة. إلا أن المحكمة، ومنْ يُديرها في الخلف، لم تكن معنية بالعدالة وإنصاف المتهمين، وأُريد لها أن تكون أداة بيد السلطة لإنزال عقوباتها الجاهزة.

### ■ منع المتهمين من كشف التعذيب: نعلمُ وتستحقّون!

من الإجراءات الفاضحة التي ارتُكبت في ساحات "العدالة" المفترضة، هو عدم السماح



للمتهمين بالتحدّث أمام المحكمة، وإظهار ما تعرّضوا له من تعذيب جسدي ونفسي، كما أنه لم يُستجب لهم لمعاينة ما بهم من آثار التعذيب أثناء التحقيق. وهو إجراء شمل الجميع دون استثناء، حيث أصرّت المحكمة – وبنحو مريب – على عدم التحدّث في الجلسة إلا لوكلاء المتهمين، علما أن الوكلاء لم يُتح لهم الجلوس مع المتهمين قبل الجلسة، رغم إبدائهم ذلك مسبقاً. وممّا يكشف الخلفية السياسية لهذا الإجراء، أن المحكمة قامت بطرد المتهمين الذين بادروا للحديث عن إصاباتهم تحت التعذيب. واكتفت بتحويلهم للطبيب الشّرعي، وهو موظف في وزارة الداخلية، وغالبا ما تربطه علاقات ود وتعارف مع الضباط والجلادين.

وليس بخاف على أبسط محام ومطّلع، أن هذا الإجراء يعدّ حرمانا من أبسط حقوق المتهم. وهو مخالف صراحةً للعهد الدولي والاتفاقية الأمريكية. التفسير ليس صعبا، فالمحكمة العسكرية لم تكن ترى المتهم بريئا حتى تثبت إدانته، كما هي المواد المعروفة في العهود والمواثيق. بل كانت تراه مستحقا للعقاب والتعذيب ومن غير الحاجة لإثبات تهمة ما، حقيقة كانت أم متخيّلة!

### ■ سرعة المحكمة: لا وقت لدينا.. الأحكام جاهزة!

من غرائب الأمور التي كشفها المحامون، أنهم لم يُمنحوا الوقت الكافي لتقديم الدّفاع وإعداد المرافعات. كانت المحاكم العسكرية تتحرّك "بسرعة متناهية"، تناغماً مع الإيقاع السّريع للفظاعات التي شهدتها البلاد طولا وعرضا. يفيد المحامون بأن المهل التي تُمنح لهم لا تتعدى يومين أو ثلاثة أو خمسة أيام في الحدّ الأقصى. ومن المثير ما ينقله المحامون عن رئيس المحكمة عند تعقيبهم بمنح الآجال الكافية، قوله بأن: "الوضع السياسي في البلد لا يسمح بالتأجيل وأن على المحكمة ضغوطات يجب أخذها في الاعتبار".

إذاً، كان كلّ ما يرتديه القضاة مسيساً. كانوا تحت ضغوطات العسكر الذين نشروا الرعب في القرى والمناطق.

لا يفهم هؤلاء القضاة لغة الدفاع، وحقوق المتهمين، والضمانات الكافية لهم. لقد جاؤوا بأوامر واضحة: "عليكم بهم. ليس لكم سقفا، أعلاه مثل أدناه". فماذا يضير هؤلاء، بعد ذلك، لو أخّلت السرعة في إتمام المحامين لدراسة القضايا، أو لو رفضت المحكمة سماع شهود النفي، أو رفضها الاستفزازي لعرض المقاطع الفلمية كاملةً وأمام المتهمين، وقطع الطريق أمام طرح المحامين لأدلتهم!؟ لا يهمّ أبداً! فكلّ شيء جاهز، والمطلوب إنزاله بسرعة.

## ■ المحامون: ضغوط واعتقالات.. نريدكم بصّامين صامتين!

كيف ينال المتهم دفاعا حقيقيا فيما لو تعرّض المحامي للضغط والاعتقال؟ وهل كان المطلوب أصلا – في محاكم العسكر – ينال المتهم شيئا من الدفاع!؟ قدّم المحامون جملة من الممارسات التي أوضحت حجم المضايقات التي تعرّضوا لها خلال الأشهر السابقة، ما يُسقط الضمانات المطلوبة في الدفاع، خلافاً للمواثيق الدولية ذات الصّلة. وفيما يلي شواهد على ذلك:

– اعتقال المحامين: اعتقل المحامي تيمور كريمي في الأيام الأولى لإعلان الطوارئ، ووُجّهت له تهمة التجمهر وإثارة الشّغب. وبعد حوالي شهر، اعتقل المحامي المعروف بالدفاع عن المتهمين السياسيين، المحامي محمد التاجر، وقد تعرّض للتعذيب، وتم تكسير منزله وتخريبه. وكان يُراد من ذلك، إرسال رسائل تهديد مباشرة للمحامين وصرفهم عن تولي الدفاع عن المتهمين السياسيين.





– اتهام واستدعاء المحامين: وُجّهت تُهم تجمهر وخلافه لثلاثة من المحامين النشطاء في مجال حقوق الإنسان، وهم المحامون حافظ حافظ ومحمد أحمد ومحمد الجشي. كما تمّ استدعاء المحامين حسن رضي وجليلة السيد وسامي سيادي، وذلك بقصد ترهيبهم وتخويفهم، ما حدا ببعض المحامين للعزوف عن الدفاع عن المتهمين في المحاكمات العسكرية، كما أن البعض لم يُقدِّم دفاعا حقيقيا خشية ردود فعل السلطة.

– تهديد المحامين واستفزازهم: ينقل المحامون أن الضباط المتواجدين في المحكمة، كانوا يدأبون على تهديدهم بالاعتقال، وكان بعض ضباط الجيش يقول للمحامين بأن "الدور سيأتيكم، كما جاء على الأطباء والمعلمين وغيرهم". كذلك، كانت المحكمة نفسها تتعمّد الاستهزاء بالمحامين، وتتعامل معهم وكأنهم خصوم لها، وتعمّدت جرحهم نفسيا والتأثير على أعصابهم قبل تقديم الدفاع. ولأجل مزيد من التأثير، لجأت المحكمة إلى قطع كلام المحامين في نصف المرافعات، ولم تسمح لهم بالاسترسال والترافع الشفوي، ما يمثّل قمعا مباشرا من المحكمة، وهو تتمة لأساليب الضغط والإهانة التي يتعرض لها المحامون قبل الجلسات من جانب الشرطة والضباط، والذين يعمدون إلى تفتيشهم بطريقة مهينة، وتوجّه إليهم أسئلة اتهامية من قبيل: "أنت رحت الدوار؟"، "ماذا كانوا يفعلون في الخيام؟"، "أنت قلت بإسقاط النظام أيضاً؟". والغرض كل من ذلك، إشعار المحامين بأن مصيرهم قريب من الاعتقال مثل متهميهم.




# الاحتلال العسكري لمجمع السلمانية الطبي

**كانت عقارب الساعة تشير إلى 5.20 صباحاً. وقبل بزوغ نور الشمس على سماء البحرين، سُمع صوت مروحيات عسكرية تحوم على مقربة من أجواء مجمّع السلمانية الطبي..**



ولوحظ انقطاع الاتصال في الهواتف النقالة وكأن خللاً في الشبكة، حتى خدمة (البلاك بيري) بدأت تفقد ترددداتها في بعض الهواتف..! أحدهم لم يذق طعم النوم لأكثر من 24 ساعة.. كان يحمل مكبر صوت أصابه هاجسٌ بأن شيئاً ما يُحاك في ظلمة هذا الصباح..! ونادى في المكبر محذراً الجميع من هذا الخلل، وتوجس الجميع خيفة من هذا الأمر وحأول الجميع الاتصال بالمعتصمين في دوار الشهداء وتحذيرهم.. ومع هذه المحأولات اليائسة واستيقاظ الجميع على هذا النداء والقلق الشديد المستشري في قلوبهم، أشارت الساعة إلى 5.45. واقترب صوت المروحيات العسكرية أكثر فأكثر من ساحة مواقف السيارات التابعة لقسم الطوارئ، وبدأ الناس في الانتشار في هذه الساحة وأعينهم متجهة إلى سماء الدوار، فرأوا وبكل وضوح سرباً من المروحيات العسكرية أيضاً تحلق وهي في مكانها والنيران تنطلق منها باتجاه الدّوار.

هذا ما ذكره شاهد عيان خلال حديثه لـ (مرآة البحرين) عن تفاصيل قيام الجيش البحريني وقوات الأمن بعملية احتلال مجمع السلمانية الطبي وعسكرته عقيب فض دوار اللؤلؤة من المعتصمين بالقوة في الأربعاء 16 آذار/مارس 2011.

ويتابع شاهد العيان في سرد مشاهداته «في تلك الأثناء انطلقت بعض سيارات الإسعاف لإدراك ما يجري.. فبعض سيارات الإسعاف (4) كانت متوقفة في الموقف المقابل لموقف سيارات قسم الطوارئ، وهي غير صالحة للاستعمال بسبب اختطافها من قبل (رجال الأمن) وإحداث أضرار فيها في اليوم السابق أثناء مجزرة جزيرة سترة والتي كان الضحية فيها الشهيد أحمد فرحان».

يواصل «وبالفعل.. عادت هذه السيارت من الدّوار في غضون دقائق محملة ببعض المصابين والجرحى، هذا بالإضافة لبعض السيارات الخاصة التي تحولت إلى إسعافات خاصة،

عادوا وهم مذعورون من منظر قصف الدّوار بالمروحيات العسكرية ووصفوا أن هناك مجزرة جديدة تدور رحاها هناك.. ولم يعلم الموجودون ما قد يحصل في المجمع أيضاً».

وعن بدء عملية السيطرة العسكرية على مجمع السلمانية الطبيُ يفصّل الشاهد: «في تمام الساعة السادسة وخمس دقائق تقريبا.. ازدادت أعداد الناس وحوت موظفين ومتظاهرين ومصابين وغيرهم، وتفاجأ الجميع بانطلاق النيران عليهم من المروحيات العسكرية والقنابل الصوتية في باحة المجمع كما تم إغلاق جميع البوابات الرئيسية من قبل قوات مكافحة الشغب ومحاصرتها ومنع دخول أو خروج أي سيارة سواء كانت سيارة إسعافٍ أو حتى سيارة خاصة، كما تم منع أي فرد من الدخول أو الخروج من المستشفي.. ظهرت قوّات أمنية مسلحة من جانبي مواقف السيارات قادمين من جهة جامعة الخليج العربي إلى المبنى الداخلي للمجمع وهم شاهرون أسلحتهم وبعض هؤلاء الأفراد قد صوب سلاحه فعلاً وأطلق النار على أحد المواطنين أمام مدخل طوارئ الولادة، محدثاً إصابات وجروحاً» .

يفصّل أكثر: «دبّ الخوف والهلع والدهشة في نفس الوقت في قلوب الجميع، ودخلوا مبنى المجمّع وأُغلقتْ الأبواب الآلية من الخارج وسيطر على كل باب 3 إلى 4 أفراد من قوات الأمن.. هروب مخيف، بحثٌ عن أماكن آمنة للاحتماء ولكن ما من مفر، بعدها بدأت مجموعات من أفراد الجيش في الظهور بدباباتهم ومدرعاتهم وآلياتهم وعتادهم العسكري وكأنما حوصر المجّمع الطبي من الداخل والخارج وتم تطويقة تماماً من قبل هذه القوات والجيوش».

## ▪ بداية الانتقام والحصار

بحسب المعلومات المؤكدة، هاجمت قوات الأمن 4 من الموظفين (إسماعيل يوسف الحداد، إبراهيم سيد طاهر، منير صالح مهدي، علي عبدالله حبيب) في مكتب إدارة قسم التنظيفات في المجمع في المبنى الشمالي القديم واعتدت عليهم بالضرب والشتم وإدماء أحدهم، وهو رئيس القسم (علي الحداد) الذي كسرت رباعيته، ومن ثم اقتيادهم للبوابة الرئيسية (رقم 1) وهؤلاء كانوا بمثابة أول لقمة لهم، فقد تواصل الضرب المبرح عليهم على الحشائش القريبة من مواقف سيارات الأطباء وفي نفس الوقت والمكان احتُجزت سيارة إسعاف واعتدي على من فيها، السائق وممرض وطبيب، هذا الحدث توثق بكاميرات الهواتف المحمولة من بعض نوافذ الأجنحة المطلّة على الموقع.

في الجانب الآخر من المجّمع الطبي رصد شاهد عيان آخر فبركات تمثيلية في ساحة

مواقف السيارات بقسم الطوارئ، أهم فبركة هي فتح باب خلفي لإحدى السيارات التي تشبه الإسعاف، بنيّة اللون ووضع أسلحة فيها وتصويرها للإيحاء بأن هذه أدلة ضُبطت بها، ثم إحضار مجموعة من المواطنين يبدو لمن يشاهدهم أنهم عائلة بحرينية كانت محتجزة كرهائن في المجمع حسب ما أشيع في الوسائل الإعلامية في وقت سابق.

وما أظهرته بعض الأفلام والصور الفوتوغرافية في هذا السياق «قيام قوات الجيش بعد ذلك بتكسير زجاج بعض السيارات وتدمير الخيام المنصوبة وإتلافها وبعثرة محتوياتها من أدوية وأدوات وأجهزة طبية، وكانت هذه الخيام قد نصبت – بحسب ما يؤكده جميع الأطباء والممرضين – بموافقةٍ من إدارة المجمع ومكتب وكيل الوزارة على علم بها، بغرض تخفيف الضغط على الطوارئ وتخصيصها للحالات غير الحرجة من المصابين والجرحى واستغلالها كمخزن للأدوية التي صُرفت بترخيص رسمي وليس كما ادعت الحكومة وبعض الاستشاريين المحسوبين على النظام أنها مسروقة.

وهنا يؤكد عدد من العاملين في قسم المغسلة بالمجمع «أن القسم هاجمته قوات الجيش والأمن واعتدت على منتسبيه بالشتم والضرب والإهانة واختيار عشوائي للموظفين وإلباسهم الأكفان المكتوب عليها (أنا الشهيد التالي) وتصويرهم.

ويسترسل شاهد العيان في شرح ما حدث: «في هذه الأثناء.. توجّه الشخص الذي أنذر الجميع في الصباح الباكر لمكاتب إدارة مجمّع السلمانية الطبي يستنجد بطاقم أفراد الإدارة الذين كانوا مجتمعين في غرفة الاجتماعات مكتوفي الأيدي وفي حيرة من أمرهم وقد بان على وجوههم أنهم لا يستطيعون فعل أي شيء، بل اكتفوا بالتعليق أن الوزير (نزار البحارنة) ذاته حضر ولم يسمح له بدخول المجمع وأن الجيش قد أخبره بأن عليه الحصول على إذاً من المشير (خالد بن أحمد آل خليفة) للدخول وأنه لاسلطة الآن له





كوزير للصحة، فأعلن استقالته في نفس اليوم».

ويؤكد عدد من العاملين في المجمع ممن كانوا في الداخل: «سلّم الجميع بأنهم محاصرون داخل مبنى السلمانية ولايسمح لهم بالخروج، وأطلقت نداءات استغاثة بثتها قناة الجزيرة الناطقة بالإنجليزية وبعض وكالات الإعلام والاتصال ببعض النّواب والشخصيات الحقوقية، ولكن ما من حلولٍ تلوح في هذا الأفق المرعب.. فقضوا أسوأ ليلتين داخل المبنى دون مؤن غذائية أو إمدادات أخرى مساندة. وقد أثر ذلك على الطاقة الاستيعابية للمبنى الضخم الذي ظل يعمل بأقل من نصف طاقته الكهربائية المعتادة، مما خلّف نقصاً في كميات الأوكسجين وتعريض حياة مرضى العمليات الرئيسية والعناية القصوى والقلب للخطر».

الطاقم الطبي والتمريضي وكل منتسبي وزارة الصحة منهكون لقلة النوم وللذعر الذي أصابهم، حتى أن هذا الذعر تسرب إلى نفوس المرضى وفارقت إحداهن الحياة خوفاً ورعباً وقلقا على أبنائها الذين كانوا يتنأوبون على رعايتها في وحدة العناية بالقلب. أطفال ونساء في بكاءٍ وعويل وترقبٍ للمجهول.. وبعد هذين اليومين العصيبين جاء الفرج.

## ■ الفرج المؤلم

بعد هذا الحصار المطبق على كل المنافذ والأبواب والتغلغل التدريجي لعناصر المخابرات

المدنيين أشرقت على المجمع شمسٌ مظلمة ومسلّحة، تكسوها أقنعة لعناصر ملثمة تجوب كل أرجاء المجمع بأسلحتها التي كانت أطول من قامات حامليها.. والتلويح باستخدامها في أي لحظة.. فظن الجميع أنه حانت لحظة التصفية وغربلة الموجودين، فقد تناقلت مكبرات الصوت في جميع أروقة المجمع إعلاناً يقول: «إن من أراد الخروج فعليه أن يتوجه لباب الطوارئ فقط وأن يبرز هويته الرسمية أو الوظيفية، ولكن عليه أن يتحمل مسؤولية نفسه وسلامته»، وبالفعل.. فإن من ينوي الخروج يعود مصاباً جريحاً؛ ليتم اعتقاله لاحقاً بعد تفتيشه تفتيشاً دقيقاً ومصادرة الهواتف ذات التقنية المتطورة منهم وتفتيشها.. وهذا شمل كل فرد دون تمييز بين طبيب أو مريض، بين امرأة أو رجل فالكل نالته (عدالة العقاب).. وعليهم أن يختاروا.. بين العذاب أو البقاء تحت الحصار، فقد كان فرجاً مؤلماً.

## ■ اعتقالات عشوائية

صاحَبَت هذه الأحداث الغريبة والدخيلة حملة بحث مكثّف عن طريق التدقيق في الصور وقوائم للأسماء عند البوابات الرئيسية لدى أفراد الجيش وكل أقسام وأروقة المجمع وتفتيش دقيق وحازم لكل المترددين على المستشفي أو الموظفين، وخصوصاً الطبيبات والممرضات، فقد شكا بعضهن لاحقاً تعرضهن للتحرش الجنسي من أفراد الجيش.

أفراد الجيش وقوات الأمن لم يكترثوا للضوابط الصحية وحرمة المبنى الطبي حين قاموا بمباغتة الدكتور علي العكري في غرفة العمليات أثناء إجرائه عملية لأحد المرضى والاعتداء عليه بالضرب والشتم والإهانة وللأطباء المتواجدين معه أثناء العملية ومنعه من مواصلة العملية وتعريض حياة هذا المريض للخطر، وتلا اعتقاله ملاحقة أطباء وكوادر تمريضية ومسعفين وموظفين ومصابين ومترددين أيضاً واعتقالهم أو التحقيق معهم وبث الرعب في نفوسهم.

ويوضح عدد من موظفي المجمع «أن الإدارة العسكرية الجديدة للمجمع اخترعت أنظمة جديدة تقوم على الاستهداف والعقاب الجماعي لمعظم الموظفين، بإعداد قائمة يومية من الموظفين الذكور والإناث ومفاجأتهم بأنهم مطلوبون للتحقيق، وإما أن يعودوا أو لا.. فمن لا يعود يكون مصيره المعتقل، ومن يعود فيروي ما تعرض له على يد أفراد قوات عناصر الداخلية والدفاع، المدنية والعسكرية».

نقطتان للتحقيق والتعذيب، المشرحة والغرفة الواقعة أمام باب الطوارئ لاستكمال عملية التعذيب بكل فنونه، والإهانات في الدين والعقيدة وإجبار المتهمين على القيام بأفعال غريبة كالنباح وتقليد أصوات الحيوانات ولعق الأحذية العسكرية وتقبيل صور رموز




النظام والشتم والتهديد بالاغتصاب والتعرض لذويهم أو القتل، وكل ما لا يخطر ببال المرء يكون في ذلك التحقيق.. ومن ثم يخيرونهم بين العمل (مُخبراً) لحسابهم أو التعري الكامل أو الاعتقال وخصوصاً النساء، والقاسم المشترك هو إصدار أمرٍ بعدم الإفصاح عما جرى وإلا.... ويكون ذلك وهم يقومون بتصوير المتهمين بهواتفهم النقالة وبطريقة استفزازية واستمتاع علني منهم بهذه الممارسات.

## ■ شهادة عاملة

روت عاملة صحية في مجمع السلمانية الطبي لـ (مرآة البحرين) ما تعرضت له من ظروف الاعتقال والتعذيب بالقول « في نيسان/أبريل تحققت مخاوفي، عندما جاء إلى منزلي أكثر من 30 رجلاً ملثماً ويحملون الرشاشات واقتادوني أمام ناظرَي ابني، الذي أُرغمتُ على تركه وحيداً. حيث تعرضتُ لإساءة المعاملة الجسدية والنفسية؛ فقد عصبوا عينيّ وقيدوا يديّ وانهالوا عليّ بالضرب بالأيدي والأرجل وأوسعوني صفعاً وضربوني بخرطوم الماء وصعقوني بالكهرباء».

وتتابع «كما هددوا باغتصابي وقتلي كي أعترف بتهم ملفقة، وتعرضتُ للتحرش الجنسي والإذلال، وخامرني شعور بالوحدة والخوف والخجل، وأحسستُ بأن كابوساً يجثم على صدري مرة تلو أخرى. وطوال الوقت كان يسأورني القلق وأفكر في مَن سيُطعم ابني ويعتني به».

توضح «بعد قضاء 22 يوماً في السجن استدعوني وقالوا لي إنه سيتم إطلاق سراحي بكفالة.. عندما رأيت ابني توقفنا دقيقتين قبل أن يهرع إلى حضني، فضممتُه إلى صدري وأجهشتُ بالبكاء». (1)

## ■ عسكرة الطابق السادس

العاملون في المجمع يؤكدون: «أن قوات الأمن احتجزت جناح 62 و63 اللذيْن كانا مليئيْن بالمصابين والجرحى، خصوصاً إصابات الرأس، ومنعت أي أحد يدخل إليهما إلا بإجراءات مشددة وتفتيش دقيق، وقد نقل بعض الشهود أن هذه العناصر تتسلى أثناء المناوبة الليلية بالاعتداء بالضرب على رؤوس هؤلاء الجرحى وتهديدهم بالقتل، كما هو الحال بالنسبة لبعض الأجنحة كالعناية القصوى- جناح 205، فإنك ترى عناصر الأمن تقف خارجها والتضييق على مرتاديها». (3)

هذه الحملة الانتقامية، أفصح أفراد الأمن والجيش عن أسبابها أمام المتهمين أثناء تعذيبهم، كان أهم هذه الأسباب هي نزولا عند مطالبات أغلبية الشعب بتطهير المجمع وتخليص الرهائن (حسب وسائل الإعلام المحلية) وأنكم أنتم من فضحتم الحكومة وشوهتموها بتصويركم للمصابين داخل المجمع وأثناء العلاج ونشر هذه التسجيلات على المواقع الإلكترونية والفضائيات وأن هذا (فبركة إعلامية) حسب تعبيرهم - وهم يردّون الآن بالمثل، ومن الأسباب أيضاً أن هذه الثورة لم تجعلهم يستمتعوا بأوقاتهم المعتادة وأصبحوا لا ينامون جيداً وأنه يجب الثأر الآن والرد على ذلك بالمثل أيضاً.. وإن هذا الحصار الذي حوّل المجمع إلى ثكنة عسكرية خلق عزوفاً ورعباً لدى المواطنين فضلوا فيها الذهاب للمستشفيات الخاصة وتلقي العلاج أو حتى الولادة خوفاً على سلامتهم.



■ **هوامش**

(1) العفو الدولية: شهادات من البحرين: اعتُقلت بسبب معالجتها الجرحى

4732/node/ar/org.bahrainrights.www://http

(2) شهادة الدكتور علي العكري.

408=id_?page/org.doctorsinchains.www://http

البحرين: الجيش والشرطة يطلقان النار على المتظاهرين.

3-18/02/2011/news/ar/org.hrw.www://http

(3) شهادة الدكتور علي العكري لهيومن رايتس ووتش: عاملون بالمجال الطبي يصفون التعرض للتعذيب أثناء الاحتجاز.

21/10/2011/news/ar/org.hrw.www://http

البحرين: ضرب واحتجاز المتظاهرين الجرحى، يجب أن يتوقف استهداف المرضى المصابين في الاحتجاجات

6-30/03/2011/news/ar/org.hrw.www://http



# الانتفاضة البحرينية بالأرقام

إعداد: راني أميري – ٢٩ ديسمبر ٢٠١١

سكان البحرين: 1.2 مليون

عدد المواطنين: 535،000

النسبة المئوية مِنْ المواطنين الشيعة المسلمين: 70 %

النسبة المئوية للشيعة في الحكومة: 13%

عدد المناصب العالية التي يشغلونها في وزارة الدفاعَ، و وزارة الداخلية، ووزارة شؤون مجلس الوزراء، والحرس الوطني، والدفاع الأعلى والبلاط الملكي: 0

النسبة المئوية في وزارة المالية: 10%

النسبة المئوية في وزارة الإعلام: 6 %

النسبة المئوية في السلطة القضائية: 5 %

المستخدمون في جهاز الأمن الوطني الـ1،000، النسبة المئوية -غير البحرينيين: 64 %

النسبة المئوية للبحرينيين الشيعة: أقل مِنْ 5 %

قوّات الأمن الخاصّة الشبه عسكرية الـ20،000، النسبة المئوية لغير البحرينيين: 90 %

النسبة المئوية للبحرينيين الشيعة: 0 %

عدد البحرينيين المُنتخبين مِنْ كُلّ الطوائف والمتبوئين مقاعد مجلس الشورى – ذوي النفوذ: 0 %

الاحتجاجات المناصرة للديمقراطية بَدأتْ في البحرين كجزء مِنْ الربيع العربي: 14 شباط/فبراير 2011

الناس الذين خَرجوا إلى الشوارع: 300،000

المكافئ النسبي لو عَملَ المصريون على نفس النمط: 40 مليون

دليلٌ أن إيران حرّضتْ على التظاهرات: 0

اليوم الذي غَزتْ فيه السعودية لقمع الانتفاضة:14 آذار/مارس 2011

عدد القوات السعودية والإمارات العربية المتحدة والقوّات القطرية التي وَصلتْ على المدرعات: 1،500

المواطنون الذين قَتلوا منذ 14 شباط/فبراير: 50

الوفيات نتيجة الغاز المسيّل للدموعَ داخل البيوت السكنية أَو - طلقاً بالرصاص الانشطاري (سلاح صيد الطيور- الشوزن) ومن مدى قريب: 30

عُمر الضحيّة الأصغر: 5 أيام

الاعتقالات التعسفية: 1،500
المدنيون الذين حُكِموا بالمحاكم العسكرية: 208
الأطباء الذين حُكموا بتهمة المعالجة الطبية للمتظاهرين: 20
أحكام السجن المتراكمة التي جُمعتْ: 2،500 سنة
حالياً، المواطنون المتهمون بانتهاك حرية التعبير أو قوانين التجمعات: 1،000
الحالات الموثّقة للتعذيب والمعاملة السيئة منذ أن بَدأتْ الثورةَ: 1،866
تحميل المسؤولية للمسؤولين البحرينيين لحالات القتل أو استعمال التعذيب المنهجي: 0
المساجد المدمرة: 40 وأكثر
الصحافيون الذين تم استهدافهم: 90 وأكثر
العاملين الذين فُصلوا لمناصرتهم، أو مشاركتهم أو الاشتباه بمشاركتهم في النشاطات المناصرة للديمقراطية: 2،710
الطلبة الجامعيون الذين طردوا لنفس الأسباب: 477
سجناء الرأي: 500
رتبة البحرين بين البلدان في السجناء السياسيين لكل فرد: الأولى
مبيعات الأسلحة الأمريكية المُقتَرَحة إلى البحرين: 53 دولار مليون
السَنَوات التي حَكمَت عائلة الخليفة البحرين: 228

**المصدر:**

1- «http://original.antiwar.com/rannie-amiri/2011/12/28/the-bahrain-uprising-in-numbers/»

2- http://abdulhadikhalaf.wordpress.com/2011/12/30/the-bahrain-uprising-in-numbers



# الفصل الثاني
# الشهادات



## من شقته المطلة على دوار اللؤلؤة

## توني ميتشل:

**"إنهم يستحقون أكثر من ملكهم وأن يعيشوا في مجتمع حر وديمقراطي"**

**يعرف نفسه، بأنه أسترالي يعيش حالياً في تايلند. كان مدرساً للغة الإنجليزية في البوليتكنيك في البحرين قبل إقالته من العمل بعد نشر الفيديو الأول لانتفاضة شباط/فبراير على موقع يوتيوب وكتابة تعليقات حولها في فيس بوك، والتي لا يأسف عليها.**



إنه داعم بقوة للمتظاهرين البحرينيين الذين يسعون ببساطة للديمقراطية في بلدهم، بحيث يمكن في نهاية المطاف أن يكون لهم رأي في إدارة البحرين وفرص حياة أكثر عدلاً لأنفسهم وعوائلهم. العائلة الحاكمة في البحرين لا تمتلك حالياً سوى 30 ٪ من المؤيدين من الشعب، ولهؤلاء الناس تذهب لهم صفوة الوظائف والامتيازات. تتألف الحكومة في البحرين من وزراء يختارهم الملك شخصياً وليس الشعب، ومعظمهم من عائلته. رئيس الوزراء هو عم الملك، ويتولى هذا المنصب منذ أربعين عاماً. يتم تزوير البرلمان البحريني بحيث إن المعارضة لا يمكنها أن تحقق أغلبية كاملة.

صدر مؤخراً عن اللجنة المستقلة لتقصي الحقائق في البحرين تقريراً كشف عن سلسلة من انتهاكات حقوق الإنسان التي تحدث في البحرين بما في ذلك التعذيب والاعتقال والسجن غير القانونيين والمحاكمات في المحاكم العسكرية. ولم تجد على الإطلاق أي تورط لإيران في أي من الاحتجاجات السلمية التي جرت والتي لا تزال تجري في البلاد. في المقابل، اعترف الملك فقط بأنه "قد ارتُكبت أخطاء" ولم تكن حتى لديه اللباقة للاعتذار لشعبه في سوء الإدارة الصارخ لمملكته. أخيراً، ذكر أنه على الرغم من أن اللجنة لم تجد أي صلة لايران إلا أنه لا يزال يعتقد أن إيران متورطة.

عشت في البحرين لمدة ثلاث سنوات وأنا أفتقدها بشكل محزن وأحس بمعاناة شعبها الرائع الذي لا يزال يعيش في خوف دائم. إنهم يستحقون أكثر من ملكهم، كما أنهم يستحقون أن يعيشوا في مجتمع حر وديمقراطي.

### ■ عيد الحب

لقد بدأ مشواري مع يوم عيد الحب (الاثنين 14 شباط/فبراير 2011 م). يوم الاثنين

أكون عادة متواجداً في العمل، إنني أعمل في كلية البحرين للبوليتكنك مدرساً للغة الإنجليزية، وفي هذا اليوم والذي صادف إجازة منتصف الفصل، كنت قد خططت أن أقضي يوماً هادئاً مع زوجتي في شقتنا التي تتواجد في الدور العاشر من أبراج اللؤلؤ.

في الأشهر السالفة والتي قادت إلى هذا اليوم كان هنالك الكثير من الحراك السياسي في تونس ومصر، حيث تمت تنحية حكام كانوا يعيشون خارج الزمن. اكتشفت من خلال (فيس بوك) أن هناك حركة احتجاج (في البحرين)، أُعِدَّ لها أن تكون في دوار اللؤلؤة، وكنت منتظراً ما الذي سوف يحدث ؟... إنني خجل نوعاً ما وأعترف الآن أنني خلال تلك الأيام لم أكن أعرف أن دوار اللؤلؤة هو ذلك الدوار المثير للإعجاب، مع نصب اللؤلؤة الكبير وهو الدوار القريب من المبنى الذي أقيم فيه. فشقتنا تطل كذلك على مجمع الدانة التجاري، وأسواق اللولو توجد داخل مجمع الدانة، وكنت أعتقد أن الاحتجاج سوف يكون في الدوار الصغير، الواقع لدى مدخل مجمع الدانة، ولذلك فقد بقيت أراقب من شقتنا ما الذي سيحدث؟

بعد برهة، لاحظت وجود أعداد كبيرة من سيارات الشرطة رباعية الدفع في الساحة الكبيرة والخالية المواجهة لمجمع الدانة، لم يمض وقت طويل حتى سمعت أصوات انفجارات قوية، والكثير من الدخان الأبيض، اتضح لي أن الشرطة كانت تحاصر مجموعة من الناس في شارع جانبي، بالقرب من الدوار المؤدي لمجمع الدانة، وافترضت أن هؤلاء الناس هم نفس أولئك الذين دأبوا على إشعال الحرائق بالإطارات في المنطقة المحيطة بالسنابس (وهي أقرب منطقة إلى مجمع الدانة ودوار اللؤلؤة). بالنسبة لي بدا الأمر كما لو أنهم فجروا بعض القنابل الدخانية، وفروا بسرعة. وكما بدا أن الأمر ليس بذي أهمية كبيرة. ومع مضي الوقت تلاشى الدخان... ولم يبق أحد، وغادرت سيارات الشرطة المنطقة. أدركت لاحقاً أن هنالك الكثير من الاحتجاجات المشابهة في أنحاء مختلفة من البحرين في ذلك اليوم. والتي أدت إلى مصرع أحد المحتجين. ذلك ما كان يفسر تواجد الشرطة الضئيل العدد إلى حد ما بالقرب من محل إقامتنا.

## ▪ 80 مركبة

في ذلك اليوم أحصيت من خلال نافذة شقتنا ما لا يقل عن 80 مركبة رباعية الدفع تابعة للشرطة، وقد تمركزت في المساحة الكبيرة المواجهة لمجمع الدانة. دوار اللؤلؤة (ليس ذلك المفضي لمجمع الدانة) كان قد تم قطعه عن الشوارع المؤدية إليه، وكان محاطاً بالشرطة. كنت أستطيع أن أرى من مواقف السيارات المفتوحة في الطوابق الثلاثة السفلى من أبراج



اللؤلؤ أن لا أحد يستطيع الدخول أو الخروج من الدوار، وكان رجال الشرطة يُرجعون أي سيارة متجهة لناحية الدوار من شارع السيف، وكان هنالك الكثير من الازدحام المروري على الشوارع المحيطة، كان واضحاً أن الشرطة لم تكن ترغب في وجود أحد بالقرب من الدوار. سيارات الشرطة المتوقفة في المساحة المفتوحة توزعت إلى مجموعات من عشر مركبات، وكانت تهم بالخروج من الموقع في اتجاهات مختلفة (اتضح لي لاحقاً أن تلك السيارات كانت تتوجه إلى القرى الشيعية المختلفة، حيث كانت تتصادم مع المتظاهرين) وبعيداً عن الإرباك المروري حولنا كان اليوم هادئاً بدون حوادث.

الصورة أعلاه توضح قرب شقتي من دوار اللؤلؤة. شقتي كانت في البناية اليسرى، حيث كنت أسكن في الدور العاشر. الأدوار الثلاثة الأولى كانت مواقف سيارات حيث قمت بتصوير أفلامي.

اليوم التالي، الثلاثاء، 15 شباط/فبراير 2011 م كان غريباً إلى حد كبير. كنت لا زلت في إجازة من العمل ورأيت بعيني المئات من الناس يتدفقون باتجاه دوار اللؤلؤة حيث يوقفون سياراتهم في المساحات الواسعة المحيطة، ويترجلون حاملين الأعلام البحرينية. توجهت فوراً إلى موقف السيارات في محل إقامتنا لأنظر مباشرة للدوار، اختفت قوات الشرطة بالكامل، وكان المكان يعج بالناس، بدا المزاج العام للناس أنهم مبتهجون بوجودهم هناك، وخلال فترة قصيرة أصبحت هنالك خيام... ميكرفونات... منصة إلقاء.. وحتى كنبات، أدركت لاحقاً أن آلة لتحضير الفشار (النفيش) قد نصبت هناك. وكنت متفاجئا أن أرى الكثير من النساء اللاتي يلبسن عباءاتهن السوداء يتواجدن

بجانب الرجال يهتفن وينشدن. وبشكل سريع كان هنالك الكثير من الناس إلى درجة أن السيارات لم يعد بإمكانها استخدام الشوارع الجانبية. ورغم كل ذلك كان المزاج العام سلميا هادئا، ورغم أنني لم أدرك بعد ماذا يحصل إلا أنني كنت أشعر بالأمان، ولم أشعر بتهديد إطلاقا. ومع تنصيب الكثير من أنظمة التخاطب الجماعي كنا نستطيع سماع الأغاني والهتافات والخطابات (كلها بالعربية بالطبع) من شقتنا، وفي المساء يأتي المزيد والمزيد من الناس وخاصة العوائل. الأصوات (لا أحب أن أسميها ضجيجاً) استمرت حتى وقت متأخر من الليل، وكنت متفاجئاً أن أرى الكثير من الشباب الذكور كانوا قد نصبوا الخيم، وكانوا يمضون الليل هناك.

"احتلال" دوار اللؤلؤة استمر لليوم التالي، يوم الأربعاء، وأعداد الناس تضخمت بشكل كبير، كل بوصة مربعة من الدوار كانت محتلة من قبل الناس، وظهرت مدينة صغيرة من الخيم، وقد أعدت منصة للإلقاء، وكان اليوم مليئاً بالخطب والأناشيد والهتافات. كانت المشروبات والمأكولات توزع على الناس، والتواجد النسائي كان مرة أخرى لافتاً. كان المساء يجلب الأعداد الأكبر من الزوار، حيث العديد من العوائل تصل الدوار لتشارك في الاحتجاجات السلمية، وكانت المنطقة لاحقاً تتجه للهدوء حيث المزيد من الناس - أكثر من اليوم السابق - يتجهون للمبيت هناك.



في تمام الساعة الثالثة صباحاً، يوم الخميس 17 شباط/فبراير أيقظتني زوجتي لتخبرني أن شيئاً ما كان يحدث في الدوار، كنا نسمع أصوات انفجارات قوية (كتلك التي سمعتها في يوم 14 شباط/فبراير) حتى من خلال نوافذنا المغلقة، وكانت السيارات تهرع خارجة من المواقف المحاذية للدوار، وكان هنالك الكثير من الناس يخرجون راكضين بعيداً. لبست سريعاً، وتناولت كاميرا الفيديو، وهرعت إلى المصعد، لا أستطيع أن أتذكر، لماذا أخذت معي كاميرا الفيديو؟!.. ربما لأنني استشعرت أهمية توثيق وتصوير ما يحدث، أو لأنني لسبب غامض كنت أعلم أن شيئاً سيئاً كان يحدث. خلال إقامتي في أستراليا وتايلند وعُمان لم أكن واجهت أي نوع من الانتفاضات أو الاحتجاجات من قبل، ولم يحصل لي أن شهدت شخصياً استخدام الغاز المسيل للدموع، ولذلك أظن أنني كنت أريد أن أسجل ذلك. لكن شيئاً ما أخبرني أن الأمر لن يكون موقفاً بسيطاً عن طريق دعوة الناس بأسلوب راقٍ لحزم أمتعتها والبعد عن الدوار. كنت أدرك أنه سوف يكون أمراً سيئاً.

## ■ رائحة الغاز

عندما وصلتُ للدور الثالث، حيث موقف السيارات في البرج الذهبي، في أبراج اللؤلؤ اصطدمت مباشرة بالرائحة الغريبة للغازات المسيلة للدموع، لم تكن قوية بالدرجة التي تعيقني أو تعيق زوجتي التي كانت ترافقني، وبدأت التصوير. رأيت مجموعات كبيرة من قوات مكافحة الشغب الذين يلبسون القبعات البيضاء، والناس - كانوا كلهم رجال على حد ما كنت أرى - كانوا يحاولون البقاء والمقاومة. رأيت الغازات المسيلة للدموع تطلق ورأيت وهجها وهي تصطدم بالأرض، وبالتالي إطلاق محتواها من الغاز. إنفجارات أخرى قوية كانت تتوالى، اكتشفت لاحقاً أن تلك كانت قنابل صوتية، والتي كانت أشد صخباً من قنابل الغاز المسيل للدموع، وللأسف اكتشفت أن طلقات نارية كذلك أطلقت، وعرفت فيما بعد أن أربعة رجال قد قتلوا. وبالرغم من سُحب الدخان والفوضى لم أرَ محتجاً وحداً حاملاً أي شيء أو متشاجراً مع الشرطة بأي شكل كان.

انتقلنا إلى موقع آخر في موقف السيارات، وصورنا المزيد من الناس يهرعون إلى سياراتهم بعيداً عن الدوار باتجاه مجمع الدانة، كانت الشرطة تلاحقهم، وكانوا لايزالون يطلقون الغازات المسيلة للدموع. أفراد قلة من المتظاهرين كانوا يحاولون البقاء تحدياً لقوات الشرطة، ولكن كثافة الغازات أجبرتهم على الانسحاب والتواري. ما أسرع أن هبت على مكاننا الغازات، وبدأت أعيننا تحرقنا من أثر الغازات، اعتقدت أن تهيج العين سوف

يتلاشى، ولكن حتى في موقف السيارات المفتوح ظلت الغازات متركزة بصورة حادة، ومن ثم غادرنا موقف السيارات عائدين إلى شقتنا. كانت تلك التجربة الأولى لي مع الغاز المسيل للدموع والتي لا أنصح بها. لا يجدي نفعاً إغلاق عينيك أو دعكهما، والشيء الوحيد الواجب عمله حينها أن تنسحب وتبحث عن مكان تلتجئ إليه.

بعد وصولنا لشقتنا بدأت أعيننا تعود لحالتها الاعتيادية والطبيعية، وبدأت بعدها فوراً في تحميل أفلام الفيديو التي صورتها إلى يوتيوب. لماذا فعلت ذلك؟... حينها لم أكن أدرك لماذا؟ لكنني الآن أدرك السبب، كنت في غاية الانزعاج والغضب، لم أكن متوقعا ذلك الفعل من حكومة كنت معتقداً أنها تنشد التطور وبرؤية مستقبلية، الأداء الذي رأيته من قِبل الشرطة وقوات مكافحة الشغب كنت أسمع عنه فقط في أوروبا الشرقية الشيوعية، عندما كنت صغيراً، وذلك أكد لي ما رأيته بشكل مقتضب في يوم عيد الحب (14 شباط/ فبراير)، بأن قوات الأمن كانت تنظر للمتظاهرين كشيء ينبغي إخضاعه بأسرع وقت ممكن.

قمت بتحميل كل ما لدي من أفلام، وبقيت مع زوجتي أشاهد آخر المتظاهرين وهم يخلون المكان مشياً على الأقدام، حيث كان من المستحيل أن يغادروا المكان بسياراتهم دون أن تنالهم يد الشرطة. كان واضحاً أن قوات الأمن لم يكونوا سعداء بإخلاء المكان فحسب، بل كانوا مصممين حتى آخر لحظة على إصابة أكبر عدد ممكن من المعتصمين. الأعداد الأخيرة من المعتصمين تراجعوا إلى الشوارع المحيطة بالسنابس، ومع ذلك لازالت الانفجارات تتوالى على الرغم من أن الهدف الأساسي من إخلاء الدوار قد أُنجز.

كان من الصعوبة بمكان أن تخلد إلى النوم بعد هذه المشاهد الوحشية، وكنت لا أزال



حزيناً ومستشيطاً غضباً على ما رأته عيناي. حأولت تتبع الأحداث من خلال التعليقات على فيس بوك، وكنت متفاجئا أن الكثير من أصدقائي (الكثير منهم طلاب في كلية البوليتكنك) قد شاهدوا الفيديو على يوتيوب، وكنت كذلك متفاجئاً من رسائل الشكر التي وصلتني، والكثير من الطلاب كانوا ينقلون عبارات الشكر من والديهم إليَّ، حينها لم أكن مستوعباً بعد أهمية ما فعلت، وكذلك استلمت رسائل تحذير لأكون حذراً. أكدت لأصدقائي أني بوضع آمن، وأن العنف قد انتهى، ولكني واصلت تلقي رسائل التحذير بأنني قد أُعتقل إذا لم أكن حذراً. من وجهة نظري لم أقم بعمل خاطئ، وأنني صورت بكاميرتي عملية ناجحة لقوات الأمن (وإن كانت بقسوة ووحشية)!!.. ولذلك فعلى الحكومة أن تكون مشجعة وداعمة، أليس كذلك ؟!... إلا إذا كانت بطبيعة الحال لا تريد أحداً أن يعلم حقيقة ما جرى.

## ■ إخلاء الدوار

خلال يوم الخميس كان الدوار قد أُخلي بشكل سريع من كل ما تركه المعتصمون هناك. السيارات الكثيرة والتي تُركت من قبل أصحابها سُحبت بواسطة أسطول من شاحنات سحب السيارات. الكثير من تلك السيارات كانت مفرملة بالكابح اليدوي أو ناقل الحركة فيها كان معشقاً، ولذلك كان يسمع صوت الإطارات وهي تصدر أصوات احتكاكها بالأسفلت أثناء سحب تلك السيارات. السيارات التي تُركت في أطراف الشارع كانت لها الأولوية في الإخلاء، وقد استمرت هذه العملية طوال النهار وامتدت إلى الليل.

في الأيام التي تلت تلك الهجمة وإخلاء الدوار، تم الاتصال بي من قبل السي إن إن والبي بي سي بواسطة البريد الإلكتروني طالبين مني الإذاً في استخدام أفلام الفيديو التي أرسلتها إلى يوتيوب، وقد أذنت لهم على الفور، في نظري كلما زاد عدد المشاهدين لتلك الأفلام كان ذلك أفضل. إحدى وكالات الأنباء في الولايات المتحدة أرادت مني أن أعطيها حقوقاً حصريةً لاستخدام أفلام الفيديو، الأمر الذي رفضته. لاحقاً، غمرتنا (أنا وزوجتي) حالة من الفرح والنشوة عندما رأينا الفيديو الذي صورته كجزء من تقرير البي بي سي المميز حول ما حدث.

في الأثناء كل المنطقة حولنا تمت محاصرتها من قبل قوات الأمن، باعثين برسالة ضمنية بأن المعتصمين ليس مرحباً بهم للعودة ثانية للمكان. وتلقيت رسالة من إحدى طالباتي، كانت حزينة للغاية وخائفة بعد رؤية مجموعة من الدبابات على ظهر شاحنات نقل

المدرعات، تمر أمام منزلها، ومتوجهة إلى المنامة (العاصمة، ملاصقة مباشرة لدوار اللؤلؤة). كانت مصرة على ما تقول، وبالفعل في صباح اليوم التالي كان هنالك طابور من حاملات الجند المدرعة والدبابات تشق طريقها باتجاهنا وبشكل بطيء على امتداد الشارع السريع (فيلم الفيديو الذي صورته وجد طريقه سريعاً للبي بي سي).

بعد ذلك كان هناك تواجد أمني وعسكري كبير في المنطقة المجأورة للدوار. باشر الجنود إقامة معسكرات (كما فعل المعتصمون) مع وجود مولدات للطاقة الكهربائية وشاحنات نقل الماء، وكما يبدو أنهم كانوا يعدون للبقاء لفترة طويلة. الغريب أن منطقة توقف سيارات المعتصمين قد حلت محلها الدبابات والمدرعات، وكذلك فإن منطقة مواقف السيارات هذه قد أُحيطت بسياج من الأسلاك الشائكة كما لو كان التواجد الأمني والعسكري الكثيف لا يكفي لردع المحتجين عن العودة، وكان كل ذلك رسائل قوية لمن تحدثه نفسه بالعودة للدوار. رغم كل ذلك قررت أنا وزوجتي التوجه مشياً إلى مجمع الدانة حيث كنا بحاجة لشراء بعض الأطعمة. كان الكثير من سيارات المحتجين لايزال قابعاً على أطراف الممشى، أصحابها قد تركوها على عجل لينجوا بأنفسهم. جميع السيارات كانت مهشمة النوافذ. واصلنا طريقنا إلى المجمع ذهاباً وإياباً دون مشاكل، وعدنا لمواصلة مراقبة الوضع من خلال نوافذ شقتنا، وكذلك من خلال الزيارات المنتظمة إلى أدوار مواقف السيارات.

## ■ 18 فبراير

في يوم الجمعة 18 شباط/ فبراير، بعد الظهر، اكتشفت من خلال رسالة على فيس بوك بأن مجموعة كبيرة من المتظاهرين كانوا متوجهين من مجمع السلمانية إلى دوار اللؤلؤة. مجمع السلمانية أضحى مأوى للكثيرين ممن قد أُصيبوا ومأوى لعوائلهم وأصدقائهم، حيث إن مجموعة من الطواقم الطبية ومساعديهم قد اتهموا لاحقاً، وقبض عليهم بسبب مساعدتهم للمحتجين وعلاجهم، على حساب المرضى المؤيدين للحكومة (حسب الادعاء الحكومي). توقعت من خلال تلك الأخبار أن يكون هنالك المزيد من العنف، ولذلك هرعت إلى موقف السيارات ونقطة المراقبة للأحداث من هناك، ولكن مدى رؤيتي للمتظاهرين قد حُجبت بسبب وجود الأشجار.

قمت بتقريب الصورة باستخدام كاميرا الفيديو لدي، وتمكنت من رؤية رجال وبعض السيارات وهم يتقدمون نحو الدوار، والذي كان يحرس آنذاك بالعربات المدرعة وعدد غير معقول من مركبات الشرطة. الجنود المسلحون كانوا يتوارون خلف حواجز بالقرب

من المركبات المدرعة. وللمرة الثانية، ومن خلال المنظار المكبر لم أر أياً من المحتجين مسلحاً بأي صورة من الصور. ولكن فجأة كان هنالك صوت يصم الآذان لرشقات من الرصاص أطلقت من جهة الدوار، وبدون الكاميرا كنت أرى المحتجين وهم يرجعون راكضين إلى جهة مجمع السلمانية. أدركت لاحقاً أن عدداً من المحتجين قد أصيبوا جراء تلك الطلقات، وقد أخبرت من قِبل طلاب مساندين للحكومة بأن تلك الإصابات لم تكن سوى أمر مفبرك وخادع.

في الواقع لم يكن هذا الكلام معقولاً بالنسبة لي. قوات الأمن لجأت مرة أخرى لنفس التكتيك السابق باستخدام الغازات المسيلة للدموع وملاحقة المحتجين بعيداً عن المنطقة. بقيت المركبات المدرعة مكانها، ولكن مركبات قوى الأمن انطلقت بسرعة لملاحقة المحتجين. خلال هذا الحدث طلب مني موظفو المجمع السكني (أبراج اللؤلؤ) عدم استخدام كاميرا الفيديو التي بحوزتي أو أي كاميرا، وأن أذهب إلى الداخل من أجل المحافظة على سلامتي. الموظفون (وبالدرجة الأولى المنظفون) أخبروني بأنه قد طلب منهم أن يخبروا القاطنين بأن لا يصوروا وأن لا يتواجدوا في موقف السيارات، تجاهلت تلك النصيحة بشكل تلقائي.*

*الحلقة الأولى مما نشره توني ميتشل على مدونته:

http://tonydmitchell.wordpress.com

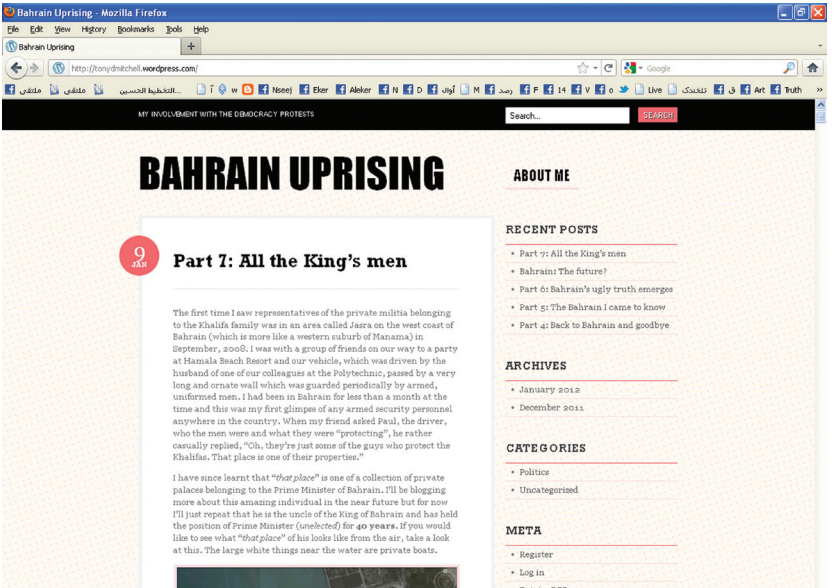



# عندما تُجري جراحة في المخ بينما كلب بوليسي يشم قدميك

## طه الدرازي:
## استشاري جراحة الدماغ والأعصاب

**الروح الإنسانية تحتاج للجمال الحقيقي أكثر من حاجتها للخبز.**

**ديفيد هربرت لورانس**

**حين يوسم نصف الشعب بالخيانة، ليس هناك فرق بين أن تكون استشارياً جراحاً أو عامل نظافة، الجميع متسأوٍ أمام الانتهاك، الجميع في لا إنسانية الواقع القبيح. لكني أقدم هنا مقتضباً عن سيرتي المهنية، لأنها جزء من شهادتي التي لا بد أن أسردها على أرض هذا الواقع.**

استشاري جراحة دماغ وأعصاب. أستاذ مساعد في كلية الطب - جامعة الخليج العربي، خريج جامعة البصرة - العراق عام 1980. أحمل بالاضافة إلى شهادة الباكالوريس شهادة المجلس العربي للاختصاصات الطبية في الجراحة، شهادة الكلية الملكية للجراحين في أيرلندا، شهادة الكلية الملكية للجراحين في أدنبره، دبلوم إدارة الرعاية الصحية من الكلية الملكية للجراحين في أيرلندا ووزارة الصحة في البحرين.
الرئيس الحالي لرابطة العلوم العصبية البحرينية. الأمين المالي للجمعية العربية لجراحة الأعصاب. مندوب البحرين والجمعية الخليجية لجراحة الأعصاب في الفيدرالية الدولية لجمعيات الجراحة العصبية. عضو مؤسس ورئيس سابق للجمعية الخلجية لجراحة الأعصاب. مؤسس ورئيس سابق لقسم العلوم العصبية بمجمع السلمانية الطبي. مثّلت البحرين في جميع مؤتمرات جراحة الأعصاب الخليجية والعربية والدولية. لدي بحوث في مجال جراحة الأعصاب نشرت في مجلات دولية وعربية ومحلية. أول من أدخل جراحة مناظير الدماغ وجراحة الأبعاد الثلاثية للدماغ في البحرين. نظمت المؤتمر الخليجي الأول لجراحة الأعصاب في البحرين، والعديد من الندوات المحلية.
كُرمت في العديد من المؤتمرات التي شاركت فيها، لكنني لم ألق تكريماً داخل البحرين التي عملت فيها لمدة 30 عاماً. التكريم الوحيد الذي تلقيته هو توقيفي عن العمل ابتداء من 5 مايو الماضي وحتى تاريخ كتابة هذه الشهادة في نهاية ديسمبر 2011.

## ■ داخل الحدث..

لم أكن داخل البحرين عندما بدأت حركة 14 فبراير، كنت أزور أبنائي في بريطانيا، قرأنا جميعاً الدعوات التي انتشرت في الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ظننا أن الأمر لا يعدو حماساً سيفضّه الأمن سريعاً، لكن الأمور تطورت إلى ما هو أبعد وأخطر. أحداث تونس ومصر، يبدو أنها لم تحرك حماس الشباب فقط، بل ألهبت شجاعتهم وتصميمهم وإرادتهم، زادتهم إيماناً أن لحظة التغيير قد حانت، وأنه لا بد من التضحية. فاجأتني الأحداث المتسارعة والمتصاعدة، كنت أتابع التطورات عن طريق الإعلام ووسائل الاتصال، توقعت أن يتم تفريق المتظاهرين لكن صدمت من القوة المستخدمة التي وصلت حد القتل. عدت البحرين يوم السبت 19 فبراير، بعد الهجوم الأول على الدوار، وصلت على أعقاب عاصفة ذلك اليوم الأسود، من فوري ذهبت إلى مجمع السلمانية لتقديم ما يمكنني من مساعدة طبية، كانت الأمور قد تم السيطرة عليها، وتم سحب الجيش من الشوارع، والناس عادت إلى اعتصامها في الدوار.

لسنا سياسيين، نحن مهنيون، لكن الطب بلا إنسانية كالصلاة بلا وضوء، دورنا المهني والإنساني كان هو ما جعلنا في قلب ثورة 14 فبراير. كتبت على صفحتي في تويتر منذ أيام بأن الأطباء الذين من لم يشاركوا في علاج الجرحى خلال هذه الأزمة يجب أن يراجعوا قَسَمهم. كاستشاريين كنا نتواجد داخل المجمع لأيام متواصلة لمتابعة الإصابات والحالات البليغة، ونتوقع وصول حالات طارئة في أية لحظة، ولأنني استشاري جراحة أعصاب، كنت أشعر خلال الأزمة أن تواجدي في المجمع هو الأهم، خاصة أن معظم الضربات كانت توجه للرأس. في العادة ننتهي من عملنا الساعة الثالثة ونغادر، لكن في الأزمة حرصنا على التواجد 24 ساعة.

## ■ وطن أجمل..

شاركت مع الكادر الطبي في المسيرات والاعتصامات والأنشطة التي أقيمت عند الدوار، ووقفت ضد موقف وزير الصحة، وشاركت العريضة التي طالبت بإقالته.

كانت مشاركتنا في غير أوقات دوامنا الرسمية، نحن مواطنون قبل أن نكون أطباء، ولنا حق الحلم بحياة جميلة، ليس من أجل الخبز وحده تثور الشعوب، بل من أجل كل الأشياء الجميلة التي يفتقدها إنسانها: الحرية والعدالة والكرامة والعزة والمسأواة والديمقراطية والسيادة. فـ"الروح الإنسانية تحتاج للجمال الحقيقي أكثر من حاجتها للخبز". نعم، شاركنا في الحلم بوطن أجمل. كنت ألغي بعض من أوقات عيادتي الخاصة أحياناً لأشارك في بعض الفعاليات، لكن ليس على حساب وقت دوامي الرسمي.

إدارة المجمع كانت سلبية طوال فترة الأحداث، لم تتمكن من إدارة الأزمة، صارت شكلية. كنا نريد ككادر طبي أن نخلي المسؤولية عن أنفسنا، لكن ماذا تفعل إن لم يكن لديك إدارة، لابد أن يخرج البعض ليقوم بتنظيم العمل ولو من الناحية اللوجستية، كان هذا ما حدث، كان لا بد من التعامل مع الحالات الطارئة التي ترد المجمع.

## ■ الأيام الصعبة..

عشت الأيام الصعبة التي سبقت 16 مارس مباشرة. مع تصاعد الوتيرة مجدداً مع حدث المرفأ والجامعة ويوم سترة، كنت هناك عندما دخل الإسعاف بالشهيد أحمد فرحان في أول أيام السلامة الوطنية، شاهدت المنظر المفجع، قمت بتصويره بنفسي، كنت قوياً ومتماسكاً. كأطباء، لم يكن غريباً علينا أن نرى منظر الدم والحالات الصادمة. بالنسبة لي لدي تجربتي في غزة وفي بلفاست، رأينا مشاهد دموية كثيرة في 2009، وعالجنا



حالات خطيرة كثيرة. الفرق أننا هنا نعمل بعاطفة مختلفة، هؤلاء أبناء شعبنا، يقتلون أمامنا من قبل رجال أمن أجانب داخل بلدنا، ربما كان هذا سبب حالات الانهيار التي كان يعيشها بعض الطاقم الطبي من أطباء وممرضين ومسعفين، حتى أن البعض لم يتمكن من السيطرة على نفسه والمساهمة في المعالجة، إنها العاطفة الخاصة والشعور بالغبن، لكن غالبية الكادر الطبي كان قوياً وعملياً رغم بشاعة ما شهد.

عندما تمت مهاجمة الدوار من قبل الأمن في 16 مارس، خرجت من البيت الساعة السادسة والنصف، فوجئت أن جميع الشوارع مغلقة برجال الجيش والأمن، لن أتمكن من الوصول إلى السلمانية، توجهت من فوري إلى مركز البديع الصحي، حيث هو الأقرب بالنسبة لي. وصلت وقد سبقتني بالوصول إصابات كثيرة عن طريق السيارات الخاصة التي نقلت الجرحى والحالات، بعضها لم يكن ممكناً علاجها في المركز حولناها لمجمع قوة الدفاع، لم يُسمح لمجمع السلمانية الطبي باستقبال أي حالة. بعض الجرحى تمكنا من علاجهم وصرفهم سريعاً، وبعضهم نصحناهم أن لا يذهبوا السلمانية؛ لأنهم قد يعتقلون من هناك. الأشخاص الذين كانوا ينقلون الجرحى إلى مجمع قوة الدفاع يتم اعتقالهم هناك والجرحى أيضاً. لم أغادر المركز إلا اليوم التالي، قضينا ليلة عصيبة هناك، حيث كنا ننام في الليل على الأرض وأحياناً على المقاعد المعدنية المعدة لجلوس المراجعين.

## ■ إذلال أقبح..

في اليوم التالي تمكنت من الذهاب لمجمع السلمانية، تم غلق جميع المداخل الرئيسية، ما عدا مدخل الطوارئ، بحيث لا يتمكن أحد من الدخول إلا من خلاله. هناك وقف العسكر، وجهاز أشعة، جميع موظفي المجمع كان عليهم أن يمروا من خلال هذا الجهاز، وتفتيشهم واحداً واحداً، صرنا طوابير انتظار. التفتيش يتم على مرحلتين: الأولى من قبل جنود أجانب من السعودية والإمارات وباكستان، يرتدون الازرق، يدققون في المقتنيات الشخصية وبطاقة الهوية والتلفون النقال ولديهم قوائم بأسماء وصور أشخاص مطلوبين. والثانيه مرورك حاف القدمين عبر جهاز الأشعة. عايشنا إذلالاً حقيقياً جعلني أستحضر معاملة هتلر لليهود عندما كان يوقفهم في طوابير الموت، وتذكرت عندما كنا نقف في طوابير عند معبر رفح من أجل الدخول إلى غزة. ستتعرض داخل بلدك ومحل عملك لأصناف من السخرية والاستهزاء أثناء التفتيش والعبور. ستعبر الجهاز حاف القدمين صامتاً فيما العساكر تركلك بأحذيتها الغليظة. سيسألك أحدهم؛ ما هذا الذي في جيبك؟ يشير إلى مصباح صغير تستخدمه لفحص عين المرضى، يقول لك: هذا شنو حامل لك صاروخ؟ يعثر آخر في جيب أحدهم كتاب دعاء صغير، يسخر: هذا ربك اللي تعبده؟ أصناف أخرى من الإهانات تتعرض لها لأول مرة في حياتك، تسمعها كلها ولا تجيب، ولا يحق لك أن تجيب.

عندما دخلت باحة الطوارئ ذهلت بما رأيت من مشهد، كانت العساكر تكتظ بالمكان



وآلات الجيش التي لم نألفها من قبل حتى في شوارعنا العامة، كلها داخل الحرم الصحي، كان كل شيء مبعثراً، الأرض مليئة بركام الخيام التي كانت منصوبة من قبل وكأن زلزالاً قد عاث في المكان خراباً. ومنذ دخولي ذلك اليوم لم أخرج إلا بعد 3 أيام في 20 مارس.

## ■ بمعية الكلاب..

منذ أن سيطر العسكر على إدارة مجمع السلمانية الطبي لم يُسمح بإحضار المصابين والجرحى من الخارج، جميع الحالات تنقل إلى المجمع العسكري كي لا يُعرف عنها شيء. لم يسمح لنا بالنزول إلى قسم الطوارئ. كنت خلالها أعاين المصابين الموزعين على الأجنحة والذين كانو يتعالجون في المجمع قبل 16 مارس. تم نقل جميع المصابين جراء الأحداث في جناح 63، وتمت محاصرتهم فيه. أغلق المدخل الشرقي له، وأُبقي على المدخل الجنوبي فقط، وضبط تحت حراسة مشددة، لم يسمح للأهالي أن يزوروا مرضاهم، ولا يمكن لأي من الكادر الطبي أن يدخل هذا الجناح إلا إذا كان مسؤولاً عن متابعة مريض. سيكون عليك في كل مرة أن تكتب اسمك ورقمك الشخصي واسم المريض. المكان الآخر الذي تم منع الزيارة عنه نهائياً وشددت عليه الحراسة هو قسم العناية المركزة والذي يضم عدداً من المصابين في حالات خطيرة.

الجرحى ممن تسمح حالتهم بالكلام يخبروننا صباحاً عما يحدث لهم في ظلام الليل في الجناح الذي سُمي بجناح الرعب 63، كيف يقتحمهم العسكر برفقة الكلاب البوليسية، ويخرجونهم من الغرف، ثم يضربونهم في أماكن إصاباتهم وأماكن جروحهم ويهينوهم بكلمات عنصرية. كنا نتحرك في المجمع بمحاذاة الكلاب، تدخل علينا غرف المنأوبة وغرف المرضى، بل صارت تقتحم علينا غرف العمليات، تلك الغرف التي لا تدخلها إلا معقّماً ومختصاً، صارت موطئاً للكلاب. هكذا سأجد نفسي يوماً، وفيما أجري عملية جراحية في المخ، أفاجأ بركل العسكر لباب الغرفة ودخولهم علينا، وسأجد كلباً يشمشم قدميَّ وأنا منهمك في عملية جراحية بهذه الخطورة. تكرر هذا لكثيرين، ينتهي الحال في كثير من الأحيان بالتهابات في الدماغ. كنا في ثكنة حرب.

لا يمكن أن ننسى كيف عشنا هذه الأيام، لن ننسى ما كنا نتعرض له من الركل والإهانات، وكيف كان يتم حصر مجموعة من الأطباء من مختلف التخصصات في واحدة من غرف الطوارئ لمدة ليلة كاملة، هكذا بلا سبب، لا يسمحون لهم بمغادرة الغرفة ولا العمل ولا معاينة المرضى، حتى إذا صار الصباح يُسمح لهم بالمغادرة.

## ■ ثم يختفون..

كنت أفاجأ باختفاء بعض مرضاي حين آتي لمعاينتهم، أسأل الممرضات الأجنبيات: أين فلان، يقال لي: أُخذ البارحة لا نعرف إلى أين. ينقل مرضانا دون استشارتنا ودون الرجوع للطبيب المتابع.

لدي جرحى أقوم بمعالجتهم، بعضهم كانوا في حالة غيبوبة مثل محمد عبد المهدي (19 عاماً) لديه كسر ونزيف يضغط على الجهة اليسرى من الدماغ، مما أدى إلى شلل في الجهة اليمنى من الجسم، مع فقدان النطق، اختفي من سريره فجأة. مريض آخر هو عبد الأمير غانم (37 عاماً)، لديه نزيف في المخ بسبب الشوزن والضرب المباشر على الجمجمة، أجريت له عمليتان، بعد أن نقل من العناية القصوى، أخذ إلى جناح 63، اختفي بعدها. مريض ثالث هو عزام عواجي، أجريت له عملية، وحين طاب جرحه، وسمحنا له بالمغادرة، اختفي عند بوابة الخروج.

الشهيد الشاب مجيد عبد العال (30 عاماً)، أصيب في 14 مارس بشوزن في الرأس، مما أدى إلى كسر في الجمجمة جهة اليمين مع تلف وأنزفة في الدماغ، وتجمع لقطع الشوزن في الدماغ، تعرض لالتهاب شديد في الدماغ، أجريت له ست عمليات جراحية



لتفريغ الصديد من الدماغ، كان في حالة غيبوبة على جهاز التنفس الصناعي حين اختطف. لم نعلم عنه أي شيء حتى أعيد لنا بعد شهرين جثة هامدة في 30 يونيو.
تمكنا من إنقاذ العديد من الجرحى ذوي الإصابات البليغة في الرأس وكانوا على وشك الموت. هناك من انتهى به الحال بإعاقة دائمة مثل السيد حسين العلوي (45 عاماً) من قرية الغريفة وهو رجل دين فاضل، فقد القدرة على النطق والمشي بسبب ما تعرض له من ضرب مباشر على الرأس بأعقاب البنادق والركلات وغيرها، أصيب بنزيف في الجهة اليسرى من الدماغ. عملت له جراحة قبل أن يختفي 5 أشهر منذ مارس ويُعاد إلينا في أغسطس. رفضت وزارة الصحة إرساله للعلاج. تم أخذه من قبل عائلته للتأهيل في مدينة الأمير سلطان للخدمات الإنسانية في السعودية، وهو بصدد العودة بعد إكمال 3 أشهر، فيما يحتاج إلى 12 شهراً للتأهيل.

## ■ ثم أُوقفت..

في 4 مايو، استلمت إخطاراً شفوياً بالحضور أمام لجنة التحقيق. استلمت الإخطار الكتابي أثناء جلسة التحقيق، التهم التي وجهت لي هي: الدعوة والاشتراك في الاعتصام، القذف والسب والافتراء وتشويه سمعة الأخرين، إساءة التصرف داخل وخارج مجال العمل، استغلال الوظيفة للإساءة للآخرين، التطأول على النظام ورموز الدولة. المشاركة في المسيرات لإسقاط النظام. المشاركة في محاضرات في الدوار. حضور الخطب السياسية في السلمانية.
موقعة من الدكتور بهاء فتيحة قائد المجمع العسكري رئيس لجنة التحقيق. تم التحقيق بتاريخ 5 مايو معي وإعلامي مباشرة بقرار توقيفي عن العمل لمدة 3 أشهر منذ تاريخه، انتهت في نوفمبر، وبعد مراجعات عديدة، كان الرد: ليست لدينا تعليمات لعودتكم، ومن ثم تمديد التوقيف.
منعونا أيضاً من فتح عياداتنا الخاصة، بقيت مغلقة لأشهر قبل أن نقرر إعادة فتحها، وصلتنا رسائل من الهيئة الوطنية لتنظيم المهن الصحية، أن فتح العيادة يعرضنا لمساءلة قانونية، سألنا المحامين، قالوا لنا افتحوها، وحين تساءلون قانونياً سندافع عنكم. العمل ليس كما كان في السابق، الناس وبسبب الأوضاع المادية التي يعيشونها صارت تؤجل علاجها.
حصلت على عروض عمل من دولتين خليجيتين لن أذكر اسمهما منعاً للتحسس، ولدي عرض عمل آخر من البرازيل عندما ذهبت هناك في سبتمبر الماضي، وعرض آخر من

المملكة المتحدة، وآخر من أمريكا في بوسطن، رفضتها جميعها. هذه العروض تتلقاها أنت كاستشاري لغرضين؛ الأول هو تعاطفاً مع وضعك الذي صرت فيه في بلدك، والآخر هو الاستفادة من خبرتك المهنية في مجال تخصصك. العروض أفضل بكثير من هنا من حيث المستوى الوظيفي والمادي، فضلاً عن كونها فرصة للعيش بعيداً عن التوتر والغبن السياسي، لكني رفضت بلا منّة على وطني، وقلت إن كسرة خبز أغمسها في الماء وأتقاسمها مع أبناء شعبي، لا تعادلها العروض السخية التي قدمت لنا للعمل في الخارج، وطني هو ما تحتاجه روحي أكثر من حاجتها إلى الخبز أو أي شيء آخر، وهذا الشعب هو الجمال الحقيقي الذي أفتخر أن أكون جزءاً منه وفيه وبه ومعه.



# خارج الورق
# داخل الميدان

## علي أحمد الديري
## سيرتي في ثورة 14 فبراير

في هذه السيرة التي بقدر ما هي سيرة ذاتية هي سيرة موضوعية، أريد أن أسرد وقائع تشكل ذاتي من خلال وقائع تشكل دولتي، هنا السيرة الذاتية تلتحم مع سيرة الدولة. وحدث الثورة في البحرين يحمل موضوعين؛ موضوع الدولة وموضوع الطائفة. كيف تتحول الطائفة إلى دولة؟، وكيف تتحول الدولة إلى نظام قادر على أن يستوعب عدة طوائف ثقافاتها مختلفة ومواقع مصالحها مع الدولة مختلفة، ورواياتها للتاريخ مختلفة وأحياناً متضاربة؟ ذلك هو التحدي الذي يمكن أن نقول إن تاريخ البحرين قد مر به في حدث 14 فبراير، لذلك فحدث 14 فبراير هو جزء من هذه السيرة، سيرة تحول الطائفة إلى دولة، أو القبيلة إلى دولة. أريد أن أسرد تشكل حركة 14 فبراير بما هي محاولة للخروج من إطار الطائفة وإطار القبيلة إلى إطار الدولة، والتحديات التي واجهتها

## ■ ألاّ أخون

تجربتي الشخصية في هذا الموضوع سأبدأها من كينونتي الثقافية. قبل أيام من 14 فبراير، كنت قد كتبت تويتة أتساءل فيها: أنا مثقف بحريني ماذا يعني ذلك الآن؟ ممكن أحد يساعدني؟ رد علي أحد التويتريين: يعني أن تمارس وظيفتك الطبيعية، أعني النقد. سألته: نقد ماذا الآن؟ أجابني: نقد التفكير الأعوج طبعاً. بمعنى أن المثقف مهمته أن يجعل التفكير ممكناً بشكل منطقي في المجتمع. قلت له: يا صديقي، أبحث عن جواب ينجيني من قائمة العار.

كنت أفكر في اللحظة التي توشك فيها الحركة الثورية أن تبدأ في مجتمعي، كيف يمكنني أن أتجنب أن أبدو خائناً فيها. في تلك اللحظة كنت أسترجع كتاب باندا حول (خيانة المثقفين)، فحين يتخلى المثقف عن أخلاقياته ومبادئه يخون. أتساءل مع هذا الحدث الكبير الذي يوشك أن ينفجر في البحرين: هل سأكون خائناً أم سأكون مثقفاً حقيقياً ملتزما بوظيفتي الأخلاقية والنضالية في هذا المجتمع. وأنا هنا أستعمل النضالية ليس بالمعني السياسي الصرف، إنما بالمعنى الثقافي الذي يعني أن المثقف دائماً في حالة نضال من أجل الحرية، ومن أجل الإنسان، ومن أجل إحلال العقل في المجتمع، ومن أجل خلق إمكان التعايش، هذه هي مهمة المثقف النضالية. كنت قلقاً، وهذا القلق وجدت ما يبرره فعلاً في سيرورة الأحداث فيما بعد. فالأحداث تكشفت عن خيانة مثقفين كثيرين لمهماتهم في المجتمع، وتلك الخيانات دفعتني في النهاية إلى أن أستقيل من (أسرة الأدباء والكتاب) بسبب هذه الخيانة، وقد أشرت في رسالة استقالتي لها بشكل مكثف، إذ كتبت فيها: إن الثقافة لا تولد الفضيلة بشكل آلي، فسوء الأخلاق لدى الجماعات المثقفة لم يعد يدهشنا (تودوروف) أستقيل، لأنه لم يعد شيءٌ يدهشني.

هذا القلق جعلني على تماس وترقب لما سيحدث في 14 فبراير. وهو ما دفعني للانخراط في هذه الأحداث لاحقاً. فقد بدأ الحدث كبيراً منذ اليوم الأول، لا لأن حركة الشارع بدأت قوية، بل لأن القمع كان دموياً منذ يومه الأول. الاحتجاج يحرّك الشارع، لكن الدم يفجّره.

## ■ تفجّر الدم

الاحتجاجات الشبابية التي خرجت من نحو 25 منطقة من مناطق البحرين، ترفع أعلام البحرين وحدها، وتهتف بهتافات تطالب بإصلاحات سياسية والإفراج عن

السجناء، ومطالب معيشية أخرى، كانت تحمل شعار "الشعب يريد إصلاح النظام". تعرضت منذ لحظة خروجها مساء 14 فبراير لقمع عنيف من قبل رجال الأمن. سقط الشهيد الأول سريعاً، وصادماً، إنه علي مشيمع (21 سنة). الاحتجاج تحّول من فوره إلى كتلة غضب. لم تتمكن صدمتنا أن تلتقط أنفاسها بعد، ففي صباح اليوم التالي 15 فبراير، وأثناء تشييع جثمان الأول، أسقطت قوات الأمن الشهيد الثاني أثناء خروجه للمشاركة في تشييع الأول، إنه فاضل المتروك (32 سنة). أيضاً، عشرات الجرحى، إصابات بطلقات مطاطية وشوزن، حالات متفأوتة. الغضب اشتد، الجماهير احتشدت أمام مجمع السلمانية الطبي حيث قتل الثاني قريباً منه، الهتاف احتد: "الشعب يريد إسقاط النظام". هكذا تطور الحدث سريعاً كما تطور الشعار.

ظهراً في اليوم نفسه، يخرج الملك على شاشة التلفزيون، يعرب عن أسفه للحدث الذي وقع: "على ضوء ما جرى من حوادث متفرقة يوم أمس واليوم وكانت هناك للأسف وفاة لاثنين من أبنائنا الأعزاء، وعليه نتقدم بتعازينا الحارة لذويهما وأن يلهمهم العلي القدير الصبر والسكينة والسلوان. كما ليعلم الجميع بأننا قد كلفنا سعادة الأخ جواد بن سالم العريض نائب رئيس مجلس الوزراء بتشكيل لجنة خاصة لمعرفة الأسباب التي أدت إلى تلك الأحداث المؤسفة التي جرت".

اللجنة التي شُكلت في ذلك التاريخ بأمر ملكي، انتهت مهمتها عند حد خبر الإعلان عنها، اللجنة منذ ذلك التاريخ لا حس ولا خبر ولا نتيجة، إنها لعبة النظام المستهلكة حد السخرية.

عصراً، كان دوار اللؤلؤة يعج بالمتجمهرين الغاضبين، حملوا غضبهم وجاؤوا يهتفون به في الميدان العام. عشرات الآلاف توافدت إلى دوار اللؤلؤة، لم يوقفهم الأمن هذه المرة. بدا المشهد خالياً من رجال الأمن الذي انسحب بعد خطاب الملك. في المساء بدأ نصب الخيم والتمهيد لاعتصام أعلن أنه يمتد حتى تحقيق المطالب.

### ■ فتح الميدان

للأمانة، لم أخرج ظهراً من بيتي قاصدا دوار اللؤلؤة، كنت قاصدا الصديق الإعلامي عبد الوهاب العريض الذي كان ينتظرني عند مقبرة جدحفص التي دفن فيها الشهيد علي مشيمع. حين وصلت، وجدت الجموع تتجه نحو الميدان (دوار اللؤلؤة). سلمت نفسي إلى حيث تشق أقدامهم طريق حرية جديد. كان طعم المشي في شتاء الثانية والنصف ظهراً لذيذا جدا، التقطنا صورا تذكارية لنرويها غدا لمن أقدامهم لم تصل بهم إلى دوار



اللؤلؤة، توقفنا عند مجموعة من النسوة ينثرن المشموم على أقدام المتوجهين للميدان، كانت لحظة حميمة ومليئة بالمعنى.

كانت دهشة كبيرة لحظة وصولنا دوار اللؤلؤة في تمام الساعة الثالثة وأقل من عشر دقائق، يوم الاثنين 15 فبراير، لم يتوقع أحد أن يصل. أرسلت مباشرة صورة بالآيفون عبر برنامج الـ ( whatsApp ) وكتبت معها: نحن في قلب ميدان اللؤلؤة الآن بانتظار ردة فعل قوات النظام. كانت الرسالة الأولى التي بعثت بها لأصدقائي ومن هم معي في القائمة عبر تويتر والواتس آب. كنت أتحدث عن لحظة الوصول إلى دوار اللؤلؤة وما تمثله هذه اللحظة الرمزية من محأولة لفتح ميدان عام مشترك يشارك فيه الجميع في صنع شكل الدولة ونظام الدولة التي يريدونها هم.

كنت أكتب ورؤوس البصل تتدحرج بين أقدام المحتجين، استعداداً، ليس لمواجهة رؤوس الأمن، بل رؤوس طلقاتهم المسيلة للدموع. بعد لحظات سمعت الهتافات تأتي من محيط دوار اللؤلؤة، إنه إبراهيم شريف الأمين العام لجمعية وعد محمولاً على الأعناق يلوّح بعلم البحرين بيدٍ، وباليد الأخرى يلوّح للمحتجين معبراً عن وقوفه إلى جانبهم.

كانت الشمس ساطعة وبياض نصب اللؤلؤة ناصعاً بالبياض. بدأ بعض المحتجين يأخذ قيلولته فوق حشيش الميدان بعد تعب صبح مجهد وطويل، ولفرط دهشة الوصول يكتفي بإغماضة واحدة. معنى الميدان بدأ يتشكل في ذهني تدريجيا. كان دوار اللؤلؤة قبل هذا اليوم، ليس أكثر من دوار مروري مختنق دائماً بحركة السيارات العابرة من خلاله، لكنه صار الآن محطة تحدي، كيف نصل إليه متحدين اختناقات النظام، الاختناقات التي سببها الفساد والتمييز والعنف والاستبداد وغياب المواطنة وتفريخ جماعات ولاء مصطنعة. عشرات الألوف من الجماهير المنددة آخذة في التوافد والهتافات تعلن غضبها.

## ■ مختبر التعايش

مع بداية ظلال المساء، صار الدوار ميداناً، ليس مكاناً تدور حوله السيارات لتأخذ اتجاهها الذي تقصده، فقد أمسى مكانا يدخله الناس ليُدينوا أجهزة النظام التي أتعبتهم من الدوران حول منطقة فارغة من المعنى الذي يعدهم بالأيام التي لم يعيشوها بعد.

مع المساء صار الميدان منصة. افتتحها المحامي حسن رضي بالقول إن الدستور العقدي هو مطلب هذا الشعب، والدولة الديمقراطية التي نريدها هي دولة يحكمها شعب وفق دستور يحمي تنوعات الشعب بجماعاته المختلفة.

صديقي، الأكاديمي والمثقف البريطاني (أدريان بروكت)، كان مصراً ليلتها أن يصل ميدان اللؤلؤة، ترجّل من سيارته عند فندق الرجنسي ( يبعد 800 متر تقريبا)؛ ليصل الميدان بعد مشقة في تمام الساعة الحادية عشر ليلا، ترافقه زميلته، كنت بانتظاره مع مجموعة أصدقاء وصديقات، قال لي في لحظة دهشة: معقول كل هذا! كل هذه الحشود المحتجة في ميدان عام والناس بشعاراتها ولافتاتها وهتافاتها من كل الأطياف. قلت له في البحرين فقط من بين دول الخليج معقول، وهذا الاستثناء هو ما يجعل من تجربة هذا الميدان محفوفة بالخطر والمغامرة. فما يحدث هنا، هو اختراق لمنظومة الوحدة الخليجية (للمنظومة وليس للوحدة)، وهي منظومة مؤسسة على الولاء لصاحب السلطة

والطاعة له مقابل ضمان العطاء.

في اليوم التالي، الأربعاء 16 فبراير، كان الميدان حركة تموج بالناس والاختلاف. ظهراً، يصلي المعتصمون سنة وشيعة صلاة ظهر واحدة. صفاً واحداً لا صفين. عصراً، الشباب يعيدون طلاء نصب اللؤلؤة، بعد أن كتبوا في اليوم السابق انفعالاتهم الهائجة. يعيدون النصب نحو البياض، ويزيدونه من وهج حماسهم بياضاً.

الميدان الآن صار مختبراً للتعايش المشترك بين الجماعات المختلفة التي بدأت تتوافد عليه، وهذا هو التحدي الأكبر أو الجهاد الأكبر، كيف نجعل من الميدان ساحة مشتركة، ميداناً عاماً، تظهر فيه مشتركاتنا الوطنية، وتغيب خصوصيات كل جماعة، حتى ذلك الوقت، الوضع ما زال بعد دون سقف الطموحات، لكن، من الواضح أنه آخذ في التشكل، فالميدان ساحة تجربة حقيقية، والتجربة هي المختبر الذي يعلمنا كيف نعيش مشتركين بقدر ما نحن مختلفين.

## ■ نشيد لم يكتمل

هكذا إذاً، وجدت نفسي سريعاً جزءاً من هذا الميدان، ومثلما وجدت فيه تجربة للعيش المشترك معاً بالنسبة للمختلفين، كان بالنسبة لي تجربة أخرى، لنقل مختبر لمفاهيمي النظرية كمثقف معني بالحرية والإنسان والفضاء العام والميدان المشترك والدولة والتعددية والديمقراطية. كان علي أن أقترب عملياً، من المفاهيم النظرية، التي استهلكتها كتب المفكرين والمثقفين الكبار، أختبرها في ميدان الناس وعلى أرض الواقع. وجدتني بالقدر نفسه أريد أن أوظف أدوات الاتصال الحديثة جميعها لأنقل هذه اللحظات بكل ما فيها. أن أكون شاهداً ينقل أحداثها بعينه الناقدة والمعايِشة. عبر تويتر كنت أنقل مقتطفات من الخطابات التي تقال في الدوار وموقفي النقدي على بعضها، أسجل ملحوظاتي عما يقال، وما أراه لا يحقق مفهوم الدولة المدنية.

ليل 16 فبراير، أفترشت حشيش الدوار، واضعاً حاسوبي المحمول في حضني، جلست أكتب تأملاتي هذه، وتجربتي الجديدة تلك، بعد عودتي للمنزل قرابة الساعة الواحدة فجراً، أرسلتها لعدد من الأصدقاء، ولمجموعة دروب الإلكترونية التي تضم نخبة من السياسيين والإعلاميين والمثقفين البحرينيين. لم أكن أعلم حينها، أنه تفصلني عن خبر الفاجعة ساعات قليلة. غفوت وصحوت قريباً من الساعة الرابعة فجراً على وقع الخبر: قوات مكافحة الشغب مدعومة بالجيش تهجم على الدوار عند الثانية والنصف من فجر اليوم، وتخلف إصابات وقتلى. كيف يمكن أن أستوعب الصدمة؟ كنا للتو هناك ننشد

الحرية ونحتفي بالتعدد والاختلاف. كان الجميع ينامون في سلام الحلم. كيف يجرؤون على هذا الاغتيال؟

قتيلان أعلن عن سقوطهما، ومئات الجرحى، حتى الخيمة الطبية لم تسلم من الاغتيال، كذلك الطاقم الطبي، الطبيب صادق العكري يتعرض للهجوم والضرب ولم يشفع له رداؤه الأبيض وإخباره لهم أنه طبيب، يسقط، ينقل إلى غرفة العمليات. الأخبار نتواردها عن طريق تويتر والفيس بوك. المصابون لجأوا إلى مجمع السلمانية الطبي، اعتبروا الحرم الطبي مكاناً آمناً، الطاقم الطبي في حالة ذهول. لا أحد يعرف حجم المصابين وعددهم وإصاباتهم. الحالات والإصابات بدأت تتوافد إلى المجمع في سيارات خاصة. الإسعافات التي خرجت لنقل الجرحى اختفت. تجمهر وهيجان حاشد. المحتجون يحأولون العودة للدوار. قوات الأمن تواجههم بمسيلات الدموع والرصاص المطاطي والانشطاري عن قرب. رأس ضحية ثالثة بتصويب مباشر يتم تفجيره، الحادث، تشهده الصحافية نزيهة سعيد وتنقله للإعلام. قوات الأمن تتقدم من جهة الدوار باتجاه مجمع السلمانية الطبي، تمنع المسعفين من الوصول إلى الدوار، تهاجم المسعفين وتقوم بضربهم.

## ■ مختبر المثقف

لم أحتمل البقاء في مكاني أكثر، خرجت متجهاً إلى مجمع السلمانية الطبي. أصل قبل خروج مسيرة الكادر الطبي احتجاجاً على الوزير فيصل الحمر وطاقمه الإداري؛ بسبب منعه الإسعافات من الوصول إلى الدوار لإنقاذ الجرحى والمصابين.

كان المكان ضاجاً بالفوضى والغضب والانفجار. والصدمة التي لم تستوعب هذا الهجوم بعد اعتذار الملك قبل أقل من يومين فقط (؟). هناك كنت أشاهد بكاميرتي وبحواسي كلها الأجساد المصابة، أرى البكاء ومفعول هذه المجزرة في الناس وفي هتافاتهم التي كانوا يصرخون بها في مجمع السلمانية. وعبر تويتر كنت أنقل هذا الحدث، وكأني كنت أحول وظيفتي الثقافية، من الجلوس في البرج العاجي، إلى لمس الناس.

تويتر كان يحرضني لأن أذهب إلى أماكن الحدث نفسها، أن أتابعها بنفسي، أسجلها بنفسي، أنقلها بنفسي، أقترب من حقيقة ما يحدث. المثقفون الذين لم يكونوا قريبين من هذا الحدث، كانوا بعيدين جداً، حتى لو كانت جغرافيا البحرين قريبة، إلا أنهم كانوا بعيدين؛ لأنهم كانوا يستقون معلوماتهم عبر وسائل الإعلام الرسمية وعبر أبراجهم العاجية، وعبر مواقع مصالحهم في الدولة، ولو كانت هذه المصالح في شكل تسهيلات تافهة. وما يأتي إليك ليس هو الحقيقة، ما يأتي اليك هو ما يراد إيصاله إليك، ربما

يُعذر البسطاء أن تنطلي عليهم مثل هذه الألاعيب وأحابيلها وطرق تزييفها ودجلها، لكن لا عذر للمثقف الذي يقرأ التاريخ ويقرأ بطش الأنظمة أن يجلس متلقياً مثل الآخرين، في حين المسافة بينه وبين رؤية الحقيقة بأم العين، خطفة قدم. بعض المثقفين راح يضفي على رواية السلطة مصداقية أكبر، عبر الترويج لفكرة طائفية المعارضة.

تويتر كان بالنسبة لي إذاً، محرضا آخر على الذهاب للحدث، لا انتظار أن تصلك أخبار الحدث، كتبت من هناك رسائل تختنق باللحظة والصدمة: هنا في مجمع السلمانية الطواقم الطبية في حيرة والمحتجون في حيرة والمصابون معلقون. والشهداء وحدهم حسموا حيرتهم. مطمئنون تماماً. كتبت أيضاً: هنا في ساحة الطوارئ الوضع مبكي جدا، مضحك جدا، جاد جدا، هزلي جدا، يائس جدا، متفائل جدا. هنا مجمع التناقضات، وكلنا ننتظر سيارة إسعاف يسمح لها أن تأتي من الميدان بجثة أو شبه جثة أو لا جثة، حتى بس لوتجي. كتبت أيضاً: دخلت المشرحة وصورت جثث الشهداء كان أحدهم مهشم الرأس وحالة الناس هستيرية". خرجت من ساحة المجمع، وتوجهت لجمعية حقوق الإنسان، من هناك جاءني اتصال من قناة BBC، كان يسألني بوصفي كاتباً وصحافياً عن تطورات الأحداث على أرض الواقع، شهدت بما رأت عيني وما شهدته حواسي.

## ■ خارج الورق داخل الميدان

كتبت حول الاقتحام الأول للدوار: كان الخميس 17 فبراير يومان لا يوم واحد، يوم ما قبل الثالثة صباحا ويوم ما بعد الثالثة، يفصل بينهما رصاص الجيش، لقد نجح الجيش في مهمته المستحيلة، جعل لنا يوماً آخر لا ينُسى في يوم كان يمكن أن يُنسى، ما أعظمك أيها الجيش خلّاق في مهماتك المستحيلة، جعلت نهارنا طويلاً طويلاً.

بفضلك أيها الجيش دخلتُ أنا - أنا الذي اعتدت رائحة الأوراق والكتب لا رائحة القتلى - في اليوم الثاني من اليوم نفسه مشرحة الموتى، إنها المرة الأولى التي أدخل فيها غرفة الموتى، دخلت كي أصدق أنك قمت فعلا بمهمتك المستحيلة، رأيت إنجازك العظيم مكتوباً على أجساد الشهداء، ورأيت أكثر مما رأته آلتك العمياء، رأيت كم أنك عارٍ من الوطن وعارٌ على الوطن.

هكذا، وجدت نفسي خارج أوراق الكتب، داخل محطات الحدث، تركت نفسي؛ لتدخل أكثر، لترى أكثر، لتعاين أكثر. اخترت ألا أكون مثقفاً ورقياً؟ بل صحافياً ميدانياً يلامس الحقيقة ويعاينها بكل حواسه. ووجدت نفسي داخل مطالب الشعب بالمملكة الدستورية والحكومة المنتخبة والبرلمان كامل الصلاحيات والدستور المكتوب من قبل الشعب.

## ■ زفّة دم، وزفة ولاء

كان يوم الجمعة 18 فبراير، يوماً طويلاً آخر ينتظر الجميع، وفاجعاً. حوالي الساعة الواحدة والنصف ظهراً، كان تشييع جثمان الشهيد المهندس الشاب علي المؤمن (22 عاماً). سقط بقذيفة انشطارية في الفخذ عند الحوض تسببت في تهتك الأوعية الدموية، لم تفلح محأولة الطبيب الاستشاري صادق عبدالله لإنقاذه، ولم تسعفه الـ 30 كيساً من الدم لاستعادة نبضه.

حوالي الخامسة والنصف من فجر الخميس الدامي، خط علي أحمد المؤمن مشاركته الأخيرة في صفحة «الفيسبوك» وقال: «دمي فداء لوطني» وقد تحولت بعد ساعات قليلة إلى واقع وحقيقة صعقت أباه وأمه وإخوته الستة، حينما تلقوا خبر استشهاده. علي يدرس في سنته الأخيرة هندسة بجامعة البحرين. كان مع أحد أخوته في ميدان اللؤلؤ مسالماً نائماً وعاد سالماً بعد أن هجمت قوات الأمن على المتظاهرين وسجل في الخامسة والنصف مشاركته الأخيرة في «الفيسبوك» (دمي فداء لوطني) ليعود للميدان مجدداً مع أخيه حسين ويستقبل جسمه الطلقات المطاطية ورصاص الشوزن المحرم دوليا؛ ليموت متأثراً بجراحه وحاملا آماله معه.

لم أكن أعرف عنه شيئاً، في المساء فتحت صفحته على الفيس بوك، ضوء صورته اخترق حواسي، بقيت متسمراً أمام صورته، وجدت هناك في عمقها شيئا يناديني لأكتبه. في محأولة عبثية طلبت منه إضافتي، وفي محأولة أكثر عبثاً رحت أنتظر أن يقبلني، وأعيد تنشيط الصفحة وأقول لعله فعلها، أو لعل شيئا خارقا يفعلها، كنت أريد أن أقول له: أريد أن أكتب عن ضوئك الخاص الذي شدني إليك، امنحني شيئا من سيرتك لأفتح به كتابتي.

رحت أبحث في هذه الشبكة العنكبوتية، وجدته في (YOUTUBE) حياً مفعماً بالحركة (1)، يقدم ورشة تطوعية لأهل منطقته سترة، سمعت أسئلة ورشته التي هي أسئلتي: كيف نختلف؟ كيف أختلف مع من يشاركني وطني، قريتي، عائلتي، ديني؟ تحسستُ أفق اختلافه الرحب الذي يؤمن به.

ظهر الجمعة، ذهبت جزيرة سترة لتشييع جنازة المؤمن (2). سترة المشهورة بالفقر والمقأومة والشجاعة والطيبة. شهدت الموكب المهيب الذي حمل عرس جنازته، كان علم الوطن يلف جسده الغض الطري، وكان الشبيبة المحيطون بتابوته يُلوّحون بأعلام الوطن. كانوا يتلحفون بهذا العلم، ويلوّحون به، ويقودون به، ويفتحون الميادين به، ويموتون دونه.

موجعة تلك اللحظة التي توقّف فيها موكب المؤمن؛ ليُلبى طلب والدته المفجوعة، كان طلبها أن يُنشد له "يمّه ذكريني من تمر زفة شباب.. من العرس محروم وحنتي دم المصاب شمعة شبابي من يطفوها.. حنتي دمي والكفن دار التراب".

كنت أعيش هذه اللحظات، وأرسل عبر تويتر ما أنقل به هذه اللحظات، النداء الداخلي كان يشدني أكثر لهذا الشباب، وصرت أكثر يقيناً بأن الكتابة عنه واجبي الخاص.

في الأثناء، ونحن نعيش فجاعة هذه اللحظات، في اليوم نفسه الذي شهد تشييع جثامين الشهداء الأربعة الذين راحوا ضحية مجزرة الخميس، والقلوب لا تزال طرية ومفتوحة على الدم، كانت هناك زفة أخرى على بعد مسافة ليست بعيدة عن الأولى. احتفال ولاء ينظمه الموالون للسلطة في جامع الفاتح. لم تنجح دعوات المعتدلين في تأجيل هذا الاحتفال محافظة على مشاعر أهالي القتلى والضحايا. أصر هؤلاء على الاحتفال فرحاً في الوقت الذي لم تبرد فيه دماء الضحايا، ولا تزال أجسادهم تشهد مواراة التراب. امتنع الكثيرون عن المشاركة، لم يكن الحضور كبيراً، معظمهم آسيويون كما كشفت لنا الفيديوهات المصورة (3)، لكنه مع ذلك فجّر المشاعر السلبية عند المحتجين أكثر، نظام يقتل ويحتفي بالقتل؟!

### ■ رصاص حي..

عصراً، كنت خارجاً مع صديقي عبد الوهاب من بيتي الذي انتقلت له من سنتين الواقع في منطقة (جبلة حبشي) القريبة من منطقة السنابس غير البعيدة بدورها من دوار اللولؤة. كان يوم كسر فاتحة (4) الشهيد الأول (علي مشيمع). تحركنا متجهين إلى مقبرة جدحفص. كتبت عبر تويتر: نحن باتجاه المسيرة التي انطلقت من مقبرة جدحفص، الشارع مزدحم ولم تتبين لنا المقبرة بعد. أحدهم أخبرنا أن المسيرة تتجه نحو ميدان اللؤلؤة. تحركنا متجهين نحو الدوار، فجأة بدأنا نسمع أصوات الطلقات النارية والغازات المسيلة للدموع، اقتربنا أكثر، الوضع مربك أكثر والسيارات تعكس اتجاهها. نزل صديقي عبد الوهاب من السيارة واقترب من الشباب وقام بتصوير الجرحى، فيما كنت أقود السيارة لأنه لا يمكن إيقاف السيارة في هذا الوضع المربك. أرسلت مجموعة من التويتات من هناك:

- الضربات قوية والإسعاف ينقل جرحى، كلها توجهت لمجمع السلمانية وهي ممتلئة.
- إصابة خطيرة تقلها سيارة بيك آب.
- أمامي سيارة نائب برلماني تحركت الآن، زميل صحافي يتقدم إلى الأمام ويقول أنه

رصاص حي.
- يجانبي شاب يبكي بحالة هستيرية يبدو ضُرب زميل له ضربة خطيرة.
- أقف الآن عند تقاطع إشارات منطقة النعيم، أكثر من 8 سيارات إسعاف مرت أمامي.
ما حدث، أن المعزين خرجوا في مسيرة عزاء ضمت العشرات، اتجهت نحو الدوار المحاصر بقوات الأمن والجيش، الشباب يلفون أجسادهم بعلم البحرين، يتحركون قريباً من المدرعات العسكرية وقوات الأمن، يقفون على مسافة 100 متر منها، يلوحون "سلمية سلمية". دقائق، ويعج المكان بالطلقات النارية، المشهد المصور شاهده العالم أجمع، والسقوط المفجع للضحايا أيضاً (5)، سيل من الرصاص الحي والمطاط والغازات المسيلة للدموع، اختنق المكان والناس.

انتقلنا إلى مجمع السلمانية الطبي، الفوضى عارمة في الطريق، الشباب المشاركون في مسيرة العزاء، أخذوا في التدافع إلى مجمع السلمانية يحملون المصابين في سياراتهم. شاهدت الشباب في الطريق إلى مجمع السلمانية، والسيارات الخاصة تنقل الجرحى، والإسعاف. في باحة الطوارئ المكتظة بالجماهير الغاضبة (6)، شاركنا مع السلسلة البشرية التي تسهل دخول الإسعاف وعملية إنزال الجرحى عند المدخل. الناس في صراخ هستيري، العدد يكبر والصراخ والبكاء والهتافات المنددة والمطالبة بإسقاط النظام تكبر أيضاً. كتبت في تويتر: أمامي الآن الصحافي المصور مازن مهدي، في ساحة طوارئ مجمع السلمانية يبكي بحرقة لفرط ما شاهدته كاميرته. لله أنت يا مازن، ليتني في شجاعة صورة من صورك.

في الأثناء نفسها، كان ولي العهد يفاجئ الجميع بزيارة غير متوقعة لتلفزيون البحرين، يوجّه خطاباً وَجِلاً ومرتجلاً للجميع: "أقدم التعازي لكل شعب البحرين على هذه الأيام الأليمة التي نعيشها، وأريد أن أوجه رسالة للجميع للتهدئة، نحتاج فترة أن نقيم ما صار ونلم الشمل ونستعيد إنسانيتنا وحضارتنا ومستقبلنا. نحن اليوم على مفترق طريق، أبناء يخرجون وهم يعتقدون أن ليس لهم مستقبل في البلد، وآخرون يخرجون من محبة ومن حرص على مكتسبات الوطن، لكن هذا الوطن للجميع ليس لفئة على فئة، لا هو للسنة ولا هو للشيعة هو للبحرين وللبحرينيين، وفي هذه اللحظات يجب من كل إنسان مخلص أن يقول كفاية ما خسرناه في هذه الأيام، صعب استعادته، لكن أنا مقتنع بعمل المخلصين" (7).

كان هذا في التفزيون، في الوقت الذي كان الواقع خارج التلفزيون للتو أمطر رصاصاً. في

السلمانية إعلان عن استدعاء جميع الأطباء إلى غرف العمليات. إصابات بلغ عددها 96 إصابة. بعضها إصابات بالرصاص الحي. 6 منها أدخلت غرفة العمليات حسب ما أعلنت مصادر طبية حينها. الأخطر كان حالة عبدالرضا بوحميد (38 عاماً)، أصيب رصاصة حية في الجمجمة، كان ميتاً سريرياً. تم أخذ أشعة له، تأكد أن الطلقة هي رصاصة حية اخترقت الجمجمة.

بقينا في مجمع السلمانية حتى وقت متأخر من الليل، هناك تعرفنا على وفد من المراسلين البريطانيين، أريناهم بعض الصور والمشاهد الخاصة التي التقطتها كاميراتنا، ودخلنا معهم للمجمع ورأينا معاً الأشعة الخاصة بالشهيد عبد الرضا. رأينا ذلك بأم أعيننا. كان الطبيب الذي شرح لنا الحالة زميلي في المدرسة الابتدائية، وابن قريتي، ولم نلتق منذ تخرجنا من المدرسة، لقد اجتمعنا معاً عند رأس عبدالرضا بوحميد حيث رصاصة الموت.

## ■ قائمة عار..

لم يعد ثمة مكان للحياد ولا لادعاءات الرزانة، ولم يعد ثمة مكان للجلوس خلف منضدة كتابة لا تنزل الشارع لترى بأم عينها. ادعاء الرزانة هنا هو قد يكون بلادة مشاعر، وقد يكون سذاجة، وقد يكون سطحية، لكنه أبداً لن يكون رزانة بالمعنى الإيجابي، ولن تحتمل هذه الكلمة إلا أن تكون سلبية ومرعبة، أو كما تقول (حنة إرندت) في كتابها (في العنف): النزاهة والرزانة قد تبدوان أمرين مرعبين في مواجهة فاجعة لا يمكن احتمالها، أي حين لا تكونان ناتجتين عن السيطرة على الذات، بل تجلياً واضحاً لعدم الفهم، إن المرء، لكي يتمكن من أن يبدي رد فعل عقلاني، عليه أول الأمر أن يُستثار.

ألا يُستثار مثقف أو كاتب أو صحافي أو صاحب رأي أمام مشهد قتل أرواح، خرجت تطالب بحقوق مدنية سلمية، فهذه خيانة للإنسان. ألا يستثار هؤلاء من أجل الدفاع عن حق الناس في المطالبة بإصلاحات سياسية وحكومة منتخبة من قبل الشعب، فهذه خيانة لمبادئ الحرية والديمقراطية. لكن الأنكى، أن يستثار هؤلاء ضد مذهب المحتجين وطائفتهم، أن يسبغوا على المحتجين صفة سطحية (شيعة، متدينين) تجردهم من حقهم في الاحتجاج والرفض. إنهم بهذا يخونون وظيفتهم التي تنظر لحقوق الإنسان بصرف النظر عن معتقده ودينه، وهذا ما عنيته في بداية مقالي بخيانة المثقف.

صباح السبت 19 فبراير، وأنا ما أزال تحت سيناريو اليومين السابقين، ولا أزال تحت رعب فاجعتهما التي عايشتها عن قرب، رحت أبحث في صحافة بلدي، عن صوت ينتفض

من أجل الإنسان، من أجل أرواح من سقطوا، أذهب إلى كتاب الرأي (المخضرمين) في صحافتنا المحلية واحداً واحداً، أبحث عن صوت الإنسان فيما يكتبون، أذهب إلى المثقفين الكبار، أبحث عن كلمة تشجب القتل والقمع، لا أجد.

صحيفة الوسط حملت وحدها هنا همّ نقل الحدث، نذرت نفسها له، ورفعت سقفها أقصاه في النقل؛ فدفعت ثمنه لاحقاً. كانت تعمل وحدها، فيما راح الإعلام في بلدي، يبرر فعل مجازر القتل، ويلتمس للحكومة أسبابها ويزيد عليها من تدليسه، ويسكب على الحكومة شرعية الفعل، وعلى الضحايا والقتلى لا شرعية الاحتجاج، ويتهمهم بالطائفية والفئوية، كون غالبية المحتجين من طائفة واحدة، وكأنهم لا يعلمون.

كنت أرى الأقلام (المخضرمة) في الصحافة، تنسف ما تبقى من إنسانيتها، وتخيط ما ترقع به (هرمها) الذي استقر في ثوب الطاعة والولاء. الاستقرار الذي صار يدرّ عليها رفاهية مريحة وغير مكلفة. هذه الأقلام التي لفرط ما هرمت، لم تعد تستوعب، ولا تقبل، معنى أن يثور الشباب، وأن ينتفضوا لصناعة غد مختلف، حتى وإن كانت بعض هذه الأقلام منخرطة في تنظيمات ثورية في السبيعينات.

على بريدي الالكتروني وصلتني قائمة مصورة باسم "قائمة العار"، تتضمن مجموعة من كتاب الصحف الذين أمعنوا في تخوين المحتجين وطأفنتهم ووسمهم بعملاء إيران، بالقدر الذي راحوا يمعنون في تبجيل فعل السلطة في فعل القمع. أنزلت صورة قائمة العار على صفحتي في الفيس بوك، وكتبت تحتها "رجاء كل من يقرأ اسمه في قائمة العار، من الإعلاميين الذين كانوا أصدقائي يعتبرون أسماءهم وشخصايتهم ساقطة من قائمتي التي لا أريد أن أحتفظ فيها بمن يقتلون بكلماتهم شعبي الذي لا يريد غير مواطنته الدستورية".

القائمة صممت على طريقة قائمة العار المصرية التي نفذها شباب ثورة 25 يناير؛ ليدينوا بها صحافة العار التي كانت تمجد نظام مبارك حتى آخر يوم له، قبل أن تدينه في اليوم التالي لسقوطه. كانت القائمة اقتباسا ضمن سياق عدة اقتباسات أخذها شباب الثورة هنا من شباب الثورة هناك.

وفي الحقيقة، لم أكن لحظتها أستحضر قائمة العار المصرية فقط، بل أستحضر صرخة المخرج الأمريكي (مايكل مور) في حفل تسلمه جائزة الأوسكار، صرخته التي وجهها لجورج بوش "عار عليك سيد بوش". كان يقصد عار عليك سيد بوش الحرب الوهمية في العراق التي أدخلت العالم فيها. كنت أرى هؤلاء الصحافيين والإعلاميين والكتاب

يسهمون في صناعة هذا الوهم للحرب التي شنتها الحكومة ضد المتظاهرين، وسيبان عارهم أكبر مع دخول القوات السعودية واستباحتهم لدوار اللؤلؤة وقرى المتظاهرين في 16 مارس، وستكون الحاجة لصناعة الوهم أكبر كلما أمعنت هذه القوات في بطشها غير الإنساني. سيكون هناك جيش من الإعلاميين الذين لم يدخلوا هذه القائمة لحظة وضعتها في جدار صفحتي. وسيوظف هؤلاء آليات الكذب والاختلاق والتقطيع والتبرير والتزوير؛ لخلق أكبر خطاب كراهية.

ستكون هذه القائمة، التي سينسبها لي هؤلاء، رغم توضيحي على صفحتي في الفيس بوك نفسها، أنها وصلتني بالبريد الإلكتروني، وأنني لست من نفذها، إلا أنهم سيجعلون منها تهمة تجتر نفسها، وسينفخون فيها، في محأولاتهم لإدانتي كمثقف، لأني أعلنت عن رفضي لأقلام، تشارك السلطة في قتل الشعب وتخوينه وتعذيبه وتجويعه وتشطيره وتقسيمه وتحريض بعضه على بعض وتهييج بعضه على بعض.

## ■ فتح الورد

ظهر السبت 18 فبراير، كان ينتظرنا حدث آخر، لكن هذه المرة بطعم مختلف. خرجت مع صديقي ورفيق الميدان عبد الوهاب العريض، مررنا على المراسلين البريطانيين الذين تعرفناهم الليلة السابقة في مجمع السلمانية، أخذناهم من فندق الدبلومات حيث يقيمون، توجهنا جميعاً نحو المجمع. كان الوقت قبل الثانية ظهراً، علمنا في الطريق أن مجموعات من الشباب خرجت متوجهة لفك حصار الميدان (دوار اللؤلؤة)، بدلنا وجهتنا إلى هناك. قال لنا صديقنا المراسل بحسه الصحافي: الحدث سيكون هناك.

قريباً من الميدان، سنرى المتجمهرين يزحفون نحو السياج الشائك الذي نصبته قوات مكافحة الشغب على بعد نحو نصف كيلومتر من الدوار من جهة منطقة السنابس. مواجهات من قبل الأمن عبر الغازات المسيلة للدموع، لكن تحاشي الإصابات والطلقات المطاطية التي شهدناها خلال الأيام السابقة.

ابراهيم شريف أمين عام جمعية وعد، الذي يقضي اليوم عقوبة السجن لمدة خمس سنوات، لاتهامه ضمن 21 آخرين بمحأولة (قلب نظام الحكم)، كان أول من وصل من القيادات السياسية لدعم الشباب، يقف مع الشباب ملاصقاً حاجز الخطر، قبل أن يتجه لرجال الأمن ويطلب من قائدهم السماح للشباب العزل بالاعتصام السلمي، ويخبرهم أن لا أحد هنا ينوي إثارة أي نوع من أنواع الشغب. الأمن يبدي تجأوباً فيما يبدو أنه مقدمة لانسحاب ينتظر أمر التنفيذ.

الشباب من ناحيتهم، يبدأون منأورات طريفة، تبدو كمغازلة لرجال الأمن. أعلام البحرين تلف أجسادهم الغضة، يجلس البعض على الأرض رافعاً علمه، البعض يتقدم نحو السياج الشائك رافعاً الورود، يلاصق السياج الشائك، يمرر لرجال الأمن الورود من خلال الفتحات الصغيرة. صبية أخرى تجتاز السياج الشائك بجسدها الضئيل، تتجه نحو رجال الأمن، تتقدمها ورودها التي تهديها لرجال الأمن.

كنا نرى أغصان الورود مرتفعة، شاهقة. كل وردة ترتفع، كانت تمرر رسالة سلام أكثر، وترخي شوك السياج أكثر، وتهتك رهبة الآليات الغليظة أكثر، وتكسر عيون العساكر أكثر. كنا نشهد اللحظات بدهشة بليغة، وبنشوة من يشهد فتحاً جديداً، إنه فتح الورد، فتحٌ يُخجل فتح الغزو ويهزمه. كان الطقس رائعاً، يزيد المشهد روعة أخرى.

كنت أبثّ هذه اللحظات عبر تويتر. وعبره أيضاً، علمنا أن تلفزيون البحرين يعرض خطاباً لولي العهد، يأمر بسحب جميع القوات العسكرية من شوارع البحرين بأثر فوري تمهيداً لإعلان الحداد على أرواح الضحايا، ثم البدء في الحوار. سريعاً ما بدأت الآليات العسكرية وقوات الأمن بالانسحاب. يُعلَن بيان الجيش رقم 2: "انسحاب القوات العسكرية من العاصمة".

ها نحن الآن نشهد البدء في انسحاب رجال الأمن، كنا فيما يُشبه الحلم، تنسحب آليات الجيش وسط تصفيق الجميع وصرخات فرحهم وقفزاتهم وصلواتهم. أرسلت عبر تويتر لأصدقائي مفتخراً "فتحنا الدوار". كنت أجدني مشاركاً في هذا الحدث، في حدث فتح الدوار، في كسر حصاره، تسابقنا جرياً نحو الدوار، من يصل أولاً، غير مصدقين. كان الدوار قد تحول فعلاً إلى أيقونة الثورة، سمّه ميدان التحرير، أو سمِّه ميدان الشهداء، أو لؤلؤة الثورة، لا فرق، كل الأسماء صارت أسماءه.

الشباب يضعون خطواتهم الأولى داخل الدوار بين صارخ فرحاً، وساجد على الأرض، ومتقافز من شدة الفرح، ومحتضن لرفيقه، الأهازيج، الهتافات، الصلوات، التكبيرات، كانت لحظات لا تشبهها غير لحظات النصر.

من فورهم قام الشباب بحملة تنظيف للميدان، لملة آثار الهجوم التي باغتت النيام قبل يومين: المئات من الطلقات المطاطية، المئات من أسطوانات الغازات المسيلة للدموع، أحذية أطفال هنا وهناك، ألعاب، دمى. جُمعت كلها في معارض صغيرة انتشرت في مساحات الدوار. البعض راح يرسم على الأرض لوحة بالحجارة تقول: "نحب البحرين ونطالب بمصلحة كل شعبها".



لم تمض دقائق حتى كان الميدان مسرح فرحة عارمة لآلاف المتجمهرين الذين اتخذوا من خطاب ولي العهد ضماناً يكفل لهم حرية التجمع السلمي. هو التجمع نفسه الذي سيحاسبون عليه، فيما بعد دخول قوات درع الجزيرة في 16 مارس. كل من وطأت قدماه الدوار سيكون متهماً بالخيانة والعمالة والصفوية والمجوسية وما لا يقال من الأوصاف، وسيواجه أشكالا مختلفة من التحقيق أو التوقيف عن العمل أو الفصل أو الاعتقال والتعذيب، أو جميعها.

في المساء، سيأتي الأمين العام لجمعية الوفاق، يصعد منصة الدوار، يخطب في عشرات الآلاف التي احتشدت في الميدان. أُرسل عبر تويتر المقطع الأهم في خطابه: نحن لا نريد دولة إسلامية، ولا دولة دينية، نريد دولة مدنية متحضرة.

ستكون الدولة المدنية أيقونة أخرى للثورة البحرينية وحلمها اللؤلؤي. تلك التي سيصمُّ النظام أذنه عن سماعها متعمداً، وسيصر على رسم أيقونة يُسمِّم بها الثورة، سينسبها إلى دولة ولاية الفقيه، تلك الدولة التي رفضها شباب الثورة أنفسهم، والتي عبروا عنها بقولهم: لم يرفضوا حكماً استبدادياً للوقوع في حكم استبدادي آخر، والتي قالت جمعية الوفاق (الإسلامية الشيعية)، باستحالة قيامها في البحرين.

## ■ لؤلؤة الميدان

بقينا هناك حتى ساعات متأخرة من الليل، كنت أنتقل بين الميدان ومجمع الدانة القريب منه، وأحيانا مقاهي المنامة التي صارت هي الأخرى مكاناً يضج بالنقاشات، أجلس في المقهى لأكتب. هناك بدأت كتابة مقالي عن الشهيد علي المؤمن الذي أسميته "لؤلؤة




الميدان"، كان مما قلت له منشرحاً بأحداث اليوم: هل تعرف يا علي أننا هذا المساء في اليوم الثالث من زهرتك لم نكسر فاتحتك بل كسرنا طوق الميدان، وهناك في المكان الذي اغتالتك فيه جيوش الغدر، قرأنا لروحك الفاتحة، لتكون فاتحة عودتنا للميدان. بك يا علي وسّعنا ميدان اللؤلؤة، صار أكبر من ذلك المساء الذي وقفت فيه عارياً تحميه من غدر السلطة. لقد وسعناه بدمك الحر، صار غالياً وثمنه ليس دمك فقط بل حلمك أيضا، ألم تكن تحلم في ذلك الفجر الغادر أن شمسا جديدة ستشرق على هذا الميدان، ألم تكن تتطلع إلى أفق يأتي لنا بمستقبل جديد، لقد فاجأك رصاص العسكر، اغتالتك أرتالهم، لكن اطمئن لم يغتالوا حلمك بميدان الحرية، بقيت اللؤلؤة في قلوبنا، نحنو عليها من آلات العسكر، لقد زرعوا في قلبك رصاصة لكنها لم تصل للؤلؤة التي كنت تخبئها، ولم يكونوا يدركون أنك ستغدو بكلك لؤلؤة للميدان.

نحن في الليلة الأولى الآن من عودتنا للميدان الذي لم تغادره أنت، عدنا لك، وعدنا بك. عدنا لك لأنك صرت جوهرة الميدان، وعدنا بك لأنك تلاحقنا في أحلامنا، تدفعنا نحو الميدان، باؤك قوتنا الدافعة، في كل شاب وجدتك، لقد اشتقوا من اسمك أيها المؤمن إيمانهم بأنهم سيعودون. الكبار لم يكونوا يمؤمنون، لقد زرعت أنت ورفقاؤك فيهم هذا الإيمان، فأعدتهم إلى دين الحرية.

أنهيت المقال في اليوم التالي، نُشر في صحيفة النهار اللبنانية التي خصصت ملحقاً ثقافياً خاصاً بالحدث البحريني، اهتمت أن يشارك فيه مثقفون بحرينيون. المقال تلقفه عدد من أصدقاء علي المؤمن وزملاؤه في جامعة البحرين، قاموا بطباعته في كتيب أنيق، ثم توزيعه في الدوار ضمن مسيرة الشباب الجامعيين، وقد تحولت هذه المسيرة لاحقاً إلى إدانة، يجرم من شارك فيها من الطلبة الجامعيين، وفُصل كثير منهم بتهمة المشاركة في هذه المسيرة.

بعد أيام يتصل بي صوت لا أعرفه، لكنه سرعان ما يفقدني القدرة على الكلام حين أعرفه، يخبرني أنه والد علي المؤمن، دخلت في نوبة بكاء، لم أبكها حين كنت أكتب شهادته. بعد يومين، استطعت أن أكتب هذا في الفيس بوك: باغتني صوته وفقدت كل قدراتي في السيطرة والكلام. كان يشكرني لأني كتبت بحبري شهادة ابنه، أردت أن أشكره لأنه قدم ابناً كتب الوطن بدمه، لكني فقدت القدرة حتى على الشكر، ولا أملك الجرأة على إعادة الاتصال به، لأني كلما فكرت في نبرات صوته فقدت صوتي، منذ يومين وأنا أحاول الاتصال به.

سألتقي أيضاً بأخ الشهيد علي المؤمن بعد قرابة شهر من هذا اليوم، أي بعد إقرار قانون السلامة الوطنية، وبدء قوات درع الجزيرة مهمتها في وأد الشعب. سيكون ذلك خلال موكب تشييع شهيد سترة الثالث عيسى آل رضي في 16 مارس، ينادي بصوت يفتر عن ابتسامة مخلوطة بالحزن، يعرفني بنفسه: أنا الأخ الأكبر للشهيد علي المؤمن، كنت أبحث عنك لأوصل لك امتناني. أنكسر أكثر. أكتب حول هذا الموقف: يرتج عليك الموقف فتداري وجهك المشحون بالبكاء، وتولي حاملاً حزنك دون كلمة استئذان تليق بالاحتفاء، لست أدري كيف لقلبي أن يغالب انكساراته عن دكة القتلى في مشرحة الموت، حيث الأجساد الغضة تحمل شهادة الفتك، ولا يستطيع هذا القلب أم يجمد حين تخترقه كلمة تأتي من جهة أب أو أخ يقول لك: أنا أبو الشهيد، أنا أخو الشهيد.

## ■ مختبر الميدان

سيكون يوم 19 فبراير، بداية فترة هدوء تمتد أسابيع ثلاثة، قبل أن يواجهها النظام بقمع هستيري في منتصف شهر مارس. وستكون هذه الفترة وما بعدها مختبراً حقيقياً للجميع: مختبراً ميدانياً للقوى المعارضة (جماعات وجمعيات وأفراد) تختبر فيه اختلافها وترسم ملامح تعايشها المشترك، ومختبراً لشكل الدولة (مدنية، دينية، ملكية دستورية، جمهورية..) التي تتطلع إليها الجماهير المطالبة بالتغيير، ومختبراً لرد فعل المجتمع الذي يشهد التغيير كواقع قادم وملح، ومختبراً للجمعيات والمؤسسات الأهلية في تعاطيها مع الثورة والحدث والسلطة والشعب والإنسان، ومختبراً للسلطة في جدية ما تُخبر عنه بسيادة شعبها، وأخيراً مختبراً للمثقف في حقيقة مواقفه إزاء حريات الشعوب والعلاقة مع السلطة.

ملامح الدولة المدنية صارت تطرح نفسها بعدة أشكال داخل هذا المكان. نخلات الدوار الإحدى والعشرون، تحولت إلى علامات تنوع، بقدر ما هي علامات أصالة، وبقدر ما هي

علامات شموخ. سريعاً ما تم ترقيم النخلات لتصير كل نخلة مقراً لكيان مختلف، خيمة عند كل نخلة، بل خيم على امتداد المساحة المحيطة بالدوار، لهذا صار الدوار أكبر، صار ميداناً حقيقياً. تكدست الخيم، تلاصق بعضها بحب بعض، الناس كذلك.

كل من لديه مطلب احتجاجي سيجد له متسع في هذا الميدان، لا أحد يسأل أحد عن انتمائه وأصله أو فصله أو دينه أو مذهبه. الميدان هو المساحة الحرة لممارسة فعل الاحتجاج الحر. لهذا جاء بعضها غاية في التعقل وجاء بعضها غاية في التطرف وكان بينهما كثير. لا أحد يتحكم في الميدان ولا الناس، لا سيد غير علم البحرين الذي كنا نراه للمرة الأولى بهذا التألق يرفرف رفعياً كبيراً مفتخراً. كلما ابتعدت الخيمات عن مركز الدوار ومنصته الرئيسية، تنوعت أكثر وتعددت. في هذا المكان ستجد لك متسعاً وترحيباً وحفأوة كيفما كنت، سنياً أو شيعياً، إسلامياً أو ليبرالياً أو علمانياً أو يسارياً أو شيوعياً أو زائراً من دولة أخرى. هكذا كنت أرى الميدان مصنع تعايش جديد، لم نختبره من قبل.

عند النخلة 6، حيث خيمة وعد الليبرالية، كنت أجلس وأمكث وأتواعد وأتحاور وأتناقش، وأكتب أيضاً. ومن هناك قررت مع عدد من الأصدقاء والمثقفين الليبراليين إصدار نشرة خاصة بالميدان، ذات طابع ليبرالي، أسميناها "صدى الميدان". كانت أول نشرة تعبر عن صوت المعتصمين، يطبع منها 2000 نسخة على نفقة جمعية "وعد" التي قام أتباع السلطة وأنصارها بحرق مقراتها في 14 مارس 2011 وإغلاقها بالشمع الأحمر.

عبرنا في هذه النشرة عن المطالب التي رفعها المتظاهرون، وذهبنا بها خطوات أبعد، وهي: الملكية الدستورية، التدأول السلمي للسلطة والبرلمان المنتخب كامل الصلاحية، من

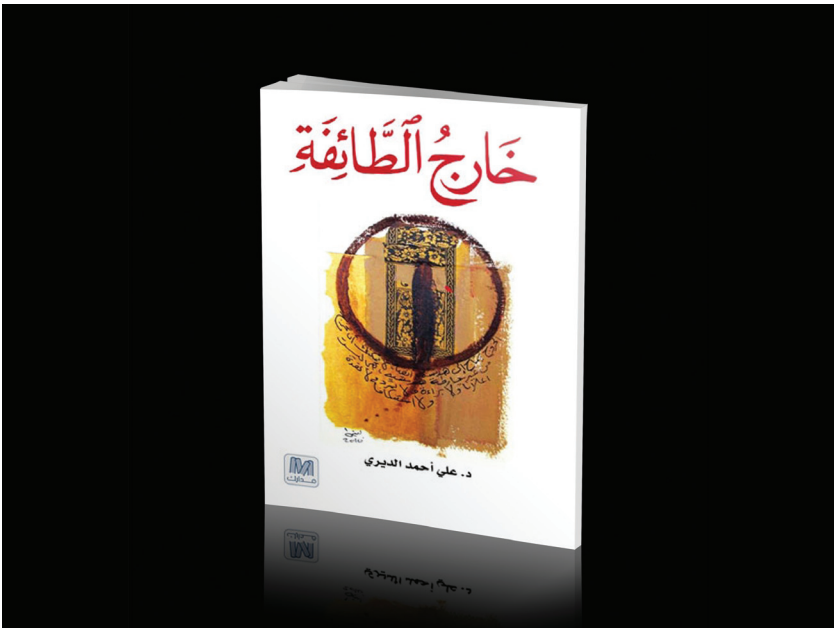

خلال رؤية ليبرالية علمانية.

عند نخلة 6 خضت نقاشات موسعة مع الأصدقاء حول شكل الدولة المدنية المتسعة بالاختلاف والتعدد، تمت دعوتي من خلال شباب وعد والمنبر التقدمي لإلقاء محاضرة، أردت أن أنطلق بها من خلال هذا العنوان، تأخرت الندوة، قبل أن تباغت النخلة قوات درع الجزيرة.

## ■ خارج الطائفة

قبل أيام قليلة من استباحة جزيرتي الصغيرة على أيدي قوات درع الجزيرة، صدر كتابي الأخير (خارج الطائفة). كتبت في حسابي في تويتر يوم السبت 12 مارس: اليوم تسلمت 37 نسخة من كتابي (خارج الطائفة) بطريقة درامية. أنا ممنوع أن أدخل السعودية عبر الجسر، وصديقي عبدالوهاب العريض ممنوع أن يدخل البحرين. فكيف أتسلم منه نسخ كتابي التي أحضرها من معرض الرياض عبر دار مدارك؟ وقفنا عند الحدود، طأولني الكتب وطأولته الشكر، ورجعنا داخل الحدود التي هي أقل من أوطان.

أعلنت للأصداقاء: مقابل النخلة 6 في دوار اللؤلؤة عند خيمة وعد العلمانية، سأوقع كتابي الاثنين 14 مارس. تتطور الأحداث الأمنية تجاه التصعيد، تحتقن الأجواء، يصير كتابي خارج الدوار.

في لحظة الدوار كنا نعيش زمن (خارج الطائفة)، كان الدوار بما يجتمع فيه من أطياف تختلف حد التناقض، تجربة ميدانية في الخروج من الطائفة، والدخول في المدينة المتعددة والمتنوعة. لهذا كنت أرى أن الدوار هو المكان الأنسب لتوقيع كتابي، ففي تجربته ما يعزز هذا الخروج، وما يعزز الدخول في الدولة المدنية.

بعد يومين، وفيما كانت آلات التكسير تفتك بأعمدة اللؤلؤة، أعلن الجيش في بيانه رقم 6 أنه تم تطهير الدوار. أرسلت للأصدقاء الاعتذار التالي:

أعتذر لكم أيها الأصدقاء، حفل توقيع كتابي (خارج الطائفة) الذي وعدتكم أن يكون مقابل النخلة 6 في دوار اللؤلؤة، سنؤجله قليلا، فالنخلة لم تعد في الدوار، واللؤلؤة ليست في مركز الدوار، وخيمة وعد فقدت نقطتها في محيط دائرة الدوار. الدوار اختطفته القبيلة، رأت فيه خروجها. الآن الدوار خارج الجغرافيا لكنه داخل التاريخ.

كنا داخل الدوار خارج الطائفة، اليوم نحن خارج الدوار وداخل الطائفة. داخل الطائفة التي استخدمتها السلطة، لتطالب (بإزالة الدوار) خوفاً على مصالحها من الطائفة الأخرى، وخارج دوار اللؤلؤة الذي بقى يرفع شعاراً مدنياً يطالب بحقوق متسأوية مكفولة

للجميع، دون النظر إلى الطائفة أو القبيلة أو الدين. في لحظة سديمية بدا كل شيء مشروع تدمير من أجل الاحتفاظ بالسلطة فقط.

كان الميدان حياة أخرى، يجعلك تشعر أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة كما يقول محمود درويش. لم أستطع أن أرى هذه الحياة خارج تلك التي بدأ الإنسان العربي يصنعها في ربيعه. الحياة التي حولت عواصم عدد من الدول العربية إلى ميادين تحرير، إنه الزمن الذي سنفتخر دوماً أننا جزء منه، أننا صنعناه وشاركنا فيه، أنه حدث في زمننا، أننا رحلناه للأجيال القادمة. كتبت ذات صباح في تويتر تصبيحة لكل الشعوب العربية في ربيعها العربي، قلت: على هذه الأرض ما يستحق الحياة. الحياة حيث ميدان اللؤلؤة (البحرين) وميدان التحرير (مصر) والساحة الخضراء (ليبيا) وساحة التغيير (اليمن).

هكذا حرصت على أن أكون داخل هذا الحدث، وداخل هذا الحلم، شاركت في التوقيع على كثير من العرائض التي تدين عنف السلطة المفرط في مواجهة المحتجين وتطالب بمزيد من الإصلاحات في البحرين والخليج، وبينها عريضة باسم المدافعين عن حقوق الإنسان في الخليج العربي التي وجهت يوم 22 مارس 2011 إلى مجلس حقوق الإنسان والمفوضية السامية لحقوق الإنسان، وكذلك العريضة التي دشنتها أسرة الأدباء والكتاب في البحرين للأسباب ذاتها. كما شاركت في أغلبية التظاهرات التي نظمت إبان ثورة 14 فبراير، بما في ذلك تلك التي توجهت إلى المناطق الحساسة في الدولة مثل قصر الصافرية، وسكرتارية رئاسة الوزراء للمطالبة بإسقاط الحكومة واستقالة رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، الذي لم يتزحزح عن كرسيه منذ لحظة ولادتي وولادة استقلال الدولة 1971.

### ■ نقد المثقف

ستتيح لي فترة الهدوء داخل الدوار أن أمارس وظيفتي في القراءة والنقد، وسأبدأ بنقد المثقف. المثقف العقلاني حد البرود. المثقف الذي يحرص على مظهر الحياد والرزانة أمام الفاجعة، المثقف الذي لا يغضب ولا ينفعل تجاه انتهاكات السلطة لكرامة الإنسان، فقط لأن غالبية شيعية تشعر بالاضطهاد والتمييز، صرخت تطلب مسأواة وعدالة سياسية.

كتبت مقالاً نشرته في "صدى الميدان" قبل لحظة دخول قوات درع الجزيرة، قلت فيه إن مهمة المثقف في هذه اللحظة أن يقول واقع الحال بشجاعة، ليس هناك أجدر منه في

القول، قوله ينير الحقيقة، وهذه هي مهمته التنويرية، أن يكشف الحجب التي تحول دون ظهور الحقيقة. المثقف الذي لا يقول الحقيقة هو أحد أجهزة السلطة، تستخدمه للإبقاء على واقع الحال، يستوي في ذلك المثقف الحداثي واليساري والقومي والديني والليبرالي والعلماني. أسميت المثقف الصامت عن قول واقع الحال بـ(مثقف شحوال) وهي مشتقة من لفظة شعبية بحرينية تستخدم للتهكم وبيان استقرار الحال على ما هو عليه دون تغيير. فهو مثقف لا يزعج السلطة ولا تزعجه. مثقف يجد في فزّاعة المتدينين تسويغا كافيا للاكتفاء بالحد الأدنى من الديمقراطية. مثقف يهادن كل الأوضاع ليضمن له موقعاً في كل موضع.

صار اسم (مثقف شحوال) مصطلحاً مفاهيمياً لقراءة مشهد المثقف البحريني والخليجي، وصار موضع تندر طريف في صفحات الفيس بوك وبعض النقاشات العابرة.

## ■ أسرة الأدباء والكتاب

ولأنني كنت أحد أعضاء أسرة الأدباء والكتاب (تأسست عام 1969)، فقد شاركت في 22 فبراير في المسيرة التي نظمتها الأسرة إلى دوار اللؤلؤة. تحمل شعار "معاً نحو الحرية". كانت هذه المسيرة امتداداً لتاريخ الأسرة الوطني والنضالي منذ نهاية ستينات القرن الماضي. لكن بعد اجتياح درع الجزيرة، سيدفع مجلس إدارة الأسرة المناصر للحرية ثمن وقوفه إلى جانب الإنسان ضد النظام، سيشهد هجوماً مكارثياً من قبل بعض مؤسسيها بالتعاون مع أجهزة الدولة، سيقوم هؤلاء بإدانة مجلس إدارتها الحالي، واتهامه باختطاف الجمعية وتسييسها، واتهامه بالعمل ضمن أجندات حزبية وطائفية، وسيدفع بهذا الفريق لتقديم بيان اعتذاري، تحت تهديدات أمنية، وستمارس ضغوطات لحل مجلس الإدارة المناصر للثورة.

أيضاً، سيُعمل على تغيير اسم الأسرة، إلى اتحاد الأدباد والكتاب البحرينيين؛ ليتم التماهي مع النظام في مسح معالم وجه الأسرة النضالي وتاريخها العريق، ولتشهد بعدها موجة من الاستقالات الجماعية احتجاجاً على تنصل الأسرة من شعارها الذي أخلصت له طوال سنواتها في السابق: الكلمة من أجل الإنسان. وبعد أن صار شعار الممسكين برقبتها الآن: الكلمة من أجل السلطة، قدمت استقالتي.

كتبت أناشد المثقفين في الخليج بعد اجتياح قوات درع الجزيرة لشعبي: "أخطر ما يهدد الضمير هو أن تروضه المعرفة على اعتياد الجريمة" يا مثقفي الخليج وأصحاب الكلمة في موسسات إعلامه، لا تسمحوا لضمائركم أن تعتاد جريمة اغتيال شعب البحرين".

كنت أرى أن مثقف الخليج الذي خرج على منظومته الدينية أو القبلية، لم يستطع أن يضحّي بنظام المصالح مع السلطة، فهو يعيش في محيط السلطة التي تملك كل شيء، تملك مصادر الثروة كلها بيدها، وتملكه هو أيضا. لهذا هو لا يستطيع أن يجهر بالحقيقة المجردة، بل يتماهى معها، وهو شيء مما عنيته بخيانة المثقف في أول هذه السيرة. سيبتكر هذا المثقف لخيانته شتى الأعذار، يبرر بها تخوفه من الديمقراطية الحقيقة وتخاذله عن دعمها، وضربه للحركات الاحتجاجية التي تطالب بها، وتشويهه لرسالتها. ستكون مهمة هذا المثقف (إعلامي، كاتب، فنان، مفكر) ليس الصمت عما يجري فقط، بل تخريب حركة التغيير التي تجري، وذلك بتشويه كل تغيير يهدد منظومة المصالح التي تدير من خلالها السلطة الدولة (الشعب، والأرض والنظام) وسيشوه هذا التغيير بكلمات التغيير نفسها: الديمقراطية، الدستور، القانون، العدالة، حقوق الإنسان.

## ■ الاجتياح..

مر هدوء الأسابيع الثلاثة، ومر معها الحلم بالدولة المدنية، والحلم بدولة تزهو بالتعدد والاختلاف، الحلم بالخروج من الطوائف والدخول في الدولة، غادَرَنا هذا كله، ودَخَلَنا الموت فقط.

14 مارس كان موعدنا مع دخول قوات درع الجزيرة للبحرين، دخلت عبر جسر الملك فهد رافعة شارات النصر (!). في 15 مارس تم إقرار قانون السلامة الوطني، وتم البدء بهجوم إبادة وحشي على قرية سترة التي عُرف أهلها بالمقأومة منذ تسعينيات القرن الماضي. في 16 مارس تم الهجوم على الدوار (وتطهيره) من المحتجين وفق ما جاء على لسان المشير المحسوب على الجناح المتشدد في العائلة الحاكمة. ومنذ ذلك اليوم والبلد تعيش تطهيراً من كل فعل احتجاجي، ومن كل من احتج، وكل من طالب بالإصلاح، وكل من حَلَم.

سيرتي بعد مرحلة الاجتياح، ومغادرتي وطني، ورحلتي خارج البحرين، هي تفاصيل أخرى، سيكون لها محل كتابة أخرى، ربما تكون قريبة.

■ **هوامش**

(1) يوتيوب ورشة عمل علي المؤمن لأهل سترة

http://www.youtube.com/watch?v=Q4or5c2cCto

(2) مراسم دفن الشهيد على المؤمن في سترة 18 فبراير

http://www.youtube.com/watch?v=z91BEC7L1VM

(3) مسيرة الولاء للملك عند الفاتح 2011

http://www.youtube.com/watch?v=xCdh8CeTL6c

(3) كسر الفاتحة هو تقليد متبع في حالة وفاة أحدهم، يتلقى أهل المتوفى التعازي خلال 3 أيام، يذهبون في ختامها جماعات لزيارة قبر المتوفى.

(4) يوتيوب يظهر الجيش وهم يهجمون على الشباب المتوجهين للدوار بعد كسر الفاتحة 18 فبراير 2011

http://www.youtube.com/watch?v=ANqPValTyPQ&skipcontrinter=1

(5) يوتيوب الجماهير الغاضبة في مجمع السلمانية مساء الجمعة 18 فبراير 2011

http://www.youtube.com/watch?v=PBUwUwliXgw

(6) ولي العهد في تلفزيون البحرين 18 فبراير

http://www.youtube.com/watch?v=dz3ltNjhHVs



# اعترافات ثائر

يجب أن أعترف أنني كنت متشائما جدا من مجرد احتمال قيام ثورة في البحرين. لهذا السبب كنت أتابع أخبار يوم الغضب في 14 فبراير بمشاعر رمادية. في البداية تجاهلت الخبر، واعتبرته مجرد واحدة من عادات البحرينيين في تقليد الآخرين. بعد ذلك، تطور شعوري السلبي إلى استخدام عبارات مليئة بالتثبيط، وأحيانا السخرية القاسية من كل الذين يحشدون ويدعون إلى الثورة، واعتبرتهم – في أحسن الأحوال – يعيشون أحلام يقظة رمادية.

وأود أن أقدّم اعترافا ثانيا. في يوم الاثنين، عندما شاهدت من بعيد الناس تخرج شيئا فشيئا خارج القرى، وتعتصم عند المداخل والأماكن العامة.. وجدت نفسي أمام خيارات صعبة. حتى يكون كل كلامي واضحا، لابد من تقديم تعريفات عامة حول نفسي.

أنا سجين سياسي سابق في أحداث التسعينات. وأعترف – من جديد – أنني دخلت السجن حينها لأسباب مفهومة. شاركت في توزيع المناشير، واستخدمت مكان عملي لاستقبال الفاكسات وإرسالها إلى الخارج. وأذكر أنني لم أتمالك نفسي عندما رأيت مجموعة من النساء في قريتي وهي تخرج في مسيرة، فتركت كل شيء وراء ظهري – بما في ذلك موقعي المهني الحساس – وخرجت في مظاهرة انتهت بحرق عشرات الإطارات. بقيت في السجن أكثر من سنتين. وخرجت منه مع العرس الكبير الذي حمل عنوان: الميثاق. اعتبرت نفسي إنسانا جديدا، وبفضل الميثاق اقتنعت بأننا يجب أن ننهي مرحلة العصيان السياسي ونقبل الدخول في اللعبة، ولو بالحد الأدنى.

طوال السنوات السابقة، كنت ناشطا في المنتديات الإلكترونية أدافع عن وجهة نظر الجمعيات السياسية، وطريقتها في العمل السياسي. وأعترف – أيضا وأيضا – أنني دخلت في حرب ضروس للرد على كل من يحمل شعار المقأومة أو الممانعة، واعتبرت كل ذلك هراء وتخيلات وردود فعل شخصية ضد الوفاق ومرجعيتها الدينية. لم أكن أمثل لا الوفاق ولا أية جمعية سياسية، كنت أمثل قناعتي الجديدة.

استحضرت كل هذا وأنا أرى الناس ظهيرة 14 فبراير. لا أخفيكم أنني تذكرت نفسي في التسعينات. شعرت بأنني أعود إلى الوراء. اهتزت من مخيلتي الوسأوس ومشاعر الإحباط المرهقة. ركنت السيارة، وأسرعت نحو المعتصمين عند دوار الدراز. رميت نفسي بينهم. نظرت إلى الوجوه. وجها وجها. رأيت فيهم نفسي المقموعة. صدقوني.. لقد بكيت بكاء شديدا. ظن من حولي أن هناك مسّا عقليا، أو مشكلة نفسية ألّمت بي. لكنهم سرعان ما عرفوا أنني بكيت على نفسي. بكيت دهشةً من هذا الشعب الذي لا يعرف الموت. تظنه يموت. تظنه يمضي للمجهول. وفجأة تراه يعتلي أعلى درجات السلم، ومن حيث لا يتوقع الجميع.

منذ ذلك اليوم وأنا في صفوف الثوار. لم أترك الساحات. كل الفعاليات حرصت على وجودي نفسها، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. سخّرت كل ما أملك، وما أعرف لأجل الثورة. أنقذتني الثورة من اكتئاب شديد كنتُ أتجاهله أو أتستر عليه في السابق عن طريق مناهضة كل شيء يمت للمقأومة بصلة. الثورة هي العلاج الذي لم أكن أتصوره.

يجب أن أقول، وبغض النظر عن الوضع العام للثورة، فإنها بالنسبة لي شخصيا شكلت إنقاذا فرديا.

أهم ما توصّلت إليه من خلال تجربتي في الثورة، هو أن البشر يمكن أن يصبحوا شيئا جديدا في لحظات، وفي لمح البصر. من المستحيل أن نتوقع ردود فعل الناس عندما يكون كل شيء حولك فاقدا للمنطق والموازين العقلية. أنا حاليا أعتني بعائلتين فقدتا دخلهما الشهري بسبب انتقام النظام وأعوانه. مع الوقت، بدأت أعيش مع هاتين العائلتين مثل العائلة الواحدة. في الواقع، لم أكن اتصور نفسي في يوم من الأيام قادرا على هذا النحو من الاندماج من الآخرين. استفدت من الثورة هذه الخاصية عندما شاركت مع آلاف الناس الذين لا أعرفهم في أصعب اللحظات، وكنت مع بعضهم على مقربة من الموت أو المصير المجهول.

أتمنى أن يأتي اليوم الذي يستطيع فيه الإنسان أن يبوح بالأسماء والأماكن والأزمنة. في الثورة قصص مدهشة، ولعلها فريدة من نوعها في تاريخ الثورات. شكرا لكم.. شكرا لكم.






# من أيّام الغدر والدِّماء

الخميس الدامي.. 17 فبراير 2011 كنت قد وصلت مع زوجي مع بدء الإطلاق. نزلنا من السيارة نركض باتجاه الميدان، وكل منا في اتجاه، ودون وعي. في تلك الليلة كان الدوار ممتلئا بالعوائل والأطفال. كان الطلق بمسيلات الدموع يزداد ويصبح جنونيا. وسط حالات الهلع والبكاء، كنت أسعى لالتقاط أي أحد. تم إخراج عدد كبير من الأطفال نحو أسواق المنتزه، قبل أن تنعدم الرؤية. رائحة الفزع أقوى من رائحة الغازات، وطعنة الغدر أمضى وأقسى من خنجر مشحوذ.

اصطدمت بشيء ما. تبين لي أنه طفل في حدود الخامسة تقريبا. كان متخشبا من الخوف. لا يتحرك. حملته دون وعي من خلفه، ورحت أركض وأنا أضع البصل على فمه. لا يبدي أية استجابة. أركض.. وأركض.. ولا أدري! هل أركض في الاتجاه الصحيح، أم لا!؟ سقط. وتعثرت بالطفل. تمزّق جزء من عباءتي. أصطدم بالسيارات وأشياء أخرى. أنقذني والطفل، شبان كانوا خلفي. كنت على وشك السقوط، وكمية الغاز سيطرت عليّ كلية.

كنتُ خائفة على الطفل. دخلنا بيتا. "أنت بأمان يا حبيبي. لا تخف. تكلّمْ! قل أي شيء". نطقت دموعه من عينيه المتورّمتين. وكانت كافية لكي أطمئن! امتلأت جمجمتي بأصوات صفارات الإسعاف والطلق، وفي داخل كلٍّ منا طوفان يتحرك. مرّ بعض الوقت. هدوء نسبي. أهل البيت يغامرون، ويخرجون لتوزيع الماء، وتقديم العون. أخذوني إلى مجمع السلمانية الطبي مع الطفل الذي لازال في الإعياء.

كان المكان في الطوارئ مليئا بالآلام والآهات. جلست على الأرض خائرة القوى. استهلكتُ من الأدرينالين في تلك الساعة ما لم أستخدمة في عقدين من عمري. أسندت رأسي للجدار. هل أقوم وأبحث عن زوجي أم إخواني؟! قمتُ أهرول بين أجنحة الطوارئ. أبحث عن أحباب قلبي والرعب على مصيرهم يبرز أمامي. لم أجد منهم أحداً!

ساعات مرّت حتى جاء الاتصال. زوجي بخير، إلا أنه مصاب، وهو الآن في إحدى البنايات بمنطقة القفول، ومعه مجموعة من الشباب. وإخوتي على الأرض في تلك الدوامة عند المدخل لعلّي أرى منهم أحداً، ومرت ساعات ثقيلة بين اتصالات أهلي وأهل زوجي للاطمئنان وكنت أخبر الجميع بأننا جميعا بخير على الرغم من عدم علمي بحال البقية، فزيادة عدد القلقين والمفزوعين لن تغير من الوضع شيئا، بقيت هكذا حتى الساعة التاسعة صباحا اتصل زوجي وأخبرني أنه مصاب في إحدى البنايات بالقفول ومعه مجموعة من الشباب. أما إخواني فاستقروا في بيوت الشرفاء.

## ▪ يومُ سترة.. 16 مارس 2011

لم أبت تلك الليلة في الدوار. أصبت بالإعياء. مثل حال الجميع في هذا الوطن الذبيح. نوم متقطع، وقلق فاحش، وتوتر يفتك بملايين الخلايا العصبية. استيقظت على فاجعة نزول الجيش السعودي واستباحته لقريه سترة. "أمي، سأذهب إلى سترة، لا أحتمل الجلوس هنا، ولا حتى الذهاب إلى الدوار. أختي سأذهب معك". لبست روب الطبابة ومشينا. كان صعبا الدخول. حأولنا مع مختلف المداخل. بعد صلاه الظهر، تحرّكت مجموعة

كبيرة من القوات من أمام المدخل القريب من محل المفروشات.
دخلنا. الطريق ممتلئ بآثار الدمار، الطلقات على الأرض، والحواجز. ولا أثر للبشر. وصلنا قرب حاجز مغلق تماماً، وخلفة مجموعة من الشباب. بعضهم مكشوف الوجه، والبعض الآخر كان ملثما. نظراتهم مخيفة. تردّدنا في فتح النافذة والسؤال. عندما رأوا أختي بلباسها، أرشدونا مباشرة للمركز الصحي.
أوقفنا السيارة عند المدخل الخلفي للمركز، المخصص للمصابين والجرحى. سُمح لأختي فقط بدخول المركز بسبب شدّة الزحام بالمصابين. سألني رجل معروف في المنطقة إنْ كنتُ أجيد استخدام الحاسوب والتعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي.
عند المدخل مباشرة، جُهّزت غرفة عمليات إعلامية مزوّدة بثلاثة أجهزة "لاب توب" وكاميرات ديجتال وغيرها. جلسنا. الأجهزة باتجاه الجدار، وخلفنا الممرّ الذي تتحرك فيه الأسرَّة المحمّلة بالمصابين، ويفصلنا عنه حاجز أبيض. سيارات الإسعاف لم تتوقف. أسمع الصراخ رفقة كلّ إنزال. لم تمر عليّ صور الشهيد أحمد فرحان. وصلتُ قبل وصوله. كنتُ أرتجف وأنا أقوم بتحميل الصور ومقاطع الفيديو، وأرسلها لحسابات وكالات الإعلام والجمعيات، وبينها الوفاق.
فجأة، ومع وصول إحدى سيارات الإسعاف، ضجّ المكان كلّه بالصراخ والبكاء وبشكل هستيري. أسرعت نحو المدخل. رأيت أختي هناك أيضاً. كان الشهيد فرحان! لم أحتمل



النظر! عدت إلى مكاني، وجلست على الأرض أرتجف. شعرت بالتقيؤ. بعد نصف ساعة، لُفّ الشهيد فرحان، وأخذ إلى مجمع السلمانية الطبي.

دخلت مجموعة من النساء وهي تصرخ بأنّ هناك جرحى في منازلهن. دقائق قليلة، ويبدأ القصف مدويا حول المناطق المحيطة بالمركز. الطائرات على علوّ منخفض وهي ترمي برصاص الموت في كلّ اتجاه. حملنا الأجهزة، ودخل الجميع المركز.

الجرحى في كلّ مكان. في الممرات والغرف وعند البوابات. الأطباء يعملون مثل الآلات. أهرول. أريد الاطمئنان على أختي. أريد احتضانها فقط. أنتقل بين الممرات فأرى الجرحى في كل زأوية. هذا ملقى على وجهه وهم ينزعون من ظهره رصاصات الشوزن، وهذا ينتشلون فخذه الممزق من الرصاص الحي. الدم في كل زأوية. منْ لم يُصب، كان منهارا أو ملطخا بالدّماء.

قصفوا المركز! أصوات الطلق كانت فظيعة. في لحظة واحدة صرخ الجميع بالشهادتين. نكاد نوقن أن النهاية باتت على مشارف هذا المكان المفجوع. كلما أطلقوا انبطح الجميع على الأرض، أو استند إلى زأوية. رأيتهم بعيني أمام البوابة الرئيسية. قوات درع الجزيرة. كانت أسلحتهم موجّهة نحونا، ولا يفصلنا عنهم إلا الأبواب الزجاجية.

إننا هالكون لا محالة! المروحية تكاد تلامس سقف المركز. توقّف الطلق خمس دقائق، ولكننا مازلنا نراهم محيطين بالمركز. ومع كل هذا الضجيج والبكاء والهلع، أسمع صوت



أختي تناديني. احتضنتني وهي تبكي. تبادلنا كلاما غير مفهوم. أجرينا الاتصالات بالأهل، والكل يبكي. أمي تتوسلنا أن نحتمي في أية زاوية آمنة. هم يشاهدون قناة العالم وهي تذيع خبر القصف المتكرر للمركز. ودعتنا أمي وهي تموت حسرة. يقصفون مجدداً فنرمي بأنفسنا على الأرض.استمر الحال هكذا ما يقارب الساعة.

بدأ الظلام. طلبوا منا إطفاء كل الأنوار. جلسنا في الظلام على الأرض. كنّا منهكين، وصوت الرصاص بدأ يبتعد قليلا.

بعد مدة، سمعنا أن أحد أفراد درع الجزيرة دخل المركز، وأمر إخلاء المركز بسلام، وأنه لن يتعرض لأحد. خرجت أولى الدفعات نحو مناطق سترة، مهزة، سفالة، الخارجية.. وبعد ذلك القاطنون في مناطق خارج سترة. كنا أنا وأختي وطبيب آخر (ط) الوحيدين من المنطقة ذاتها، وهو زميل عمل أختي، وعلى معرفة سابقة ببعض. قررنا الذهاب إلى الدوار مباشرة.

خرجنا نحو الشارع. مازال مظلما، والهدوء كلّه سكون وخوف وأشباح. توجهت نحو سيارتي، والطبيب طلب أن يكون هو في المقدمة. فتحنا إضاءة "الدنجر"، واتجهنا نحو الشارع الرئيسي الذي يقع وسط خزانات الماء. كانوا منتشرين بين الزوايا، وفي مفترق الطرق. قرأت آية الكرسي عدّة مرات، حتى اقتربنا من نهاية الشارع حيث جحافل مدججة تتجه نحونا وكأنهم رأوا كنزا. أمطرونا برصاص الشوزن، وبالأخشاب. تهشم زجاج سيارة الطبيب. الاحتمال الأكبر أنه أصيب رغم أن سيارته مازالت تتحرك. أما نحن، فاستدرنا بسرعه جنونية، وركبنا فوق الأرصفة. مرّ علينا الرصاص في كل اتجاه، وتمزق السقف قليلا. قدتُ السيارة بسرعة، وأختي اختبأت في الأسفل، وتطلب مني أن أخفض رأسي!

سرنا بين الأزقة على غير هدى. لا أحد غيرنا في الشارع. لاحت سيارة. كان الخوف يمزقنا. "هيا يا أختي اخلعي الروب بسرعة، إذا علموا أنك طبيبة لن يرحمونا أبدا". كانوا أربعة شبان. رجوناهم أن يأخذونا إلى أحد المنازل. وصلنا إلى مكان ما. نزل الشاب، وهو يلوح لنا بسرعة الدخول إلى منزلهم. وسلّمنا إلى أمه. كان ابنها الوحيد. ولكنها لم تمانع خروجه في هذا الظرف الخطير. كان شابا شجاعا جدا. قضينا ثلاثة أيام عندهم، والقرية محاصرة. لم يجلس الشاب في بيتهم أكثر من ساعتين متواصلتين للنوم فقط.



# عادل مرزوق

## ثورة اللؤلؤة: الشهادة المحرمة

هذه شهادتي، وهي شهادة سياسية من صحافي لم يُعد لقصته ما تحتاجه من أدوات وتحضير. في قلب الحدث وجد نفسه، ذاب في تفاصيل القصة من دون أن يدري. هي شهادة تلاحق أدق التفاصيل تارة، وتغوص في ما وراء الحدث تارة أخرى. شهادة لا تدعي الحياد. فالحياد قبل كل شيء، "تقدير" يمنحه القارئ لما يقرؤه، وليست ادعاءً يصف به الكاتب ما خطته أنامله.

حين عرج رئيس تحرير الحياة اللندنية جهاد الخازن إلى البحرين قبل إعلان حالة السلامة الوطنية في 15 مارس 2011 بأيام معدودات، كنت أحد المدعوين من جانب ديوان ولي العهد لحضور مأدبة عشاء وحلقة حوارية مع الخازن في مرفأ البحرين المالي وعلى مقربة من دوار اللؤلؤة، حيث كان المعتصمون يفترشون حلمهم الجميل بالحرية والكرامة.

كان اللقاء معداً بطريقة مقصودة لأكون الممثل الوحيد الذي ارتضاه مستشارو ديوان ولي العهد لتمثيل المعارضة قبالة الجوقة المتعددة من المدعوين والذين انشغلوا بتأكيد موقف الدولة وقراءتها للأحداث. شخصياً، لم يكن إقناع رئيس تحرير الصحيفة اللندنية جهاد الخازن بصدقية وعدالة ما يطلبه المعتصمون في دوار اللؤلؤة الشغل الشاغل بالنسبة لي، فلهذا الضيف موقف معروف بالنسبة لأنظمة الحكم في الخليج والعالم العربي عامة. ووجدت – ولعله من باب التقدير – أن أي محاولة لإقناع الخازن بما أراه وما أفهمه، أو بما يراه أو يأمل به المعتصمون على مقربة منا، مجرد مضيعة للوقت. يعلم الخازن تفاصيل المشكلة ولا يحتاج لأن يغرق في تفاصيلها.

وجهت للخازن سؤالاً عن تحليله وقراءته لبداية الربيع العربي في تونس بالتحديد، فالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس ورغم الديكتاتورية السياسية لم تكن كارثية كما هي الحال في بلدان عربية أخرى، مثل مصر، اليمن، الأردن، ليبيا، أو سوريا. لكنه لم يجب، ولم أجد في قراءته لأحداث الربيع العربي تأويلاً دقيقاً، أو مقنعاً. ولا ألومه على ذلك، فإن أحداً لم يجب على هذا السؤال حتى اليوم.

قد يكون هذا السؤال الذي لم يجد إجابة شافية من رئيس إحدى أعرق الصحف العربية وأكثرها شهرة. هو السؤال المفتاح الذي أود أن ألج منه إلى ما شهدته البحرين بدءاً من الرابع عشر من فبراير 2011 وحتى بدء كتابة هذه الشهادة. لم يتوقع أحد أن تنضم البحرين لهذا الربيع العربي، ولم يعرف أحد منا بمآل الأمور، وبما ستشهده هذه الجزيرة الصغيرة من حوادث.

كانت أصداء ثورة تونس مدوية، كانت أنغامها ومظاهر انتصاراتها تشي لكل عربي في أن يفكر، أن يهتم، أن يحلم، وربما، أن يقدم على فعل شيء. لم تكن الثورة التونسية ثورة حدودية، بل تم تصديرها بأسرع مما كان البعض يعتقد أو يأمل، ها هي القاهرة وصنعاء وطرابلس ودمشق في سباق ماراثوني نحو الإطاحة بالحكام والولوج لعصر عربي جديد، يعالج أوجاع السنين، ويؤسس لعهد جديد مفعم بالحريات والديموقراطية والعدالة



■ اعبدالوهاب حسين يتقدم مظاهرات ١٤ فبراير في منطقة النويدرات

والنزاهة. وها هي البحرين في فبراير 2011 تتصدر نشرات الأخبار التي تتحدث عن ثورة اللؤلؤة.

## ■ جزيرة البراكين الهادئة

كان المشهد السياسي في البحرين قبيل انطلاق ربيع الثورات العربية هادئاً نسبياً. لم يكن ثمة ما يشي بأن هذا البلد الصغير النائم في قلب الخليج العربي موعود بالحديد والنار، وجثث القتلى في الشوارع والمظاهرات الكبرى والقطع العسكرية والمجنزرات التي ستجوب شوارعه وطرقاته لتدهس أحلام أبنائه وتطلعاتهم لغد أفضل.

على الأرض، احتفظت جمعية الوفاق الوطني الإسلامية - كبرى الجمعيات السياسية المعارضة - في الانتخابات النيابية التي شهدتها البحرين أكتوبر 2010 على مقاعدها

الثمانية عشر، فيما تلقى تيارا الإخوان المسلمين (جمعية المنبر الإسلامي) والسلفي (جمعية الأصالة) ضربة موجعة من خلال خسارة هذين الفصيلين السياسيين المحسوبين على الدولة لبعض المقاعد النيابية لصالح المترشحين المستقلين، الذين أصبحو يمثلون الكتلة الثانية في تعدادها بعد جمعية الوفاق. لكن ذلك لم يمنع الدولة من إبقاء سيطرتها على المجلس النيابي بما مجموعه 22 نائباً.

وإلى جانب الإخفاق الذي تعرضت له جمعيتا المنبر الإسلامي والأصالة، لم تكن حظوظ الجمعيات السياسية في التيار الوطني وافرة لتتجأوز التحشيد الطائفي الذي رعته الدولة عبر أجهزتها الرسمية، بالإضافة إلى التلاعب في نتائج الانتخابات النيابية في الدوائر المختلطة التي كادت المعارضة أن تختطفها من يد الدولة. في السياق ذاته، شهدت الانتخابات النيابية مقاطعة بعض التنظيمات السياسية في المعارضة، ومنها: حركة حق (يترأسها الناشط السياسي حسن مشيمع)، وتيار الوفاء الإسلامي (يتزعمه الناشط السياسي عبدالوهاب حسين).

خارج البحرين وفي العاصمة البريطانية لندن، كانت حركتا أحرار البحرين التي يقودها الدكتور سعيد الشهابي وحركة خلاص التي يقودها الناشط السياسي عبدالرؤوف الشايب، تواجهان الدولة بخطاب يعتمد على الإسقاط وعدم الشرعية. وهو موقف تبنته المعارضة في الخارج عقب ما أطلقت عليه قوى المعارضة الانقلاب الدستوري في العام 2002. وذلك عقب التصويت على ميثاق العمل الوطني بإجماع وطني العام 2001، وهو ما كان يستلزم العودة لتفعيل دستور 1973 أو انتخاب لجنة تأسيسية لصياغة دستور جديد، إلا أن الديوان الملكي حينها فاجأ المعارضة بطرح دستور 2002، والتصديق عليه، والدعوة للانتخابات النيابية أواخر العام 2002. وهو ما اعتبرته قوى المعارضة آنذاك انقلاباً دستورياً.

وقبل الدخول للعام 2011، لابد من التوقف عند العام 2004، إذ يمثل هذا العام منعطفاً سياسياً واجتماعياً بالغ الأهمية في للمشهد السياسي البحريني، وذلك عقب الفضيحة التي تعرضت لها الحكومة البحرينية فيما عرف بفضيحة "بندر غيت". وتتمثل هذه الفضيحة في تقرير استخباراتي قدمه المستشار السابق للحكومة البحرينية الدكتور صلاح البندر (بريطاني من أصل سوداني)، يقود هذا المخطط وزير الديوان الملكي خالد بن أحمد آل خليفة ويشرف عليه ابن أخته المقرب للديوان الملكي أحمد بن عطية ال خليفة، ويهدف إلى تجنيس آلاف العرب والأجانب من الطائفة السنية لإحداث




■ أحد "بوسترات" الدعوة للتظاهر في البحرين

موازنة طائفية بين الطائفتين في البحرين، بالإضافة إلى استهداف الناشطين الشيعة ورجال الدين وكافة النخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية من الطائفة الشيعية.

يصف المراقبون هذه الفضيحة المدوية بأنها كانت الخط الفاصل بين ما عرف بالمشروع الإصلاحي لملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة ودخول البلاد في منعطف المواجهة المباشرة مع المعارضة. إذ تبعت هذه الفضيحة عديد الأحداث التي زادت من مسارح الأزمة والمواجهات، خصوصاً وأن الدولة كانت تعمد إلى استخدام القوة الأمنية في مواجهة أي حركة سياسية للشارع المعارض في البحرين، وهو ما أدى لاحقاً لاعتقال عديد الناشطين السياسيين في تيار المعانقة، وتورط الأجهزة الأمنية في فضائح التعذيب للمعتقلين السياسيين، وإجراء المحاكمات القضائية التي كانت تفتقر للإجراءات القانونية، ودون أي حقوق للمتهمين في الدفاع عن أنفسهم، وهو ما أدانته الهيئات الدولية المعنية بحقوق الإنسان في أكثر من تقرير.

## ■ العائلة الحاكمة: الأذرع المتناحرة

الصراعات بين أقطاب الأسرة الحاكمة كانت جزءاً من تعقيدات المشهد السياسي في البحرين، تطفو هذه الصراعات على السطح؛ لتكون واقعاً معاشاً ومؤثراً مباشراً في تفاصيل الحراك السياسي البحريني تارة، وتتوارى عن الأنظار تارة أخرى. إلا أنه كانت دائماً وأبداً، حقيقة يقرأ من خلالها السياسيون تفاصيل المشهد السياسي في البحرين، كانت السياسيون يقرأون بوضوح تفاصيل هذا الصراع في القرارات الحكومية، والتعيينات الوزارية ومجلس الشورى وباقي المؤسسات الحكومية، وبما يشمل توزيع

الموازنة العامة للدولة.

وتتلخص الصراعات الدائرة في مؤسسة الحكم بين ثلاثة أذرع متنافرة. التيار الأقوى يترأسه: وزير الديوان الملكي خالد بن أحمد آل خليفة فيما عرف بجناح (الخوالد) من الأسرة الخليفية الحاكمة، ويتحكم هذا التيار بالديوان الملكي ومالية الدولة والسلطة التشريعية والقضائية. ويرسم جميع السياسات والقرارات الصادرة من الديوان الملكي، فالملك كان قد سلم سلطاته فعلياً لربيبه ووزير ديوانه الوزير خالد بن أحمد آل خليفة، وهو ما جعل منه المتحكم الحقيقي بالتعيينات الوزارية وموازنة الدولة، وهو ما خلق خلافات عميقة لاحقاً بين رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة ووزير المالية أحمد بن محمد آل خليفة تحديداً، إذ كان الأخير يرفض اعتماد الميزانيات المالية لتنفيذ قرارات رئيس الوزراء، وهو ما تسبب في طرده من جلسة مجلس الوزراء الأسبوعية لمرتين على الأقل.

الذراع الثانية بطبيعة الحال كانت بيد رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، وتمكن خالد بن أحمد فعلياً من تحجيم دور الشيخ خليفة الذي كان محط نقمة الملك منذ التسعينات، إذ لم يكن بمقدور الملك حمد بن عيسى آل خليفة الإطاحة بعمه أو استبداله من منصبه؛ لما يملكه الشيخ خليفة من تأثير ونفوذ داخل مجلس الأسرة الحاكمة، وكذلك على المستوى الخليجي، في الكويت والسعودية تحديداً، وهو تحدٍّ لم يرغب الملك في اختباره منذ توليه مقاليد الحكم في البحرين.

الذراع الثالثة يمثلها ولي العهد نائب القائد الأعلى الأمير سلمان بن حمد آل خليفة، واستطاعت هذه الذراع خلق حكومة جديدة في البلاد من خلال إنشاء مجلس التنمية الإقتصادية ضمن رؤية البحرين الاقتصادية 2030 والاستراتيجية الوطنية 2009 – 2014، ويضم مجلس التنمية الاقتصادية في عضويته جميع الوزراء، واستطاع ولي العهد أن يضمن لهذا المجلس صلاحيات مفتوحة تضاهي رئاسة الوزراء، وعمد إلى إنشاء العديد من المؤسسات والهيئات والشركات شبه المستقلة عن الحكومة، منها: تمكين، ممتلكات، هيئة تنظيم سوق العمل، بوليتكنك البحرين. وكان خالد بن أحمد تحديداً من يدير التوازن بين الذراعين الفاعلتين على الأرض بين ذراع رئيس الوزراء وذراع ولي العهد عبر تحكمه المباشر بمالية الدولة والسلطة التشريعية.

تمادى الصراع بين خالد بن أحمد وخليفة بن سلمان وسلمان بن حمد وتأولته الصحافة البحرينية في الكثير من المواقف، منها الخلاف الذي دار بين ولي العهد الأمير سلمان بن

حمد آل خليفة ونجل رئيس الوزراء الشيخ علي بن خليفة آل خليفة، وهو ما انتهى بخطاب ملكي استثنائي وشديد اللهجة للحكومة ورئاستها ملوحاً بإقالة جميع من لا يبدي التعأون المطلوب من ولي عهده. وكذلك عقب تقرير البندر، إذ عمد رئيس الوزراء إلى تجييش المعارضة وتوجيهها ضد الملك من خلال مستشاريه بدعوى أن الملك هو المسؤول عن التجنيس السياسي، ولم يقتصر تحريض رئيس الوزراء على الملك من خلال مستشاريه، بل عمد إلى الالتقاء فعلياً ببعض أقطاب المعارضة والتحريض على الملك، وكذلك عمد رئيس الوزراء إلى التحريض ضد الملك من خلال بعض الصحافيين والإعلاميين المحسوبين على ديوانه.

## ■ 14 فبراير: علي مشيمع يفتح شريط الثورة

حتى يناير العام 2011، كانت بعض القرى تشهد صدامات محدودة مع قوات الأمن البحرينية. هذه الصدامات أصبحت في المجمل العام جزءاً من المشهد السياسي اليومي في البحرين، وتركزت مطالب الاحتجاجات والمتظاهرين على المطالبة بالافراج عن الرموز السياسية في حركة حق الفصيل السياسي المنشق عن جمعية الوفاق الوطني الإسلامية بالإضافة لبعض رجال الدين والسياسيين المعتقلين في قضية الحجيرة وبعض القضايا الأمنية التي كانت الدولة تحبك مسرحياتها كلما أرادت النيل من الرموز السياسية في الأجنحة المتشددة من المعارضة وإيداعهم السجن.

كان الخبر الأبرز في صحافة البحرين يوم الأحد 13 فبراير هي التفاصيل الصادرة عن مجلس الوزراء حول المكرمة الملكية التي أعلن الديوان الملكي فيها عن توزيع 1000 دينار بحريني ( 2.666 $ ) لكل أسرة بحرينية بمناسبة الذكرى العاشرة لميثاق العمل الوطني إلى جانب منح أخرى. وكذلك الإعلان عن مشاريع خدماتية بمختلف المناطق. وهو ما اعتبره المراقبون الرد الرسمي للدولة على بعض دعوات التظاهر التي أطلقها ناشطون سياسيون من الشباب البحريني على المواقع الإلكترونية، خصوصاً على ملتقى البحرين (بحرين أونلاين)، وشبكتي التواصل الاجتماعي: الفايس بوك وتويتر. وهو ما أشارت له وكالات الأنباء وتلاقفته وسائل الإعلام الدولية بجدية، ومنها الجزيرة نت. ولم تكن البحرين وحدها من شهدت خروج مثل هذه الدعوات الإلكترونية للتظاهر، بل عُمان والسعودية أيضاً.

وتباينت المطالب التي خرجت بها الدعوات إلى التظاهر والاحتجاج بين التدأول السلمي للسلطة في السلطة التنفيذية وإطلاق المعتقلين السياسيين في السجون البحرينية، وإسقاط

الحكومة ورئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة، والمطالبة بإصلاحات سياسية جذرية، وصولاً إلى المطالبة بإسقاط دستور 2002 والدعوة لمجلس تأسيسي لصياغة دستور عقدي جديد للبلاد يجسد نظام يعتمد الملكية الدستورية، وكانت العديد من الملفات السياسية والخدمية المعيشية حاضرة في دعوات التظاهر والاحتجاج: منها ملف التمييز الطائفي في وزارات ومؤسسات الدولة، والملف الإسكاني والخدمات الطبية والتعليمية، وغيرها من الملفات.

لم تتبن الجمعيات السياسية وفي مقدمتها جمعية الوفاق دعوة التظاهر في 14 فبراير رسمياً، لكنها أيضاً، منحتها ما يشبه الغطاء السياسي غير المباشر. وفي خطبة يوم الجمعة الموافق 11 فبراير 2011 للأمين العام لجمعية الوفاق الشيخ علي سلمان، أكد سلمان في رده على التساؤلات حول دعوات التظاهر المنتشرة بالقول: "ترى الوفاق وعدد من الجهات والجمعيات السياسية أن حق التظاهر للأفراد والجماعات هو أمر مكفول عالمياً ومحلياً. وترى الوفاق والجمعيات على أن يُمارس هذا الحق بطريقة سلمية وأن يُحافظ على الممتلكات العامة والخاصة في كل مراحل المطالبة (...) وترى الوفاق وهذه الجمعيات التي تشأورنا معها عدم جواز منع الناس من هذا الحق في 14 فبراير أو في غيره من التواريخ، وعدم جواز استخدام القوة ضد هؤلاء الناس المطالبين بحقوقهم التي يجب أن تكون مشروعة، وأعتقد بأن هذا الموقف هو موقف الإنسانية اليوم جميعها".

لم تأخذ السلطة هذه الدعوات بجدية، وكذلك الإعلام والجمعيات السياسية في المعارضة أيضاً. اكتفت الدولة بالمنحة المالية لكل أسرة والإعلان عن بعض المشروعات الخدمية، ورمت الجمعيات السياسية برجل واحدة مع شباب 14 فبراير وأبقت الأخرى معلقة في الخارج. هذه الأيام فقط، وأنا أتصفح أرشيف الأحداث والصفحات الإلكترونية لشباب 14 فبراير، أطالع الدعوات وإرشادات التظاهر في جميع المدن والقرى البحرينية، أجدها دعوات عالية التنظيم، دقيقة التوقيت. تبدو عملاً منظماً لشباب يعي ما يفعل، ويدرك ما يريد بدقة ووضوح. لعلي مدين لهؤلاء الشباب باعتذار صحافي لم يثق بقدرات وعزيمة وشجاعة شباب وطنه حين شاهد هذه الدعوات أول مرة.

## ■ صباح الثورة الكبير

البحرين صباح الرابع عشر من فبراير، طقس بارد في هذه الجزيرة التي لا تتنفس الهواء البارد إلا في ثلاثة أشهر كل عام. المتظاهرون في 25 مدينة وقرية يسيرون في الشوارع والطرقات بعزيمة وشجاعة، الهدف هو الوصول إلى ميدان اللؤلؤة وسط



العاصمة المنامة. كان اللافت في المظاهرات والاحتجاجات هو توسع رقعتها الجغرافية في جميع مناطق البحرين، بالإضافة إلى خلوها من أي مظهر من مظاهر العنف التي كانت سائدة في التظاهرات خلال الأشهر الماضية.

كان لعنصر المباغتة في خروج التظاهرات منذ ساعات الصباح الأولى أثره، توقعت قوات الأمن محدودية المظاهرات أولاً، وانطلاقها وقت الظهيرة ثانياً. كانت أول المظاهرات خروجاً مع ساعات الصباح الأولى في منطقة النويدرات، إذ اتجه المتظاهرون إلى الشارع العام يتقدمهم الأمين العام لتيار الوفاء الإسلامي عبدالوهاب حسين. هاجمت قوات مكافحة الشغب المسيرة بعنف، تبعتها المسيرة الأكبر في منطقة سترة (100 متظاهر)، ثم المنامة، البلاد القديم، السنابس، جدحفص، الديه، المعامير، النبيه صالح، كرزكان، مدينة حمد، بوري، عالي، الدراز، سار، المقشع، باربار، دمستان، كرانة، بني جمرة، أبوصيبع، النعيم، السهلة، الدير، وسماهيج ، ولم تستطع قوات مكافحة الشغب أن تغطي المناطق كلها، وحسمت وزارة الداخلية قرارها في التعامل مع هذه التظاهرات في شتى المناطق، العنف والرصاص.

لم تغب شمس هذا الرابع عشر من فبراير إلا وعلي عبدالهادي مشيمع - 21 عاماً - قد افتتح في منطقة الديه (قرب العاصمة) سجل الضحايا في ثورة اللؤلؤة بعد تعرضه لرصاص انشطاري (شوزن) في ظهره أدى لإصابات بالغة في كل من قلبه ورئته، كما أصيب أكثر من 30 متظاهراً بإصابات متفأوتة أدخل على إثرها البعض منهم إلى مجمع السلمانية الطبي لتلقي العلاج. عقب إعلان حالة الوفاة توجه حشد كبير من الأهالي والمتظاهرين إلى مجمع السلمانية الطبي لمعاينة ما يحدث، خصوصاً مع تعطل خدمة الإنترنت مع ساعات الصباح الأولى في البحرين، كان مجمع السلمانية الطبي مقر

الاحتجاج على الاستخدام المفرط للقوة من جانب قوات مكافحة الشغب. وبالفعل تسلمت عائلة المشميع جثمان علي مشيمع في ساعة متأخرة من اليوم، وأعلن عن تشييعه صباح الخامس عشر من فبراير.

عقب سقوط مشيمع والأحداث المتسارعة، استدعى الديوان الملكي وزير الداخلية راشد بن عبدالله آل خليفة لإجتماع عاجل بالملك حمد بن عيسى ووزير ديوانه خالد بن أحمد، تمخض الإجتماع بإعلان بثته وكالة أنباء البحرين في ساعة متأخرة من الليل باسم وزير الداخلية يعلن "التحقيق في قضية وفاة علي عبدالهادي مشيمع للتعرف على ظروف وملابسات الواقعة والأسباب التي أدت إلى استخدام السلاح"، مؤكداً أنه "إذا دلت التحقيقات على عدم وجود المبرر القانوني لاستخدام السلاح فإنه سيتم اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة حيال المتسبب وإحالته إلى المحكمة الجنائية".

من جانبها، حمَّلت جمعية الوفاق - في بيان شديد اللهجة – "السلطة في البحرين المسؤولية الكاملة عن استشهاد الشاب علي عبدالهادي المشيمع (21 عاماً)، نتيجة إصابة مباشرة في رأسه وظهره وأنحاء من جسمه برصاص انشطاري (شوزن) المحرم دولياً، منددة بـ "استخدام العنف المفرط من قبل قوات الأمن ضد الشباب والنساء والأطفال الذين خرجوا اليوم الاثنين 14 فبراير 2011 لممارسة حقهم المشروع في التعبير عن رأيهم بكل عفوية وبشكل سلمي وحضاري للمطالبة بالإصلاحات السياسية في البلاد.

وأشارت الوفاق في بيانها نهاية اليوم إلى أسماء المصابين ومنهم: "محمد يوسف حسن الذي أصيب في الجمجمة بطلق مطاطي وتسبب كذلك بتلف في عينه اليمنى وحالته حرجة في مجمع السلمانية، والمواطن محمود عبدالله راشد الذي أصيب في عينه اليسرى بسبب طلقة مطاطية، إضافة إلى حسين علي حسن دهيم الذي أصيب في رأسه بإصابة بليغة، وكذلك الحاج حسن خليفة حسن الذي أصيب أثناء دخوله منزله بالدير بطلق شوزن في أنفه وهو في الستينات من العمر.

المئات قضوا ليلة الرابع عشر من فبراير في الساحة المقابلة لمجمع السلمانية الطبي، وبدأت الرسائل الإلكترونية تزداد تحشيداً لتشييع علي مشيمع في صباح اليوم التالي. وبدأت القنوات الفضائية الدولية تراقب الأوضاع في البحرين باهتمام. الجميع توقع أن الغد لن يكون كلاسيكياً، وهو ما حدث بالفعل.



الفصل الثالث

# الفضاء الافتراضي للثورة




# الإعلام السياسي في البحرين: من «الجداريات» والمنشورات إلى المنتديات

في التسعينيات، أرسل زعيم الانتفاضة الراحل الشيخ عبد الأمير الجمري رسالة إلى ولده الدكتور منصور الجمري الناطق وقتها باسم المعارضة في الخارج، يخبره عن حصار قوات الأمن لبيته وحملة القمع الشديدة التي شنتها على الناس، ويعبر فيه عن أسفه باعتقال أهم محرك إعلامي للنشاط السياسي وقتها وهم منشدو مواكب العزاء "الروادید" كالمنشد المعروف حسين الأكرف وغيره.



■ مشرفي منتديات بحرين أون لاين

ما إن دخلت تقنية الإنترنت البحرين في منتصف التسعينات حتى استعملها ناشطون على قدر عال من التعلم، في رفد النشاط السياسي المتصاعد وقتها. تشير منظمة Freedom House في تقريرها عن "الحريات على الإنترنت" في البحرين إلى أن "أحد المستخدمين اعتقل في عام 1997، لقيامه بإرسال معلومات إلى المعارضة في الخارج باستخدام الإنترنت، في أول حالة من نوعها".

كان المعني بهذه الإشارة هو الدكتور محمد السهلاوي، طبيب الأسنان، الناشط السياسي وعضو مركز البحرين لحقوق الإنسان، إلى جانب السهلاوي، تعرض علي عبد الإمام مؤسس ملتقى البحرين (بحرين أون لاين) إلى التعذيب الوحشي في سجون سرية تابعة لجهاز الأمن الوطني الذي أثبت تقرير لجنة تقصي الحقائق أنه كان أداة السلطة في جرائمها الفاحشة خلال الفترة الماضية.

لم ينته مخاض التسعينات إلا والتحضيرات على وشك أن تكون جاهزة للمرحلة الجديدة. في عام 2001 وبينما كانت المعارضة السياسية في وادي "ميثاق العمل الوطني" ومخاضات المصالحة، كانت هناك طاقات مبدعة تعمل في واد آخر، على ابتداع آلية جديدة للمجتمع في التعاطي مع الشأن السياسي.
في الوقت الذي لم يكن أحد يعرف فيه معنى "منتدى افتراضي" كان تدشين أول منتدى بحريني وهو ملتقى البحرين "بحرين أون لاين" حدثا بارزا ليس في عالم التقنية فحسب

بل في عالم السياسة داخل المجتمع.

بعد ملتقى البحرين، لن يكون حال الرمز والقيادي في المعارضة أحسن حالا من السلطة، سيكون الجميع مكشوفين أمام نيران المواطن العادي الذي لن يصلح أن نسميه المواطن البسيط. يشارك الجميع في المنتديات بعيدا عن سلطة الحزب والرمز، ما فتح جبهات لنقد عنيف للمعارضة والنخب السياسية والدينية. يقول رئيس جمعية الوفاق الشيخ علي سلمان في إحدى خطب الجمعة تعقيبا على اعتقال مؤسسي بحرين أون لاين "أنا أكثر شخص أنتقد في الملتقى" لكنه مع ذلك يعتبر ذلك أبرز ثيمة لحرية التعبير في المجتمع.

لم يذهب البحرينيون للمنتديات كي تعيش أحلامهم وأفكارهم في مجاز، وبشكل مبكر جدا، فاض المنتدى الأول "بحرين أون لاين" بتأثيره لينتقل من العالم الافتراضي إلى الواقع بل ويرسمه ويوجهه أيضا. لم تكن المنتديات لدى البحرينيين عالما افتراضيا فقط!

تلمست السلطة تأثير هذه الأداة الخطيرة جدا على الوضع السياسي، رغم أنه كان مستقرا جدا، ولم يكن فيه أدنى حراك منأوئ على الأرض، بعد مقاطعة الجمعيات السياسية للانتخابات في 2002 وتحول المرحلة من الإصلاح إلى الحرب الباردة مع النظام، إثر انقلابه على الدستور الشرعي بإصداره دستور منحة مخالف لبنود "الميثاق" وبإرادة منفردة، في 14 فبراير 2002.

عدة نشاطات وفعاليات انطلقت من الملتقى وقت الحاجة، وأخذت طابع "المنظم المجهول"، مثال ذلك الاعتصام المطالب بالإفراج عن مؤسسي الملتقى في 2005، والمسيرة الضخمة المطالبة بالحرية للناشط عبد الهادي الخواجة في 2004 – والتي أشارت إليها إحدى وثائق ويكيليكس- لكن التحفز للخروج إلى الواقع من العالم الافتراضي بهذا الشكل المباشر لم يكن كبيرا، وعليه ظهرت تسميات نقدية لأعضاء المنتديات على شاكلة "أبطال الكيبورد".

في 26 يناير 2011، كتب أحد الأعضاء المتخفين تحت اسم وهمي هو "صاحب الأحبار" مشاركة غيرت مجرى التاريخ في البحرين، قال فيها:

"الشعب المصري من أهم الامور التي استفاد منها بعد الثورة في تونس هو أن جعل لنفسه تاريخ معين وهو 25 يناير، وتم تعميم هذا الخبر شعبياً على الفيس بوك و تويتر والمواقع الاجتماعية والمنتديات، وكرسوا هذا التاريخ لانطلاقة ثورتهم ضد النظام.نحن كشعب البحرين مدعوين لتحديد تاريخ مناسب ويتم تعميمه شعبياً بجميع الوسائل المتاحة ولتبدأ الثورة في البحرين.

فلا كرامة من دون دماء ..الدم ينتصر على السيف ..لا بد للشعب أن يقدم الأضاحي لكي يورث للأجيال القادمة مستقبلا أفضل من هذا الذي نعيشه..شاركونا باقتراحاتكم.. وبإذاً الله سوف ننتصر."

بعد أيام تحول المنتدى فعلا إلى أصل تسميته، ساحة عمومية، لكنه انتقل تماما من عالم الافتراض ليكون على الأرض، وكانت "ساحته" الشهيرة "دوار اللؤلؤة" مركز الاحتجاجات التاريخية في البحرين.

كانت الظروف مؤاتية جدا لانطلاق ثورة اللؤلؤة من ملتقى البحرين، فهو الملتقى الذي تأسس على أنقاض مرحلة سياسية مهمة هي انتفاضة التسعينات، وشكّل بناؤه خلال هذه العشر سنوات طفرة نوعية في النشاط السياسي الإلكتروني، وضخ الحياة في الشأن السياسي على الدوام ودون أدنى انقطاع.

وكان الظرف الزماني مؤاتيا هو الآخر ليتوّج جهد المجتمع الذي بذله في كل هذه السنين، فقد كانت قضية 25 (من بينهم مؤسس الملتقى) وما عرف بالأزمة الأمنية قد بدأت قبل ذلك بشهور، وكذلك كان الربيع العربي قد وصل بمداده إلى سواحل الخليج.

عاد الملتقى للواجهة بتأسيس وبمتابعة حدث 14 فبراير. خلال فترة بقاء المعتصمين في الدوار، كان بحرين أون لاين وبقية المنتديات في أقل مستويات التفاعل، كانت الحركة كلها في دوار اللؤلؤة، وكانت خارقة مستفيضة.

مع ذلك، فخلال تلك الفترة، كانت هناك المنتديات التي تتبع القرى أو بعض الجهات

الأخرى، والتي يحتل الشأن السياسي عادة مواضيعها الرئيسية رغم توجهها الاجتماعي والمناطقي. كان لهذه المنتديات دور مهم جدا في ترويج وتعميم كل الأفكار والمشاريع السياسية التي تستجد، ليتأكد وصولها إلى أبناء كل منطقة بشكل مباشر.

أخذت هذه المنتديات من بحرين أون لاين الكثير، وأعطته الكثير، وصار هناك تناغم واضح. مع بداية الثورة، أسس كل منتدى قسما خاصا بثورة 14 فبراير، وكانت بعض المنتديات تبث التجمع الجماهيري في الدوار على الهواء مباشرة، وبعد حملة القمع صار لملتقى البحرين والمنتديات أهمية أخرى ومهدوا لانتقال آخر في الحراك السياسي على الإنترنت.

في بدايات حملة القمع، صار هناك في كل منتدى وعلى رأسها ملتقى البحرين، موضوع يومي متجدد تحت عنوان "الأحداث والأخبار اليومية للثورة- اليوم...". كان ذلك بديلا عن برامج التواصل السريع بالمسجات القصيرة المتوفرة في أجهزة بلاك بيري، وآي فون، والتي كان لها دور كبير في نشر الأخبار والتطورات وقت حدوثها فورا.
لكن الناس كانوا يخافون كثيرا من استخدام هواتفهم النقالة في استلام وإرسال المسجات وقتها، ليس فقط خشية أن يكونوا مراقبين، بل لأن هذه الأجهزة قد تصادر في أي لحظة وأنت في الشارع، فيما ستكون أنت في انتظار محكمة عسكرية على "رسالة" أو "مقطع صوتي" كان في جهازك، بتهمة التحريض على كراهية النظام، كما حصل مع الكثير من المعتقلين والمعتقلات.

تعرض مشرفو المنتديات إلى حملة انتقام ممنهجة واسعة، وكان هناك مخطط واضح لتتبع كل اسم يظهر بأنه مشرف أو مؤسس في أي منتدى يكفي أنه كان "محجوبا" من قبل وزارة الإعلام ليكون موضع اشتباه وتهمة. لا أحد من الأمن كان يتابع كل هذه المنتديات بالطبع، ولا أحد في الأمن كان على معرفة بدور ونشاط هؤلاء المشرفين، كانت الحملة انتقام من كل ما هو تقني، ومن كل ما أحضر السياسة إلى الإنترنت، ليربيها ومن ثم ينقلها إلى قلب العاصمة، ماردا لا يقأوم.

أحد المعتقلين كان الناشط زكريا العشيري المشرف بمنتدى "الدير" إحدى قرى محافظة



■ الشهيد زكريا العشيري

المحرق، وفي الزنزانة نفسها التي قضى فيها العشيري نحبه تحت التعذيب، كان هناك مشرفو منتديات آخرون، ينتظرون مصيرهم برعب.

يؤكد تقرير لجنة تقصي الحقائق المستقلة الذي أصدر حديثا أن العشيري وزملاءه تعرضوا لوجبات من التعذيب بشكل مستمر، وأنهم كانوا يقضون كل وقتهم معصوبي الأعين ومقيدي الأيدي وأنهم أجبروا على الرقود على البطن.

وبحسب ما ورد في التقرير، فذات صباح، بدت على زكريا أعراض الهلوسة أو الاضطراب، حيث كان يطرق على الباب ويصيح باسمه، وصاح الحراس فيه ليهدأ، وحين لم يفعل، دخلوا الزنزانة، وقاموا بضربه دون رحمة، حتى سمع صراخه كل الموقوفين، وينقل التقرير عن أحد الشهود قوله "سمعت بعد ذلك ضجيجا، وخمدت أنفاسه بعدها" ويضيف "ثم سمعت شرطيا باكستانيا يقول بلغة الأوردو: لقد مات".
كان ذلك في 9 أبريل 2011، وقبلها في 16 مارس 2011، اختفي تماما مؤسس ملتقى بحرين أون لاين علي عبد الإمام، حكم على "عبد الإمام" غيابيا بالسجن 15 عاما في القضية الرئيسة التي نظرتها المحاكم العسكرية المشكلة لقمع الثورة وكل من له صلة بها، ضمت هذه القضية 21 قيادي وناشط اتهموا بالوقوف خلف تحرك 14 فبراير والتحريض عليه وتدبيره، رغم أن أكثر من نصفهم كانوا في السجن وقت التخطيط للتحرك والقيام به، بما فيهم علي عبد الإمام نفسه.

كان واضحا أن ضم علي عبد الإمام في هذه القضية جاء استمرارا في الانتقام منه على تأسيسه أهم نقلة نوعية في نشاط الإنترنت السياسي وهو منتدى بحرين أون لاين، رغم أنه ابتعد عن إدارته منذ سنوات، بل لم يعلم بأن الملتقى كان مصدر انطلاقة ثورة اللؤلؤة، إلا أن السلطات التي تتابع الملتقى منذ يومه الأول تعلم جيدا أنه كان رائد النشاط السياسي على الإنترنت لأكثر من 10 سنوات.

منذ عام 2002 وبحرين أون لاين مع عشرات المنتديات محجوب داخل البحرين. لا أحد كان يستطيع الدخول على "الملتقى" بشكل مباشر، ولكن عشرات الحيل والالتفافات التقنية قأومت هذا الحجب، وقللت من شأنه تماما. اضطرت الحكومة إلى شراء نظام تقني ضخم بمبالغ هائلة لتقوية عملية الحجب، وأصدرت قانونا به، تطلب فيه من كل صاحب موقع أن يأخذ ترخيصا قبل إنشائه تحاشيا للحجب!

دخل ملتقى البحرين عالم ويكيليكس في البرقية المسربة رقم MANAMA 000281 – وجاء في البرقية المرسلة من السفير الأميريكي عقب اعتقال علي عبد الإمام ما يلي" الشيعة "الرافضة" الذين هم أكثر تدينا، تشددا، وتشكيكا في حركة الإصلاح في البحرين، من أكثر التيارات في المجتمع الشيعي" وذلك في إشارة إلى نوعية المشاركين في الملتقى على ما يبدو، وقالت البرقية أيضا "غرفة دردشة المشاركين تميل إلى التشكيك في دوافع الملك، ولي العهد، ورئيس الوزراء، منطلقة من موقف أساس هو أن الشيعة في البحرين سوف يتعرضون للتمييز طالما عائلة آل خليفة السنية تحكم البلاد" وبالإشارة إلى دور المنتدى في تنمية النشاط السياسي قالت البرقية "لعب الموقع دورا في تنظيم مظاهرات لعبد الهادي الخواجة أثناء اعتقاله في خريف عام 2004، وساهم في الموقف المتصلب الذي أبداه أنصار الخواجة ضد صفقة للإفراج عنه تحفظ ماء وجه الحكومة" ونقلت البرقية عن أحدهم وصفته بأنه محلل شيعي صادق وجاد قال عن عبد الإمام ومناصريه "إنهم متطرفون".

■ اعتقال مشري في بحرين أون لاين كما في ويكيليكس
http://wikileaks.org/cable/2005/03/05MANAMA281.html



## الإعلاميون والنشطاء والسياسيون والوزراء

# إلى فضاء تويتر

في التسعينيات، أرسل زعيم الانتفاضة الراحل الشيخ عبد الأمير الجمري رسالة إلى ولده الدكتور منصور الجمري الناطق وقتها باسم المعارضة في الخارج، يخبره عن حصار قوات الأمن لبيته وحملة القمع الشديدة التي شنتها على الناس، ويعبر فيها عن أسفه لاعتقال أهم محرك إعلامي للنشاط السياسي وقتها وهم منشدو مواكب العزاء "الروادید" كالمنشد المعروف حسين الأكرف وغيره.

يستمر منصور في ممارسة دوره الإعلامي والسياسي من الخارج، يظهر في قنوات تلفزيونية وإذاعية وصحافية، الوحيد الذي ظل الناس يستمعون لصوته عبر راديو بي بي سي متحدثا عن الوضع السياسي المتأزم في البحرين وحراك المعارضة ومهاجما سياسات النظام.

ومع بداية ما يسمى بمرحة الإصلاح في 2001، يرجع منصور الجمري ليرأس تحرير صحيفة الوسط المستقلة، المشروع الذي قاد تأسيسه والده الراحل، يمارس الجمري دورا مهنيا بارزا في توجيه الخطاب السياسي والإعلامي خلال عقد الألفية، بحسب هامش الحريات المتاح. أبريل 2011، يضطر الجمري إلى تقديم استقالته من رئاسة التحرير بعد تلفيق مؤامرة فبركة أخبار لصحيفته حتى تسكت عن نقدها حملة القمع الكبرى التي شنت ضد المتظاهرين منذ منتصف مارس 2011.

## ■ لسان تويتر

منصور الذي كرس نفسه لخدمة الحراك السياسي المعارض، إيمانا منه بقضية الوطن، يجد نفسه الآن دون منبر. هو لا ينتمي إلى أي حزب، لكن خطه السياسي واضح جدا، هو معارض. قبل أن يبدأ الجمري في التغريد كان عدد متابعي حسابه في تويتر قد وصل إلى 5000 دون أن يكون قد تكلم ولو لمرة، كان فقط يتابع، منذ أن أنشأه في يناير 2010. بعد استقالته المفروضة عليه، ظهر صوت الجمري فجأة في تويتر. لسان الجمري سليط في تويتر، أشد بكثير من لسانه في الصحيفة، يعلق ويرد ويسخر من أي هجمات أو تعليقات مسيئة. يتواصل كثيرا مع جميع من يرد عليه، يدخل معهم في حوارات استثنائية. يساند الجمري بقوة الحراك الشعبي الذي كان جزءا منه، هو أول من أطلق على الحراك اسم "ثورة اللؤلؤة" عبر عموده في الوسط، هو من كان حاضرا في قلب دوار اللؤلؤة، يعقد الندوات أمام آلاف الجماهير.

الآن وصل عدد متابعي الجمري إلى أكثر من 34 ألف متابع، هو تقريبا أكثر الشخصيات العامة التي يتابعها الناس، بمن فيهم الشخصيات الحكومية والموالية، ناهيك عن شخصيات ومؤسسات وهيئات أجنبية، رغم أنه يحافظ على استقلاله. الجمري واضح جدا في تويتر، ونشاطه ظل واسعا وكبيرا ومؤثرا حتى بعد رجوعه رئيس تحرير للوسط. ليس الجمري وحده من ترك المؤسسة ولجأ إلى تويتر، هناك أيضا المنشد العزائي "حسين الأكرف" الذي كان له هو الآخر دور في التسعينات، أدى به إلى الاعتقال، وكذلك دور في ميدان اللؤلؤة. هو الآن يجد بأنه يجب أن يكون له دور في تويتر، رغم أن حضوره يختلف

فيه عن الصورة الدينية التي ترسم له، هو يحضر بصفته الوطنية ويشدد على ذلك.
شخصيات معروفة أخرى كثيرة، استقالت أو خبا حضورها الرسمي، فلجأت إلى تويتر، متنفسا ومصدر مشاركة في أمور الناس والوطن. مجيد العلوي، وزير العمل السابق الذي قدم استقالته احتجاجا على القمع الحكومي، هو الآن في تويتر، مغردا بشكل يغاير تماما ما رسمه الناس عنه من تصور إبان كان وزيرا، هو قريب جدا من الناس، ومحبوب أكثر، وجهده مقدر رغم سيل الانتقادات والتهجمات التي تصله من جميع الأطراف.
ابنه الذي برز بقوة في محاكم السلامة الوطنية المحامي محسن العلوي له حضوره الكبير جدا والسبّاق هو الآخر، تغريداته يتلقاها باهتمام كل المغريدين باختلاف مستوياتهم وشخصياتهم، ويعاد نشرها وتعتبر رأيا قانونيا ونقلا مفصلا بما يتعلق بالقضايا الأمنية التي يترافع فيها، بالإضافة إلى آرائه الشخصية التي قوت من موقف الشارع السياسي، بحضوره فيه.
من السياسيين كان خليل المرزوق القيادي في جمعية الوفاق الوطني الإسلامية كبرى الجمعيات المعارضة هو الأكثر والأقدم حضورا، كل ما يقوله يتلاقفه الجميع باهتمام بالغ جدا، كثيرون لا يستطيعون اللقاء به وبالقيادات الأخرى، وهنا في تويتر فالمجال قد يكون مفتوحا ولو بشكل محدود للتحأور. يلحق به الكثير من السياسيين، كل أعضاء جمعية العمل الوطني الديمقراطي (يسار) يفتحون حسابات في تويتر، يتواصلون مع الناس جميعا.
يدخل في تويتر أهم شخصية سياسية في البحرين، وهو رئيس جمعية الوفاق الوطني الإسلامية، الشيخ علي سلمان، قليلا ما يتكلم سلمان، كل كلمة له هي موقف سياسي رسمي من المعارضة. وجوده مع الآخرين يكمل تركيبة مشهد الدوار من جديد ولكن في فضاء تويتر.
تقول زينب الخواجة، تويتر كما الدوار، سمح لكل الجماعات المنغلقة على نفسها بالانفتاح الواسع جدا على الجماعات الأخرى، وتضيف "نحن كحقوقيين نشكل جماعة منفصلة، جمعية وعد اليسارية مع شبابها جماعة أخرى، الوفاق، أمل، حق، وغيرها، كلها جماعات تعمل لوحدها، في الدوار التقينا كثيرا، لم يكن هناك أي حاجز بيننا، وفي تويتر نلتقي بكثافة أكبر ونحافظ على قدر كبير من الارتباط ونعمل معا".
مغردون آخرون على نفس المنوال من كافة الأطراف، دخلوا تويتر، أو زاد تفاعلهم فيه، وزراء، سياسيون، قياديون في أحزاب وجمعيات، رجال دين، محامون، أطباء، نواب

سابقون، أساتذة، أكاديميون، معتقلون، معذبون، جلادون، مطبلون، والقائمة تطول.
أصدقاء البحرين على تويتر تجأوزوا الحدود، العديد من الشخصيات المعروفة وغير المعروفة في أوروبا وأمريكا، ترى لها أثرا كبيرا في هاش تاج البحرين، صحافيون أجانب، وزراء غربيون، سياسيون، ناشطون مهتمون بشأن البحرين أو بحقوق الإنسان، عرفهم البحرينيون بأسمائهم فجأة، هؤلاء أصدقاؤنا: نيك كريستوف، ماركو أوين جونز، توبي كريغ، أوغريدي، سيمون كير، والعديد.

## ■ ما لا يقال

يقول نبيل رجب، أكثر الشخصيات العامة حضورا في تويتر "تويتر أتاح الفرصة للالتقاء والاحتكاك بالشخصيات المعروفة مباشرة، في حين كان ذلك صعبا ونادرا وكان هؤلاء ليسوا على تماس مباشر بالناس. هم أيضا بذلك يسمعون الناس؛ فيطورون خطابهم ومنهجهم ويتعلمون، وهم يقيسون بذلك الرأي العام، تفكير الناس، عقيدتهم قناعتهم اتجاههم ومزاجهم، تستعد كل شخصية لأن يكون لديها جواب على أي سؤال أو نقد يطرح عليها.

بدا تويتر في البحرين مكانا لما لا يقال من مختلف ألوان الطيف، وقد دخلت على خطه شخصيات حكومية، بعضها كان موجودا من قبل، كوزير الخارجية خالد بن أحمد، وغالبها انضم لاحقا ومجبرا على ما يبدو، كوزير العدل خالد بن علي، وزيرة التنمية فاطمة البلوشي، رئيس هيئة الإعلام فواز آل خليفة، وحتى ناصر ابن الملك حمد.

جاءت مشاركات الأطراف على "توتير" منفتحة في فضاء من التدأول الحر، بما في ذلك الأطراف الحكومية فقد كانت أقل تحفظاً. شهد تويتر تواصلاً غير مسبوق بين جهات كان من الصعب أن تتخاطب وجها لوجه، كالحوار الذي جرى بين وزير العدل والناشط الحقوقي نبيل رجب، والمراسلات الحساسة بين وزير الخارجية البحريني ونظيره السويدي، وقد اهتمت وسائل إعلامية عدة بإلقاء الضوء عليها.

بدورها، فقد أظهرت الحكومة اهتماماً متنامياً إلى شبكات التواصل الاجتماعي، وكان لافتاً اهتمام وزراء ومسئولين بنقل خطاب الملك الذي أعلن فيه عن البدء في الحوار، من خلال حساباتهم في "تويتر" أولاً بأول. كما أن جميع المؤسسات والهيئات الحكومية بدون استثناء فتحت فجأة حسابات في تويتر، لمواجهة المد الكبير للمعارضة، لكنها لم تستطع، ولم تكن مقنعة، ولم تجذب أي انتباه، وفشلت باعتراف وزارة شئون الإعلام نفسها "هؤلاء يغردون ليل نهار، ونحن ينتهي وقت عملنا ليلا".

## ■ عبد الهادي الخواجة.. لو كان في تويتر

سألنا نبيل رجب: كيف تتخيل عبد الهادي الخواجة في تويتر؟ يتنهد رجب ويقول "سيكون ذلك مثيرا، لن يضطر للوقوف ومخاطبة الحشود كما كان يحب أن يفعل".

السؤال نفسه تجيب عنه زينب الخواجة بألم "مشكلة والدي أنه ينجز خطابه في الناس ولا ينتظر أن يجذب اهتمامهم، والمشكلة الأخرى أنه يحب الالتقاء بالناس وجها لوجه!".



# نبيل رجب:
# تويتر فضاء الربيع العربي

رئيس مركز البحرين لحقوق الإنسان الحقوقي المعروف نبيل رجب، كان ينشط على تويتر منذ مارس 2009، صنفته مجلة فوربس كثاني شخص حضورا على تويتر في البحرين، و43 عربيا.

كان ذلك في يوليو 2011، حين كان وزير الخارجية البحريني خالد آل خليفة متفوقا عليه ببضعة آلاف. يتربع نبيل رجب اليوم على عرش ناشطي تويتر في البحرين منفردا بأكثر من 86 ألف متابع من كل أنحاء العالم. يحس نبيل بأن هذه مسئولية كبيرة ألقيت على عاتقه، في حين لم يكن هذا اختصاصه وعمله، كان يعد التقارير ويتصل بالمنظمات الدولية، بدأ يخصص لتويتر وقتا مهما ضمن برنامجه كل يوم!

## ■ تويتر... للجميع

كان المعارضون الليبراليون وحتى القوى السياسية الأخرى من غير المعارضة تشتكي من أن القوى الإسلامية لها المساجد ودور العبادة ما يمنحها القدرة على مخاطبة الحشود، اليوم لا مبرر أمام هؤلاء مع حضور الإعلام الجديد الذي كسر هذه القاعدة، وفتح الباب على مصراعيه لأي شخص وأي جهة بأن تخاطب الجميع وتصل إلى أكبر قطاع ممكن من الناس، إذا كان لديها خطاب ولغة تجذب الناس.

هكذا يرى نبيل رجب قدرة تويتر وطاقته "شاب صغير ناشط عمره 20 سنة ذو خطاب ممتاز يمكنه أن يخاطب 20 أو 30 ألف شخص بسهولة، جميع قوى المجتمع تسأوت في هذا الخصوص".

يرى رجب أن الإعلام الاجتماعي وتويتر تحديدا هو فضاء الربيع العربي، كل الثورات العالمية السابقة افتقدت هذه الخاصية، ميزات الدعم الدولي وغيرها قد تكون موجودة فيها، ولكنها افتقدت الإعلام الاجتماعي الذي صار له دور أولي ورئيس، صار هو الذي ينظم ويقود صفوف الشعوب في هذه الثورات.

قبل تويتر، كان رجب يقول للناس اذهبوا خارج البحرين والتقوا مع الأجانب حتى تعرفوا نوعية خطابهم، الآن هنا في تويتر يمكن أن يحدث ذلك دون المغادرة إلى الخارج. صار يدعو الناس إلى الخروج من دوائر "المنتديات" إلى الفضاء الأكبر الذي يتواجد فيه السني والشيعي والمسيحي والعربي والأجنبي والقومي والإسلامي وكل الاتجاهات، ليرى كل منهم الاتجاه الآخر؛ لينفتح على أفكار أخرى مدارس ومناهج أخرى، مرجعيات أخرى، هذا يرشّد طبيعة الخطاب، يفتحه ويخف لهجة التشدد.

يعتقد نبيل أن الذهاب إلى مجتمع أكبر وفضاء أكبر بات ضرورة "كنت مؤمنا أن الحوارات القائمة في تويتر، وحديث الناس مع بعضها البعض، يطور الخطاب ويطور التفكير وبالنتيجة يطور العمل المعارض".

"ماذا صرت أفعل؟" يقول رجب بما أنه كان أحد مصادر الأخبار الرئيسة، سواء

تلك التي تأتي من الداخل أو المنشورة في الخارج، فقد قام بفتح حساب له ولمركز البحرين لحقوق الإنسان على تويتر، واتفق مع زملائه بأن يدفعوا الناس إلى استخدام هذه الآلية الممتازة والاستفادة منها.

كيف نسحب الناس إلى فيسبوك وتويتر؟ يقول رجب "قررت أن لا أنقل الأخبار في المنتديات، أضعها فقط في فيسبوك وتويتر" ينتشر بين الناس أن نبيل رجب نشر في فيسبوك أو تويتر أن شخصا ما ضربوه، أو اعتقلوه، وفي أثناء ذلك يكتشف أن مئات الناس بدأت تعمل عضويات في فيسبوك وتويتر.

"كل الأخبار السريعة والمهمة أنقلها على تويتر، وأجعل الناس يعلمون أنني وضعتها هناك فقط" يقول رجب، جعل ذلك مئات من الناس يندفعون لعمل حسابات لهم في فيسبوك وتويتر بشكل يومي حتى وصل عدد المشاركين إلى عشرات الألوف، وهو ما أعطى المجتمع البحريني ميزة خاصة بين كل المجتمعات، بأنه من أكثرها نشاطا اليوم في توظيف وتشغيل الإعلام الاجتماعي في الأمور السياسية وعلى رأس هذه الأدوات تويتر وفيسبوك.

نبيل هو أقدم ناشط سياسي وحقوقي على تويتر، يقول إن بعض الأشخاص من أهلي من كبار السن لم يكن لديهم حتى كمبيوتر، اشتروا كمبيوتر؛ ليدخلوا على تويتر ويتابعوا، بعد الضجة الكبيرة التي صارت فيه. كان نبيل يحث الناس على إقناع أهلهم وتوجيه معارفهم لفتح حساب في تويتر والبدء بالعمل والمتابعة "أنت بذلك جذبت كل الفئات المجتمعية لهذا الفضاء المفتوح، حتى كبار السن، أو شريحة التجار المنعزلة" يقول نبيل.

## ■ تويتر نبيل رجب.. كسر التابو

"مهمة جديدة أوكلت إليّ، وتحتاج إلى إدارة، وهي محرك ومؤثر كبير" يقول نبيل. هي بالنسبة إليه مشكلة؛ لأنها جزء من عمله المؤثر والذي يحتاج إلى وقت وحسن إدارة. الحكومة تراقبه، والعالم يتابعه بمن فيهم الجماهير والناس في الخارج والسفارات الغربية ووكالات الأنباء التي تقتبس من حسابه في تويتر بشكل رسمي أي تصريح أو قول أو تعليق وتنشره "أسلوب جديد لم نكن حتى نفكر به". تترجم بعض السفارات تغريدات رجب وتنقلها إلى وزارات الخارجية في بلدانها باعتبارها مواقف سياسية. تغريداته كثيرا ما تصنف كأعلى التغريدات "توبت تويت" في هاش تاج البحرين.

"الجيش، وزارة الداخلية، المخابرات، الكل يتابع" يقول رجب، ويضيف "بعض من

تكلمت عن حالات اعتقالهم في تويتر، أفرج عنهم فورا" في أيام السلامة الوطنية كان نبيل رجب الوحيد الذي ينشر قائمة بالمعتقلين تتحدث يوميا عن ظروف اعتقالهم. كان التواصل معه سهلا، وكان يتكلم عن الجميع وبدون أدنى خوف، بل تكلم حتى عن اعتقاله وضربه واحتجازه لساعات.

الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن البحرين يتصلون برجب؛ لكي ينشر روابط مقالاتهم وتقريراتهم على تويتر حتى يكون هناك تفاعل أكبر معها ويقرؤها الناس وتكون محفزا لهم. ولكي يقنعوا صحفهم كذلك أن الموضوع مقروء من حيث عدد "الريتويت" والقراءات وأنه نجح. الكثير من الناس تبحث عن الأخبار والتقارير المنشورة عن البحرين في الصحف والمواقع، وتتفاعل معها، نبيل يسهل عليهم ويحضر لهم كل شيء في مكان واحد، حسابه لوحده وكالة للنشر والتوزيع.

نبيل رجب أحد الشخصيات القليلة التي كانت تعرف عن نفسها في تويتر وأعلنت أنها ستشارك في 14 فبراير، ودعت الناس للمشاركة. أضفي ذلك نوعا من المصداقية والواقعية لحراك 14 فبراير، نبيل يدعو بشكل عام إلى التظاهر، يقدر ويساند دعوات التظاهر التي تنظمها المجموعات الشبابية. "حأولت أن أكون حاضنة تتبنّى وتدعم وتقوي من هذه التظاهرات".

يؤكد نبيل رجب أنه في تويتر نفس الشخص أمام الناس، طبيعي وعلى سجيته، في تويتر وفي كل مكان. يقول إن ذلك لا يعطي أحدا؛ الفرصة وخصوصا السلطة بأن تبتزه في يوم من الأيام لعمل ما، قام به أو خطاب قاله غير خطابه في العلن "نفس خطابي العلني أحضر به في تويتر وفي أي غرف مفتوحة أو مغلقة، بما فيه مزاحي" كل تغريدات رجب وحتى مزاحه يعاد نشرها مئات المرات، بعض حواراته الساخرة تجمع في صورة، وتنشر كطرفة.

"أنتقد الناس بوضوح إذا كان كلامهم أو توجههم في قناعتي خطأ" يقول رجب، ويضيف "لا أعمل على أن أرضي أحدا لأنه من المعارضة ومن متابعي مثلا! إذا كان لدى أحد منهم خطاب طائفي فأنا أقول له مباشرة، وإذا كررها أقوم بعمل "بلوك" له سواء كان شيعيا أم سنيا، وقمت بعمل مئات البلوكات".

حين يكتب نبيل بعض الأحيان معلومة ثم يكتشف أنها غير مؤكدة أو خطأ، فإنه يتراجع عنها ويعتذر فورا، رجب يُستدعى للتحقيق ولكن على المعلومات الصحيحة والأكيدة التي انفرد في بداية حملة القمع بنشرها دون خوف أو تردد. وضعت قناة سي إن إن حينها

تقريرا عن رجب "محاكمة بسبب تغريدة، ربما تكون الأولى في العالم".

الشخص الذي نشر صورة الشهيد علي صقر من داخل المغتسل، بعد أن قتله النظام بالتعذيب في السجن هو نبيل رجب. الآلاف كانوا يخافون وتوقفوا عن النشاط في تويتر وغيره وربما ألغوا حساباتهم. تتهمه الحكومة علنا بالفبركة لكن مراسلا من قناة بي بي سي كان حاضرا، يفضحهم فيتراجعون.

الكثير من التهديدات التي تصل إلى القتل تصل نبيل على تويتر من أشخاص معروفين لا تقوم الحكومة بأي عمل ضدهم. منهم العقيد والجلاد السابق عادل فليفل. حملات كبيرة ضد نبيل كانت تنظم "نبيل رجب لا يمثلني" لكن نبيل لا يتوقف. هو من كسر كل قيود تلك المرحلة عن طريق تويتر، وهو من كسر خوف الناس أيضا.





# زينب الخواجة

## من دوار اللؤلؤة... إلى فضاء تويتر

في السجن، يأتي الضابط للناشط البحريني المعروف عبد الهادي الخواجة ليسأله عن رأيه في بعض القضايا بطلب من جهات عليا، يرفض الخواجة أن يتجأوب، يلجأ الضابط لاستدراجه، هل تريد أن ترى ماذا تقول ابنتك في تويتر؟ يسكت الخواجة، ليس لديه حساب في تويتر!

يطلب منه الضابط أن يجلس على كرسيه ليستخدم حسابه الشخصي الذي كان فعلا يتابع فيه "زينب الخواجة" وما تكتبه على تويتر. يجلس عبد الهادي يقرأ كل ما كتبته ابنته زينب مندهشا. ينتهي، يطلب منه الضابط إذا أحب أن يقرأ أيضا ما يكتبه صديقه المقرب وزميله الناشط الحقوقي نبيل رجب، فيفعل.

## ■ المصريون: ملهمو تويتر

قصة تويتر، في النشاط السياسي على الإنترنت في البحرين، لا تبدأ عند زينب الخواجة، ولا تنتهي عند نبيل رجب. لكن زينب هي من أكثر الشخصيات الحاضرة على تويتر تأثيرا، على المستوى المحلي والدولي. "لولا وجود تويتر، لأحسست أنني لم أعد أستطيع أن أفعل شيئا" تقول زينب.

فتحت زينب الخواجة حسابها في تويتر في 3 فبراير 2011. قالت إنها كانت غاضبة "شعوبنا العربية كلها كانت تعيش في الظلم، وتقبل به، وذلك كان يصيبني بالغضب والقهر" سمت زينب نفسها في تويتر "العربية الغاضبة" ووضعت صورة كاريكاتيرية لفتاة غاضبة؛ لأن وجهها هي لا يحمل ملامح الغضب الذي تحس به.

تختصر زينب الكثير الكثير من تجربة تويتر لدى البحرينيين في ثورة 14 فبراير. هي كانت هناك منذ البداية. قبل الثورة كانت مهمة تويتر عند زينب هي أن تعيش فرح سقوط الرئيس المصري حسني مبارك مع المصريين، فرحتها بسقوطه كانت أكبر من أن توصف. تقول "كنت أتابع المصريين فقط لأقرأ ماذا يقولون، ماذا يكتبون، كيف يحتفلون، كيف يعبرون عن فرحهم،" وتضيف "هم فقط من كان سيفهم إلى أي درجة أنا سعيدة، الفرح الذي في داخلي نفس فرح المصريين حين استطاعوا التخلص من مبارك".

يأتي دور زينب الآن في أن توظف تويتر لصالح الحراك الداخلي الذي بات يومه قريبا جدا. قبيل 14 فبراير كان عدد من لديهم حسابات في تويتر من البحرين قليل جدا، كانت زينب سعيدة جدا بأن عدد متابعيها وصل 50. حضرت زينب النقاشات التي كانت تدور حول اختيار المكان الملائم للتجمع المركزي في 14 فبراير، واقترحت على سبيل "المزاح" دوار اللؤلؤة، لكنها تفاجأت أن هناك من كان فعلا قد وضعه كخيار أول.

كانت الدعوات للتظاهر في 14 فبراير غالبا تنتشر في المنتديات وصفحات موقع فيسبوك للتواصل الاجتماعي وغيرها. تويتر كان غالبا يسحب من الفيسبوك.

في يوم 14 فبراير كانت زينب في جزيرة سترة التي شهدت مظاهرات تريد الخروج للشارع العام والتوجه نحو دوار اللؤلؤة، كانت تنقل للناس أحداث التظاهرات التي هناك



مباشرة وبالصور، حدثا بعد حدث، وخصوصا الاعتداء على المتظاهرين. كان ذلك سريعا جدا وغريبا، من هنا بدأت تنقلب معادلة تويتر!

تويتر صار شعبيا أكثر، لأنه عملي جدا للثورات، فيسبوك مهيأ لشخص يجلس مستريحا في بيته، تويتر يعطيك المعلومة بشكل سريع ومختزل في 140 حرفا فقط وبدون تأخير. إرفاق صورة، ووصف للحدث، ثم "كليك" والعالم كله سيعرف "الآن".

النشاط كان محدودا على تويتر والتجأوب قليل، ولكن عدد المتابعين بدأ يرتفع إلى مئات. بعد تمكن الناس من الاعتصام داخل دوار اللؤلؤة لمدة شهر تقريبا، كانت زينب تنقل ما تراه أمامها من فعاليات الدوار وأنشطته.

لاحظت أن هناك متابعين أجانب، من أمريكا، نيوزلندا، أستراليا، أفريقيا، جذبتهم حركة الدوار، ومهتمون بما يحدث فيه، ويريدون أن يعرفوا بالضبط ماذا هناك؟ والجواب كان من عند زينب بالصور: مظاهرات، خيام، رسوم، ندوات، خطابات، والقائمة تطول. كان الوضع هناك جميل جدا ولفت أنظار العالم وإعجابه. كان العالم على معرفة بما يجري في الدوار قبل دخوله، وطوال اعتصام الناس فيه، كان من الصعب خداعهم بعد ذلك. ربما وصل عدد متابعي زينب قبل ضرب الدوار في 15 مارس إلى حوالي 2000.

### ■ البحرين تستغيث #

في بداية يوم 15 مارس، اليوم الذي هاجمت فيه قوات الظام اعتصام دوار اللؤلؤة، كانت زينب في منزلها الذي يقع قريبا جدا من محل الاعتصام. كانت تسمع صوت "صراخ" في الشارع، من هول الصوت لم تصدق أنه يأتي من الشارع فعلا. خرجت زينب ومعها والدها الناشط الحقوقي المعتقل عبد الهادي الخواجة، كان هناك دبابة تقف عند قارعة

الطريق، ومسلحون.

قام المسلحون بإطلاق النار على شخص حأول التظاهر حينها في الطريق، أو خرج متوجها للدوار. كان هناك متظاهر يتحدث إلى الجندي الذي يصوب سلاحه نحوه ليستعطفه ويسأله "ماذا فعلنا لكي تقتلوننا؟" جاء عبد الهادي وتقدم أكثر نحو الجندي وخاطبه "كيف ستذهب إلى عائلتك وقد يتمت أطفالا وقتلت إخوانك في الوطن، إن لم نكن أهلا؟!"

الجندي هزه كلام الخواجة الذي استمر في الحديث رغم تهديد الجندي بأنه سيطلق على الجميع الآن إذا لم يتفرقوا، أنزل الجندي سلاحه فجأة، وتحدث إلى الناس بسماعة مكبرة للصوت، وقال للخواجة "لا أريد أن أقتل أحدا، وأعرف أننا أهل وإخوان، ولكن هذه هي الأوامر التي لدي، فلا تجبروني عليها". الضابط الذي كان خلف الجندي عرف أنه لن ينفذ الأوامر، حضرت بشكل عاجل قوات المرتزقة الأجنبية وأطلقت على الفور رصاصها، أصيب الخواجة في يده ووجهه وتراجع.

في هذه الأثناء كانت زينب مع والدها أمام الدبابة، كان الهاتف في يد زينب وهي تقوم بنقل كل هذه الأحداث عبر تويتر لتضع الناس في الصورة دقيقة بعد دقيقة. حين رجعت البيت سألت والدها ما العمل؟ فقال "أليس لديك هاتفك؟ اكتبي للعالم.

على الفور، رجعت زينب لهاتفها مجددا، وكتبت للعالم "شعب البحرين يستغيث، لقد هجموا على الدوار والمدن والقرى، الكثير من الجرحى والقتلى، والمجمع محاصر #".

"منذ ذلك اليوم أحسست كثيرا بقوة تويتر، بل أحسست أن تويتر يمنحنا القوة" تقول زينب، ليس هناك داع للعنأوين في تويتر، وللمقالات التفصيلية، هناك أحداث منقولة أمام وجهك مباشرة بصراحة، يتم تحديث تطوراتها أمامك وكأنك موجود هناك وتعيش الحدث.

## ■ إنهم يخشون تويتر

"كلما حدث أمر ما فأول شيء يأتي على بالي هو أن أكتبه على تويتر، وبذلك أحس أنني أقوم بعمل ما وتصرف إزاءه" تقول زينب، كان ذلك يرفع صوت الثورة عاليا من غير تأخير، وكانت زينب لا تغرد إلا بالإنجليزية! "لو لم لم يكن لدي تويتر ماذا كنت سأفعل، هل سأتصل بصحافيين وأنتظر اهتمامهم؟ ثم أن يقرروا الكتابة؟!" في تويتر، كانت زينب هي نفسها تستطيع بسهولة وبدون أي تأخير إيصال صوتها وصوت الثورة للخارج وفورا...




■ زينب الخواجة تسحل وتجر من قيودها من قبل شرطية بعد رفضها مغادرة دوار البديع .

حينما اعتقل والدي، وكان ذلك أول مرة أراه يُضرب أمامي، ويُرمى من الأعلى، يُداس عليه، ويرفسونه، وينزف دمه في الأرض، أول شيء قمت به هو أنني تدخلت، حأولت إيقافهم ومنعهم عن ضرب أبي. قلت لهم قوموا عنه، هو مستعد أن يأتيكم بسلمية، ويذهب معكم، لا داعي لضربه.

سحبونا إلى الأعلى وأغلقت علينا الغرفة. هنا انتهى الأمر ولم أعرف كيف أذهب لأبي، كيف أحميه؟ ليس لدي أي تصرف أو إجراء يمكن أن آخذه؟ كان الشيء الوحيد لدي أن أذهب إلى تويتر وأجعل العالم يعرف ماذا حدث لأبي؟ عندما غادروا فتحت تويتر مباشرة، وقمت بنقل كل ما حدث. لم أبك، ولم أنظف حتى المكان من الدماء.

من هذه الزأوية تنتقد زينب سلوك البعض في المظاهرات، وتأثير تويتر السلبي عليهم "أنا ضد أن يرى أحد ما اعتداء أو ضرب، ويقوم بالتغريد عنه بدلا من أن يقوم عمليا بأي شيء لإيقافه" وتضيف "إذا شاهدت أحد المتظاهرين يضرب لن أكتفي بالتفرج ونقل الحدث في تويتر، سأذهب إلى هناك وسأحأول عمل أي شيء له أولا"!

في المحكمة العسكرية التي يحاكم فيها والدها يمنع إدخال الهواتف، حين تخرج زينب تروي كل ما حدث داخل المحكمة للعالم أجمع. في جلسة النطق بالحكم يحطم والدها حالة الخوف والتوجس التي تملأ القاعة، صارخا بثقة "سنواصل النضال حتى تحقيق مطالبنا المشروعة" وعلى الفور تهتف زينب "الله أكبر"، تسحب فورا من القاعة وتعتقل، فيبدأ هاش تاج # بالظهور لأول مرة.

حين اعتقلت زينب للمرة الثانية بعد امتناعها عن التراجع في إحدى التظاهرات في قرية

عالي، وتقدمها إلى سيارات الشرطة رافعة علامة النصر، اقترب منها شرطي وضربها، على الفور أوقفه الآخرون، قالوا له لا تفعل، ليس هذه! إنك لا بد أن تكون الآن محاطا بالكاميرات التي تصور وتنقل ما فعلت عبر تويتر! نفس الكلام صار يقوله العسكريون حين تذهب الخواجة إلى جلسات محكمة الاستئناف "لا تتكلموا معها، ستنقل كل شيء على تويتر!" تويتر كان يفضحهم كثيرا ويرهبهم ويصيبهم بالخوف والتوتر.

في 20 ديسمبر 2011، أفرج عن زينب الخواجة بعد أن اعتقلت للمرة الثالثة بعد مشاركتها في فعالية "احتلوا شارع البديع"، كان آخر ما كتبته في تويتر "أعتصم الآن في أحد الدوارات على شارع البديع". بعد قليل نقل تويتر إلى العالم أجمع فيديو وصور زينب وهي تسحل وتجر في الشارع بطريقة مهينة جدا لاعتقالها. تخرج الخواجة من السجن، بعد 6 أيام، أول تغريدة لها هو نفس شعارها الذي واجهت به الشرطة وهي معتصمة "يسقط حمد".

تُعرف زينب بأنها ناشطة في حقوق الإنسان، وابنة ناشط معتقل، لكن التعريف الجديد الذي يضاف إليها هي أنها "مغرّدة" يصل عدد متابعي زينب الآن إلى 27 ألف متابع، اضطرت لفتح حساب آخر "بالعربي". تصلها ردود وتجأوبات من مختلف أنحاء العالم، في إحدى المرات قامت مغردة برازيلية بالاتصال بشركة تصنيع قنابل غاز مسيلات الدموع والاعتراض على بيعهم البحرين هذه الأسلحة، يقوم المصنع بإصدار بيان يوضح فيه موقفه، كل ذلك بناء على ما يرد في حساب زينب الخواجة في تويتر من معلومات وحقائق.

تأخذ عن زينب العديد من وسائل الإعلام ووكالات الأنباء الدولية، ويكتبون عنها شخصيا كذلك. تصدّر نبأ اعتقالها وصورتها صحيفة الواشنطن بوست. تظهر في اليوم نفسه في تقرير مصور للصحافي العالمي نيك كريستوف الذي كان على اتصال بها بسبب تغريداتها في تويتر، فاختار أن تكون مرافقته أثناء زيارته للبحرين.



# إنترنت يعمل...
# إلى حد ما

**البحرين بعد 14 فبراير ميادين متشابكة كما تتشابك الخيوط الافتراضية للشبكات التي تشكل الإنترنت. وإذا كانت ميادين البحرين حمالة للمتظاهرين والمعتصمين فإن ميادينها على الإنترنت حمالة لتغطياتها الإعلامية التي وفرت موادّ لفضاء الإعلام بمختلف توجهاته.**

البحرين بعد 14 فبراير ميادين متشابكة كما تتشابك الخيوط الافتراضية للشبكات التي تشكل الإنترنت. وإذا كانت ميادين البحرين حمالة للمتظاهرين والمعتصمين فإن ميادينها على الإنترنت حمالة لتغطياتها الإعلامية التي وفرت موادّ لفضاء الإعلام بمختلف توجهاته.

وفي حين كانت السلطة تترقب 14 فبراير وتستعد له بنشاط استخباراتي يدل عليه إفساح المجال أمام المواقع الاجتماعية للعمل بحرية من أجل جمع أكبر قدر من البيانات. كان ملحوظاً أنها عمدت بعد 14 فبراير إلى خفض سرعة شبكة الإنترنت لتتقلص قدرة النشطاء على تحميل المواد الفلمية ونشرها.

وبحسب نيويورك تايمز (1)، فإن مؤشر أربورنتوركس للأمن المعلوماتي الأمريكي يظهر انخفاض معدلات الاستخدام بين 14 و17 فبراير 2011 بنسبة 20% عن مثل نفس الفترة في شهر يناير.

يقول نشطاء تقنيون تحدثت معهم (مرآة البحرين) أنهم استعدوا منذ يناير لمثل هذه اللحظة، وأن السلطة فشلت في إخماد صوت الحراك وتبين لها أن قطع شبكة الإنترنت لن يكون ذا جدوى في البحرين نتيجة وجود بدائل وخيارات بعضها جاء من قلب الدولة الأكثر شراسة في مواجهة الحراك البحريني، الرياض. وتمثلت هذه الخيارات بدمج أكثر من شبكة اتصال قادمة من أكثر من مزود. وكذلك باستخدام خيارات غير تقليدية مثل الاتصال بالإنترنت عبر الأقمار الصناعية. ولا يعد الاتصال بالأقمار الصناعية خيارا غريباً على البحرينيين الذين طالما كانوا يتزدون بهذه الخدمة عبر مجموعة شركات بعضها كان يعمل في البحرين بصفة قانونية تماماً لتقديم هذه الخدمة في فترة من الفترات.

### ■ البث المباشر

منذ بدأت محاكمات المعتقلين في أغسطس 2010 بدأ البحرينيون استخدام هواتفهم للبث المباشر للوقفات والاحتجاجات. بدأت السلطة حجب هذه المواقع واحدا تلو الآخر، ولكن هذا الحجب بالنسبة لشباب بدأ معركته مع المواقع المحجوبة منذ أكثر من عشر سنوات يعد نكتة اعتاد سماعها. وكانت تظاهرات 14فبراير تظهر في عيون عدسات الآيفون والأندرويد ومنها إلى شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة.

وخلق النشطاء منافذ متخصصة عدة لبث برامجهم وأرشفتها، بصوت أحيانا وبالصوت والصورة أحيانا أخرى. فمن موقع بامبيوسر المحجوب تنقل النشطاء ومؤسسات المجتمع



OFFICE OF MINISTER OF INFORMATION
& MINISTER OF STATE FOR FOREIGN AFFAIRS

مكتب وزير الإعلام
ووزير الدولة للشؤون الخارجية

**قرار رقم (62) لسنة 2006**
**بشأن منع (8) مواقع إلكترونية عن البث في مملكة البحرين**

وزير الإعلام ووزير الدولة للشؤون الخارجية،

بعد الاطلاع على المادة (19) والمادة (20) من المرسوم بقانون رقم (47) لسنة 2002 بشأن تنظيم الصحافة والطباعة والنشر،

وبناءً على عرض الوكيل المساعد للمطبوعات والنشر،

قرر:

مادة (1)

يُمنع من البث في مملكة البحرين المواقع الإلكترونية التالية لنشرها أموراً يحظر القانون نشرها:

1- www.shahrakkan.org
2- www.hrinfo.net
3- www.bab-albahrain.net
4- www.aldair.net
5- www.alhiyak.net
6- www.bintjbeil.org
7- www.althaqlain.com
8- http://www.aldemokrati.org

مادة (2)

على الوكيل المساعد للمطبوعات والنشر تنفيذ هذا القرار ويعمل به من تاريخ صدوره.

وزير الإعلام
ووزير الدولة للشؤون الخارجية
الدكتور/ محمد عبد الغفار

صدر بتاريخ: 08 شوال 1427هـ
الموافق: 30 أكتوبر 2006 م

Ministry of Information - Tel: 17570888 - Fax: 17582777 - P.O. Box: 250
Ministry of Foreign Affairs - Tel: 17225117 - Fax: 17211112 - P.O. Box: 547

وزارة الإعلام - هاتف: ١٧٥٧٠٨٨٨ - فاكس: ١٧٥٨٢٧٧٧ ص.ب: ٢٥٠
وزارة الخارجية - هاتف: ١٧٢٢٥١١٧ - فاكس: ١٧٢١١١١٢ ص.ب: ٥٤٧

■ زينب الخواجة تسحل وتجر من قيودها من قبل شرطية بعد رفضها مغادرة دوار البديع.

المدني عبر عدة مواقع خدمية للبث المباشر وصولاً إلى تويت فيد.

وكما شكل الدوار (ميدان اللؤلؤة) مركزا للتظاهرات كان مركزا للإبداعات. هناك انصهرت خبرات محترفين ومتطوعين في اللجنة الإعلامية التي تبنت فكرة البث المباشر للفعاليات والمظاهر العامة. وبموازاة الجهود التي بذلت لـ "تأهيل" الدوار كانت هناك جهود تقنية تبذل لتطوير البث المباشر. وظهرت أكثر من مجموعة اشتغلت بالفكرة. منها الفريق الذي خصص سيارة (ابص) لعمله، وكانت لقطة محطة البنزين القريبة آخر ما صورته في الليلة الأولى للهجوم على الدوار. قبل أن يتم تكسير السيارة. بعدها، انتقل الفريق للعمل بالمعدات الخفيفة. كاميرات مايكرو، لابتوبات نحيفة. وافتتح هذا الفريق فرعا له في السلمانية قبل أن تهدم أقدام العسكر مواقع الاعتصام للمرة الثانية.

وفي فترة السلامة الوطنية عكف الفريق على تطوير آلية "ذكية" تتيح للناس استقبال البث المباشر عبر هواتفهم بمختلف أنواعها، وعبر أجهزتهم بمختلف طاقاتها الاستيعابية، وكان موعدهم بعد يونيو مع عمل تصاعدي. الفريق المستقل، يتابع أخبار

الفعاليات على الأنترنت ويحدد إمكانية وجوده بناء على الظروف الميدانية.
اليوم يعمل الفريق على بث مؤتمرات الجمعيات السياسية وعلى نقل الفعاليات الميدانية التي كان آخرها مسيرة الجمعيات في شارع البديع ثم الاعتصام على دوار أبوصيبع.
مازالت روح الفريق تعمل، ومازالت البنية التحتية التي تم تجهيزها في الدوار هي أساس البث المباشر التي باتت قنوات كاللؤلؤة والمنار تنقل عنها صورها الحية. يقول أحد فريق العمل سينقل عنا تلفزيون البحرين يوما ما.

## ■ التوثيق

في فترة الطوارئ (السلامة الوطنية) كانت الإنترنت فرصة للكثيرين الذين امتلأت أعماقهم بطاقة الحرية التي كبتها العسكر. وبدأت رحلة توثيق الانتهاكات التي برز فيها موقع "سجل البحرين"(2) والذي يتابع حالات الانتهاكات والاعتقالات والإفراجات والشهداء معتمدا على تفاعل الزوار بأسلوب تشارك المعلومات بالإضافة إلى صفحة خاصة بالبلاغات الحقوقية قدمتها جمعية الوفاق وأشرف عليها النائب السابق المستقيل سيد هادي الموسوي ضمن حملة "وثق ثم وثق". وفي إطار التوثيق الإعلامي خصص سجل البحرين قسما خاصا بتوثيق الفيديوهات المتصلة بالبحرين، بلغت تعداد الملفات المسجلة فيه حتى لحظة كتابة التقرير 16262 منها أكثر من 13 ألف مقطع موثقة بالحدث والزمان والمكان ويجمعها محرك بحثي يصنفها على أساس نوع الحدث أو زمانه أو مكانه (3).

## ■ هوامش

(1) تقرير لنيويورك تايمز عن حالة الإنترنت في البحرين

http://www.nytimes.com/2011/02/18/world/middleeast/18manama.html?_r=2

(2) موقع سجل البحرين (بحرين لوج)

http://bahrainlog.com%e2%80%ac/

(3) قسم سجل الفيديو - موقع سجل البحرين (بحرين لوج)

http://vedio.bahrainlog.com/



الفصل الرابع

# مملكة في مهب تقرير



# تناقض النسختين

## العربية والإنجليزية لا يخلو من دلالات و"اللجنة" تجاهلت مرسوم "السلامة الوطنية"

**لا شك أن إبداء رأي شامل في كل جزئيات تقرير "اللجنة البحرينية لتقصي الحقائق"، هي مهمة تتسم بالتشعب – وليس الصعوبة – وذلك نظراً لاحتواء التقرير على الكثير من الوقائع، والكثير من الخلاصات والاستنتاجات، التي ذهبت إليها اللجنة، والتي هي بحاجة إلى الكثير من الوقت لبحثها وإخضاعها لدراسة وتحليل متعمقين.**

والحال أن "الوقت الكافي" لهذه الدراسة هو ترف وامتياز في آن لم يتوافر خلال الفترة الماضية وخصوصاً أننا بذلنا بعض الجهد، في مقارنة النص الإنجليزي – الذي نشرته اللجنة على موقعها على شبكة الإنترنت – بالنص العربي الذي نشرته اللجنة ذاتها وتبعتها في ذلك الصحافة المحلية. والداعي لذلك، هو الفضول الشديد الذي اعترى كثيرين، عندما سحبت اللجنة النص العربي الذي تم نشره في البداية. والسبب في هذا الفضول وهو أننا نعتقد جازمين بأن هناك مسئولية أخلاقية – بالدرجة الأولى – تقع على عاتق اللجنة نتيجة قيامها بنشر النسخة العربية، لتقرير هو على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية، كما هو حال تقريرها موضوع هذه الورقة ومن ثم سحبه. ذلك أن من اطلع على النسخة العربية الأولى، وقارنها مع النص المحرر باللغة الإنجليزية، سيقع – في أحسن الأحوال – في حيرة شديدة حول الأسباب التي أدت إلى هذا التباين، في بعض الأحوال، والنواقص في أحوال أخرى، وربما التناقض في بعض الحالات، بين النص العربي المنشور في البداية والنص الإنجليزي، وهو أمر لا يخلو من الدلالات.

وبالعودة إلى موضوع هذه الورقة، فإننا وجدنا أنفسنا مضطرين – بالنظر إلى ما سلف الحديث إليه من تشعب التقرير وضيق الوقت – إلى قصر موضوع هذه الورقة على مناقشة بعض "الملاحظات العامة" وليس كلها، والتي ضمنتها اللجنة في الفصل الثاني عشر من تقريرها والمعنون "الملاحظات العامة والتوصيات".

وفي هذا الصدد، فإنه لا بد من الإشارة إلى أن مناقشة هذه الملاحظات ستعتمد – بدرجة كبيرة – على ما ورد بمتن التقرير ذاته. بمعنى أن إبداء الرأي فيما إذا كانت هذه "الملاحظة العامة" أو تلك التي أوردتها اللجنة، تنسجم وتتسق مع تلك التفاصيل والتقريرات والخلاصات التي تضمنها كل فصل من فصول التقرير على حدة. ذلك أنه من المنطقي بل ومن اللازم أيضاً أن تستند كل ملاحظة ختامية، أوردها التقرير في فصله الأخير، إلى ما يقابلها أو يتعلق بها من تفاصيل وتقريرات أوردتها اللجنة في متن تقريرها.

ولكن، وقبل الشروع في مناقشة هذه الملاحظات، نرى من الأهمية بمكان، استهلال هذه الورقة، بإبداء رأي حول المرسوم الملكي رقم (18) لسنة 2011 بإعلان حالة السلامة



■ الجيش البحريني بمعية قوات درع الجزيرة منتشر في منطقة المرفأ المالي.

الوطنية. وذلك نظراً إلى أن هذا المرسوم، والحالة التي أعلنها، والسلطات التي منحها، والظروف التي خلقها على أرض الواقع، تشكل جزءاً لا يتجزأ – أو ربما الجزء الأكبر- من الأسباب التي أدت إلى تشكيل لجنة تقصي الحقائق. ونرى بأن أهمية مناقشة إعلان حالة السلامة الوطنية هو نتيجة حتمية لما هو ثابت من التجاهل التام للجنة لهذا المرسوم، وإغفالها لآثاره وتداعياته ونتائج تطبيقه على أرض الواقع وعلى الأحداث والظروف والملابسات التي وقعت خلال الفترة التي شملها الإطار الزمني لمهمتها، وما استتبع ذلك من أحداث لاحقة على ذلك الإطار الزمني، باعتبارها وقائع وملابسات تشكل سلسلة مستمرة ومتواصلة مع الوقائع والملابسات التي سبقتها. ونقصد من تجاهل اللجنة لهذا المرسوم هو تقدير مدى توافق إعلان حالة السلامة الوطنية – وهي حالة أحكام عرفية – مع الدستور والمعايير الدولية المتعارف عليها لإعلان حالة الطوارئ. ذلك أن وضع إعلان حالة السلامة الوطنية على ميزان المعايير الدولية في هذا الشأن هو، في اعتقادنا، الوسيلة الأمثل لتقدير توافر عنصر الملاءمة لفرض حالة الأحكام العرفية من حيث توافر الأسباب والشروط المبررة لفرض مثل هذه الأحكام الاستثنائية. والدليل على تجاهل وإغفال اللجنة لهذا المرسوم وتداعياته، ليس من قبيل التجني عليها أو اتهامها بما لم ترتكبه.



# "السلامة الوطنية"

## بدعة لم يوردها المشرّع البحريني .. وهي أشد من "الأحكام العرفية"

لقد نص الأمر الملكي رقم (28) لسنة 2011 بتشكيل اللجنة في المادة التاسعة منه على أنه "يجب أن يشتمل تقرير اللجنة ضمن أمور أخرى على ما يلي: 1- سرداً كاملاً للأحداث التي وقعت خلال شهري فبراير/ شباط ومارس/ آذار 2011، 2 - الظروف والملابسات التي وقعت في ظلها تلك الأحداث، 3 - ما إذا كانت قد وقعت خلال تلك الأحداث انتهاكات للمعايير الدولية لحقوق الإنسان من قبل أي من المشاركين خلال الأحداث أو التداخل بين المواطنين والحكومة، 4 - ظروف وصحة عمليات التوقيف والاعتقال". ومؤدى هذا النص يقطع – بدون شك – بأن من مهام اللجنة واختصاصاتها أن تتعرض للبيئة القانونية التي جرت في ظلها هذه الأحداث. ومن المؤكد أن مرسوم إعلان حالة السلامة الوطنية والحالة التي خلقها، شكّل العنوان الرئيس والركيزة لكل المشهد البحريني في الفترة التي تناولها التقرير. وبالتالي فإنه كان من قبيل التقيد بالمهمة المسندة إليها ومن قبيل الموضوعية أيضاً أن تتعرض اللجنة، طالما أنها لجنة تقصي حقائق، لفحص مدى شرعية تلك التدابير الاستثنائية التي تم فرضها بموجب إعلان السلامة الوطنية، وذلك في ضوء الحقوق المنصوص عليها في دستور البلاد وفي ضوء المعايير والقواعد الدولية المتعارف عليها فيما يتصل بفرض حالة الطوارئ.

وما يؤكد أيضاً واقع تجاهل اللجنة وعدم تعرضها لمدى صحة وملاءمة فرض حالة السلامة الوطنية في ملاحظاتها العامة الختامية، أن اللجنة ذاتها توصي في الفقرة (184)، بعد استعراضها للدفوع التي أثارها المحامون، بشأن عدم دستورية المرسوم الملكي بإعلان حالة السلامة الوطنية، توصي بعرض الدفوع المتعلقة بمخالفة بعض أحكام المرسوم بإعلان حالة السلامة الوطنية لأحكام دستور البحرين على المحكمة الدستورية. لذلك فقد كان من الأولى والأجدر أن تتعرض اللجنة بذاتها - بشكل واضح وصريح – لمسألة مدى مشروعية أو دستورية فرض حالة الطوارئ، المسماة بحالة السلامة الوطنية وأن تبدي رأيها في هذه المسألة. ولا ينفع، رداً على ما أقرره من تجاهل اللجنة لهذه المسألة، القول بأن التعرض لمدى مشروعية فرض حالة السلامة الوطنية هو من قبيل الخوض في أعمال السيادة التي لا يجوز إخضاعها للرقابة، أياً كانت طبيعة هذه الرقابة. أو القول أن هذه المسألة تخرج عن نطاق المهمة الموكلة للجنة تقصي الحقائق. إذ إن هذه الحجج مردود عليها من الأمر الملكي بإنشاء لجنة تقصي الحقائق ذاته، والذي كلف اللجنة ببحث الظروف والملابسات التي وقعت في ظلها الأحداث، وما إذا وقعت خلال تلك الأحداث انتهاكات للمعايير الدولية لحقوق الإنسان. كما أن تلك الحجة مردود عليها بأنه قد استقر العمل على المستوى الدولي على إخضاع إعلان حالة الطوارئ لرقابة القضاء والمنظمات الدولية المختصة للتحقق من مدى صحة المبررات التي تم الاستناد إليها لفرض تلك الحالة

## ▪ "بدعة" لم نسمع بها

إن "إعلان "حالة السلامة الوطنية، هو أمر يختلف تماماً من حيث طبيعته عن الحالة التي تنشأ نتيجة له، أي للإعلان. ذلك أن المادة (36/فقرة ب) من "الدستور" تنص على أنه " لا تعلن حالة السلامة الوطنية أو الأحكام العرفية إلا بمرسوم". وهذا النص قائم على فرضية سابقة بالضرورة على "إعلان حالة السلامة الوطنية". وهي وجود القانون الذي يحدد مفهوم حالة السلامة الوطنية، وينظم حدود ونطاق الإجراءات التي يجوز لأجهزة السلطة التنفيذية اتخاذها، بما يجأوز تلك الحدود التي تنظمها القوانين العادية السارية في البلاد. والحال أنه ليس هناك في المنظومة القانونية البحرينية قانون باسم "قانون حالة السلامة الوطنية". ويترتب على هذه الحقيقة أن مرسوم إعلان حالة السلامة الوطنية هو، في واقع الأمر، غير ذي موضوع؛ لأنه يعلن عن قيام حالة استثنائية لا وجود لها في القانون البحريني. وتبعاً لذلك فإن إصدار هذا المرسوم،



■ عناصر من قوات درع الجزيرة منتشر بباحة مجمع السلمانية الطبي.

بالشكل والمضمون اللذين صدر بهما هو أمر مخالف للدستور.

لقد ترتب على المرسوم الملكي بإعلان حالة السلامة الوطنية تعطيل بعض أحكام الدستور. وهو الأمر غير الجائز طبقاً لنص المادة (123) من الدستور، والتي تنص على أنه " لايجوز تعطيل أي حكم من أحكام هذا الدستور إلا أثناء إعلان الأحكام العرفية، وذلك في الحدود التي يبينها القانون". ونكرر مرة أخرى "أثناء إعلان الأحكام العرفية" وليس إعلان حالة السلامة الوطنية. وتدليلاً على أن المرسوم الملكي عطل بعض أحكام الدستور، نشير إلى نص المادة (5/فقرة12) من المرسوم والذي ينص على أنه "للسلطة المكلفة بتنفيذ أحكام هذا المرسوم اتخاذ كل أو بعض التدابير والإجراءات الآتية: -12 إسقاط الجنسية البحرينية عن كل من كان في وجودهم خطورة على الأمن والنظام العام وإبعادهم عن البلاد أو حجزهم في مكان أمين". هذا في حين أن المادة (17) من الدستور تنص على أن " أ- الجنسية البحرينية يحددها القانون، ولا يجوز إسقاطها إلا في حالة الخيانة العظمى، والأحوال الأخرى التي يحددها القانون. ب- يحظر إبعاد المواطن عن البحرين أو منعه من العودة إليها". إذاً ما هي قيمة الدستور إذا كان يمكن تعطيل أحكامه بمجرد مرسوم؟!

### ■ تفسيرالقانون أطلق يد الأجهزة الأمنية

على الرغم من أن "المذكرة التفسيرية" المرفقة "بالدستور"، تشير بشأن المادة (36)



■ عناصر من قوات درع الجزيرة منتشر بباحة مجمع السلمانية الطبي.

المتعلقة بإعلان حالة السلامة الوطنية أو الأحكام العرفية، وذلك بقولها "ولما كانت هذه الظروف تتدرج من الضعف إلى القوة، وتختلف درجة خطورتها، فإنه رغبة في عدم المساس بحقوق الأفراد وحرياتهم إلا بالقدر اللازم لمواجهتها، فرق الدستور في المادة 36 بين حالتين: حالة السلامة الوطنية وحالة الأحكام العرفية... ويترتب على هذه التفرقة، أن تكون الإجراءات اللازمة لإعادة السيطرة على الوضع القائم عند إعلان حالة السلامة الوطنية أقل حدة ومساساً بحقوق الأفراد وحرياتهم من تلك التي يتم اللجوء إليها في حالة إعلان الأحكام العرفية"، على الرغم من ذلك فإن لجنة تقصي الحقائق ذاتها تقرر في الفقرة (169) من التقرير ما يلي " بل والأمر الأكثر غرابة هو أنه بالرغم من حقيقة أن المذكرة التوضيحية المرفقة بدستور المملكة تنص على أنه يجب أن تكون التدابير المتخذة بموجب حالة السلامة الوطنية أقل تقييداً من تلك التي يتم تنفيذها أثناء تطبيق الأحكام العرفية، فقد أثبت الواقع تفسير هذا المرسوم بطريقة تمنح سلطات للأجهزة الحكومية تزيد عن تلك المنصوص عليها في المرسوم الأميري رقم (27) لسنة 1981 بشأن تطبيق الأحكام العرفية، وخاصة فيما يتعلق بسلطة توقيف الأشخاص لفترات غير محددة دون الرجوع إلى السلطة القضائية". ولعل هذا الذي تقرره اللجنة في متن تقريرها، يؤكد مرة أخرى ما أشرنا إليه من تجاهلها لإبداء رأي محدد حول سلامة ومشروعية المرسوم بإعلان حالة السلامة الوطنية الذي ثبت أنه أشد وطأة من حالة الأحكام العرفية.

وأخيراً، فإن إحدى الوسائل لتقييم صحة المسوغات التي يتم الاستناد إليها لفرض حالة الطوارئ أو التدابير الاستثنائية، تتمثل فيما إذا كان حل المشكلة التي تتعرض لها البلاد لا يتحقق بالتدابير العادية التي تتفق مع المعايير والقواعد الدولية التي لا تجوز مخالفتها. والواقع أن منظومة القوانين البحرينية، أو ترسانتها بعبارة أصح، مليئة بكل ما يخطر على البال من القوانين المقيدة للحريات، وتدعم هذه الترسانة، على الدوام، أجهزة قضائية مستعدة للاستجابة لطلبات التوقيف والقبض والتفتيش والحبس التي تتقدم بها إليها أجهزة إنفاذ القانون. وهو ما ينفي قطعاً أي ضرورة لإعلان حالة الطوارئ التي تم فرضها على البلاد.



## عبارة "نمط متكرر من السلوك"

## استهتار بالحقيقة..
## وغايتها تبرير ساحة الدولة

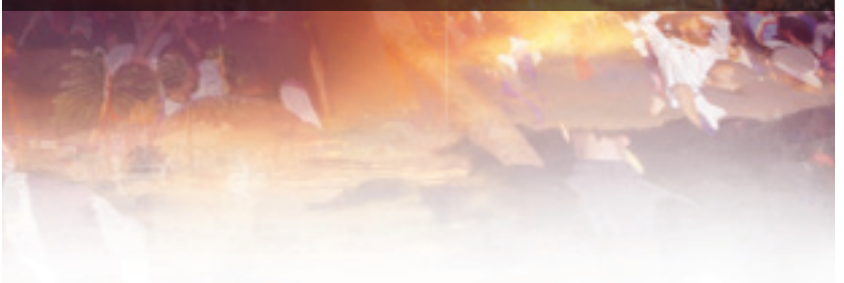

نعلم أن اللجنة المستقلة لتقصي الحقائق، هي لجنة تم تشكيلها بموجب الأمر الملكي رقم (28) لسنة 2011 الصادر بتاريخ 29 يونيو/ حزيران 2011، والمنشور في الجريدة الرسمية الصادرة بتاريخ 30 يونيو/ حزيران 2011. وقد نص هذا الأمر – من جملة ما نص عليه – نص في مادته التاسعة على أنه " تضع اللجنة تقريراً بنتيجة عملها يتم نشره كاملاً بعد عرضه على الملك في موعد أقصاه 30 أكتوبر/ تشرين الأول 2011.



■ في مشهد حاط بالكرامة، معتقلات السيتي سنتر مكدسات على الأرض بعد تقييدهن.

ويجب أن يشتمل تقرير اللجنة ضمن أمور أخرى على ما يلي: 1-...،2-.....، 3- ما إذا كانت قد وقعت خلال تلك الأحداث انتهاكات للمعايير الدولية لحقوق الإنسان من قبل أي من المشاركين خلال الأحداث أو التداخل بين المواطنين والحكومة. (ملاحظة عابرة: نزعم بأن هذه العبارة الأخيرة: التداخل بين المواطنين والحكومة، هي عبارة تمت سياغتها في الأصل باللغة الإنجليزية "- Interaction between the pu lic and the government" وتمت بعد ذلك ترجمتها إلى اللغة العربية، وذلك لغموض مفهوم التداخل بين المواطنين والحكومة في اللغة القانونية العربية). 4 -...، 5 -...، 6 - ظروف وصحة عمليات التوقيف والاعتقال..." . ومؤدى هذه المادة أن السلطة الحاكمة، ممثلة في الملك، تطلب من لجنة تقصي الحقائق البحث فيما إذا حصلت خلال الأحداث انتهاكات للمعايير الدولية لحقوق الإنسان، كما تطلب السلطة من اللجنة بيان ظروف وصحة عمليات التوقيف والإعتقال. هذا طبعاً ضمن أمور أخرى اشتمل عليها الأمر الملكي بتشكيل اللجنة.

واستجابة لهذا التكليف، قامت لجنة تقصي الحقائق بالمهمة التي أُسندت إليها، وقدمت تقريرها، الذي خلُصت فيه – من جملة أمور أخرى – في الفقرة (1693) إلى الآتي: " لقد اعتقدت الحكومة أن الوضع الداخلي قد وصل إلى حد يهدد بانهيار تام للقانون وللنظام... ولذلك وفي 15 مارس/ آذار أصدر جلالة الملك المرسوم الملكي بإعلان حالة السلامة الوطنية. ولقد نفذت قوات الأمن عدداً كبيراً جداً من عمليات القبض دون إبراز أوامر القبض أو حتى إخبار الأشخاص المقبوض عليهم بأسباب القبض. وفي حالات كثيرة لجأت الجهات الأمنية في حكومة البحرين إلى استخدام القوة المفرطة وغير الضرورية

مصحوبة بسلوك بث الرعب في نفوس المواطنين، فضلاً عن الإتلاف غير الضروري للممتلكات. وبالتأكيد فإن وجود مثل هذا النمط المتكرر من السلوك يكشف عن طبيعة التدريب السابق لتلك القوات". وفي الفقرة اللاحقة (رقم 1694) تقول اللجنة "في هذا الإطار، تعرض الكثير من الموقوفين للتعذيب ولأشكال أخرى من الانتهاكات البدنية والنفسية داخل محبسهم، الأمر الذي يدلل، مرة أخرى، على وجود أنماط سلوكية معينة تقوم بها بعض الجهات الحكومية. وبالطبع لم يتعرض جميع الموقوفين لكافة أساليب إساءة المعاملة، ولكن تلاحظ وجود نمط ملحوظ من سوء المعاملة موجه لفئات بعينها من الموقوفين".

## ■ 7 مواد من العهد الدولي ضربت عرض الحائط

نستنتج من هاتين الملاحظتين، أن اللجنة ترى أن هناك مجرد وجود "لأنماط سلوكية معينة تقوم بها بعض الجهات الحكومية"، أو مجرد "نمط متكرر من السلوك يكشف عن طبيعة التدريب السابق لتلك القوات". والواقع أن هذا الذي توصلت إليه اللجنة في ملاحظاتها الختامية العامة، من أن ما حصل من انتهاكات كان مجرد "أنماط سلوكية معينة تقوم بها بعض الجهات الحكومية"، هي نتيجة، أقل ما يمكن أن يقال عنها، إنها استهتار وإنكار صريحان للحقيقة. ذلك أن اللجنة ذاتها في الفقرة رقم (105) تقول ( وهنا نقرأ في النص الإنجليزي وليس النص العربي للتقرير الذي نشرته اللجنة على موقعها بتاريخ 11 ديسمبر/ كانون الأول 2011 وهي ترجمة تم وضعها في سياق وصيغة مختلفة عن سياق النص الإنجليزي) تقول:

"105. On 15 March 2011، the Government of Bahrain declared a State of National Safety، which is one of two categories of states of emergency provided for under the Constitution of Bahrain. Bahrain is bound by article 4 of the ICCPR، which permits derogations from obligations "in time of public emergency، which threatens the life of the nation". However، derogations from the provisions of the ICCPR are only permissible to the extent strictly required by the exigencies of the situation. The GoB deposited a dero-

gation from article 9، 12، 13، 17، 19، 21 and 22 of the IC-CPR with the UN Secretary General on 28 April 2011، although the State of National Safety was declared on 15 March 2001."

وترجمة هذه الفقرة إلى اللغة العربية هي: " بتاريخ 15 مارس/ آذار 2011، أعلنت حكومة البحرين حالة السلامة الوطنية، والتي هي إحدى فئتي حالة الطوارئ المنصوص عليهما في دستور البحرين. إن البحرين ملتزمة بالمادة (4) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والتي تجيز التحلل من التزامات "أثناء حالة طوارئ عامة تهدد مصير الأمة". وفي كل الأحوال فإن عدم التقيد بأحكام العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية جائز فقط في الحدود التي تتطلبها الضرورات الملحة للأوضاع. وبتاريخ 28 أبريل/ نيسان 2011 أودعت حكومة البحرين لدى الأمين العام للأمم المتحدة إعلاناً بعدم التقيد بالمواد 9،12،13،17،19،21،22 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، على الرغم من أنها أعلنت حالة السلامة الوطنية وذلك بتاريخ 15 مارس/ آذار 2011".

وبإيجاز شديد فإن الأحكام المتعلقة بما يعرف في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية باستخدام حق عدم التقيد، تتمثل فيما تنص عليه المادة (4) من العهد الدولي من أنه "1 - في حالات الطوارئ الاستثنائية التي تهدد حياة الأمة، والمعلن قيامها رسمياً، يجوز للدول الأطراف في هذا العهد أن تتخذ، في أضيق الحدود التي يتطلبها الوضع، تدابير لا تتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بمقتضى هذا العهد، شريطة عدم منافاة هذه التدابير للالتزامات الأخرى المترتبة عليها بمقتضى القانون الدولي وعدم انطوائها على تمييز يكون مبرره الوحيد هو العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي. 3 - على أية دولة طرف في هذا العهد استخدمت حق عدم التقييد أن تعلم الدول الأطراف الأخرى فوراً، عن طريق الأمين العام للأمم المتحدة، بالأحكام التي لم تتقيد بها وبالأسباب التي دفعتها إلى ذلك. وعليها في التاريخ الذي تنهي فيه عدم التقيد، أن تعلمها بذلك مرة أخرى وبالطريق ذاته". وتنظم هذه المادة من العهد مسألة استخدام حق عدم تقيد الدولة المنضمة للعهد الدولي ببعض الالتزامات المنصوص عليها في العهد، وتشترط لاستخدام هذا الحق توافر الشرطين التاليين: 1- قيام حالة طوارئ في الدولة الطرف تهدد حياة الأمة." ولا تعتبر أي كارثة أو حالة اضطراب تواجه الدولة

بأنها حالة طارئة تهدد حياة الأمة، وإنما يقصد بذلك الحالة التي تؤثر على الشعب في كل أو بعض أجزاء الدولة أو التي تشكل تهديداً للاستقلال السياسي أو الوحدة الإقليمية للدولة أو تمنع أجهزة الدولة الرئيسية من القيام بمهامها الأساسية، ومنها حماية الحقوق الواردة بالعهد" (المرجع: تفسير اللجنة المعنية لحقوق الإنسان للعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية – دراسة تطبيقية في آراء اللجنة بشأن بلاغات الأفراد ضد انتهاكات الدول الأطراف – بحث للدكتور خالد محمد حمد الجمعة – دولة الكويت – منشور في مجلة الحقوق – العدد (4) – السنة 34 – ديسمبر 2010).

أما الشرط الثاني فهو أن تعلن الدولة الطرف رسمياً عن وجود حالة الطوارئ.

## ■ الحكومة قالت بلسانها إنها لن تلتزم بالعهد الدولي

تتمثل المواد التي استخدمت حكومة البحرين حق عدم التقيد بها، في كل من المادة (9) من العهد الدولي والتي تتعلق بضمانات حق الأفراد في الحرية والأمان وعدم جواز الاعتقال والتوقيف التعسفي، فضلاً عن ضمانات المثول أمام القضاء. والمادة (12) المتعلقة بضمانات حرية الانتقال والسفر وخروج المواطن من بلده والعودة إليها. كما قررت حكومة البحرين عدم تقيدها بالمادة (13) من العهد والتي تتعلق بعدم جواز إبعاد الشخص الأجنبي المقيم في البلاد بصفة قانونية. وكذلك المادة (17) الخاصة بضمانة عدم تعريض أي شخص لتدخل في خصوصياته أو شئون أسرته أو بيته أو تعريضه لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته. والمادة (19) المتعلقة بحرية الرأي والتعبير والحصول على المعلومات والأفكار. والمادة (21) الخاصة بممارسة حق التجمع السلمي. وكذلك المادة (22) المتعلقة بالحق في تكوين الجمعيات والنقابات والانضمام إليها.

إذاً فحكومة البحرين تعلن بتاريخ 28 أبريل/ نيسان 2011، أي بتاريخ سابق على تاريخ صدور الأمر الملكي بتشكيل لجنة تقصي الحقائق في 29 يونيو/ حزيران 2011، بأنها لن تلتزم بأحكام بعض مواد العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. وهذا الإعلان يعني أن حكومة البحرين تقر بنفسها رسمياً بأنها لن تلتزم ببعض المعايير الدولية لحقوق الإنسان، وذلك فيما يتعلق بحق الفرد في الحرية وفي الأمان على شخصه وعدم توقيفه أو اعتقاله تعسفا، وما إلى ذلك من حقوق أساسية، قررت عدم الالتزام بها. بما يعني أيضاً أن حكومة البحرين أعلنت بأن ذلك سيكون منهجاً لها خلال فترة إعلان حالة السلامة الوطنية، ومع ذلك يأتي تقرير لجنة تقصي الحقائق ليقول لنا إن ما حصل خلال تلك الفترة لم يكن إلا مجرد "أنماط سلوكية معينة تقوم بها




بعض الجهات الحكومية "، أو أنه مجرد "سلوك يكشف عن طبيعة التدريب السابق لقوات الأمن". ولا شك بأن الغاية من مثل هذه الخلاصة التي ذهبت إليها اللجنة هي محأولة نفي مسئولية الدولة عما حصل من انتهاكات أدت إلى إزهاق الأرواح، ومصادرة الحريات، وقطع الأرزاق، وإلقاء مسئولية هذه الأفعال على "بعض الجهات الحكومية ذات الأنماط السلوكية المعينة".

والأدهى من ذلك أيضاً أن الأمر الملكي بتشكيل لجنة تقصي الحقائق يطلب من اللجنة بحث ما إذا وقعت خلال الأحداث انتهاكات للمعايير الدولية لحقوق الإنسان، والبحث في ظروف وصحة عمليات التوقيف والاعتقال، هذا في حين أن حكومة البحرين تقرر بنفسها في 28 أبريل/ نيسان 2011 بأنها غير مقيدة ببعض تلك المعايير المنصوص عليها في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، بما في ذلك المعايير الخاصة بعمليات التوقيف والاعتقال.




# غلطة "شاطر" أم "متشاطر"!؟

## "التقرير" يضرب في النتائج بما يقرره في المقدمات

**في أول وآخر لقاء عام جمع أعضاء لجنة تقصي الحقائق، ببعض ممثلي الجمعيات السياسية والمهنية و بعض الأفراد، توجّه أحد المحامين بسؤال لرئيس اللجنة محمود شريف بسيوني مفاده ما إذا ستقوم اللجنة بالبحث في الأسباب التي أدت لأحداث فبراير / شباط ومارس / آذار الماضيين، فأجاب بإجابة، صريحة، و محددة، وواضحة، وبكلمة واحدة، "نعم".**

وبالفعل فقد انتهت اللجنة في ملاحظاتها الختامية عن الفصل الرابع من التقرير، والمتعلق بسرد أحداث شهري فبراير / شباط ومارس/ آذار 2011، و بالتحديد في الفقرة (641) إلى أنه "في سياق العولمة التي تعيشها سائر أرجاء المعمورة، و واقع أن الأحداث التي تقع في بقعة معينة من العالم تؤثر لا محالة على الأحداث التي تشهدها مناطق أخرى من العالم، فإن فهم الأحداث في البحرين يتطلب رؤية أوسع نطاقاً، خاصة في ضوء الموقع الجغرافي الفريد للبحرين والذي يتسم بأهمية وثقل استراتيجي واقتصادي كبير. و بوصفها دولة عربية ومسلمة، فإن البحرين تتأثر بالتطورات التي تقع في العالمين العربي والإسلامي، و خاصة العالم العربي في ضوء الاتصال المباشر والوثيق للبحرين بمحيطها العربي.

لذا، فإن البحرين قد تأثرت بما أصبح يعرف عامة بالربيع العربي. ورغم أن كل دولة مجتمع عربي تأثر بهذه الأحداث والتطورات بشكل مختلف، إلا أن الثابت أن الربيع العربي شجع شعوبا عربية، و منها في البحرين، على الإعراب عن مظالم و مطالب إصلاحية كانت مكبوتة لفترات طويلة. و بعكس الاضطرابات الشعبية التي شهدتها البحرين في فترات تاريخية سابقة، لم تكن الاحتجاجات التي بدأت في 14 فبراير/ شباط مدبرة من قبل جمعيات سياسية معارضة ذات طابع مؤسسي، وقادتها شبكات من شباب غير مسيس وغير منتمٍ لأي جماعات سياسية ولكنه أحس بالغضب إزاء الأحوال في البلاد. و على غرار نظرائهم في بلدان عربية أخرى، استعان هذا الشباب البحريني بالوسائل التكنولوجية الحديثة، مثل مواقع التواصل الاجتماعي، للدعوة إلى مظاهرات ولنشر مطالبهم. كما تجدر الإشارة إلى أن المطالب التي رُفعت وعُبر عنها خلال التظاهرات التي بدأت يوم 14 فبراير/ شباط 2011 تمتعت، على الأقل في بداية الأمر، بدرجة عالية من الدعم الشعبي الذي تجأوز الحدود الدينية و الطائفية و العرقية".

كما انتهت اللجنة في الفقرة اللاحقة رقم (642) إلى أنه "تمتد جذور التظاهرات التي بدأت في الرابع عشر من فبراير/ شباط إلى عقود السبعينيات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي. خلال هذه العقود، وقبل ظهور وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي الحديثة، تظاهر العديد من البحرينيين للمطالبة بحقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفي بداية الأحداث في البحرين، وكما حدث في عقود سابقة، كان المطلب الأساسي هو إجراء الإصلاحات، وليس تغيير النظام، وهو ما كان عليه الحال في المراحل الأولى من المظاهرات والاحتجاجات التي جرت في كل من تونس ومصر وسوريا واليمن.

ولكن كما بينت التجربة، فإنه عند عدم الاستجابة لمطالب الإصلاح، فإن الأمر يتطور، ويرتفع سقف المطالب ليكون المطلب هو تغيير النظام، ويتعرض المجتمع لحالة إما من الاستقطاب أو التطرف. وعادة ما يؤدي ذلك إلى ضياع المنطقة الوسطى المعتدلة التي يمكن أن تجتمع عليها الأمة بجميع طوائفها وأعراقها وطبقاتها الاجتماعية والاقتصادية، والتي يمكن أن تشكل أساساً للقيام بإصلاحات على أساس مبادئ وأدوات الديمقراطية والحكم الرشيد واحترام حقوق الإنسان المحمية دولياً".

## ■ أسباب حقيقية ونتائج متوهمة

ولا نجد داعياً للتعليق على مضامين هاتين الفقرتين، إذ تقطعان بالأسباب الحقيقية للأحداث التي شهدتها البلاد خلال الفترة الماضية، والتي تعبر عن المطالب المشروعة لشعب البحرين، منذ خمسينات القرن الماضي، في الإصلاح السياسي والدستوري وفي تحقيق المهمة التاريخية، التي يسميها وبحق الدكتور عبدالهادي خلف ببناء الدولة الحديثة في البحرين، وهي الدولة القائمة على مفهوم المواطنة والمسأواة في الحقوق والواجبات، وليست دولة الرعايا والمكرمات.

وعلى الرغم من وضوح مضامين الفقرتين سالفتي الذكر، إلا أن التقرير يصدمنا – مرة أخرى – في ملاحظاته الختامية العامة، فتقرر اللجنة تجاهل هذه الحقائق التي أثبتتها بنفسها في متن تقريرها، وتذهب في الفقرة (1690) إلى أنه "تبدو الأحداث موضوع تكليف اللجنة كما لو أنه لم يكن يمكن التنبؤ بها...". وهكذا، تريد لجنة تقصي الحقائق أن تقول لنا إن تجاهل المطالب المشروعة لشعب البحرين على مدى ما يزيد عن نصف قرن، هو أمر لا يمكن توقع نتائجه أو التنبؤ به، وهي خلاصة تكشف عن تجاهل لحقائق التاريخ، فالاستبداد مؤذن بخراب الأمم.

ومن المستغرب، ومن غير المقبول أخلاقياً وقانونياً أيضاً، أنه وعلى الرغم من قطعية التقريرات التي ضمنتها اللجنة في الفقرتين (641) و (642) من التقرير، فيما يتعلق بالأسباب الحقيقية لأحداث فبراير، نرى أحد أعضاء اللجنة ينفي الطابع المطلبي المشروع لهذه التحركات ويزعم – أو بالأحرى يزعم – بأن اللجنة اتفقت على كونها "اضطرابات طائفية"، وذهبت إلى استخدام المصطلح الإنجليزي "Unrest"، وهو أمر نعتقد بأن من واجب لجنة تقصي الحقائق أن تتعامل معه وتنظر فيه.



# على حساب الحقيقة

## "التقرير" سعى لترضية دعاة التحريض الطائفي وهذا هو الدليل....

نجد من اللازم أن نتعرض لما قررته اللجنة في جزء من الفقرة (1710) من التقرير من أنه "تحصلت اللجنة على أدلة كافية تدعم ما توصلت إليه بأنه كان هناك استهداف للسنة من قبل بعض المتظاهرين إما بسبب الإعلان عن ولائهم للنظام أو على أساس انتمائهم الطائفي. ولقد تعرض السنة لإهانات لفظية واعتداءات بدنية واعتداءات على أملاكهم الخاصة علاوة على التحرش بهم... وكان السنة موطن استهداف نتيجة لوجهة النظر السائدة بأن جميع السنة عملاء أو داعمين للحكومة والأسرة الحاكمة...". لسنا بصدد المجادلة في مصداقية المعلومات التي استعرضها التقرير في المبحث الثاني من الفصل الثامن منه، والمعنون "الهجمات التي شُنت على الطائفة السنية". إلا أنه لا بد لي من بيان عدة ملاحظات .

الملاحظة الأولى أن الصيغة التي جاءت بها عبارات الفقرة (1710) من التقرير تكشف عن تعميم حكم خطير، ما كان يجوز للجنة أن تقرره. فاستخدام عبارات على شاكلة "أنه كان هناك استهداف للسنة"، و"لقد تعرض السنة لإهانات لفظية واعتداءات بدنية"، و"كان السنة موطن استهداف نتيجة لوجهة النظر السائدة."، فاستخدام هذه العبارات العامة، وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة الشكأوى التي تلقتها اللجنة، يترتب عليه، دون أدنى شك، الحكم بأن كل السنة كانوا مستهدفين من قبل بعض الشيعة. وهو أمر يُخرج بعض الحوادث الفردية من سياقها الذي حصلت فيه، ويضعها في إطار من التعميم الخطير الذي ما كان للجنة أن تذهب إليه. ولو صحت مثل هذه المقاربة التي تبنتها اللجنة في ملاحظاتها الختامية سالفة الذكر، فإنه كان سيصح أيضاً اعتبار ما شاهدناه جميعاً، من الاعتداء على ممتلكات المحلات التجارية المملوكة لبعض المواطنين من الطائفة الشيعية، في ليلة واحدة، وبما يشبه الحملة المنظمة لصح اعتباره استهدافاً من بعض السنة لكل الشيعة، وذلك طبقاً للمنطق الذي ذهب إليه التقرير.

أما الملاحظة الثانية، وهي أن التقرير جاء خالياً تماماً من أي إشارة إلى شكوى أو بلاغ تقدم به أحد أفراد الطائفة الشيعية، يشتكي فيه من تعرضه أو تعرض ممتلكاته لاعتداء من أحد أفراد الطائفة السنية. وهذا يعني أحد احتمالين لا ثالث لهما، إما أن هناك فعلاً من تعرض من الشيعة لاعتداء عليه أو على ممتلكاته من أحد السنة، ولكنه لم يعتبر ذلك اعتداءً من سني على شيعي، بل اعتبره اعتداء من شخص على شخص آخر بصرف النظر عن الهوية الطائفية للمعتدي. أما الاحتمال الثاني فهو أنه لم يحصل أي اعتداء من سني على شيعي بتاتاً. ونترك لفطنتكم تقدير ووزن هذا الاحتمال. وفي المحصلة النهائية، نعتقد أن الغاية من الفقرة (1710) من التقرير لم تتجأوز محأولة إرضاء بعض دعاة التحريض الطائفي.

## ■ اللجنة تبرّىء التلفزيون من "الكراهية" لكن لا تعرّفها

انتهت اللجنة في الفقرة رقم (1713)، وهي الفقرة المتعلقة بالتغطية الإعلامية، انتهت إلى أنه "وبعد مراجعة عينة من التغطية الإعلامية للتلفزيون والإذاعة والصحافة الوطنية خلال أحداث فبراير / شباط ومارس/ آذار 2011، فإن اللجنة ترى أن معظم هذه المواد احتوت على لغة مهينة وتغطية مثيرة للأحداث، وأن بعضاً منها كان مسيئاً للسمعة، ولكن اللجنة لم تعثر على أدلة حول تغطية إعلامية تنطوي على خطاب مفعم بالكراهية". وعلى الرغم من أننا لا نعلم ما هو مفهوم اللجنة حول "الخطاب المفعم



■ النائب جاسم السعيدي يرفع السيف في تجمع دوار الساعة بالرفاع احتفال بقمع مسيرة الديوان من قبل قوات المرتزقة والبلطجية المحيطن به

بالكراهية" وما هو تعريفها لهذا المصطلح. ولكننا نعلم تماماً بأنه عندما يقوم جهاز التلفزيون المملوك للدولة ببث برامج يومية، ومباشرة على الهواء، تتعرض بشكل سلبي وسافر، ودونما مواربة، لشخصيات دينية وسياسية معارضة لسياسات الحكومة، وفي الظروف التي شهدتها البلاد، والتي استعرضها التقرير بشكل مفصل، فإن ذلك يؤدي بالضرورة، عقلاً ومنطقاً، إلى بث أحاسيس الكراهية تجاه من كانوا المادة اليومية لهذه البرامج، هذا في الوقت الذي كان يتوجب فيه على الدولة، باعتبارها طرفاً في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وباعتبارها من يملك ويدير مؤسسة مثل مؤسسة التلفزيون، أن تلتزم بتعهدها المنصوص عليه بموجب المادة (2/فقرة 1) بأن تحترم الحقوق المعترف بها في العهد وبكفالة هذه الحقوق لجميع الأفراد الموجودين في إقليمها والداخلين في ولايتها، دون أي تمييز بسبب العرق، أو اللون، أو الدين أو الرأي سياسياً أو غير سياسي. ولعل إعلان حكومة البحرين بعدم تقيدها بالالتزام المقرر على عاتقها بموجب المادة (17) من العهد الدولي هو أبلغ دليل على إهدارها لهذا التعهد الذي يلزمها بعدم تعريض أي شخص لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته، فضلاً عن تقاعسها عن توفير الحماية القانونية من مثل هذا المساس.



# الفصل الخامس
# الحوارات



# الشيخ علي سلمان:
# دعها تطول، لكن لتكن الأخيرة !

**إن لم تكن ممكنة قبل ذلك، أو تعذرت لأي سبب، فإن المطالعة الآن، فيما نتجه إلى إغلاق قوس هذا العام 2011، في أوراق حراك 14 فبراير/ شباط غدت واجبة: ما لها وعليها.**

يمثل هذا الحوار مع أمين عام جمعية "الوفاق" الوطني الإسلامية الشيخ علي سلمان، نوعاً من المطالعة، وربما النقد، أردناها وأردناه، في "مرآة البحرين"، لحراك استمر، حتى الآن، عشرة أشهر ونصف. وهو مؤهل إلى أن "يستمر 4 أعوام" - مثلما عبر سلمان - شريطة أن نغلق هذا الملف إلى الأبد. فلا نفيق في العام 2020 على معمودية جديدة من الدم والضحايا، كما شاهدنا، ومشهد استباحة الناس، شاهدنا وشاهدتم.

الأسبوع ما قبل الماضي، كان الشيخ علي سلمان يزور جنيف بسويسرا بغرض اجتماع مع المفوضية السامية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، التي كانت بعثتها قد أنهت زيارة إلى المنامة تواً. وقد التقته "مرآة البحرين" وألقت عليه ما جمعته من حصاد أسئلة، هي في الأساس مشاعة في أكثر من فضاء، همساً أو موارباً أو بـ "العين القوية". وترد على ألسنة خصوم سياسيين، أو غرماء منافسين، ومنأوئين. وفيما يلي مقتطفات من الحوار معه:

**مرآة البحرين: لنبدأ من الأخير مع خطاب الملك بمناسبة عيد الجلوس الأخير 16 ديسمبر/ كانون الأول 2011. هل فاجأك؟**

الشيخ علي سلمان: خطاب الملك كان بعيداً عن طبيعة المرحلة، محلياً ودولياً. التقيت ببعض الدبلوماسيين الغربيين بعد خطاب الملك، وتشاركنا معاً في التعبير بأن هذا الخطاب لا يعبر عن تحديات المرحلة، بل لا يستثمرها حتى. كنا وهم يتوقعون أن يقدم الملك بعض الخطوات الإيجابية أو حتى الشكلية، من قبيل إعادة المفصولين عن العمل، وإطلاق سراح كافة المعتقلين، وأن يتحدث عن رغبة جادة في الإصلاح السياسي. وكل هذه الأمور والمحاور لم ترد في خطاب الملك؛ حتى عبر أحد رؤساء الجمعيات السياسية المعارضة بأن هذا الخطاب كان يتكلم عن سويسرا وليس عن البحرين.

**المرآة: هل ترى إمكانية التوصل إلى تسوية مُرضية في ظل وجود الملك الحالي، خصوصاً مع هذا الكم من الضحايا؟**

سلمان: مهما كان حجم الأزمة التي نعايشها في البحرين، فهي سياق طبيعي للصراع بين الديكتاتورية ومن يتطلعون إلى الحرية. وهو سياق مرت به مختلف الشعوب، كل المجتمعات مرت بلحظات أزمات قاسية استمرت سنين. في النهاية لابد أن ينتهي الأمر إلى نوع من التوافق الاجتماعي للخروج من الأزمة. وظيفتنا هي أن نسرّع هذا الخروج ونجعله حقيقيا وليس شكليا ومرحليا، كما أن نقلل من الكُلف للوصول إلى هذه اللحظة. بمعنى آخر، إن التفكير في الأطراف المختلفة المكونة لمجتمعنا، ومحاولة إنتاج ما يحقق

مصالح هذه الأطراف، وتغليب مساحة الحياة المشتركة بينهم، بحيث يتم إنصاف الجميع فلا يظلم أحد، يجب أن يبقى دائما حاضرا في أذهاننا. إن عقلية الثأر والانتقام والكراهية ليست هي التي تحرك المشروع السياسي لدينا بقدر ما هي عقلية البحث عن واقع حقيقي للكرامة يسع الجميع. ومتى ما توفر ذلك بأي شكل من الأشكال فإن هذا المشروع يمكن أن نشترك فيه، ولا يهم مع من يكون.

## ■ لا حُسن ولا كُره نوايا بل جدية

**المرآة: تشبه تناقضات الحكم بشأن ما يثار من وجود أجنحة صقور وحمائم، تناقضاتكم في المعارضة بين من يؤيد إصلاح النظام، أو إسقاطه. بمعنى، توجد تناقضات صحيح، لكنها أمام خصم جدي، فإن جميع الأجنحة موحدة. بالتالي فأنتم تضيعون وقتكم في التحرك تحت وهم إمكانية استثمار هذا التناقض؟**

سلمان: نحن نشجع أية رؤية إصلاحية جادة، ولدينا الاستعداد للتفاعل الإيجابي مع أي طرح صادق في إنصاف الناس. النظر إلى الأشخاص أو الأسماء أمر ثانوي، كل من لديه مشروع إصلاحي حقيقي يمكن أن يكون شريكا لي، كل من لا يستجيب إلى مطالبات الإصلاح التي ينادي بها الشعب هو خصم سياسي، بصراحة وبدون أية حساسسيات شخصية. كائناً من كان من يقف وراء حوارات كاذبة، من شاكلة "حوار التوافق الوطني" هو بالنسبة لي خصم سياسي، أكان اسمه ملكاً أو ولي عهد أو رئيس وزراء. كل من يقف ضد انتخاب برلمان كامل الصلاحية، هو خصم سياسي. نحن لاندير عملنا السياسي اعتماداً على حسن النوايا أو كره النوايا، إنما نديره على أساس وقائع. أي أحد في الحكم يقدم مشروعاً سياسياً جدياً سوف نتعاطى معه. ومن متطلبات الجدية، كما نرى، أن يتحول المشروع السياسي إلى برامج عمل وليست وعوداً في الهواء.

**المرآة: هناك رأي طرح لدينا في "مرآة البحرين" أن أجهزة إعلام السلطة، وكذلك الغرب، يسعى إلى تضخيمكم في "الوفاق" بقصد مفأوضتكم. وأنكم لستم بهذا الحجم الفعلي في المعارضة؟**

سلمان: لم نكن في يوم من الأيام نحمل قلقاً بشأن كم نحن في المعارضة، أو الشريحة الشعبية التي نمثلها. القلق الذي نعيشه هو قلق يتعلق بمدى قدرتنا على إبراز قضايا

مجتمعنا، بحيث نتبناها ونبلورها في شكل حراك سياسي مطلبي نقوم بإيضاحه للداخل والإقليم والمجتمع الدولي. ما يزال هذا الهم هو الفكرة الرئيسة التي تحرك عملنا. وعليه نقوم في "الوفاق" بالتحالف مع القوى السياسية الأخرى في صياغة برامجنا. الحجم على الأرض متروك إلى إرادة الناس. لدينا مؤشرات سابقة عن ثقلنا قمنا باختبارها على مدىالسنوات العشر الماضية. وهي موجودة في الانتخابات، ولدينا دعوات شعبية تتبناها الجمعيات السياسية وتشاركها فيها شرائح مجتمعية مختلفة. ما نتبناه فعلياً، من غير حساب الأحجام، هو أن ندفع هذا البلد إلى الخروج من أفق الاستبداد إلى الديمقراطية، ومن الحكم اللارشيد إلى الحكم الرشيد.

## ■ صافحت "المحمود" لكن المصافحة السياسية غير

**المرآة: من التعليقات التي أتت على مشاركتك الأخيرة في مؤتمر بالدوحة، أن يدك ويد رئيس تجمع الوحدة الوطنية الشيخ عبداللطيف المحمود قد بقيتا ممدودتين، وأن كلا منكما أعلن عن ذلك. لكن أحداً لم يصافح الآخر. هل تحقق في "تشاتم هأوس" لندن ما عجزت عنه الدوحة؟**

سلمان: المصافحة بمعنى أن نسلم على بعض، فنحن حتى في الدوحة سلم كل منا على الآخر. وكان الطرف المعارض هو المبادر. هذه حالة أخلاقية وإنسانية نعتبرها جزءاً من أخلاقنا الإسلامية. ولكن السلام يختلف عن المصالحة السياسية، فهذه الأخيرة تقوم على قاعدة المثل الإنسانية، وهي دعوة مفتوحة. نتصافح على أساس المسأواة بين المواطنين، على أساس صوت لكل مواطن، على أساس الشعب مصدر السلطات. إن يدنا ممدودة من أجل إنجاز هذه المصافحة وتحويلها إلى مطلب مشترك. ولكننا لا نستطيع أن نتصافح على أساس بقاء الديكتاتورية جاثمة على صدور السنة والشيعة على السواء. هذا النوع من المصافحة لا معنى له.

**المرآة: يتمسك تجمع الوحدة الوطنية، وهو يتحدث هنا باسم مكون رئيس في البحرين، وهم السنة، بأنه لن يغطي أية تسوية مع الحكم في البحرين ما لم تعتمد الصيغة التوافقية. ما هي إمكانات التوافق المستقبلي في البحرين، هل نحن ذاهبون باتجاه ديمقراطية توافقية**

**تقوم على المحاصصة الطائفية، أم الديمقراطية التمثيلية؟**

سلمان: التوافق المجتمعي عنوان غير محدد سياسيا. وما الذي يمكن أن يدعى توافقاً في حال تراضت أطراف المجتمع إزاء قضية ما، وما الذي لا يدعى توافقاً. الآن، تجد أن المجتمع البريطاني ليس موحداً، هو مختلف، ولكن غالبيته متوافقة على الديمقراطية. تركيا أيضاً غير موحدة، ولكن تركها وكردها، مسلميها وعلمانييها، متوافقون على الديمقراطية. ومثل ذلك بقية الدول ذات التعدد الإثني والديني. ما نسعى إليه هو أن نتوافق على مشروع إنساني يمثل خلاصة تجربة المجتمعات الإنسانية في الحكم، وهي الديمقراطية. إن رفض الظلم، المسأواة في المواطنة ورفض التمييز كلها موضوعات يمكن التوافق عليها. لكن أن نتوافق على بقاء الديكتاتورية، فهذا الشيء لا يمكن أن نقبل به.

**المرآة: بصراحة، المحاصصة الطائفية، هل ترضيكم في حال انسداد أي أفق آخر للتسوية مع السلطة؟**

سلمان: ما نسعى إليه في بلدنا هو تحريره من التقسيمات. الآن بلدنا مقسم طائفيا، وأسريا، ومقسم على أساس الولاءات السياسية. لقد عبرت أكثر من مرة بأن هذه التقسيمات جاهلية، نحن نريد تحرير البلد منها، بحيث ندخل في متّحد يقوم على أساس المواطنة. جلالة الملك مواطن فيه، وكذلك أي إنسان آخر مواطن. طبيعة المنصب قد تفرض نوعاً آخر من التعاطي، لكن في النهاية هي حقوق وواجبات، وعلى ذلك تنشأ فكرة المواطنة. إن أي مسئول هو مواطن في الأصل، و القاعدة التي ينطلق منها المواطنة. نحن نريد أن نأتي ببلدنا إلى هنا، ذلك أن بناء البلدان على أساس التقسيمات العرقية أو المذهبية أوجد أزمات سياسية مستمرة في كثير من التجارب.

**المرآة: من التعليقات التي أتت بشأن لقائك في "تشاتم هأوس" مع تجمع الوحدة الوطنية أن الطرفين بدآ أخيراً ينصتان لبعضهما البعض. هناك من يرى أن أية تسوية مستقبلية بينكم وبين الطائفة السنية لن تكون إلا مع تجمع الوحدة الوطنية، بمعنى آخر ليس مع السلف أو الإخوان. فهو، استثناء خطابه المذهبي، إلا أن رؤيته لشكل التطور السياسي أكثر تقدما من السلف والإخوان؟**

سلمان: الأمور في البحرين من الزأوية هذه متحركة الاتجاه، وأيضاً السرعة في هذه الأيام. إمكانية الادعاء قائمة، قبل انتخابات 2002 وانتخابات 2006 و2010، سمعنا دعأوى كثيرة من أطراف مختلفة، بأنها هي من تمثل هذا المجتمع، ونسبة

تمثيلها بهذا الشكل. أعتقد أن هذه ادعاءات تحتاج إلى امتحان، وما ينظمها هو صناديق الاقتراع، لنتمكن من إنجاز توافق على هذا الأساس. لو مثل تجمع الوحدة 70 في المائة من أصوات شعب البحرين، فسنحترمه على هذا الأساس. وسيكون هذا تمثيله وفقاً لهذه النسبة على أي طأولة نجلس فوقها معه. في العموم، نحن لانحصر عملنا بتجمع الوحدة الوطنية، نحأول أن نتوافق مع الشرائح المختلفة على أساس ديمقراطية إنسانية.

## ■ مستعد للقاء صانعي القرار في الخليج

**المرآة: جزء من حراك المعارضة في الخارج يتوجه إلى عواصم القرار في لندن، وجزء منه إلى واشنطن. هل نحن أمام سيناريو المعارضة العراقية في البحرين؟**

سلمان: نحن لا نتحرك باتجاه لندن أو واشنطن، إنما باتجاه القاهرة، أسطنبول، بغداد، الكويت وأي عاصمة يمكن أن تستمع لنا. نحن أصحاب قضية إصلاحية، ولدينا الاستعداد للعمل من أجل هذه القضية، وهي لكل شعب البحرين كما لمصلحة المنطقة، مع أية عاصمة تنفتح علينا. وشخصياً، لديّ طلبات ورغبة في أن ألتقي بمراكز صناعة القرار في منطقة الخليج، ومستعد لها متى ما توفرت. لقد زرنا العراق، مصر وتركيا لهذا الغرض، وسنزور تونس والمغرب وأية عاصمة يتوافر لديها الاستعداد لأن تستقبلنا.

**المرآة: هل أبواب واشنطن ولندن مفتوحة؟**

سلمان: بحكم طبيعة النظام الديمقراطي في هذين البلدين فإن هناك متسعاً أكثر من الأنظمة الديكتاتورية. وهذا لا يتعلق بواشنطن ولندن فقط، بل كل الأنظمة التي تقوم على أساس ديمقراطي. لماذا أبواب أسطنبول مفتوحة؟ ببساطة، لأن الأتراك يقولون: أهلاً وسهلاً، تعالوا اعملوا، أي شيء نستطيع أن نقدم مساعدة فيه فنحن مستعدون لذلك، أبوابنا مفتوحة وحاضرون لسماعكم. إن تلك هي طبيعة الأنظمة الديمقراطية.

**المرآة: صار معتاداً سماع دعوات على ألسنة مسئولين غربيين، خصوصاً بريطانيا والولايات المتحدة، بما في ذلك الرئيس أوباما، إلى الحكم للقيام بإصلاحات "جدية وذات معنى". وفقاً لعلاقاتكم مع دوائر**



**القرار في لندن وواشنطن، ما هو سقف الإصلاحات "ذي المعنى" الذي يتحدثون عنه؟**

سلمان: ما أفهمه من هذه الدعوات، وفقا إلى المعايير الدولية والمثل الإنسانية فإن السقف هو الاستجابة إلى مطالب شعب البحرين. ما هي المعايير الدولية؟ هي التحول إلى الديمقراطية، حق الناس في انتخاب حكومتهم، القدرة على مراقبتها محاسبتها وحتى عزلها متى ما تطلب ذلك. العبارات التي ترد في الخطاب الأميركي أو البريطاني، تعني الاستجابة إلى هذه المطالب.

**المرآة: هذا ما يفهمه علي سلمان. نسأل عن ما تفهمه لندن وواشنطن؟**

سلمان: على الأقل، فيما يتعلق بالقوى السياسية التي يستجيب لها أغلبية المتظاهرين، فإنها تطالب بالحكومة المنتخبة. إن هذا هو سقف الإصلاحات "ذو المعنى".

المرآة: بعض حلفائكم في المعارضة طرحوا أسئلة عن السبب في اتخاذ الولايات المتحدة "الوفاق" حليفة لها؟

سلمان: نحن أصحاب مشروع ديمقراطي يريد أن يطور البحرين وينصف أهلها، كلهم. إنسانياً برأيي، إن ذلك خطاب مشروع ويمتلك مقبولية. وذلك هو مصدر قوتنا، أننا نعبر عن مطالبات مشروعة تحمل رؤية للتطور السياسي. أعتقد أن كل الشعوب عندما تتحرر من الديكتاتورية وتفرز حكوماتها طبقاً لإرادتها الحرة الديمقراطية، فإنها تخلق كثيراً من المساحات العقلانية. لذلك قيل: لا تتحارب ديمقراطيتان، بمعنى أن الديمقراطية تفرز حالة من العقل والمصالح المشتركة تقلص من احتمال أن تتطور التناقضات إلى حرب.

**المرآة: بصراحة، ما التطمينات التي أعطيتموها إلى الولايات المتحدة لتقف هذا الموقف الإيجابي من "الوفاق". لنتحدث عن موقفكم من القاعدة الأميركية في البحرين؟**

سلمان: إن أولويات المعارضة، وهي ليست من الآن بالمناسبة، تتمثل في إقامة نظام ديمقراطي. لننجز هذا النظام، ثم لنتفرغ بعد ذلك إلى النظر في مصالح البحرين من خلال من ينتخبهم الشعب لتحمل المسئولية. إن هؤلاء هم من يحق لهم النظر في المعاهدات والاتفاقيات. لكن بالنسبة إلينا في المعارضة، خطابنا هو أننا سنلتزم بكل المعاهدات التي وقعت عليها البحرين سابقاً. المعارضة تعلن أنها ملتزمة بهذه الاتفاقيات التي وقعت عليها السلطة، وهي ملتزمة بالمواصلة في تفعيل هذه الاتفاقيات.

**المرآة: هناك رأي يذهب إلى أن الأميركان ليسوا معكم وكذلك البريطانيين رغم كل المراعاة التي تتبعونها إزاءهم. هل وجدتم أن هذه المراعاة قد أثمرت دعماً لكم، ومتى يمكن أن ينقطع الخيط بينكم وبينهم؟**

سلمان: كل الدول تبحث عن رعاية مصالحها، في المقابل فأنت تبحث عن رعاية مصالح شعبك. إذا كانت هناك مساحة مشتركة فلِمَ لا. السياسة الناجحة هي تلك التي تذهب في اتجاه توسيع المساحات المشتركة مع كل الأطراف. لنأخذ مثال تركيا، لقد طرحوا فكرة "تصفير" المشاكل، واستبدالها بمراكمة المشتركات. حأولوا مع الأرمن، ومع آخرين، الفكرة إلى أي درجة تستطيع أن تزيد من المشترك بينك وبين الأطراف الفاعلة التي لديها تأثير على واقعك. لسنا بدعاً، نحن جزء من المجتمع الخليجي والإنساني، لدينا مشروع نعتقد أنه يمثل مصالح شعب البحرين، ونحأول البحث عن هذه المصالح في كل الدوائر.

## ■ هكذا نرى أميركا

**المرآة: ألا تشعرون بالتناقض، كحركة إسلامية، من مواقفكم السابقة حيال السياسات الأميركية في المنطقة وما يبدو من تعويل لديكم الآن على ضغوط أميركية أو غربية من أي نوع من أجل دفع الحكم في البحرين إلى القيام بإصلاحات؟**



■ من لقاء تركيا

سلمان: نحن ليس لدينا عداء مع الشعب الأميركي، الشعب الأميركي شعب حر، وهو لديه القدرة على تغيير حكومته - إذا لم تعجبه - كل 4 سنوات، حيث يجري تناقلها بين الحزبين الرئيسين، الجمهوري والديمقراطي. الشعب الأميركي محترم، وما يفرزه من إرادة في حكومته، هي محترمة. ولكن هذا لا يعني أننا لا نختلف معهم. نقول: إن السياسية الأميركية في فلسطين، قضية الشرق الأوسط الأولى، سياسة خاطئة. ومثل ذلك سياستها في منطقة الخليج العربي خاطئة، فهي تقدم المصالح الاقتصادية على المثل وحقوق الإنسان. وهو الشيء الذي ما نزال نعيبه عليهم. فمتى ما وجدنا عدم انسجام معهم، خصوصاً حين تشخيص البون الشاسع بين المثل والمصالح، فإننا لا نتردد في إعلان ذلك، والقول إن هذا خطأ.

**المرآة: ألا تبدو، مع هذا الطرح المتراخي، هواجس سنة البحرين مفهومة، عبر خشيتهم التي عبّروا عنها في أكثر من مناسبة من تكرار السيناريو العراقي في البحرين؟**

سلمان: نحن نعمل على الوصول إلى بحرين تنصف السني والشيعي معاً. لأن السني والشيعي اليوم مضطهدان، مظلومان ومنتقصة حقوقهما. في البحرين التي نعمل على صناعتها يُعطى السني والشيعي صوتاً في إدارة بلده، وهو محروم منه اليوم. وكذلك الحق في التصرف في الثروة، وهو أيضاً محروم منه. مع إيماننا بضرورة وجود الضمانات لذلك. لذا نحن ندعو إلى أن يكون هناك نظام ديمقراطي يستلزم أغلبيات خاصة. نسبة 60 في المائة يحصل عليها أي قرار، تجعله مشتركاً. للوصول إلى هذه النسبة، لا بد من أن تكون هناك تحالفات عابرة إلى الطوائف. سواء بين السنة والشيعة، أو الإسلاميين



والعلمانيين وغيرهم. لابد من من صيغة تضمن عدم الاستفراد في القرار، وهيمنة طرف ما، ولكن أيضا تسمح بمرونة في النظام السياسي، بحيث تستطيع بموجبها تعيين رئيس الوزراء. بحيث لا تقول إن ذلك يستلزم الحصول على نسبة 90 في المائة؛ لأنك بذلك تجعل الشيء مستحيلاً، ولكن تقول 60 أو 65 في المائة، أقل بقليل أو أكثر بقليل. هذا ما أعنيه من قولي المرونة في النظام السياسي. شخصياً، لا أعتقد أن ثمة قيمة أو جدوى حين الخروج من صيغة ظالمة إلى قسم من المجتمع، إلى صيغة أخرى تكون ظالمة إلى قسم آخر من المجتمع. دائماً هناك سعة في الخير تخدم الناس جميعاً. من دون أن ندخل في سيناريو العراق أو غيره، أعتقد أن علينا أن ننجز "سيناريوهانا"، أو نموذجنا الخاص في البحرين. برأيي، كثير من الهواجس والتقسيمات، من خلال 3 أو 4 دورات من العمل الديمقراطي الحقيقي سوف تذوب، سواء المذهبية أو الدينية، لصالح الأطروحات السياسية.

## ■ دعوتي للحوار مفتوحة

**المرآة: قلت في لقاء أخير معك إنك مستعد للجلوس مع الملك في حوار. هل هذه الدعوة مفتوحة أم يمكن أن تسحبوها تحت ظرف ما؟**

سلمان: مبدأ الحوار هو مبدأ دائم، بمعنى آخر، في نهاية المطاف سيجد النظام نفسه أنه لابد من أن يحأور ممثلي شعبه. وهذا الشعب أيضاً لابد له من حوار هذا النظام للوصول إلى ما يحقق مصلحة الأطراف جميعا. أعتقد أنها صيغة عقلانية، وهي تبقى مفتوحة، لكن مع وجود ضابط آخر، هو أن أحدا لا يستطيع أن يتنازل عن حقه الشعبي. بالمنطق

بالدين بالإنسانية، فإن الشعب هو مصدر السلطات. أريد صيغة تحقق ذلك: الشعب مصدر السلطات، وتكون مستقرة قادرة على تنمية البحرين. لابد أن تكون الأبواب مفتوحة للوصول إلى هذه الصيغة. من الآن إلى أن تصل إليها، فأنت حر في ممارسة الضغط السياسي والإعلامي.

**المرآة: في لحظة ما من التسعينات، قبل الميثاق، وأمام ما بدا من إقفال الحكم للباب أمام أية تسوية مع المعارضة، أطلق الصحافي روبرت فيسك هذا الوصف "أفق الاستعصاء" تعبيراً عن هذا الحال. هل نحن اليوم، ونحن في الألفينات الآن، أمام "أفق استعصاء" آخر، بمعنى: معارضة تطلب الحوار وحكم متصلب؟**

سلمان: الزمن الألفيني يختلف، خصوصاً بعد ثورات تونس مصر وميدان التحرير. برأيي، إن الأمور اليوم أصبحت تتحرك بدينامية مختلفة. لا أعرف تماماً إلى أين تمضي بنا، ولكن أعرف أن هذه الدينامية تختلف عن دينامية التسعينات، وهي لا تزال تتفاعل من المحيط إلى الخليج، ولن تقف. نحن نأمل في استثمارها لصالح حل ديمقراطي مستقر. حتى نصل إلى ذلك، ليس هناك من خيار سوى المواصلة. وأقول: إننا إذا لم نحصل على الحل في 10 أشهر، فإن خيارنا هو أن نستمر. لم نحصل عليه في سنتين، أيضا الخيار هو أن نستمر. 4 سنوات؟ سنستمر أيضاً. لا نريد تكرار العودة إلى المربع الأول الذي نحن فيه اليوم. لا نريد أن نخوض تجربة العام 2011 في 2020، فتأتي ونصارع النظام، يسقط الضحايا ويستباح الناس. نريد أن ننتهي من هذا الملف، بحيث يستقر البلد. لذا، كائناً ما كان طالت العملية، على الرغم من قسأوتها، سنستمر.

**المرآة: كان لك تصريح يشي بالتحدي مؤخراً أنكم في المعارضة لن تدخلوا في حوار شكلي، أو تغطوا تسويات شكلية. هل يفهم من ذلك أن سيناريو دخولكم في حوار التوافق الوطني، هي غلطة لن تتكرر؟**

سلمان: لم تكن غلطة. كان الدخول قراراً صائباً وفقا لقراءتنا الإقليمية والدولية أكثر من المحلية. الأطراف الدولية هي أكثر جهة لديها تفاصيل عن عدم جدية الحكومة في الحوار قبل أن يبدأ. ولكن العالم لايستطيع أن يتفهم بالدرجة نفسها التي كانت الوفاق تطرحها، لو لم تشارك. اشتراكها في الحوار وضعه على أجندة المجتمع الدولي. وأن مجيئه بهذا الشكل سياسة حكومية متعمدة يراد منها تهميش المعارضة. وفعلاً، فقد تشكلت قناعة لدى المجتمع الدولي أن الحوار فاشل، والسبب الحقيقي هو أن الحوار

فاشل فعلاً. إن هذا ما قوّى موقف فصائل المعارضة، حتى تلك التي لم تنسحب، فهي تتبنى اليوم فكرة أن ما تمخض عنه هذا الحوار فاشل.

**المرآة: جزء كبير من أدبياتكم في الحوار يقوم على مبادرة الحوار مع ولي العهد في فبراير ومارس، التي تزعمون إن التدخل السعودي أجهضها. هناك من يرى أنكم تعولون على أضعف طرف في الحكم الآن، وهو شيء واضح.**

سلمان: نعول على المبادىء. المبادىء هي تدأول السلطة متمثلاً ذلك في البند المتعلق بحكومة تمثل إرادة الشعب، والرقابة الشعبية متمثلاً ذلك في البند المتعلق بوجود برلمان يتمتع بسلطات كاملة، والمسأواة بين المواطنين ممثلة في البند المتعلق بنزاهة تقسيم الدوائر الانتخابية، إلى آخره من البنود، بما في ذلك ما أشار له بسيوني من وجوب تشكيل أجهزة الأمن من كافة طوائف المجتمع. هذه الأمور هي التي نعول عليها، أي شخص مستعد أن يعمل بها ويدخل، بناءً على ذلك، في حوار مع المعارضة فنحن مستعدون، ويدنا ممدودة. أي شخص سيحأول المنأورة عليها أو لا يستجيب لها، فهو كما أسلفت، يبقى خصماً سياسياً مهما كان اسمه. المعارضة لديها من الذكاء لمعرفة من الذي ينأور ومن الذي يسعى إلى الوصول إلى تسوية حقيقية.

**المرآة: مثلما يقال: أنتم الآن تتباكون على المبادىء السبعة!**

سلمان: المعارضة لم تصل إلى هذه البنود السبعة إلا بعد مفأوضات شاقة وحركة شعب. بدورنا، نحن نأمل من كل أطراف النظام أن تتبنى هذه المبادىء؛ لأنها مبادىء إنسانية. إذا كان أحد من هذه الأطراف صادقاً، يجب ألا يقول إنها فرصة وانتهت. لا يوجد شيء اسمه فرصة وانتهت.

## ■ لم نفقد اتزاننا في أشد لحظات النشوة الشعبية

**المرآة: توالي سقوط الضحايا المستمر. هل يفاقم عليكم ضغطاً من نوع ما؟**

سلمان: نحن نتألم إلى كل ضحية تسقط بأي شكل، سواء بالشهادة أو الإعاقة، أو فقد الوظيفة أو الأمان، ومن أي طرف كانت، هذا شيء مؤلم. واستراتيجيتنا في المعارضة هي

تخفيف الضرر والكلفة، ولكن هذه سنة في الحياة. وفي التحليل، إن الديكتاتورية لا تترك مواقعها بسهولة، لمجرد أن هناك أمنيات. لابد من أن يكون هناك حراك شعبي وضغط سياسي، كل هذه العناصر تتكامل إلى أن تأتي الساعة التي تتخلى فيها الديكتاتورية عن مواقعها.

**المرآة: سؤالي تحديداً، هل أن طرحكم إلى المملكة الدستورية هو طرح نهائي وأخير، أو يمكن أن يتغير تحت وطأة هذا الضغط. وهو ما حصل في تونس ومصر، كما أشار إلى ذلك بسيوني في تقريره؟**

سلمان: في المحصلة، السياسي لا يفقد وعيه تحت ضغط عاطفة سلبية أو إيجابية. بمعنى آخر، إن الانتشاءات الآنية غير الواقعية تفقد السياسي اتزانه. "الوفاق" وكذلك القوى السياسية الأخرى، عندما كانوا في نشوة تواجد الناس في دوار اللؤلؤة، بقوا على هذه المطالب. عندما اشتد القمع، وكان البعض يطالبنا بتقديم اعتذار، رفضنا وواصلنا المجاهرة بنفس المطالب. هذا الاتزان، سواء جاء تحت نشوة الحالة الشعبية، أو جاء تحت تحت أقصى لحظات الضغط، مطلوب. السياسي لديه مشروع، وثباته على هذا المشروع ناتج عن أنه يعتقد أن فيه المصلحة. فلا يكون خفيفاً، طالعاً ونازلاً، بناءً على متغيرات لحظية، محلية أو إقليمية طارئة.

**المرآة: حتى يوم 13 فبراير لم يكن هناك أي تنظيم سياسي يتبنى فعلياً خيار إسقاط النظام، لكن لدينا الآن جميع أطراف المعارضة الشيعية، استثناءكم. برأيك، تسوية بينكم والحكم على سقف الملكية الدستورية يمكن أن يقنع هذه الأطراف؟**

سلمان: نحن نصر دائماً على أن تكون الكلمة الأخيرة إلى الشعب، والمشروع الذي يمثل الشعب فعلياً هو المجلس التأسيسي المنتخب، وما زلنا نعتقد ذلك. المهم، هو مجلس منتخب يمثل الشعب بشكل سليم، ينظر في الموضوع الدستوري. هنا يمكن القول إنها كلمة الشعب، وخياره. الصيغة الأخرى الأقل تمثيلا، هي صيغة الاستفتاء على توافقات معينة. فإذا صوّت 50 في المائة زائد 1 على أن الملكية الدستورية، هي خيار الشعب، فإن البقية ينبغي أن يستجيبوا لذلك.



**المرآة: هناك رأي يقول إن السلطة ما دامت قد استخدمت القوة الغاشمة، فإن عليها الآن مفأوضة متطرفي المعارضة، فهم القادرون فعلياً على إقناع الجماعات الأكثر تشدداً بالتهدئة. بمعنى آخر، ضاعت الربطة من بين يدي الجمعيات.**

سلمان: ليس لدينا أي "فيتو" على الحوار مع أي طرف. نحن جزء من هذا الشعب، أي توافق أو أي صيغة تطرح للحوار سنعبر عن وجهة نظرنا بإزائها. كررت في أكثر من مناسبة، أن ما يهمني في الحقيقة، هو أن يوجد حل لهذا البلد قادر على أن يحقق مصالح آبنائه. كيف يأتي؟ من يساهم فيه؟ هذا الأمر ليس لدي أي "فيتو" عليه.

## ■ لا توجد أحزاب دينية في البحرين

**المرآة: الانقسام الطائفي الحاد بين السنة والشيعة، الذي يكاد يكون الأول الذي يحدث بهذا الحجم في تاريخ البحرين الحديث. ألا يفرض ذلك عليكم نوعاً من المراجعة المستقبلية بإزاء الجدوى من تأسيس أحزاب أو جمعيات على أساس ديني. على أساس أن ذلك سبب، إضافة إلى تسهيله على الحكم اللعب على تناقضات المجتمع، يشكل أرضاً خصبة لتغذية الهواجس المتشككة؟**

سلمان: برأيي، من الصعب إطلاق صفة الأحزاب الدينية على أي من الجمعيات الحالية الموجودة في البحرين. ذلك لأنها، أولاً: أحزاب مفتوحة، وثانياً: برامجها سياسية وليست دينية. لذا أقول من الصعب نعتها بالأحزاب الدينية. في ألمانيا يوجد الحزب الديمقراطي المسيحي الألماني، وكذلك في بريطانيا، هناك الحزب الديمقراطي المسيحي، هذا لا يعني أنها أحزاب مسيحية أسست لتكون في قبال اليهودية أو المسيحي البروتستانتي أو الأرثوذكسي. إن برامجها سياسية.

**المرآة: كانت لديكم فرصة مطلع الألفينات في تطوير "كتلة تاريخية" تشكلت نواتها في لجنة العريضة الشعبية. بدلاً من الذهاب في تطوير هذه التجربة، رحتم تؤسسون جمعية شيعية.**

سلمان: نحن منفتحون على أية صيغة جامعة تستطيع أن تجمع المؤمنين بالديمقراطية، ومستعدون للكفاح من أجلها ودفع كلفتها. ولكن إلى أن تتأسس هذه الكتلة، لن نضع رجلا على رجل، ونجلس في بيوتنا. سوف نتبنى المطالب التي نعتقد أنها تمثل التطور، وسندافع عنها، وعندما نصل إلى صيغة بشأن هذه الكتلة سنكون جزءاً منها. سعينا في المؤتمر الدستوري، وفي التحالف الرباعي والسباعي، كان هذا نوعاً من التكتيل، لم تكن العلاقات تقوم على أساس طوائف، إنما علاقة وطنية جامعة. الآن هناك جهد لإفراز كتلة تدافع عن الديمقراطية في البحرين. إلى أن ينضج هذا الموضوع، ويخرج في صيغة متبلورة، لن أجلس واضعاً يدا على يد، في انتظار أن تأتي.



# مريم الخواجة:
# غيّرني 14 فبراير.. أنا لن أعود قبله!

**لم يحن الوقت بعد لكتابة سيرة 14 فبراير/ شباط، أو شخوصها. فهي ملحمة لم تنته بعد، ما تزال تتفاعل، منشغلة وشاغلة كل من حولها، أكانوا معها أو في الضد. على أن ذلك لايعفي من محاولة فهم بعض من محركيها، وخلفياتهم، خصوصاً أولئك الشباب والشابات، الجنود المجهولون الذين يقيمون على هوا مش المشهد، حيث لايجلسون على كراسي الساسة، على الرغم من أنهم في الصلب منه. حول ذلك، فقد سعت "مرآة البحرين" إلى الوصول إلى "صاحب الأحبار"، صاحب دعوة التظاهر في فبراير. وتحاور اليوم شخصية أخرى، هي الناشطة مريم الخواجه، حيث تفتح معها جانباً من ملفات "الثورة المنسية". وهي فرصة للغوص معها بعيداً، في تفاصيل عائلة مكرسة للعمل و"الألم"، سواءاً بسواء. في مارس/ آذار الماضي كانت في القطار في طريقها من نيويورك إلى واشنطن حين تلقت الرسالة التالية، عبر هاتفها: والدك (عبدالهادي الخواجه) اعتُقل. أرادت أن تقوم بشيء، عجزت، القطار "السريع" ما يزال يذرع المسافات كما لو أنه لايريد أن يصل! "مرآة البحرين" حاورتها، وفيما سيلي مقتطفات:**

**مرآة البحرين: بِمَ تعرف مريم نفسها؟**

مريم الخواجه: أستطيع أن أعبر عن نفسي بتعريفين: تعريف ما قبل ثورة البحرين 14 فبراير/ شباط وتعريف ما بعدها فبعد ثورة البحرين الكلمة التي اختارها لاعرف بها عن نفسي هي حقوقية ادافع عن حقوق الانسان، قضيتي الأولى هي البحرين، إذ كرست نفسي بالكامل لأجل البحرين. أنا الآن أعرّف نفسي بقضية البحرين. أما قبل الثورة؛ فقد كان الوضع مختلفا.

**المرآة: هلاّ وضّحتِ أكثر؟**

الخواجه: قبل الثورة، كنت قد تخرجت للتو من الجامعة، وكان همي هو البحث عن عمل مناسب. كنت أعرّف نفسي بأنني شخص مهتم بحقوق الإنسان. كما كانت لدي هوايات واهتمامات عديدة؛ إذ كنت أدرب الطلبة على مهارات القيادة والتواصل أثناء دراستي في الجامعة. أما الآن؛ فقد أصبحت قضية البحرين كل حياتي.

**المرآة: لابد أن هويتك قبل الثورة قد أثرت في إعادة تعريف هويتك بعد الثورة. هل كان لتربيتك السر الذي جعلك تسلكين طريق الثورة؟**

الخواجه: لقد نشأت وأنا أرى والدي يعمل في مجال حقوق الإنسان، فمنذ طفولتي أنا وإخوتي نعرف جيدا أن الوالد يعمل في قضايا تعذيب سجناء البحرين. كبرنا ونحن نسمع عن عمنا المعتقل الذي يُعذب في السجون البحرينية. ويا للمفارقة فهو حاليا في السجن مع أبي تحت قضية واحدة. لقد تربينا على هذه العقلية، عقلية الدفاع عن حقوق الإنسان. ولم يكن أبي وحده الذي يعمل في هذا المجال؛ فقد كانت أمي أيضا مهتمة بحقوق الانسان ولطالما دارت بيننا حوارات حول الوضع في البحرين وحقوق الانسان. إن حب البحرين وحقوق الانسان يجري في عروقنا.

مسألة الهوية مهمة جدا. لقد كان لدي شعور تجاه شعب البحرين مختلف تماما عن شعوري الآن. سابقا كنت أرى الناس غير مهتمين بحقوقهم ولا يهمهم ان عاشوا تحت نظام يستخدمهم كعبيد. كنت أحاول أن أكلم الناس عن قضايا حقوق الانسان والقضايا السياسية وكان ردهم الأول دائما: لا علاقة لنا بالسياسة. فحين يخرج الحقوقيون ليتكلموا عن حقوق الانسان يقف معهم قلة قليلة من الناس، اعدادهم قليلة جدا لا تتجاوز



■ مع والدها، أ.عبدالهادي الخواجة

خمسين شخصا، هؤلاء عندما يضربون او يسجنون أو يعذبون لا يقف أحد مدافعا عنهم، لذا لم أكن مرتاحة وكنت قد وصلت لمرحلة- بعد ما حصل في أغسطس/ آب -2010 أشعر فيها بأن قضية البحرين لا تستحق كل هذا العناء؛ فلا فائدة من المطالبة بحقوق أناس لا يريدون حقوقهم، كان أبي دائما يشرح لي الوضع في البحرين وكيف يفكر الناس وما مروا فيه من أزمات جعلتهم يفكرون بهذه الطريقة الاستسلامية، مؤكدا لي أنني لا استطيع ان افرض عقليتي على هؤلاء الناس، على أنني لم أكن اعتقد بصحة هذه النظرية.

بعد أغسطس 2010 وبعد الثورة البحرينية، تغيرت نظرتي كثيرا تجاه الناس في البحرين، اصبحت أحترم هذا الشعب ونضاله، وفهمت جيدا الوضع الذي كان يعيشه من قبل، فقد تربيت خارج البحرين. انا الآن لا احترم هذا الشعب فقط، بل أفتخر أنني بحرينية، صرت أتمسك بالهوية البحرينية أكثر مما كنت أفعل من قبل.

## ■ جنة العودة وقرار البقاء خارجا

**المرآة: كم كان عمرك عندما رجعتِ الى البحرين؟**

الخواجه: عدنا في 2001 وكنت أبلغ حينها أربعة عشر عاما. كانت لغتنا العربية - وخصوصا أنا- ضعيفة جدا؛ فقد تخرجت من مدرسة انجليزية. حين أدخلوني مدرسة الحورة، كان لدي صعوبة في التأقلم لأن لهجتي كانت عراقية أكثر منها بحرينية؛ فأصدقاؤنا في الدنمارك كانوا عراقيين او فلسطينيين، لم أشعر بأنني مستقرة تماما الا



بعد دخولي الجامعة. كانت دراستي باللغة الانجليزية؛ لذا لم أجد صعوبة في الامر؛ مما فتح لي المجال لأبدأ بالاندماج في هذا المجتمع والشعور بأنني جزء منه. الموضوع صعب ولا يتفهمه الا من عاش خارج وطنه. نحن تربينا في الدنمارك ولم نشعر أبدا اننا دينماركيين فقد زرع أمي و أبي فينا البحرين كوطن بالرغم من بعدنا عنه. لكنني عندما عدت الى البحرين شعرت بأنني لا أنتمي الى هذا الشعب لأسباب مختلفة منها طريقة التفكير والشخصية، تربينا على أن البحرين هي الجنة الموعودة من فرط شدة اشتياق أمي وأبي لها. لقد كانا يصوران البحرين كأفضل بقعة في العالم، لكننا حين عدنا وجدنا اختلافات كثيرة بين المجتمعين، فالمجتمع في البحرين مترابط الى الدرجة التي تلغي فردية الانسان في بعض الأحيان . التأقلم صعب لكنني مع الوقت اعتدت الوضع الجديد.

**المرآة : كم بقيتِ في البحرين؟**

الخواجه: بقيت هنا إلى العام 2009 ثم انتقلت الى الولايات المتحدة مدة سنة واحدة؛ إذ كنت ادرّس العربية في إحدى الجامعات. ثم رجعت البحرين صيف2010 لاستقر بشكل نهائي ، بحثت عن عمل لكن وضع والدي كناشط و مدافع عن حقوق الانسان حال دون قبولي في أي وظيفة لذلك بدأت العمل كمتطوعة مع مركز البحرين لحقوق الانسان حتى اغسطس/ آب 2010 حين اضطرت الى مغادة البحرين دون رغبة مني بسبب تحذير تلقيته عن احتمال تعرضي للاعتقال نتيجة عملي مع المركز فغادرت الى لندن، حين تلقيت خبر الثورة على صفحة الفيسبوك؛ قررت أن أعود. عدت في تاريخ 8 فبراير/ شباط وبقيت في البحرين حتى بداية مارس. بعدها سافرت الى جنيف لألقي

كلمة هناك ولم استطع ان اعود الى البحرين منذ ذلك الوقت.

**المرآة: هل حاولت العودة ولم تستطيعي؟**

الخواجه: بغض النظر عن النتائج التي قد أواجهها ان قررت العودة من اعتقال أو اختفاء الا أن هذا ليس السبب الرئيسي لقراري بالبقاء في الخارج ، فأنا أعتقد أن ما أقوم به من عمل في توصيل قضية البحرين و تعريف العالم بما يحصل هناك هو ما جعلني أتخذ هذا القرار.

**المرآة: هل قررت العودة أم أنك لاتستطيعين أن تعودي؟**

الخواجه: بداية لم أكن أستطيع العودة؛ فقد كنت متأكدة أنني سأعتقل خاصة بعد اعتقال أبي وعمي وأزواج أخواتي وابن عم أمي، واذا لم أعتقل فربما اختفي. والمسألة الثانية أني لو عدت الى البحرين فلن يسمحو لي بالخروج منها سوف يمنعوني من السفر. لذا قررت ألا أجدد جوازي البحريني لأنه بعد تغيير القانون اصبحت ملزمة بدخول السفارة في حال رغبتي بتجديد الجواز، وهناك يحق لهم اعتقالي داخل السفارة . وأنا الان أتحرك بجوازي الدنماركي.

**▪ سأخرج في 14 فبراير لأجلك فهل ستخرج معي؟**

**المرآة: عدت في 10 فبراير/ شباط وكان انطلاق شرارة الثورة بعد أربعة أيام من الشهر نفسه. حدثينا عن نشاطك؟**

الخواجه: كان عملي اعداد التقارير وتوثيق انتهاكات حقوق الانسان قبل انفجار الثورة، اضافة الى التنسيق والتواصل بين المركز والجهات الخارجية من حكومات ومنظمات. كنت على اتصال بالأمم المتحدة وهيومن رايتس ووتش وامنيستي لتزويدهم بالتقارير والتنسيق للتواصل مع الحكومات. قبل الثورة كان من الصعب الحصول على مقابلة؛ فقد كان لزاما عليّ أن اقنع الطرف الاخر بضرورة مقابلتي. لكن بعد الثورة انقلب الأمر وأصبح أسهل بكثير، الآن لدي سمعة في الخارج؛

من الأشياء التي عملت عليها قبل عودتي الى البحرين للمشاركة في الثورة تصميم اعلان للخروج في 14 فبراير بدأت به بسؤال كان بمثابة العنوان لهذا الاعلان و هو :

لماذا يجب ان نخرج في 14 فبراير؟
و حاولت أن أجيب و أشرح للناس عن الاسباب التي أعتقد بانها تستحق منهم الوقوف عندها للمشاركة في الثورة فكتبت ..
أنا سأخرج في 14 فبراير لأتظاهر بطريقة سلمية لادافع عن حقوقك
أنا سأخرج في 14 فبراير لكي لا تتعرض انت أو أي من أحبائك للتعذيب في السجون البحرينية
أنا ساخرج في 14 فبراير لكي أضمن لك حقك بالمشاركة في حكومة بلدك و ان صوتك مسموع
أنا سأخرج في 14 فبراير من أجل كل طفل و راشد من أجل كل أمرأة و رجل ..
أنا سأخرج من اجلك في 14 فبراير فهل ستنضم لي ؟ هذا النوع من الاعلانات تحفيزي لخروج الناس. كان هناك نقاشات حول الفكرة ورفض للموضوع من قبل البعض. شخصيا لم أتوقع أن يخرج الناس بأعداد كبيرة. كنت أعلم أنني ربما أعتقل لكن الحكومة لا تريد تأجيج الوضع في هذا الوقت، فلن يعتقلوني حين أرجع لذا قررت أن أكون موجودة وأن أشارك في عمل المركز لتوثيق الانتهاكات التي كانت متوقعة أنها ستحصل من الحكومة البحرينية.

## ■ الدوار: شهقة الضوء الأولى

### المرآة: هل كنت تتواجدين باستمرار في الدوار؟

الخواجه: كنت حاضرة كل يوم. ومنذ أول يوم كانت مسؤوليتي مرافقة الصحافيين من كل أنحاء العالم، اترجم لهم المقابلات ترجمة فورية بين العربية والانجليزية. كنت موجودة في اول يوم تم الاعتداء على المظاهرات بالقرب من دوار الدراز. وتعرضت للتهديد من قبل أحد أفراد الأمن بكسر هاتفي النقال واعتقالي انْ لم اتوقف عن التصوير. اتذكر أنه كانت هناك مسيرة للحقوقيين عند منزل نبيل رجب في بني جمرة؛ لذا ركبت السيارة برفقة أحد الصحفيين متوجهين الى هناك. ولا انسى الموقف الذي أصابني ومعي الصحفي في الكرسي الامامي من السيارة، عندما وصلنا كانت قوات الأمن قد اعتدت على المسيرة. تقدمت قليلا ورأيت أفراد الامن واقفين في الامام والناس تركض، توقفت على جانب الطريق حيث كان من الصعب التقدم. اندفعت باتجاهنا سيارة دفع

رباعي تابعة للأمن بسرعة جنونية وتوقفت عندنا فجأة، بعد أن التفّت على نفسها. قام أحدهم بإطلاق النار على سيارتنا حتى ظن الصحفي برفقتي اننا ميتون لا محالة وبدأ بالصراخ، قال لي إنها المرة الأولى التي يرى فيها شيئا كهذا، وهنا أدركت أن الوضع تغير في البحرين، لأني طوال العشر سنوات التي عشتها في البحرين لم يقم أحد من أفراد الامن باطلاق النار علينا وبرفقتنا صحفيين، كان مستحيلا، كانوا يحذرون لئلا يرى الصحفيون شيئا، لكن هذا الموقف اختلف تماما. كان جالسا إلى جانبي شخص أبيض بشعر أشقر، ومع ذلك أطلقوا النار علينا مباشرة، هنا أنا عرفت بأن تكتيكهم تغير وأن طريقة تعاملهم مع الناس قد تغيرت.

كنت موجودة في المستشفى عندما أعلن عن اول شهيد؛ علي مشيمع. قمت بتصويره، كنت حاضرة في الدوار بشكل يومي بعدما استعدناه. كنت هناك في المركز الاعلامي يوم 17 فبراير عندما هُوجم المعتصمون في الثالثة فجرا. إذ كنت معتادة على العودة للمنزل فجرا لأنام لبضع ساعات ثم أعود للدوار في الصباح. عندما يكون هناك هجوم على الدوار أذهب الى المستشفى لتوثيق الحالات. الأطباء هناك يعرفونني جيدا؛ فقد كانوا يسمحون لي بالدخول للتوثيق.

**المرآة: كيف تشكلت صورة الدوار في مخيلتك؟**

الخواجه: أشعر بأن الصورة التي رسمها والداي عن البحرين تحققت ورأيتها في الدوار، رأيت أشخاصا لم أتوقع أن أراهم في مظاهرة ولم اتوقع حتى ان يتكلموا في السياسة لأنهم يخافون. حاضرين في الدوار. شيء لا يوصف. حين أُسأل في الخارج عن عقلية الناس في البحرين، أشبهها لهم بشخص وضعوا رأسه تحت الماء مدة طويلة بحيث نسي كيف يتنفس وتعود على وضعه تحت الماء ثم أُعطي فرصة للخروج فوق سطح الماء واستنشاق الهواء لأول مرة.هنا سيحاول ان يفعل كل ما بمقدرته ليخرج فوق سطح الماء. هذا ما حصل للشعب البحريني الذي خرج فوق سطح الماء ليستنشق هواء الحرية؛ لذا من الصعب أن يتخلى عنه الان.

طبعا، بعد هجمة 17 فبراير وبعد كل ما رأيته ذلك اليوم، كنت مقتنعة 100% أن الشعب البحريني لن يخرج مرة ثانية. ظننت أن الناس بعد العنف والظلم الذي رأيته ذلك اليوم سيذهبون لمنازلهم وستنتهي الثورة، ما فعلوه بالناس كان رعبا. ولكن، في

اليوم الذي تلاه خرج عدد أكبر من الناس وهنا أيقنت بأن الشعب البحريني لن يرضى بالذل مجددا. يؤكد هذا ما حصل في 2001عندما خرج الملك الى الناس بوعود وردية ، فتسامحوا عن ماض قاس و عنيف عانوا منهم بانتهاك حقوقهم و اعتبروها فرصة حقيقية للتغير ينادون بالنسيان لذا كانوا راغبين في تصديق ما وعد به. كانوا – إبانها – في وضع صعب جدا، لذا عندما جاء لهم بوعود إطلاق سراح السجناء وإرجاع المبعدين وتغيير الوضع؛ هتفوا له بـ: نعم هذه فرصة للتغيير. لكن الأمال خابت بعدها بعد أن تبين أنها وعود وهمية لم يتحقق منها شيء، وعليه فإن الشعب البحريني قد وصل لمرحلة عدم التصديق، وهو ما جعلهم يستمرون بهذه القوة.

ما أحاول أن أوصله للخارج أنه بعد تسعة أشهر ورغم تخلي العالم عن الثورة البحرينية؛ فإن الناس مستمرون فيها، كيف واصلوا بهذه القوة؟ إنها فكرة الكرامة. الثورة البحرينية ليست ثورة مال ولا اقتصاد انها ثورة الكرامة الإنسانية. خرج الناس يطالبون بالإصلاح وليس بإطاحة النظام، غير أن النظام اعتدى عليهم وقتل منهم من قتل.

## ■ بين الإصلاح والإسقاط

**المرآة: هل كنت مع خطاب إصلاح النظام أم اسقاطه؟**

الخواجه: انا كنت مع مطالب الشباب بالإصلاح في بادئ الأمر، فإن لم يتحقق ذلك نطالب بالاسقاط. هذا هو التفكير السليم لأنك اذا خرجت رأسا بمطلب اسقاط النظام ستفقد نصف الشعب لأنهم ليسوا مستعدين بالمطالبة باسقاط النظام لذا كان لابد من التدرج. ما حصل في البحرين كان معقولا، الناس طالبوا بدستور جديد لأن الملك وعد به ولم يفِ بوعده. لكن قيام النظام بقتل الناس جعلهم يفكرون كيف يمكن أن يطالبوا هذا النظام بالاصلاح وهو مستمر في قتلهم؟ لذا ارتفع سقف المطالب إلى اسقاط النظام. اعتقد أن ما فعلوه كان سليما؛ حيث كسبوا أناسا كثيرين لم يكونوا ليكسبوهم لو كان شعارهم الأول اسقاط النظام. كنت أميل للشباب، كنت أؤمن أن هذه الثورة يجب ألا يكون لها دافع ديني أو طابع سياسي لأنك عندما تلصق صفة معينة في الثورة فإنك تسير في الطريق الخطأ. من أسباب نجاح الثورة هو أن ليس لها طابع ديني، ومن أكثر ما أعجبني في الشباب هو أنهم لم يكونوا يتكلمون عن التمييز ضد الشيعة رغم أن

هذا الشيء موجود وواقعي جدا في البحرين. إنهم يدركون أنهم اذا ركزوا على أي شيء يخص الشيعة فإنهم سيخسرون السنة. ومن المهم ألا يحصل هذا لأننا في النهاية نعمل من اجل بلد للسنة والشيعة، يجب أن يشعر السنة بأننا عندما نعمل على الاصلاح والبناء فإننا نعمل من اجل المجتمع البحريني كله.

لا يجوز أن يكون هناك طابع سني او شيعي الصفة الوحيدة التي يجب أن تسود هي كلمة " بحريني " و فقط بحريني. ما يعجبني أن الشباب الى الان يخرجون بشعارات: لا سنية لا شيعية . لذا يجب ان نحافظ على ذلك.

## ■ عقولنا؛ مرجعيتنا الدينية الأولى

**المرآة: ركزتِ على البعد الديني، كيف تصفين تربيتك الدينية؟**

الخواجه: نحن تربينا ولم نكن نعرف أن هناك سنة وشيعة كما لم نكن نعرف أن هناك بحارنة وبحرينيين وعجم، رغم أن الدنمارك تحتوى على كل هذه الطوائف.

تربينا كمسلمين؛ فأنا تحجبت في التاسعة، كان والداي يربياننا على أن نعرف ديننا وهويتنا وأن نحترم الاخرين في نفس الوقت. كانا يشجعاننا كثيرا على التعلم عن الديانات الأخرى. كان عمري لا يتعدى الاربعة عشر عاما وكنت اعرف الكثير عن المسيحيين واليهود والهندوس. تربينا على أن نعرف أنفسنا من خلال معرفة الاخرين.

## ■ مدنية الثورة

**المرآة: من المؤاخذات التي تطرح على ثورة البحرين، هي: كيف يطالب هؤلاء بدولة مدنية في حين أن نمط تدينهم نمط مغلق، ففي الدولة الديمقراطية هناك تقبل للآخر وشكل جديد للتدين؟**

الخواجه: في البحرين، الحكومة تعاملت بشكل طائفي مع الناس، و ميزت بين سني و شيعي و هو ما أدى الى ادراك الناس لخطورة الطائفية و مساوئها و أدركوا أن التعايش بين مختلف الطوائف هو الحل ، وهو ما جعلهم يطالبون بحكومة تحترم الشعب بكل طوائفه ومذاهبه وافكاره المختلفة؛ حكومة مدنية عمادها العدالة و المساواة بين الجميع و تحترم مبادئ حقوق الانسان.




الشعب البحريني من اكثر الشعوب المثقفة ولا يحتاج إلى من يعلمه كيف يجب ان تكون الحكومة او ما هو النمط الديني الذي يجب ان يسير عليه. أن تكون متدينا لا يعني ألا تكون مثقفا. ان تكون متدينا لا يعني ألا تكون منفتحا. ان تكون متدينا لا يعني ألا تفهم في السياسة. الشعب البحريني مثقف ويدرك جيدا أن البحرين لا تصلح ان تكون دولة دينية لأننا اذا بنينا حكومة على اسس دينية فهذا يعني اننا نستبعد جزءا من الشعب وهذا لا نفع وراءه؛ لأننا لن نحصل على الديمقراطية الا اذا كان الجميع مشتركا في الدولة. لو تغير النظام في البحرين فهذا لا يعني ان تكون لدينا حكومة شيعية على اساس ان الغالبية في البحرين هم من الشيعة، بل بالعكس، اعتقد ان أولئك الذين يساندون الحكومة ويقفون ضد الشعب يجب ان يكونوا جزءا من الدولة فيما بعد ويجب ان تحترم حقوقهم؛ لأنها الطريقة الوحيدة للعدالة الانتقالية. إنك عندما تستبعد أناسا فإنك تخلق التطرف، اذا قلت لأي فئة بأنك لن تشركها في سياسات الدولة فأنت تخلق التطرف في

الدولة، لكنك حين تشرك جميع فئات المجتمع فإنك – بلا شك – تحصل على الانسجام الاجتماعي، هذه من الاشياء التي يجب ان نضعها في الحسبان في حال تغير النظام. حينها لا ينفع ان نستبعد احدا مهما كان وهذا ما يعجبني في الثورة البحرينية؛ فأولئك الذين تعرضوا للضرب والاعتداء والتعذيب لا زال ينادي كل واحد منهم بأنه يدافع عن حقه وحق الشخص الذي كان يقف ضده. اذا نجحت الثورة لن يكون الثوار هم وحدهم المستفيدون بل كل الشعب.

## ■ أتقن العربية وأتخاطب بالإنجليزية

**المرآة: قلت إنك تعلمك اللغة العربية في مدرسة الحورة؟**

الخواجه: عندما كنا في الدنمارك كنا نتعلم اللغة العربية. في البداية كانت أمي تدرسنا في المنزل؛ فقد كان تعلم اللغة العربية من الأساسيات التي لابد منها، لأن والديّ كانا يعيشان حياتهما على أمل الرجوع الى البحرن في يوم ما، ولذلك اختارا أن يدخلونا مدرسة انجليزية وليس دنماركية، تعلمنا الدنماركية والعربية كلغة ثانوية غير أن الانجليزية كانت هي اللغة الأم. وفي حين كانت الدنماركية الزامية في المدرسة؛ كان أبي يلزمنا ان نتحدث اللغة العربية في المنزل وهذا ما قوى العربية لدينا ثم بعدها بدأنا ندرس في مدرسة عربية كل يوم سبت، عندما اتيت للبحرين كان مستوى اللغة العربية لدي في مستوى الصف الثاني او الثالث الابتدائيين. أكملت الثانوية في مدرسة الحورة ثم درست في جامعة البحرين.

**المرآة: هل وجدت صعوبة في تعلم اللغة العربية؟**

الخواجه: بالطبع كان صعبا، فأنا انتقلت من مستوى الأوائل في الدنمارك الى مستوى ضعيف في البحرين، كان من الممكن أن أبذل جهدا أكبر، أختي بتول مثلا كانت في المستوى الثاني من الاعدادي واستطاعت ان تكون من الاوائل وتخرجت من الثانوية بامتياز، لكنني لم أكن احب الدراسة، غير أن أدائي في الجامعة أفضل بكثير منه في الثانوية. كذلك شكل التأقلم الاجتماعي صعوبة؛ إذ أثر على دراستي لكنني لم أرسب في العربية. برأيي لم تكن اللغة العربية "مزعجة" لكنني كنت اكره النحو وكنت اعتقد ان الأساتذة لا يدرّسون العربية بشكل صحيح؛ لأنهم يركزن على النحو بصورة تجعل

الطالب يكره العربية. أمي وأبي كانا يساعداننني كثيرا؛ فأبي كان يطلب مني أن أقرأ له الجريدة عندما يوصلني الى المدرسة كل صباح وهذا ما طور كثيرا من لغتي العربية، ونظرا إلى أنني منذ طفولتي كنت أحب كتابة القصص فقد ساعدني ذلك كثيرا في التعبير؛ إذ بدأت أكتب مقالات بالعربية. ساعد ذلك على تقدمي في الكتابة والقراءة.

**المرآة: لذلك أنت لا تكتبين بالعربية في تويتر؟**

الخواجه: سبب ذلك ان معظم المتابعين لي في تويتر هم من الأجانب. لا تنقصني القدرة على الكتابة بالعربية لأنني كنت أدرّس الطلاب في أميركا وأتحدث معهم بالعربية الفصحى. اعتقد أنني مع نبيل رجب نعمل على الشيء نفسه. ومادام هو يكتب بالعربية ويتواصل مع كل الشعب فيجب علي أن اتواصل مع الخارج. ليس لدي وقت للترجمة ويجب أن أختار لغة واحدة ولذا إذا كان نبيل يقوم بالدور بالعربية فانا ساقوم به بالانجليزية.

**المرآة: خلال عشر سنوات، كيف تقيمين تطور الخطاب الحقوقي في البحرين؟**

الخواجه: اعتقد ان العقلية الحقوقية في البحرين تطورت كثيرا خلال عشر سنوات لعدة اسباب منها: ان الفترة التي تلت التسعينيات بعد توقف التعذيب فُتحت المجال لنشر الوعي الحقوقي في المجتمع، فمن الملاحظ ان مركز البحرين لحقوق الانسان أقام الكثير من الفعاليات.

## ■ خطاب الدوار الحقوقي

**المرآة: هل يمكن القول إن مجتمعنا البحريني استطاع بناء حاضنة جيدة لحقوق الإنسان؟**

الخواجه: ربما، نعم. أصبح هناك الكثير من دورات التعليم والتدريب حول حقوق الانسان، وبدأ الناس يتعرفون على حقوق الانسان. قبلها كانت وجهة الناس سياسية، لكنها بدأت تميل الى الحقوقية اكثر. أتذكر أني لما كنت ادرس تاريخ البحرين رأيت ان معظم الثورات كان يقودها المشايخ لكن هذه الثورة لم يقدها المشايخ. هذه الثورة قادها الشباب، صحيح ان هناك شيوخا من الشخصيات البارزةلكن الشخصيات الغالبة ليست من فئة المشايخ.

اعتقد ان هذا اختلاف مهم. هذا تغيير جوهري، الخطاب في الدوار ساهم في خلق هذا التغيير، كان الناس في الدوار يتكلمون عن حقوقهم اكثر مما يتكلمون عن السياسة، كانوا يقولون ان منحقنا ان يكون لدينا كذا وكذا (...) أعتقد ان ما ارتكبته الحكومة من الانتهاكات والأخطاء في حق نفسها قد خلق فئة بارزة من الحقوقيين. من الاشياء التي قالها نبيل رجب واعجبتني كثيرا ان الحكومة من خلال ما قامت به من انتهاكات خلقت شعبا نصفه مواطنون صحفيون ونشطاء سياسيون والنصف الآخر حقوقيون وهذا شيء واقعي، بدأ الناس يوثقون الحالات. لسنا مضطرين الآن للخروج لتوثيق الحالات؛ فقد أصبح الناس يوثقون الحالات ويبعثون بها لنا وهذا تطور ملحوظ.

**المرآة: قاد والدك عبدالهادي الخواجه نشاطا حقوقيا بعد عودتكم، هل كنت جزءا من هذا النشاط، من اعتصامات وغيرها؟**

الخواجه: طبعا، كنا طوال حياتنا نؤيد الوالد ونقف إلى جانبه ونفتخر به، كنتأنا أمر بمراحل اكون فيها احيانا نشيطة جدا، وفي مراحل أخرى أبتعد. حين كنت أرى أبي يتعرض للضربات ولا يقف أحد معه؛ يصيبني ذلك بنوع من الإحباط. دائما أسأل والدي هل ما تقوم به يستحق العناء، مع الضرب والاعتقال؟ وكان جوابه دائما ان الانسان يعمل أولا لله وليس للناس ويجب ألا يتوقع أن تكون هناك نتيجة من الناس.

## ■ سليلة عائلة حقوقية

**المرآة: أنتم كعائلة حقوقية، هل جميعكم منسجمون في هذا الجو؟**

الخواجه: من ناحية حقوقية نعم، أقوى شخصية في العائلة أمي؛ وهي الشخص الذي يستمد الجميع قوته منه، سواء أبي أم نحن الأخوات الأربع. عندما يصيبني الاحباط وأشعر بأني لا أستطيع أن أواصل اتصل بأمي لأتزود منها الإلهام والقوة. خلال العشر سنوات الأخيرة شاهدنا كيف تتأثر كثيرا عندما يصيب أبي مكروه لكنها رغم ذلك تقف معه وتسانده. من أكثر المواقف التي أدهشتني في شخصية أمي هو عندما كان أبي مضربا عن الطعام في السجن في 2004 كان الناس يسألونها أن تطلب منه فك الإضراب بسبب تأثيره السيئ على صحته، لكن رد أمي أنها تفضل أن تفدنه بيديها على أن تطلب منه التخلي عما يؤمن به، ولأني أعرف علاقة أمي بأبي أدرك أنه من المستحيل

أن يقول أي شخص مكانها شيئاً كهذا. القوة في الشخصية والإيمان الراسخ جعلاها تتخذ هذا الموقف، ما دعاني ذلك للقول إنها أقوى شخصية في العائلة.

من الناحية السياسية والحقوقية نحن تقريبا متفقون على كل شيء، كنا جميعا نذهب مع بعضنا للاعتصامات، أخواتي رأين والدي يتعرض للضرب حتى أن أختي فاطمة رمت بنفسها على أبي وحصلت على حصتها من الضرب الذي كان موجها له، لم يكن قليلا ما رأيناه. من ناحية الانسجام نعم نحن منسجمون.

أكثر ما ضايقني لحظة اعتقال أختي زينب. لم أكن واقفة معها كعادتي مقابل قوات الأمن، فإذا اعتقلنا اعتقلنا معا وإذا ضربنا ضربنا معا.

## المرآة: كيف تلقيت خبر اعتقال والدك؟

الخواجه: كنت في القطار بين واشنطن ونيويورك وكان هاتفي مغلقا، ولم يكن لدي شاحن البطارية فطلبته من امرأة كانت جالسة إلى جانبي، وفور تشغيل الهاتف أتتني رسالة نصية تقول: أصحيح ان والدك قد اعتقل؟ ففكرت أن هذا ليس معقولا لأنه كانت تدور إشاعات كثيرة حول اعتقال والدي، بعدها اتصلت بي صديقتي الموجودة في أميركا وهي مقربة جدا من العائلة قالت لي: مريم يجب أن أخبرك بشيء فلا تفزعي، وأخبرتني أنهم اعتقوا والدي وحسين وواي زوجا أخواتي، وأنهم تعرضوا للضرب أيضا. لم أعرف ماذا أقول حينها أنهيت المكالمة ودخلت موقع تويتر وبدأت أقرأ ما كتبته أختي عن كيفية اعتقال الوالد، كيف ضرب وكيف كان يقول إنه لا يستطيع التنفس وكيف حاولت أن تتدخل وكيف دفعوا والدتي على السلم كيلا تتدخل، هنا كانت لدي ردة فعل قوية جدا. من أصعب الأشياء ان يرى احد موقفا كهذا يحصل أمامه والأصعب ان يكون بعيدا. لأنك عندما تكون موجودا ستحاول ان تعمل شيئا لتؤثر في الموقف لكنك عندما تكون بعيدا تشعر بأنك عاجز، أول ما خطر لي هو أنه يجب أن أحصل على تذكرة وأعود للبحرين. طبعا كنت مرتبكة كليا. هممت بقطع تذكرة بواسة الإنترنت غير أن صديقتي التي استقبلتني أوقفتني وقالت لي لن تنفعي أحدا إذا تعرضت للاعتقال، وما تقومين به هنا مهم جدا، وأني لو تعرضت للاعتقال سأجعل الأمر أصعب بالنسبة لأخواتي وأمي. فجلست تلك الليلة مع مجموعة من أصدقائي نبعث رسائل إلكترونية إلى الصحافة الى أن حلّ الصباح. صديقاتي انقذن حياتي تلك الليلة بالطريقة التي ساندنني بها. أعرف

كيف كنت سأقضي تلك الليلة وحدي. كنّ يتصلن بكل صحيفة واذا لم يحصلن على رد يعاودن الاتصال مرات ومرات وهذا ما جعل كل الصحف تعطي اهتماما لموضوع والدي.

**المرآة: هل تتواصلين مع المراكز التي تعمل من أجل قضية والدك؟**

الخواجه: احاول أن اتعامل مع قضية والدي بشكل احترافي .. لأنني وضعت قانونا لنفسي وهو ألا أتعامل مع ما يجري في البحرين بطريقة شخصية بل حقوقية ، وانما قضية معتقل ككل المعتقلين وسأعطيها الأهمية ذاتها التي سأعطيها قضية جعفر مكي مثلا الذي أطلق عليه النار في وجهه وفقد عينه ودخل السجن سنتين كما تعرض للتعذيب، وكذلك مثل قضية اي شخص ثان موجود في السجن اليوم. كل القضايا تأخذ الاهتمام نفسه.

**المرآة: هل تتواصلين مع عائلتك، خصوصاً والدك في السجن؟**

الخواجه: أتحدث مع أمي كثيرا وتحدثت مع والدي مرتين منذ اعتقاله، طبعا كنت أعتمد على والدي كثيرا ونصائحه في عملي الحقوقي، لأنه يحتفظ بكل القوانين سواء الدولية أو الحقوقية وغيرها في رأسه حتى إنني أستطيع أن اتصل به لأسأله عن رقم القانون الفلاني واحصل على الاجابة في الحال، لذلك حصلت فجوة كبيرة في عملي عندما اعتقل؛ فقد كنت أتحدث معه بشكل يومي قبل اعتقاله. بعض المعتقلين يسمحون لهم بالاتصال بأقربائهم في الخارج مثل ابراهيم شريف الذي كان يتصل بابنته هنا في أميركا. لكنهم لم يكونوا يسمحون لوالدي أن يتصل بي. استطعت أن أكلمه مرتين أثناء اتصاله لأمي. كانوا يتصلون بي ويضعون الهاتفين بجانب بعضهما بحيث نستطيع أن نسمع بعضنا من خلال تشغيل السماعة الخارجية ( speaker ). تواصلي الآن مع أمي فهي تخبرني بكل شيء. إنني أوصل ما أريد أن أقوله لأبي من خلالها أيضا.

**المرآة: هل تشعرين أنكم تجاوزتم كعائلة محنة اعتقال والدك وتعذيبه؟**

الخواجه: لا، من الأمور التي أحاول أن أفهمها الناس أن التعذيب ليس مرحلة نتخطاها بعد الإفراج. وليست مرحلة محددة بفترة التعذيب. البعض يعتقد أنه مادام الشخص يتعرض للتعذيب يجب العمل على قضيته، وفور الإفراج عنه ينتهي العمل، لا يعون أن التعذيب قد يحصل خلال ثلاثة او اربعة ايام لكنه يؤثر على الشخص مدى الحياة.

هناك مسؤولية تجاه هذا الشخص من جانب الحكومة لأنها عذبته. يجب ان نتأكد ان هذا لا يكون له تأثير على حياته. لكن الكثير ممن يخرجون من السجن يخرجون بشخصيات مختلفة؛ احيانا منكسرين لا يستطيعون الحفاظ على علاقاتهم مع الناس ومع عائلاتهم كأن شخصياتهم تدمرت. هذا ما لا يفهمه الناس؛ ان التعذيب ليس شيئا ممكن تجاوزه بعد انتهائه. واذا كنت سأتحدث عن أبي فهو بحاجة الى اهتمام طبي. يحتاج إلى السفر للخارج ليعالج الكسور في وجهه، هم توقفوا عن تعذيب والدي منذ فترة لكنه لا يزال هناك سجناء يتعرضون للتعذيب. لا توجد ضمانة لتوقف التعذيب في البحرين، في أي وقت يحصل شيء لا يعجب الحكومة ستقرر العودة الى التعذيب، فهو الوسيلة التي تستخدمها الحكومة لارهاب الناس داخل السجن و خارجه.

**المرآة: هل عملتم على المطالبة به كمواطن دنماركي؟**

الخواجه: نعم، ومازلت على اتصال بالحكومة الدنماركية، المشكلة انه يحمل الجنسيتين البحرينية والدنماركية. من الناحية القانونية ما تستطيع أن تفعله الدنمارك محدود لأن لديه جنسية بحرينية. من جهتنا نضغط عليها. الشيخ محمد حبيب المقداد أيضا مواطن سويدي. هناك أمل أن نستطيع العمل من خلال هذا الموضوع، ليس فقط لأنهما مواطنان أوروبيان؛ بل من الممكن أن يكون هذا مدخلا لجعل الاتحاد الاوروبي يهتم بما يحدث في البحرين وبالانتهاكات التي تحدث. قضيتان قد تفتحان الباب للتركيز على قضية البحرين وجميع السجناء الذين يتعرضون لمثل هذه المعاملة.

## ■ تقرير بسيوني لم يسمِّ المسؤولين عن الانتهاكات

**المرآة: كحقوقية، كيف تنظرين إلى تقرير بسويني؟**

الخواجه: لا أستطيع ان اعطيك الكثير من التفاصيل لأني لم أنته من قراءته، انا الان أقرأه وأسجل ملاحظاتي ونحن في المركز سنصدر تقريرا عن النتائج التي نتوصل اليها، أرى انه ناقص من ناحية أنه لم يسمِ الأشخاص المسؤولين. في هذه المرحلة لا نحتاج إلى أن نركز على الاختلافات بين تقريرنا وتقرير بسيوني ومن يريد أن يعرف الاختلافات يستطيع أن يقرأ التقريرين، ما يجب ان نركز عليه هو ان التقريرين تكلما عن انتهاكات

جسيمة لحقوق الانسان حصلت في البحرين، فتقرير بسيوني نفسه وثق وأكد حصول جرائم ضد الانسانية خلال العشرة اشهر الماضية وعليه نحن كحقوقيين سنستخدم هذه المعلومات لمحاكمة مرتكبي هذه الجرائم، طبعا رد الحكومة واضح من خلال الهجوم على المتظاهرين بعد التقرير، رئيس الوزراء نفسه قد ذهب الى الداخلية ليشكر الشرطة على ما فعلوه وعلى الحفاظ على "الاسقرار الامني".

أما اللجنة التي ألفت من أجل النظر في توصيات بسيوني فقد ضمت أشخاصا هم أنفسهم مسؤولين عن الانتهاكات والجرائم .. وهو ما يشكك بمصداقية الحكومة و جديتها في التغيير لذلك يجب أن نعمل حتى تتم محاكمة أي مسؤول شارك في ارتكاب هذه الجرائم سواء كان موظفا، وزيرا، أميرا أو ملكا.

**المرآة: إلى أي مدى تستطيعون كحقوقيين أن تقنعوا العالم بأن هؤلاء الأشخاص فعلا يجب أن يتم التحقيق معهم ومحاكمتهم؟**

الخواجه: عندما نتحدث عن حقوق الانسان فلا مجال للمناورة .. ليست هناك منطقة رمادية اما ان تكون مع الحقوق او لا تكون .

المشكلة تكمن أن اللعبة السياسة بين الدول هي التي تتحكم بمسير الأحداث ،هذه الدول تفكر في مصالحها .. فقبل أن تقف مع حقوق الانسان و تفكر فيها تسأل ان كان من مصلحتها أن يحاكم هؤلاء أم لا ! و هنا تكمن الصعوبة .. فكيف تقنعهم من الناحية السياسية أن هؤلاء المجرمون يجب أن يحاكموا؟ .



# الفصل السادس
# مكارثية المثقفين



# "هيكل" يعترف بظلم البحرينيين و"تشومسكي" يشرشح صمت العم سام و"المرزوقي": البحرين حرة حرة

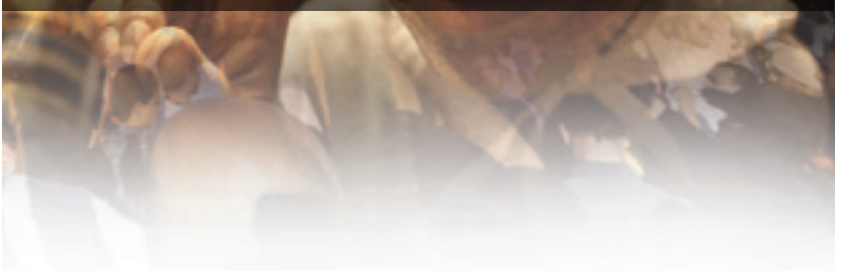

**استقطبت ثورة 14 فبراير/ شباط مواقف مفكرين عالميين من العيار الثقيل. ولم تحل سياسات التعتيم التي فرضها الإعلام العربي خصوصا، دون وصول أنبائها إلى كافة أصقاع المعمورة. وقد ناب عنه الإعلام الغربي فقام بالواجب على أكمل وجه.**



■ تشومسكي

وقد تبرم من هذا صحافيون موالون للأنظمة الخليجية مثل جهاد الخازن من شدة التركيز عليها في الصحافة البريطانية. كأنما أريد لها وللبشاعات التي ارتكبت في حق أنصارها البقاء تحت التعتيم أو بمثابة "صرخة في الظلام" كما عبر الصحافي البريطاني جون بلاير. وكانت الذريعة أن عدد ضحاياها لا تعدو العشرات، فيما قاربت في سوريا واليمن الآلاف، متناسين الحجم الصغير لسكان البحرين، والذي لا يعدو نصف المليون، وفق آخر الإحصاءات.

من الولايات المتحدة الأميركية، راح مثقفون كبار يتداعون لتوقيع العرائض وتسليط الضوء على هذا الحدث. وكان عالم اللسانيات التوليدية الأشهر ناعوم تشومسكي على رأسهم. وهو لم ينس أن يضع لحظة 14 فبراير/ شباط، بأدوات المفكر الضليع، في السياق الأهم ضمن الخطيئة التي ترتكبها الإمبريالية الأميركية. وقد اعتبر في كلمة له في الذكرى 25 لمجموعة "مراقبة الإعلام الوطني" أن حالة البحرين هي "الأشد إثارة للاهتمام" من بين كل دول الربيع العربي. وهي أهم "كونها مقراً للأسطول الأميركي الخامس، الذي يمثل قوة عسكرية كبرى في المنطقة". أما السبب الجوهري الآخر فهو "أن 70 في المائة من شعب البحرين هم من الشيعة، وهي قريبة جداً من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وهي المنطقة التي تسكنها أغلبية شيعية أيضاً وتصادف أنها المنطقة التي تحوي معظم النفط السعودي".



■ هيكل

ويقول تشومسكي "كان ولا يزال هناك قلق بين واضعي السياسات منذ مدة طويلة حول التحرك باتجاه نوع من التحالف الضمني بين هذه الأقاليم الشيعية التي يمكن أن تتحرك نحو المطالبة بالاستقلال والسيطرة على معظم الثروة النفطية في العالم. وهذا بكل وضوح أمر لا يحتمل". وأضاف "كانت هناك انتفاضة، مدينة خيام في ساحة رئيسة تشبه ساحة التحرير. قوات الجيش بقيادة السعودية، غزت البحرين، أعطت قوات الأمن هناك فرصة لأن تسحق التظاهرة بكل عنف، تدمر مدينة الخيام، بل تدمر نصب اللؤلؤة أيضاً، وهو رمز للبحرين، وتحتل المجمع الطبي الرئيسي، تطرد المرضى والأطباء، وتقوم بشكل منتظم، في كل يوم باعتقال ناشطي حقوق الإنسان وتعذيبهم، بين الحين والآخر، كنوع من التأديب فقط".

وقد شبه عملية اقتحام قوات الأمن البحرينية إلى دوار اللؤلؤة في ظل صمت الولايات المتحدة بـ"قاعدة كاروثرز": "إذا توافقت هذه الأفعال مع استراتيجيتنا وأهدافنا الاقتصادية، فلا بأس بذلك. يمكن أن نلقي خطابات أنيقة لكن ما يهم هو الحقائق" على حد تعبيره.

## ■ دعاة التغيير في البحرين ظلموا

ولم يتأخر المؤرخ المصري محمد حسنين هيكل من وضع مقاربة رصينة إلى الزلزال البحريني، واضعاً إبهامه على جذر العصب الضارّ. فاعتبر أن "دعاة التغيير في البحرين ظلموا". وقال "نحن في العالم العربي نرتكب جريمة تاريخية من دون أن ندري، حين نستبدل الصهيونية بالشيعة، وإسرائيل بإيران".

وأضاف في حوار معه على قناة الجزيرة الفضائية يونيو/ حزيران الماضي "نحن ننسى أن الشعب البحريني - في عهد الزعيم المصري الراحل جمال عبدالناصر وقد كنت شاهداً على المدأولات التي جرت آنذاك بين شاه إيران والملك فيصل -، وكان 70



■ عزمي بشارة

في المائة منهم شيعة، قد صوت على عروبة البحرين بمن فيهم الشيعة". وتابع هيكل "المشكلة أننا في العالم العربي رافضون لقبول أن هناك تنوعاً (...) إنه المنطق الضيق للمذهبية على حساب الوطنية. هل نحن نتكلم عن وطن أو نتكلم عن مذاهب؟". وقال "نعم، ثورة البحرين مظلومة (...) الوضع الإقليمي العربي يتعامل مع ثورة البحرين بعدم إنصاف؛ لأن غالبية الشعب البحريني من اتجاه معين".

ومن مصر الثورة أيضاً، جاءت مقاربة عالم الاجتماع والمفكر الليبرالي سعد الدين إبراهيم بمثابة ضربة لطقم الأوهام الذي أريد له أن يسود حول الربيع البحريني. وقال "هل صدّق بعضنا دعاية النظام الملكي الحاكم لأسرة آل خليفة، أن إيران وراء انتفاضة الشعب البحريني؟ وهل صدّقنا دعاية نفس النظام أن تلك الانتفاضة، هي انتفاضة طائفية شيعية".

وأضاف في مقال بجريدة "المصري اليوم" 13 أغسطس/ آب 2011 في السياق نفسه "نسبة الشيعة في البحرين تصل إلى حوالى 60 في المائة، ومع ذلك فهم محرومون من السُلطة والثروة، التي تستأثر بها النُخبة السُنيّة الحاكمة، والتي زادت الطين بلة، بمُحأولة تغيير التركيبة السُكانية، بفتح باب الهجرة للوافدين من باكستان والهند وأفغانستان، وتجنيدهم في الجيش والشرطة، وإعطائهم الجنسية البحرينية. هذا في الوقت الذي ترتفع فيه نسبة البطالة بين أبناء البحرين الأصليين، لا لشيء، إلا لأنهم ولدوا لعائلات شيعية".

وتابع إبراهيم "ما يفعله الملك البحريني بتعميق الخلاف المذهبي في البحرين، لتوطيد حُكمه، هو امتداد بائس لنفس ما فعله مُعأوية وابنه يزيد قبل أربعة عشر قرنا. وهو نفس ما يفعله بشّار الأسد، وإن كان الأمر معكوساً في سوريا".

## ■ المنصف المرزوقي: البحرين حرة حرة

ومن تونس محمد البوعزيزي، صاحب الرمزية العميقة في "الربيع العربي" جاءت مقاربة مفكرها ورئيسها بعد الثورة المنصف المرزوقي "المنصفة"، بلا أي اعتبارات أو دبلوماسية. وهو لم يكتف برصف الكلمات من مقعده الوثير، بل مشى في يونيو/ حزيران الماضي برجليه إلى مقر السفارة البحرينية في العاصمة تونس؛ ليحتج وينتفض من أجل حقوق إخوته البحرينيين، ومردداً مع المرددين: "البحرين حرة حرة".

وقال "الثورة البحرينية ليست طائفية بل تأتي في اطارِ قضية شعوب عربية ترزح تحت سطوة الدكتاتوريات". ورأى أن "البحرينيين يعانون ما عانى منه التونسيون من فساد وظلم وقمع، وأن النظام الحاكم في البحرين يلعب على ورقة الطائفية"، معتبراً أن "معركة البحرينيين جزء من معركة التونسيين".

وأضاف ضمن كلمته أمام السفارة "نقول لإخواننا في البحرين نحن التوانسة نساندهم كعرب ونساندهم في نضالهم (...) نحن السنة في تونس نعتبر أن القضية ليست قضية السنة ولا الشيعة بل هي قضية شعوب عربية ترزح تحت الديكتاتوريات".

وفي حين تأخر المفكر الفلسطيني عزمي بشارة، صاحب أهم كتاب في المكتبة العربية عن "المجتمع المدني"، عن تثمير مقاربة بإزاء الحدث البحريني، غير أنه عاد مؤخراً ليضع سطوراً على حسابه في "تويتر" تجبّ عنه بعض العتب. وقد رأى أنه لا مناص من "التحول في البحرين، وإن كان بطيئا، فهو ليس برغبة من النظام وإنما هو نتيجة للثورة". لكنه رأى أنه "ليس هنالك حل منفرد لمسألة البحرين لأنها أصبحت مرتبطة بالظرف الإقليمي. الحل الوحيد هو الإصلاح التدريجي الحقيقي وليس الشكلي"، مضيفا "ليست الديمقراطية حكم الأغلبية الطائفية في سوريا كما على البحرين بل حكم بموجب مبادئ الديمقراطية على أساس المواطنة المتسأوية".

لكنه شدد في الوقت نفسه على أنه "في الدول التي يمكن أن تتحول فيها الثورة للاحتراب الأهلي نشدد على الانتقال إلى الديمقراطية بالتدريج بحيث تشارك القطاعات الخائفة في العملية" وفق تعبيره.



# "أسرة الأدباء"
# هدفا لعمليات "التطهير"
# وأشد المضاضة ظلم ذوي القربى

## مراسلات مستشار الملك "الكيدية"
## وتوكيلات "الهشك بشك" و"ترزي" على سماعة الهاتف

**يستحق ما حصل إلى أسرة الأدباء والكتاب أكثر من وقفة. ويستحق أن يتعرف الناس على تفاصيل عملية "التطويع" التي قادها أحد مستشاري الملك إلى أقدم كيان أدبي في البحرين (تأسست العام 1969)، عقاباً لها على مواقفها في 14 فبراير/ شباط. تلك اللحظة التي أعادت تدوير البوصلة؛ لتستقر في النهاية على "وجوه" لم نعرفها من ذي قبل، وعلى "أسماء" كانت في السماء "سهيل".**



"مرآة البحرين" كانت شاهدة على تفاصيل ما جرى، وتمكنت من وضع يديها على العديد من المراسلات التي جرت بين أعضاء الأسرة وأحد مستشاري الملك، وهي تعرضها أمام القارىء لأول مرة.

في 23 أبريل/ نيسان مرّر المستشار في الديوان الملكي والعضو المؤسس بأسرة الأدباء والكتاب علي عبدالله خليفة، الرسالة التالية إلى عدد من أعضاء الأسرة: "مرفق نص رسالة موجهة إلى إدارة أسرة الأدباء والكتاب بشأن طلب عقد اجتماع الجمعية العمومية للأسرة وقع عليها مؤسسو الأسرة ومن رغب من بقية الأعضاء. إن كانت لديكم رغبة في المشاركة بالتوقيع على الطلب يرجى الإفادة قبل الساعة الثانية عشرة من صباح الأحد 24 أبريل/ نيسان، حيث سيتم تقديم الطلب بصفة رسمية ونسخة منه إلى وزارة الثقافة".

كانت الرسالة التي وقع عليها 37 من أعضاء الأسرة - تبين لاحقاً عدم صحة كثير من التوقيعات! - تنص على طلب اجتماع غير عادي إلى الجمعية العمومية. وأشارت في تعليل ذلك إلى: "مناقشة المخالفات القانونية الفادحة التي جرّت مجلس الإدارة الحالي لأسرة الأدباء والكتاب إلى مواقف سياسية تتعارض مع النظام الأساسي لأسرة الأدباء والكتاب والمرسوم بقانون. واتخاذ الجزاءات المناسبة لذلك" و"حل مجلس الإدارة الحالي وانتخاب مجلس إدارة جديد".

أتت أولى التداعيات على هذه الرسالة من واسطة بيان وقعه أحد أعضاء الأسرة وهو الشاعر علي الجلاوي بتاريخ 24 أبريل/ نيسان، وقد كذب فيه صحة توقيعه عليها. وجاء فيه: "بخصوص الرسالة المقدمة لكم من جانب بعض مؤسسي الأسرة (...) والداعية إلى انعقاد جمعية عمومية غير عادية لأعضاء أسرة الأدباء والكتاب، أفيدكم

علما بأنه لا صحة مطلقاً لتوقيعي على الرسالة المذكورة. وقد تفاجأت بالزج باسمي ضمن قائمة الموقعين".

## ■ مكالمة هاتفية.. وإيميل!

وصل البيان إلى من يعنيهم الأمر، وعلى وقع المفعول الذي أعطاه، جرت في صبيحة اليوم نفسه 24 مارس/ آذار هذه المكالمة الهاتفية بين أحد أعضاء الأسرة وعلي عبدالله خليفة:

"عضو الأسرة: إن مجلس الإدارة قد بدأ فعلا بإعداد الدعوة للجمعية العمومية العادية، فلماذا هذه الدعوة الاستثنائية! خاصة وأننا تعودنا في الأسرة دائما على حصر أي موضوع داخلي وحله بشكل ودي. من حقكم في الجمعية أن تطلبوا إدراج أي جدول أعمال ترونه مهما، بما في ذلك ما يتعلق بالبيانات التي صدرت من الأسرة (بيانا 17 فبراير/ شباط و10 مارس/ آذار) واتخاذ أي إجراء تراه الجمعية العمومية. إن هذا الطلب يعني عقد جمعية استثنائية، وهذا يتطلب أن يكون بطلب خطي موقع من عدد لا يقل عن ثلث الأعضاء وليس بواسطة الإيميل كما في المادة 20 فقرة 3 من النظام الأساسي للأسرة.

علي عبدالله خليفة: إنها جمعية عمومية عادية.

عضو الأسرة: الجمعية العمومية العادية يدعو لها مجلس الإدارة وهو حاليا يعمل على التوضيب لها عبر إعداد التقرير المالي والأدبي. لماذا لا ننتظر من مجلس الإدارة القيام بذلك خلال هذا الشهر. إن بيان علي الجلاوي دليل واضح أن هناك نية لتجميع الأسماء دون أخذ موافقتها الخطية.

علي عبدالله خليفة: يبدو أن اسم علي الجلاوي كتب سهوا وسوف يتم تصحيحه.

عضو الأسرة: أرجو أن تتم مخاطبة مجلس الإدارة وديا. فإن وجدتم تقاعسا، فكلنا على استعداد للدعوة إلى جمعية استثنائية بشرط أن نوقع الطلب خطيا.

علي عبدالله خليفة: سوف أنقل وجهة نظرك إلى الجماعة (؟)".

لم يمض كثير من الوقت، حتى بادر علي عبدالله خليفة في مساء اليوم نفسه إلى بعث هذه الرسالة إلى علي الجلاوي بواسطة الإيميل: "أود أن أبلغكم بأننا قد رفعنا اسمكم من كشف الموقعين على طلب عقد اجتماع الجمعية العمومية لأسرة الأدباء والكتاب. إذ لم تقدم الرسالة بعد لا إلى الأسرة ولا إلى الوزارة، وأنا المسئول شخصيا عن هذا الخطأ غير المقصود".

من "لوند" في السويد، حيث مقر إقامته، كان أستاذ علم الاجتماع الدكتور عبدالهادي خلف يراقب من بعيد نقاط الماء التي تتسرب من بين جدران الأسرة تمهيداً لهد كيانها. وقد رأى أن من واجبه أن يكتب هذه الرسالة إلى قاسم حداد: "ما كنتُ لأكتبُ لك الآن لولا اقتناعي بضرورة الاستنجاد بك للمساهمة في وقف اتساع الحملة الأمنية التطهيرية (...) التي تقف على باب أسرة الأدباء والكتاب لمعاقبتها على مواقفها أسوة بما جرى لجمعيات أخرى تعمل في الحيّز العام". وأشار في الرسالة المؤرخة في 27 أبريل/ نيسان إلى "التحرك التحشيدي الذي يقوده مستشار الملك للشئون الثقافية الدكتور محمد جابر الأنصاري يساعده في ذلك المستشار بالديوان الملكي علي عبدالله خليفة لعقد اجتماع غير عادي لجمعيتها العمومية بهدف محاسبة أعضاء مجلس إدارة الأسرة على مواقفهم السياسية تمهيداً لاجتثاثهم من جسم الأسرة".

## ■ 3 استقالات موجعة

كان عبدالهادي خلف يأمل في أن يتدخل قاسم حداد "بما يمثله في حياتنا الثقافية" في وقف ما أسماه "الحملة التطهيرية التي تقف على باب الأسرة". غير أن السيف، فيما بدا إذاك، قد سبق العذل. ففي 25 أبريل/ نيسان، بعد يوم من بيان الجلاوي، سلم كل من قاسم حداد وأمين صالح وخلف أحمد خلف، الرسالة التالية إلى مجلس إدارة الأسرة، طالبين منه تعميمها على جميع أعضاء الجمعية العمومية: "... نجد أنه لم يعد مجدياً بالنسبة لنا، ولا موضوعياً بالنسبة لأسرة الأدباء، استمرار عضويتنا في كيان لم نعد نشعر بانتماء حقيقي إليه، ولا قادرين على الإسهام فيه. لذلك نتمنى منكم تفهّم وضعنا، وقبول استقالتنا من أسرة الأدباء".

من بعيد، لكن ليس بعيداً تماماً، كان مجلس إدارة الأسرة برئاسة أحمد العجمي وعضوية كل من كريم رضي وأحمد السترأوي وأحمد الحجيري وجعفر حسن وفريدة خنجي وعبدالعزيز الموسوي، يمارس مهماته الاعتيادية. وقد انتهى تقريباً من وضع النقاط الأخيرة على التقريرين الأدبي والمالي عن دورته المنتهية (2009 - 2011). وقد ضمن التقرير الأدبي حصاد الأنشطة التي نفذها، من بينها البندان التاليان: "أصدر مجلس الإدارة عددا من البيانات المتعلقة بالشأن العام في كل من تونس ومصر والبحرين وليبيا واليمن، حيث عبر فيها عن موقف أسرة الأدباء والكتاب من التحركات المطلبية في هذه الدول ومساندة أسرة الأدباء لحرية الرأي والتعبير السلمي والإصلاحات السياسية".

أما البند الآخر فقد جاء فيه: "قدم الشاعر د. علوي الهاشمي استقالته من عضوية مجلس إدارة الأسرة احتجاجاً على بيان الأسرة الصادر بشأن إخلاء دوار مجلس التعاون، حيث حل مكانه الشاعر أحمد العجمي قائماً بأعمال الرئيس حتى نهاية الدورة". وأعقب ذلك بأيام قيام عدد من أعضاء مجلس الإدارة بتقديم استقالاتهم.

سقط مشروع علي عبدالله خليفة في طلب اجتماع استثنائي إلى الجمعية العمومية. وكان عليه أن ينتظر مرغماً حوالي الشهر إلى حين موعد الانعقاد العادي الذي حددته وزارة الثقافة في 9 يونيو/ حزيران، ليباشر تمرير مشروعه. أوعز إلى القاص جمال الخياط الاتصال في بعض الأعضاء لتأكيد حضورهم أو الحصول على توكيل منهم، خصوصاً الأعضاء السنة. وهو الشيء الذي وصفه أحد أعضاء الأسرة السابقين بالقول: "شيء مضحك ومقزز من نموذج مثقف ومبدع".

## ■ 9 يونيو العاصف

انهمك بعض أعضاء مجلس الإدارة عصر يوم الخميس 9 يونيو/ حزيران في إزاحة أكوام الغبار وتنظيف مقر الأسرة استعداداً لانعقاد الجمعية العمومية في مساء اليوم نفسه. أعدوا الشاي ووزعوا البريد المكدس على الطأولات، كما قاموا بنسخ التقرير الأدبي والمالي 50 نسخة ورصفها على الطأولات. تأكدوا من تجهيز السماعات والمؤثرات الصوتية، وكذلك من إرسال "مسجات" نصية إلى الأعضاء. وغادر من استقال منهم، حيث قرر كثير من الأعضاء مقاطعة الاجتماع. وهو الشيء الذي بدا واضحاً على الحاضرين، فبالكاد وصل العدد 18 من أصل 83، وهو مجموع أعضاء الأسرة المسجلين.

ومع التوكيلات وصل العدد 34 اسماً، مما يعني عدم اكتمال النصاب، وهو النصف زائد واحد.

نبهت مندوبة وزارة الثقافة زهراء المنصور إلى أن "لكل عضو حق التوكيل لعضو واحد فقط". كانت لدى إبراهيم بوهندي الكثير من التوكيلات ومعظمها عبارة عن "مسجات" على الهاتف ولم تكن توكيلات مكتوبة، عدا اثنين منهما، أحدهما كان إلى مستشار الملك محمد جابر الأنصاري. احتال بوهندي على ذلك بتوزيع التوكيلات على الموجودين واحتفاظه بواحد. أجرت مندوبة الوزارة اتصالا هاتفيا مع مدير إدارة الثقافة عبدالقادر بشأن موضوع النصاب، فعقب: "إذا كان هناك تراض في العمومية فلا مشكلة". وهذه مخالفة أخرى، إذ "يجب أن يكون التوكيل خطياً وموقعاً" حسب قانون الجمعيات.

## ■ "ترزي" على سماعة الهاتف

لم يكتمل النصاب، مما كان يتطلب تحديد موعد آخر بعد أسبوع لعقد الاجتماع حسب قانون الجمعيات. غير أن الحاضرين أصرّوا على عقد الاجتماع. أجرت مندوبة الوزارة اتصالاً آخر بعقيل، فكانت الفتوى جاهزة: "يمكن عقد الاجتماع طالما هناك تراض بين الحضور". وهي مخالفة قانونية أخرى، حيث تنص المادة (19) من قانون الجمعيات على أنه في حالة "عدم اكتمال النصاب يجب أن يحدد موعد آخر له".

ترأس الاجتماع علي عبدالله خليفة فيما عأونه في الإشراف كل من خليفة العريفي وحميد القائد. بدأ النقاش برفض علوي الهاشمي ما جاء في التقرير الأدبي فيما يتعلق بربط استقالته ببيان الأسرة عن إخلاء دوار اللؤلؤة. وقال "استقالتي في الأساس تتعلق بإقحام الأسرة في الموضوع السياسي دون العودة إلى الجمعية العمومية. حتى أنني رفضت مجرد فكرة حضور اجتماع الإدارة نفسه لأنني كنت أهجس بتوجيه الاجتماع إلى هذا الخطأ". هنا تدخل علي عبدالله خليفة "البيان الرئيسي الخاطئ هو بيان الاستغاثة (10 مارس/ آذار)، وليست كل البيانات، وهو الذي أقلق القيادة السياسية كثيرا". وأضاف: "قالوا لنا كمؤسسين أنتم تعهدتم أمام الأمير الراحل (عيسى بن سلمان آل خليفة) لدى طلب الإشهار (1969) بعدم التدخل في السياسة. لذا قمت مع المؤسسين باقتراح بيان باسمهم (4 أبريل/ نيسان 2011) وإلا كانت الأسرة ستغلق حتما". طرحت فوزية رشيد فكرة ألحت فيها، وهي: "محاسبة الإدارة السابقة على تجأوزاتها". فرد البعض ومنهم راشد نجم متسائلاً: "هل وظيفة الإدارة الجديدة محاسبة إدارة سابقة (...) الإدارات السابقة قامت بتجأوزات كثيرة دون محاسبة". ظلت فوزية رشيد تصر على المحاسبة.

عند ذلك اقترح يوسف الحمدان تضمين بيان العمومية عن الاجتماع، وكذلك المحضر: "تتصلا من مواقف الإدارة السابقة في 14 فبراير/ شباط أو إدانة لانتهاكها النظام الأساسي لأنها همشت الجمعية العمومية ولم تأخذ برأيها واليوم جاء دور العمومية لتحاسب".

دافع علي عبدالله خليفة عن "مقترح أن يكون للجمعية العمومية موقف في محضر الاجتماع يدون كملاحظة على التقرير الأدبي". غير أن فوزية رشيد أصرت على "مبدأ المحاسبة" لكن من دون أن تستطيع تمريره. اقترح علي عبدالله خليفة تغيير مسمى الأسرة إلى "اتحاد أدباء وكتاب البحرين". وقد تمت الموافقة على المقترح وكذلك على

تحويل اسم أمين السر إلى الأمين العام للاتحاد.

بين كل من حضر، كان وحده يوسف يتيم من تصدى لمنتقدي الإدارة السابقة. وقال "على‌العكس، فقد كان دور الأسرة ترشيديا لحركة الدوار، وهي لم ترفع شعار إسقاط النظام. إن ما يحصل اليوم هو تشويه وطمس لما حصل". وهنا رد عليه البعض "بغض النظر عن ذلك فنحن ضد إدخال الأسرة في الشأن السياسي". وأضاف بوهندي "نحن ننتقد البيانات التي صدرت باسم الأسرة، أما ممارسة الأعضاء للسياسة كأشخاص فهذا شأنهم". وقد عاد يتيم ليقترح في سياق آخر: "مراسلة قاسم حداد وأمين صالح للعودة عن استقالتهم". انتهى الاجتماع بتزكية مجلس إدارة جديد موال للسلطة بشكل كامل: إبراهيم بوهندي، علوي الهاشمي، جمال الخياط، راشد نجم، يوسف الحمدان وفوزية رشيد.



# عام مكارثية الثقافة البحرينية:
# مثقفون يشُون بزملائهم
## وعلي خليفة شاعراً أمام الملك: ابطش!

**جابر الأنصاري يدير بـِ "الريموت" تطويع المثقفين..**

**والعصا لمن عصى**

كان المثقفون البحرينيون هدفا مع شعبهم لحفلات العقاب الجماعي التي أقامتها السلطة. فيما جاء قسط ليس بالهين من العقاب على أيدي زملاء لهم، المثقفين أيضاً!




فكان اعتقال الناقد عضو أسرة الأدباء فهد حسين، وكذلك الفنانين عضو جمعية البحرين للفنون التشكيلية مهدي البناء، وجمعية البحرين للفن المعاصر محسن الغريب. كما اعتقل أيضاً الشاعر علي البقالي والشاعرة آيات القرمزي. واستدعي إلى التحقيق كل من المحررين الثقافيين علي القميش وباسمة القصاب. وأيضا الفنانة هدى حسين صاحبة الأغنية الشهيرة "ياحبيبي سوف أحكي لك عن ليل المحرق"، كما فصلوا جميعاً من العمل. وطالت عمليات الفصل أيضاً عضوي أسرة الأدباء إبراهيم سند ونعيمة السماك، و"الماكيير" ياسر سيف والعازف الموسيقي أحمد الغانم والفنان التشكيلي عباس يوسف ومصمم الجرافيك موسى حسن. كما فصل الممثل أمير دسمال والفنان المسرحي جاسم عبدعلي والمخرجان حسين الحليبي وأحمد الفردان. في حين أجبرت الشاعرة سوسن دهنيم على الاستقالة من صحيفة "الوطن"، وكذلك الشاعر مهدي سلمان من "الأيام". فيما أوقف كل من الكاتبين سكينة العكري وجليل العابد عن العمل.

### ■ لون من خيانة المثقف

وتصدى مستشارا الملك محمد جابر الأنصاري وعلي عبدالله خليفة إلى الجانب الآخر المظلم، فهددا أسرة الأدباء والكتاب بإغلاقها لقيامها بإصدار بيان في 10 مارس/ آذار تبنت فيه مطالب: "الملكية الدستورية"، "حل الحكومة"، "دستور ديمقراطي" و"محاسبة المفسدين".

وفرضا على مجلس الإدارة الذي ترأسه أحمد العجمي قائماً بأعمال الرئيس بعد إزاحة علوي الهاشمي المقرب من السلطة لمعارضته بياناً يدين مجزرة دوار اللؤلؤة 17 فبراير/

شباط، تحت ضغط عريضة كاذبة، فرضا تبنّي بيان "مهين" باسم الأسرة، وإلا فسيتم إغلاقها. وجاء في البيان الذي رفض علي خليفة إجراء أي تعديلات عليه ونشر في 4 أبريل/ نيسان: "الواجب الوطني يقتضي على أسرة الأدباء والكتاب أن توضح أن دورها في المجتمع ثقافيًا وأدبيًا وليس سياسيًا (...) كل من طرح خلال الأحداث رأيا أو شارك في ممارسة خلاف هذا الموقف فإنما يمثل رأيه الشخصي ولا يمثل رأي أسرة الأدباء والكتاب ككيان أدبي نأى بنفسه طيلة أربعين عاما عن اتخاذ أية مواقف تجاه القضايا السياسية محليًا واقليميا وعربيا".

كما قاد الأنصاري وخليفة أيضاً مشروعاً لعقد اجتماع "استثنائي" لعمومية الأسرة من أجل محاسبة وإزاحة مجلس الإدارة الذي تبنى، إضافة إلى بيان 10 مارس/ آذار، بياناً آخر في 17 فبراير/ شباط يدين "المجزرة الوحشية التي أقدمت عليها آلة النظام فجر الخميس 17 فيراير/ شباط 2011، والتي راح ضحيتها عدد من الشهداء والجرحى والمفقودين من شعبنا"، إضافة إلى عريضة باسم المثقفين في 18 فبراير/ شباط وقعها ما يزيد على 120 مثقفا وفنانا وأديبا من مختلف الحقول، وأكدت على "حق الشعب في التعبير السلمي عن مطالبه وندين بأقسى العبارات استخدام كافة أشكال القوة والعنف ضده". كما شاركت الأسرة في الدعوة إلى مسيرة منظمات المجتمع المدني 19 مارس/ آذار، وأيضاً في وقفة احتجاجية أقيمت في مقر الأسرة بمنطقة الزنج.

وفعلاً فقد انعقد اجتماع غير قانوني في 9 يونيو/ حزيران بحضور 18 من أصل 83 من أعضاء الأسرة، وجيء بإدارة جديدة موالية بالكامل إلى السلطة ترأسها إبراهيم بوهندي.

### ■ مثقفون ووشاة

وشارك المخرج عضو مسرح الصواري يوسف الحمدان من خلال موقعه في وزارة التربية والتعليم ضمن حملات الوشاية على زملائه المثقفين، ما أدى لفصلهم أو توقيفهم عن أعمالهم. وشارك إبراهيم بوهندي وفوزية رشيد وعلي خليفة 1 مايو/ أيار في محاكم تلفزيون البحرين التي أقيمت على الهواء ضد المثقفين الذين ناصروا الحركة الاحتجاجية، ضمن البرنامج المعروف بـ"الراصد" الذي وصفه تقرير بسيوني بأنه "مهين وحاط بالكرامة".

كما ألقى علي خليفة قصيدة في المحرق أمام ملك البلاد لدى زيارته لها بعد فرض قانون السلامة الوطنية يونيو/ حزيران 2011، طالبه فيها بـ"البطش" وعدم الصفح عن

من أسماهم "الأنذال". وجاء فيها: "لا تنتظر طال عمرك أي رجا من فكر بايت سمل/ لاتحتزم بالذي أبصار قلبه سمل/ خلك على ما يريد الشعب للناس أمل/ وابطش على كل ظالم لا تهادن نذل". وشحذ كل من أعضاء الأسرة خالد الرويعي ويوسف الحمدان وكمال الذيب وفوزية رشيد الأقلام في أعمدتهم الدورية بالصحافة للدفاع عن السلطة، وتبرير حملتها الأمنية خلال فترة السلامة الوطنية، تحت ذريعة أن ما حصل "مؤامرة دبرت بليل" وأن اختيار "دوار اللؤلؤة" لتمركز المعتصمين لم يكن عفوياً بل جزءاً من المخطط. يقول الرويعي "سيكون من الصعب أن نستوعب العفوية التي يروج لها البعض في اختيار الزمان والمكان، إذ المخطط على أرض الواقع تم تصديره، وما تبقى سيكون محصوراً في هندسة كيفية التدافع البشري واتخاذ هذا المكان رمزاً بأي شكل من الأشكال"، كما عبر في مقال بصحيفة "الوطن" 12 يونيو/ حزيران.

كما حأول استعمال بيان وضعه الشاعران قاسم حداد وأمين صالح في 2 مارس/ آذار، وحوى نقداً إلى المحتجين والسلطة سواءاً بسواء: "سالت الدماء الشجاعة والنبيلة من أجسام شجاعة ونبيلة أبت أن تمرّ أمامنا مثلما يمرّ الحدث العابر. لا، ليسوا رقماً ولا عدداً (...) لا نتفق مع بعض الشعارات المرفوعة في الشارع، تلك الشعارات العنيفة التي تدعو إلى إسقاط النظام الآن وفوراً"، استعماله غرضياً.

وقاد مشروعاً لجعل البيان بمثابة عريضة سعى إلى أن يستجلب لها التوقيعات، إلا أنه أخفق في إقناع شخصيات وازنة في الوسط الثقافي. فلم يظفر بغير 60 توقيعاً "من كل بستان زهرة". ولم يقف قاسم وأمين موقفاً صارماً بإزاء هذا الاستعمال الغرضي، فأُقحما بذلك عنوة في سوق الاصطفافات، فيما كان يأمل مثقفون منهما، أن يكونا فوقها، لمكانتهما في الحياة الثقافية.

## ■ استقالات جماعية

وفيما قام علي خليفة بإقحام أسماء كاذبة في عريضته لعقد اجتماع غير عادي لعمومية أسرة الأدباء، فقد أدى ذلك إلى استقالة كل من قاسم حداد وأمين صالح وخلف أحمد خلف من الأسرة. ولم تمض أيام حتى كرت سبحة ما يمكن عدها أكبر استقالة جماعية في تاريخها، وبين المستقيلين: فريد رمضان، عبدالله جناحي، فوزية السندي، كريم رضي، علي الديري، علي الجلاوي، حسين السماهيجي، أحمد العجمي، إيمان أسيري، حسين فخر، مهدي سلمان، سوسن دهنيم، أحمد رضي، عبدالعزيز الموسوي، إضافة إلى آخرين.

من جهة أخرى، فقد عاد كل من قاسم حداد وأمين صالح وخلف أحمد خلف وإبراهيم غلوم وحمد المناعي ونعيم عاشور بعد أيام ليوقعوا رسالة يطالبون فيها مجلس الإدارة الجديد ب"التريث ومراجعة قرار تغيير مسمى أسرة الأدباء (الذي فرضه علي خليفة في اجتماع عمومية الأسرة 9 يونيو/ حزيران لمحو ذكرى سيئة لمواقفها المناصرة إلى حراك 14 فبراير/ شباط، على غرار هدم دوار اللؤلؤة) دون أن يكون ذلك مدرجاً أصلاً في جدول أعمال الاجتماع، كما لم ينل ما يستوجبه من نصاب قانوني لإقراره باعتباره تعديلا على النظام الأساسي للأسرة". وفي موقف منهم، فقد حرصوا في الرسالة على مخاطبة رئيس الأسرة الجديد إبراهيم بوهندي ب"رئيس أسرة الأدباء والكتاب" وليس "رئيس اتحاد أدباء وكتاب البحرين"، كما جرى إقراره في انعقاد الجمعية العمومية غير القانوني، وذلك فيما بدا على أنه موقف من القرارات التي خلص إليها الانعقاد.



# الفصل السابع
# الصورة والثورة



# يقظة الصورة
# حكاية ثورة لا يطمرها الخوف

**كاميرا الثورة في البحرين كانت الرقيب الذي لا ينام في فصول الأحداث التي تلت حراك الرابع عشر من فبراير، كانت أمضى من كل البيانات التي سعت إلى تزوير الحقيقة منذ الولادة البكر لأول شهيد هوى تحت ارتعادة رصاص الأمن، رصاص لا يعكس إلا خيار الخوف الذي مالت إليه السلطة، فكان يرتد إليها في كل مرة على صورة إصرار متزايد لمواجهة آلة القهر والقمع.. كلما سلبوا من الناس روحاً أحالوها شموعاً لا تنطفئ لمواصلة الطريق باتجاه صناعة التغيير.**



لم تكن السلطة لتطمئن للصورة مطلقاً؛ لأن حبل الكذب معها يصبح أقصر مما ينبغي، تذبل كل الروايات الرسمية كلما ارتفعت للنت صور جديدة محمولة بغضب الناس، فشباك الصورة المفتوح على يوميات الاحتجاج كان سبباً في دفع العالم لمزيد من التحديق في هذه الثورة رغم ما تدفع إليه الحسابات السياسية في المنطقة من أفعال التعتيم والتعمية، كانت بمثابة سؤال أخلاقي ضاغط على مراكز القوى، والمؤسسات الدولية، التي انطقتها الصورة في أكثر من محطة، وجعلت من السلطة في البحرين تنشغل بترتيب سلم الأصدقاء في العالم بين وقت وآخر؛ لأن النقد الذي جلبته الصورة كانت أوفر حضوراً وأكثر تأثيراً.

ساهم مصورو وكالات الأنباء الدولية كثيراً في إيجاد سند للأحداث خارج المرويات الرسمية خلال الفصل الأول من الأحداث، فيما استمر البحرينيون من الهواة والمحترفين في مراقبة كل الفصول اللاحقة، يرفعون الستر والغطاء عن كل الحماقات التي مارستها السلطة ضد المحتجين، تتساقط صورهم كالمطر بعد كل حدث طمعاً في أن يوقظوا ضميراً عالمياً كلما صحا أوشك أن ينام.. عرفنا صور التحدي والوجع والتفجع في تغطيات جون مورو من وكالة خلال مروره القصيره بهذا البلد، وشاهدنا عنفوان الثورة في لحظات الدوار بعدسات محمد أزاكير وحمد محمد وكارين فيروز وجيمس دوغا من وكالة رويترز، وتعايش العالم مع صور المسيرات والمظاهرات وجوالات الغاز السام مع حسن جمالي من وكالة أسوشيتد برس، فيما كان المصورون الهواة في المقابل شركاء في الألم، وفي حراسة أحلام الناس، لا يرقبون مفاتيح الكاميرا بقدر ما يراقبون ساحات

المواجهة، فهم حاضرون في كل موعد، وعند أقرب نقطة من الحقيقة.

قدمت الثورة للبحرين جيلاً جديداً من المصورين الذين انصرفت همتهم لإيجاد صور تنتج موقفاً، تحرض على ممارسة فعل وليس مجرد الإمتاع، صور قوامها الشجاعة والقرب من الحدث، فهي لا تتأنق كثيراً ولا تبالغ إلا في وصف الحقيقة؛ لأن جمالها الاستثنائي يرتهن إلى قدرتها في محاربة النسيان، نسيان الضحايا، ونسيان الانتهاكات، وقدرتها على تطويق هذه المعاناة اليومية وجعلها شهادة إدانة دائمة لمن تركوا ضمائرهم خلف جيوبهم.

كانت فسحة التكنولوجيا أرحب من كل قيود السلطة التي سعت إلى تقييد الممارسة الاعلامية خلال الأحداث، ففضاء التواصل الاجتماعي عبر الشبكة سرق من السلطة كل أمل بالقدرة على احتكار إنتاج المعلومة، فكانت الصورة بيان الناس الأول الذي يعانق هذا الفضاء المفتوح، يروي معاناتهم دون الحاجة إلى لغة، ففي إدراكها لن نحتاج إلا إلى عين ترى وضمير حي.. كانت الصورة تمشي مسافات عبر تويتر والفيس بوك واليوتيوب، تمر من فوق كل نقاط التفتيش التي ضيقت الخناق على الناس في الأرض، دون أن تنال من عزيمتهم في تعرية النظام أمام العالم.. جمع الناس حماقات السلطة في جوالاتهم؛ لتصبح بعدها ألبومات معروضة لكل العابرين في الفضاءات الافتراضية، يقلبونها بأعينهم، ويتفحصونها بقلوبهم، الأمر الذي أكسب الثورة تعاطفاً دولياً على مدى العام 2011.

لم تشأ السلطة أن تغمض عينها طويلاً عن الناشطين في تصوير الأحداث، فقد سعت مبكراً لجعلهم شركاء في العذاب، في السجون، وفي المداهمات التي طالت كل ما له صلة بالاحتجاجات، ولأن الصورة المتهم الأول بالتحريض، عمدت السلطة إلى محاصرتها بكل السبل، وعمد مطبلوها من كتاب الأعمدة والتقارير إلى جعل أبطال الصورة "خونة" و "متآمرين"، حتى المتنورين منهم، سيقلبون المعادلة بذكاء ناقص؛ ليجعلوا من مشهد الألم الذي مر من هناك، مجرد لقطة معدة سلفاً، لكاميرا لا ترى أبعد من فتحة النوايا التي تريد القضاء على مكتسبات الوطن!.

كان شهر مايو الأثقل على ذاكرة المصورين في هذا البلد؛ ففيه كتب العديد من المصورين ذكريات دخولهم إلى السجن والتوقيف، محمد الشيخ وسعيد الضاحي وعلي الكوفي وحسن النشيط وحسن معتوق، وهذا الأخير صدر بحقه حكم بالسجن لثلاث سنوات على خلفية تصويره للاحتجاجات، صادرت الدولة حريات هذه المجموعة وآخرين من

■ مجموعة صور لحسن جمالي
من وكالة اسوشيتد ابريس. <<

الناشطين، كما صادرت الكثير من معداتهم باهظة الثمن، ما يؤكد على أن السلطة قد ضاقت ذرعاً بهذه الصور التي وسعت من حجم الهزيمة السياسية للحل الأمني الذي ركنت إليه، كما باعدت بينها وبين وسائل الإعلام الدولية التي باتت لا تكترث بالرواية الرسمية، بل وتتهكم على طريقة السلطة في نفي الحقائق التي تدعمها وتؤكدها الصور. اليوم ونحن نكمل الطريق باتجاه سنة جديدة، لا يبدو أن السلطة قد تعلمت من خساراتها في هذه المعركة، ولا يبدو أن الشارع سيخفف حصار الصورة عنها، فالضوء وحده كاف لتعرية كل الوعود الكاذبة، وكل النوايا التي جعلت من هذا الوطن سجناً كبيراً، وغرفة تحقيق للنيل من كرامة المواطنين، قبضات من هذا الضوء العابر كانت قادرة على كشف المهلهل من بناء هذه الحكومة التي تصارع من أجل الحفاظ على مكتسبات حقبة الديكتاتورية، لتبقى الصورة الثابتة والسائلة على السواء تطارد تاريخ هذه الكراسي البالية، وتذكر العالم بأن صرح الديمقراطية الذي يتحدثون عنه في إعلامهم الرسمي لا يجد له سنداً بصرياً يعينه ساعة يحأول مغازلة الإعلام الخارجي.

والمحصلة أن الحضور الكثيف للصورة في أحداث الثورة وهب الناس سلطة على إنتاج المعلومة وتدأولها خارج معادلات الإعلام الرسمي، ورسم ملامح تجربة جديدة في مسار التصوير الوثائقي بالبحرين، حيث التصوير الحقوقي حقل يزدهر بمكابدات المصورين وإصرارهم على مقاربة العنف الذي تمارسه السلطة بشكل يومي؛ لتكون بذلك الصورة جزءاً أصيلاً في معادلة النضال الحقوقي الذي لم يعد من اختصاص النخبة، بل بات ميدان كل الناس في هذا البلد الصغير.

■ **الهوامش:**

1 - صورة لتكسير كاميرا إحدى المصورات

http://twitter.com/#!/SAIDYOUSIF/status/146937002120589312/photo/1/large

2 - صورة حسن جمالي من وكالة اسوشيتد برس

http://msnbcmedia.msn.com/j/MSNBC/Components/Slideshows/_production/ss-110216-bahrain-unrest/ss-110315-bahrain-04.ss_full.jpg

3 - مجموعة صور مختلفة، في أغلبها تعود لتغطيات فريق رويترز

http://totallycoolpix.com/2011/02/the-bahrain-protests






1 2 3





# أيقونة الصورة



■ زينب الخواجة تعترض قوات القمع من التقدم لقمع المتظاهرين السلميين

الرجل الذي وقف في وجه الدبابات أثناء المظاهرات المطالبة بالديمقراطية التي شهدتها الصين منتصف عام 1989 وصفوه بأنه أشجع رجل.. وقف معترضاً طريقها لتقف معه على مدى التاريخ كل الإرادات الساعية للتغيير، فقد شكلت صورته بفرادتها حالة أيقونية تضخمت معها صورة الرجل المجهول، الذي غاب بعد هذا المشهد ولم نعلم عن سيرته شيئا.

انتهت الواقعة التي استطاع عدد من مصوري الوكالات التقاطها من غرف الفنادق المحيطة بالمكان ولم تنته سلطتها على ذاكرة الصورة في توظيفاتها السياسية، قد لا يملك الجيل الشاب في الصين ذكرى مشتركة مع هذا الحدث، لكنها - أي الصورة - قادرة على التمرئي في كل مرة تخرج فيه للعلن، في كل مرة تغادر فيه الارشيف تهبها التوظيفات أنماطاً مغايرة في الحضور.

وبرغم التباعد الزمني، تجتاز بنا الذاكرة كل تلك المسافة ونحن نطالع تلك المفارقات والمشتركات بين الحضور الهادر لهذه الفتاة في مواجهة سرب الأمن الراكب والراجل، وبين ذلك الرجل الثائر الذي حملته الصورة في لحظة هدوء وسكينة وهو يترك شهادته الأخيرة للتاريخ.. هذه المقاربة لا تضع كل ثقتها في الصورة، ولا عين المصور، ولكنها تتكئ على القوة التي يمنحها التكوين والتأطير والتوقيت لهذا المشهد الذي يهبنا القدرة على سماع الأصوات فهي جزء من الأثر الذي تخلده الصورة في إيحاءاتها. لن نرى في مشهد

الرجل الثائر إياه أثراً للعسكر، ولا حركة في محيط الحدث، غير أن كل تلك الأشياء غير الموجودة تجعلنا نرمم ذاكرة الصورة المفقودة في أذهاننا، نخترع سياقاً يحفظ للحدث قيمته، ودلالته، فنبدأ بالبحث في حدود الاحتجاجات التي عمت ساحة تيانانمن، ومطالعة أفعال العسكر في تلك الحقبة وما تلاها... الأمر مختلف، لكنه متشابه في آن، فثراء الصورة الأولى في فقرها، بينما الصورة الثانية تستند إلى قوة التفاصيل ووفرتها (الأحذية المتناثرة في مقدمة الصورة وعبوات الغاز الملقاة، ووضعية التصويب...) ثمة إحالات صريحة ومباشرة في صورة الفتاة تساهم في تثبيت دلالات الصورة، خاصة في لحظة التلقي الحاضرة والتي تمثل حال تماس مع الحدث مباشرة بخلاف الصورة/ الوثيقة التي تذهب عميقاً في دفاتر الذاكرة.

بتعابير أهل الصورة، كلا الصورتين يحتمل الطبيعة الأيقونية التي تمنح الصورة خلوداً وامتداداً في الحياة، لا لأنها واقع لا يتكرر، وإنما لأنها حدثت وأحدثت حولها خطاباً أو ممارسة أو نمطاً من التوظيف الذي يضمن لها ديمومة الحياة، وأعتقد أن هذه المرأة لو أنصفها الوقت لكانت النظير لذلك الرجل، ولحملت وصف أشجع امرأة، فليس بالضرورة أن تسقط حكومة، لكن يكفيها أن تسقط صوراً أخرى كانت أكثر تسلطاً على أذهان الناس، صورة المرأة، وصورة القوة التي تمثلها الشرطة، وصورة المصورين الشجعان في هذا البلد.


انتهى الدرس..
لموا الكراريس



الذي أفرطوا في ممازحة الناس بألوان شتى من عبوات الغاز يمارسون تعبئة مختلفة للذاكرة، كلما أفرغت عبوة مخزونها من الغاز امتلأت ذاكرة الناس بسرديات طويلة عن وطن هش، يحأول تنضيد هويته عبر خنق الهواء، ومطاردة كل ذرة فيه تفكر بسذاجة في الانعتاق من سطوة الأمن.

خلف كل غيمة من غاز يصبح شكل الوطن مبهماً، ماضيه متروك للتنازع، وحاضره ذاكرة تعيسه، فيما المستقبل عصي على التأويل، سيشق على الناس في جولات الغاز أن تنسى خوفها من المستقبل؛ لذلك يضيع مجهود الغاز الذي تريد أن تجعل منه السلطة برهان القوة حين يصبح خيار الغارقين في مسيلات الدموع أن يصارعوها بلا هوادة، وأن يصبح هذا الترهيب مشروعاً دائماً لتدريب الذاكرة على عدم النسيان.

هذا الشاب الذي يحتمي بقطعة "الشينكو" في مواجهة مد الغاز يعلم تماماً أن لا حائل بينه وبين الاستنشاق، لكنه يفضل أن يعيش إحساس الصمود على أن يغادر مسرعاً في أول الجولة، ستخترق أنفاسه عما قريب تراكيب كيمائية لا عهد له بها، لكنه على يقين أنها ستمضي، وأن صورة ستمر من هنا ستدفع باتجاه ديمومة الإدانة لهذه الألعاب الغازية التي مازلت تؤكد على أن الوطن معنى مؤجل هناك.

هناك يضع "الشينكو" حداً فاصلاً بين الأزمنة، وبين الإرادات، يعيد تذكيرنا بهشاشة المسافة التي تفصلنا عن حزمة الوعود التي مرت مع بسيوني، وأن على الذين انتظروا طويلاً ليقرؤوا على يد بسيوني فصولاً من الحقيقة، عليهم أن يعملوا الآن بقول صلاح جاهين (الدرس انتهى..لموا الكراريس).

(1) الشينكو: تصنع من المعدن أو من الفايبر وتستخدم لصنع أسقف المظلات الخارجية غالبا.



# حذاء موزة



حذاء موزة (انظر لوحة الإعلان في الصورة).. صامت لا ينعش الذاكرة، بينما الأحذية المتروكة على طرف الرصيف تبدو برهاناً على حدوث شيء، تبدو شاهد عيان على أن هذه البقعة كانت مأهولة قبل حين، هذا الفرض هو عينه ما يأخذنا إلى اكتشاف الدخان الكثيف الذي يحيط بالمكان، إلى بذل جهد ذهني لربط هذا الحضور الغامض لأحذية مختلفة هي الباقي من آثار أناس مروا من هنا، وبين دخان يتوزع المكان، ولا إشارة إلى طبيعته ولا مصدره.

حذاء موزة يتوسل عمود الإنارة ليبرز في صدر المكان، فهو على طريقة الإعلانات يطمع في عيون تلمح الأشياء المعلقة، فتسجل في ذاكرتها صورة بها الكثير من الإيحاءات، حذاء يشبه الهدايا، ويشبه الطفولة كما يشبه الأحلام... لكن أحذية العابرين أكثر التصاقا بالأرض، وأكثر استعدادا لمواجهة الدخان.. النظر إليها كتاريخ يستلزم القبول بأي تأويل كان، تأويل يساعدنا في إدخال هذه الصورة ضمن سياق حدث ما..طوعاً أو كرهاً، ستروي الصورة شهادتها على الناظرين إليها، لكنها بحاجة إلى سنادات سردية لإماطة اللثام عن سيرتها.

إعلان موزة امتداد لصناعة الزيف، إذا أردنا به إعادة تكييف الحقائق لتناسب رغبة دعائية، فوظيفة الدعاية الخداع، أي أن تبدل دلالة مكان دلالة أخرى فتحدث ما يؤثر في أحاسيس الناظر إليها، ولهذا يملك حذاء موزة أن يطير في السماء، بينما لا تملك

الأحذية المنسية أن تغادر المكان، كأنها رد فعل على انتشار الدخان؛ لتبقي تصوراتنا ضمن حدود المواجهة المحتملة، بين عابرين وبين مصدّري دخان تواروا عن الصورة.

الأحذية في الصورة هي السؤال المؤجل عن مصير أولئك الذين أفرغوا المكان للدخان، وهو الذي سيمد زمن الصورة بالمدد؛ لتصبح كل مطالعة فيها تكوينا لذكرى جديدة، تجعل من المستقبل محطة لتساؤلاتها، تساؤلات عن مستقبل الرصيف، الأحذية والعابرين.

الصورة لجميس دوغا مصور وكالة رويترز للأنباء، وقد ذيل الصورة بهذا التعليق ليستحضر منطوق الصورة من ذاكرته: أحذية تركها أولئك الذين فروا من الشارع بعد إطلاق قوات الأمن البحرينية للغاز المسيل الدموع ضد المتظاهرين المناهضين للحكومة بعد أن انطلقوا من مجمع السلمانية باتجاه ساحة اللؤلؤة في 19 فبراير.





# الفصل الثامن
# تجارب السجن



# أحمد الديري

## مدير منتديات الدير في الحلقة الأولى من شهادته:
## هكذا خَفَتَ صوت زكريا العشيري إلى الأبد

**لم يكن اعتقاله أكثر من ثلاثة أشهر (1 نيسان/أبريل - 2 تموز/يوليو)، لكنها كانت أكثر من عمر. الساعة تمر مثل جبل سنة، والألم يضعنا تحت دكة هذا الجبل مباشرة. شهادته تكشف جانباً مما تعرض له المدونون من انتهاكات، والذي راح زكريا العشيري أحد ضحاياها. إنه المدون أحمد الديري (44 سنة)، مدير منتدى الدير.**

ستبقى آذاننا تألف ما يتكرر سماعه، البشاعة قد يخف امتعاضنا منها مع تكرر سماعنا لها، لكن لن يألف أحدنا أن يعيش هذه البشاعة مهما ألفتها أذنه، ستبقى تُمعضنا مهما تكرر حدوثها. منذ 16 آذار/مارس، يتكرر ما يتعرض له الناس من إهانة وإذلال وانتهاك وتعذيب، التكرار يجعل بعضه مستهلكاً كحديث، لكنه ليس كذلك أبداً لمن يقع عليه، سيعيشه كل منا وكأنه يحدث للمرة الأولى.

## ■ لقد دخلوا..

اعتادت آذانكم أن تسمع عن مداهمات الفجر، لم تعد جديدة، لكني قمت مفزوعاً الساعة الثالثة من فجر أول نيسان/أبريل الماضي، على أصوات قوية جداً، هرعت ناحية باب غرفتي، كان ابني الأصغر وصل عندها ليصيح برعب: «أبي أبي لقد دخلوا بيتنا».

خمس ثوانٍ كانت كافية ليقتحم الملثمون البيت ويحطموا ويعيثوا ويروعوا وينتشروا في كل مكان فيه. لا أتذكر عدد القوات التي اقتحمت، لكن جميعهم كانوا مدججين بالسلاح وملثمين، عدا قائدهم، يرتدي ثياباً مدنية ومكشوف الوجه.

صرت مع ولديّ حمزة وعلي قبال رجال الأمن في الطابق العلوي، أمروهما أن يقابلا الجدار ويرفعا أيديهما. سألني قائدهم: «أين الكمبيوتر؟»، أخذته إلى مكتبي، أمرني أن أضع كلمة السر، فعلت، انكشف أمامه الجهاز ومحتوياته وآخر ما تصفحته، تنقل بين المواقع المفتوحة عن طريق تحريك (TAB). التفت لي: «أنت تدخل الكثير من المنتديات». لم يكن الأمر سراً. لم أجب. سألته: «هل أنا متهم بشيء؟» رد بزجرة: «وهل تجدني هنا أمزح معك؟».

قاموا بالتفتيش، كلما رأوا (تربة حسينية) ألقوها على الجدار وكسروها، استولوا على جميع أجهزة الحاسوب والهواتف المحمولة، كذلك على مبلغ من المال.

سأل قائدهم ولدي حمزة: «أين تعمل؟» أجاب: «طالب في جامعة البحرين». قال: «مؤكد شاركت في أعمال العنف بالجامعة». التفت إلى الجنود وأمرهم بأخذه. الأمر نفسه مع ولدي علي. أمرني أيضاً بالنزول، استأذنته أن ألبس، سمح لي بثوب فقط. قاموا بتقييد ولديّ وعصبوا عيونهما، أخذوهما في سيارة أخرى. علمت بعد الإفراج عني أنهم ضربوهما أثناء القبض عليهما.

في فناء البيت، بعد تقييدي وتغطية عينيّ، طلبوا مني ترديد شعارات تمجد النظام. أمسك قائدهم بيدي وأدخلني السيارة، وسمعته يهاتف رئيسه قائلاً: «سيدي، استلمنا الهدف».

## ■ منتدى الدير..

وصلنا إلى مكان، اتضح لاحقاً أنه مبنى التحقيقات الجنائية بالعدلية، بعد تحقيق قصير وتهديد، تركوني في أحد المكاتب حتى الظهر، نقلت لمكتب آخر، ليبدأ تحقيق آخر وعيوني معصبة، معظم الأسئلة عن منتدى الدير. أجبروني أن أخبرهم بالاسم الذي أدخل به للمنتدى وكلمة السر، وطلبوا مني أن أخبرهم بكيفية غلقه، ففعلت. سألوني بعدها عن (أبو راشد)، وهو الاسم الذي يدخل به الشهيد زكريا راشد العشيري للمنتدى، وهو المشرف الجديد على منتدى شؤون القرية، والمشرف على الفرع المخصص لأحداث البحرين المسمى (انتفاضة 14 فبراير)، أخبرتهم بأنه زكريا العشيري، كنا نعمل في الضوء، لم نمارس عملاً ممنوعاً أو سرياً. سألوني عمن يساعدني في إدارة المنتدى ولديه جميع صلاحياتي، أخبرتهم أنه مرتضى مطر. كان السب والشتم هو لغة السؤال والكلام، طعن في الشرف والمذهب. وقعت على محضر أقوال قبل أن يعيدوني للمكتب الأول. بعد ساعات، دخل أحدهم حانقاً: «ماذا تريد أكثر مما لديك؟ هل تعلم أن أكثر من نصف السنة في البلاد لا يستطيعون السكن في بيت مثل البيت الذي لديك؟»، وبدأ تحقيق ثالث، حول منتدى الدير والذهاب للدوار. وقّعت على محضر لا أعلم محتواه، كنت معصب العينين.

استدعاني صباح السبت محقق آخر، الأسئلة نفسها، سألته عن مصير ولديّ، قال: «أفرجنا عنهما ليقوما برعاية أمهما»، لم أصدق، لم أعلم عنهما أي شيء لغاية يوم 13 حزيران/يونيو 2011.

في المكتب، شعرت بوجود شخص آخر، حأولت التحدث إليه، فدخل عليّ أحدهم مهدداً: «إن سمعتك تنطق حرفاً سأريك ماذا أفعل بك، لا تظن أن وصولك لهذا السن سيمنعني من ضربك، أنا لا أفرق بين أن يكون الشخص عمره ست أو ستين سنة!».

## ■ الضرب أولاً..

فجر الأحد، سمعت صوت مرتضى مطر يدخل الغرفة نفسها، صديقي المسئول عن الأمور الفنية بالمنتدى، ثم صوت الشهيد زكريا العشيري. نادى أحدهم باسمي، شعرت من طريقة كلامه ومسكه لي أن الأمر سيتجه للأسوأ الآن، لم يكن حدسي كاذباً، أخذني لتحقيق جديد، كان قائد المجموعة التي قامت باعتقالي هو المحقق، معه آخران، فكان يسألني، وقبل أن أتمكن من الإجابة يقومان بضربي. ثم قال: لا تعتقد أني طيب مثل

الآخرين الذين أخذوا إفادتك، لابد أن تعترف لي بكل شيء.

سألني: من قام بإنشاء القسم الخاص بـ 14 فبراير؟

أجبت: أنا ومرتضى.

المحقق: من بالضبط؟

أنا: أنا قمت بذلك.

المحقق: من قام بتصميم البنر الموجود في واجهة المنتدى؟

أنا: أنا ومرتضى.

المحقق: من بالضبط؟

أنا: أنا قمت بذلك.

المحقق: لماذا قمت بذلك؟

أنا: لم نقم بذلك إلا بعد أن ظهر سمو ولي العهد وأعلن السماح بالتظاهر.

المحقق: لا تقم بتوسيخ اسم ولي العهد بلسانك.

ثم أضاف: «ألم يوفر لكم الملك كل ما تريدون وتطلبون، تريدون أن تعملوا مثل التونسيين والمصريين، زين العابدين منع التونسيين من الصلاة لمدة أربعين سنة، ومبارك أوصل شعبه لحالة من الفقر المدقع، أنتم ماذا تريدون أكثر مما لديكم؟ ثم قال: هل تريدون أن ترجع أيام الشيخ عيسى أو الحرية التي وفرها لكم بو سلمان؟»

فأجبته: «الله يخلي أبو سلمان».

فقال: «لأنك قلت الله يخلي بو سلمان سأتركك، ليس من أجلك، ولكن لأنك ذكرت اسم بو سلمان»، حينها فقط توقفوا عن الضرب والركل والرفس على كل مكان بجسمي الذي استمر حوالي 10 دقائق. أخذوني لأحد المكاتب حيث طلبوا مني التوقيع على أوراق لا أعرف محتواها.

## ■ مريض بالانزلاق الغضروفي (الديسك)..

بقيت في هذا المكتب حتى ليل الثلاثاء الخامس من نيسان/أبريل 2011، حوالي الساعة العاشرة مساءً. أخذونا نحن الأربعة، زعموا أنهم قرروا الإفراج عنا، كانت أعيننا معصبة، وضعوا القيود الحديدية في أيدينا، أركبونا حافلةً. استلمتنا مجموعة من الشرطة، طلبوا منا أن نخلع جميع ملابسنا ونرجع نلبسها وأن نقف ونجلس ثلاث مرات. قيدوا أيدينا من الخلف، طلبوا منا أن نجلس مقابلين الجدار. بقينا ساعات طويلة، شعرت بالتعب والانهيار، لم أعد أتحمل وجود القيد في يدي، أخذت أنادي: لو سمحت..

لو سمحت، لا أحد يجيب، بقيت أنادي طويلاً حتى جاء الشرطي الباكستاني بحنق: «شنو تبي؟»، قلت: «لا أستطيع تحمل الوضع». كان رده علي معاقبتي بالوقوف مقابل الجدار، وانصرف. شعرت بانهيار، عدت أنادي، لا أحد يجيب.

رحت أنادي رفاقي الثلاثة، الذين أعتقد بأنهم كانوا معي بنفس المكان: «أبو راشد، مرتضى، حسن، هل ستتركوني أموت أمامكم؟ تكلموا، قولوا لهم بأني مريض بالديسك ولا أتحمل وجود القيود ويديّ للخلف وواقف مقابلاً للجدار». لا أحد يجيب، أشعر بوجودهم، أسمع أنينهم، أحس بحركتهم، لكن لا أحد يجيب.

رجعت أنادي، بعدها لا أدري ماذا حصل، كان قد أغمي عليّ، وجدت نفسي ملقى على ظهري، القيد الحديدي صار بين السيراميك وعمودي الفقري، ألم فظيع لا يمكنني احتماله، أي حركة أقوم بها ستسبب احتكاك الحديد بعمودي الفقري، بالتأكيد أنا لا أستطيع أن أتحمل هذا الوضع دقيقة أخرى. صرت أردد الشهادتين، وأفكر في ابنيّ اللذين لا أعرف ماذا يواجههما: هل يتعرضون لما أتعرض له أنا حالياً؟ هل يئنون؟ هل يصرخون؟

## ■ وجبات الضرب..

عدت أنادي الشرطي: «لو سمحت، لو سمحت». الشرطي الحانق: «شنو تبي؟» قلت: «أجلسني، سأموت». قال: «ستموت؟ فلتمت»، ومضى. عدت أنادي رفاقي: «زكريا، مرتضى، حسن». لا أحد يجيب. الحديد يأكل في عظامي. لم يعد لديّ شك بأني ميت لا محالة. بقيت هكذا حتى الساعة السابعة صباحاً، عرفت ذلك من وجبة الإفطار التي وصلت. الشرطي إياه قبل أن تنتهي فترة منأوبته جاء نحوي، وصار يحركني برجليه، وأنا في عجز الألم، إلى أن استطعت الجلوس.

فكوا القيد عن أيدينا لنأكل دون نزع العصابة عن أعيننا، في اللحظة نفسها بدأنا نسمع الضرب والصراخ في غرف ملاصقة. شعرت بغصة لم تمكني من تناول الطعام الذي لا أعرف ما هو. شربت قليلاً من الشاي فقط. خمس دقائق فقط وأعادوا القيود، وصوت الضرب والصراخ لا زال متواصلاً في الغرف الملاصقة. في اللحظة نفسها كان الباب يفتح، خطوات الكائن المرعب تتجه نحوي، هذا ما أشعر به، تقترب أكثر، كنت مقابلاً الجدار، جاء هذا الجلاد، وضع لحيته على كتفي الأيمن، ناداني بصوت خافت جداً، وكأنه يقول لي سراً: «شحوالك؟» مسكني من ثوبي، أوقفني، أول ضربة كانت على ظهري، صرت أترنح يميناً ويساراً، بعدها جلست. هذا السيناريو صار يتكرر كل خمس أو عشر

دقائق تقريباً. يتكرر كما هو تماماً، باستثناء تغيير شيء واحد؛ مكان الضرب. لم يبق مكان في جسمي لم يحصل على نصيب وافر من الضرب. التوقف عن الضرب أثناء وجبتي الغداء والعشاء فقط، دقائق ويستأنفون الضرب. كلما سمعت فتح الباب، قلت إنهم قادمون لي. يصدق حدسي دائماً.

## ■ شنو تبي أكثر..

الآن أسمع أحد الجلادين يسأل أحد زملائي الثلاثة: «شنو تشتغل؟».

توقعت أن يكون الجواب من الشهيد زكريا: في شركة الملاحة العربية، أو من صديقي مرتضى: في شركة آي تي، أو من حسن الخرسي. لكن الجواب جاء مختلفاً، والصوت لم أتعرف عليه. قال: «أنا دكتور أسنان». الجلاد: «كم معاشك؟»، أجاب: «1600 دينار». الجلاد: «شنو تبي أكثر؟، ليش ما تعالج المرضى السنة في السلمانية؟»، قام بضربه. كان ذلك الدكتور غسان ضيف.

أتى نحوي: «شنو تشتغل؟»، أجبت: «أنا متقاعد». قال: «عندك بيت من الإسكان؟»، أجبت: «نعم»، قال: «شنو تبي أكثر؟ إيران بيعطونك أكثر من البحرين؟»، ثم قام بضربي بكل ما أوتي من قوة على وجهي، شعرت بالانهيار. استمر الوضع طوال اليوم. كل خمس أو عشر دقائق تقريباً يأتون ليضربونا.

## ■ قص.. قص..

بعد الظهر، أتى أحدهم وطلب مني أن أقف، أمسكني من ثوبي، سرنا في ممر، الركلات تأتي من كل من يمر بي، نصل إلى غرفة، مباشرة يصيح قائدهم: «جيبه جيبه قص... قص... (يقصد العضو الذكري)». خلعوا عني ملابسي، باستثناء القطعة الوحيدة للباس الداخلي. أحدهم يمسك بالمكان الذي يهددوني بقطعه. أجلسوني على كرسي، به فتحة عند مكان الجلوس، هل يمكن أن يكون الأمر حقيقة؟ هذا الكرسي مهيأ لهذا بالفعل. صاح بي: «تريدون أن تضعوا السنكيس رئيساً للوزراء؟»، لم يمهلني لأجيب، أضاف بلغة هابطة: «واحد بنغالي اغتصب السنكيس على هذا السرير، انظر للسرير، اغتصبه ثلاث مرات، ولدينا الصور إن أردت أن تراها». ثم قال: «هنا يوجد كرسيان؛ الكرسي الذي تجلس عليه الآن، وهو المخصص لقطع العضو الذكري، أما الكرسي الثاني فهو للاعتراف، اختر أي كرسي تحب الجلوس عليه»، أجبت: «أريد الجلوس على الكرسي الآخر». نقلوني ثم سألني: «ليش تسوي مظاهرات؟»، الأغبياء لا يعرفون تهمتي. قلت:

«أنا غير متهم بالتظاهر»، قال: «شنو تهمتك؟»، أجبت: «الإنترنت»، قال: «عليك أن تعترف الآن بمن يعملون معك في الإنترنت أو سنعيدك للكرسي الثاني». أعطيته أسماء المشاركين في المنتدى: الشيخ حمزة الديري، علي راشد العشيري، محمد حسن عباس، الدكتور محمد عباس. طلبوا مني أن أوقع على ورقة. ثم قال: «سأخلع العصابة عن عينيك، لكن ظل مغمض العينين، إن فتحت إحداهما سأقوم بقلعها»، قاموا بحلق رأسي ولحيتي. أعادوني للمكان ذاته، وعادوا لاستئناف الضرب كل عدة دقائق. بقينا هكذا حتى منتصف ليل 6 نيسان/أبريل 2011.

### ■ أتوسد حذائي..

الآن توقفوا عن الضرب، مع أيدينا المقيدة من الخلف وعصابة أعيننا، أمرونا أن ننام، لم أستطع النوم على السيراميك، حأولت الاستلقاء على جانبي، لم أتحمل أكثر من دقائق، الجلوس ينهكني وأنا بحاجة للنوم، ولا أستطيع النوم بالوضع الذي أنا به. لم يكن مسموحاً لنا بالصلاة، فكنت أصلي بالإيماء وبدون وضوء، منذ أكثر من 17 عاماً لا أترك قراءة سورة الواقعة في كل ليلة، والحمد لله بأني لم أنس قراءتها في هذه الأجواء، كنت واثقاً بأن الله سيتقبل مني الصلاة بالطريقة التي أؤديها. لم أستطع النوم تلك الليلة ولا لدقيقة واحدة.

وهكذا، يأتي يوم جديد طويل ومؤلم. السيناريو نفسه، بواقع فترة أطول بين وجبة الضرب والوجبة التي تليها. صار ممنوعاً علينا مناداة الشرطة بـ (لو سمحت). لابد أن تنادي عليهم (سِيدِي). مهما كانت رتبة هذا الشرطي، فهو السيد، وهو الحاكم، وهو الآمر الناهي هنا.

اليوم الخميس، السابع من نسيان/أبريل 2011، سمحوا لنا أن نستند للجدار. الشرطي الذي يأخذك لدورة المياه ويرجعك مرة أخرى هو من يختار مكانك الذي لا يجوز لك تغييره. أحد المعتقلين كان مريضاً، معتقلاً قبلي بأيام، منوا عليه أن أعطوه مرقداً (مرتبة) بسيطاً، لا زلت لا أعلم من معي، لكني استطعت أن أعرف بأن أحدهم ينام على مرقد. لم أعد أستطيع أن أتوسد حذائي كما كنت أفعل في التحقيقات بالعدلية، بسبب ضرب الأمس فقدت حذائي، حصل مع كثيرين. حأولت أن أتسلل لأصل عند رجلي صاحب المرقد، وأضع رأسي على مرقده ولو هنيئة. لكني دفعت ثمن تلك المغامرة غالياً. لحظات وتأتيني الركلات والرفسات المتتالية، وصراخ: «قوم يا... يا...»، عليك أن تضع أي كلمة من كلمات الشتم والسب. بقيت على هذا الحال حتى السبت.

## ■ يوم زكريا..

ظهر الخميس، دخل أحدهم وجاء لي، أخذ يفرك بقوة وبشكل دائري على رجلي اليمنى بحذائه الحديدي، شعرت أنه سيغمى عليّ من شدة الألم، نزفت رجلي دماً وانكسر ظفر واحدة من أصابعي، ثم قام بضربي على فخذي الأيمن بقوة بالحذاء نفسه، بقي أثر الضربة لأيام. لم نعد نعرف الأيام، ولا الأوقات، لا نعرف غير وجبات الضرب، أكرر عليهم بأني مريض بالسكري، دون فائدة.

صباح السبت الكئيب، كنت أسمع ضرب أحدهم في زنزانة قريبة، استطعت أن أميز أنه كان ضرباً مبرحاً بخرطوم ماء (هوز)، كلما ضُرب هذا الشخص كان يرد بصوت مرتفع جداً: الحمد لله. إنه صوت صديقي زكريا. لماذا يستفزهم؟ كنت أحدث نفسي، فليسكت عنهم كي يكفوا عنه. بقي الصوتان طويلاً حتى خفتا، صوت الضرب، وصوت زكريا. لم أكن أعرف أن هذا الخفوت، هو خفوت صوت زكريا الأخير.

ظهراً، أدخلوني زنزانة أخرى، أحدهم برتبة ثلاثة خيوط، فك أيدينا وأعيننا، كنا ستة. أعطانا مراقد ومخدات ولحافاً عتيقاً مصفراً. أخبرنا أنه لا يجوز لنا الحديث لبعضنا البعض، وأنه عند مخالفة أحدنا سيعاقب الجميع بعودة القيود والعصابة.

كنت أسأل صديقي مرتضى الذي كان معي في نفس الزنزانة عن الشهيد زكريا رحمه الله، يقول ربما وضعوه في زنزانة أخرى. وهو الأمر الذي اتفقت معه بشأنه. ربما كان 20 نيسان/أبريل، حين أدخل علينا شاب جديد، كنا في لهفة لنعرف ما يحدث خارجاً، ولا توجد فرصة أفضل من مجيء معتقل جديد ليخبرنا. كان خليل يخبرنا أن الاحتجاجات لازالت متواصلة، والناس ليس في نيتها السكوت. سألته: هل يوجد شهداء؟ خليل: نعم، في الأيام الأخيرة استشهد اثنان، واحد من السهلة والثاني من الدير. سألته بقلق: من استشهد من الدير؟ كانت صورة حمزة وعلي أمام عيني، لم أستطع تحمل انتظار الثواني لأسمع بقية الخبر. خليل: هو شخص في الأربعين من العمر، لكن لا أتذكر اسمه. ألححت عليه ليتذكر أي شيء بخصوص شهيد الدير، فقال: هو من عائلة العشيري، ولعل اسمه زكريا. كانت فاجعتنا.

## ■ ولداي..

بتاريخ 13 حزيران/يونيو 2011 كانت الجلسة الثانية لمحاكمة الأطباء، وفيها تم توزيعهم إلى مجموعتين؛ مجموعة الجنح ومجموعة الجنايات، وفي نفس اليوم سُمح لنا

بالاتصال بأهالينا. اتصلت بأهلي للمرة الأولى، علمت أن ولديّ لم يفرج عنهما. بتاريخ 14 حزيران/يونيو كانت الزيارة الأولى لي مع الأهل.

كانت الصدفة التي أراحت قلبي، هي رؤيتي لابني حمزة بتاريخ 20 حزيران/يونيو تقريباً، التقيته في طريقي لعيادة الأسنان بالقلعة، في موعد لمتابعة علاج الطاحنة اليمنى العلوية التي سببت لي الكثير من الألم في الأيام الماضية. اللقاء لم يتجأوز عشر ثوانٍ. لكن بتاريخ 24 حزيران/يونيو، رتب لي لقاء مع ولديّ، استمر حوالي نصف ساعة.

تم تقديمي للمحاكمة بتاريخ 28 حزيران/يونيو، معي كل من مرتضى مطر، وحسن الخرسي. الشهيد العشيري كان مطلوباً في القضية نفسها. الجلسة لم تستغرق أكثر من خمس دقائق، لم تتمكن المحامية من الحصول على أكثر من دقيقة واحدة للترافع، التمست أن يتم إخلاء سبيلنا بأي كفالة تقررها المحكمة. القاضي لم يستجب، قرر تأجيل المحاكمة إلى 14 تموز/يوليو 2011. عدنا للحوض الجاف، كان قد تم الإفراج عن الطاقم الطبي المتهم بالجنح. بقيت كذلك حتى 2 تموز/يوليو، حيث تم الإفراج عني ومعي ولداي.



# دبلوماسي بحريني في مكان تحت الشمس

## كلفة البوح الصعب: غرّدتَ فأسمعتَ فسُجنتَ!

**حين أُخطر في عمله إلى حضور لقاء مع رئيس الشئون الإدارية منتصف أبريل/ نيسان 2011، لم يكن يخطر في بال الدبلوماسي البحريني (س. ص)، وهو اسم مستعار اخترناه له لنشر مذكراته نظراً لحساسية موقعه، أن ينتهي به الحال إلى إحدى الغرف الصغيرة المظلمة في واحد من السجون البحرينية. ولم يكن يصدق بالذات، أن بضع تغريدات ناقدة مغلّفة بلغة بيئته الدبلوماسية على «تويتر»، ستضع تاريخه المهني في خبر كان.**



حين كان المسئول الإداري يردد أمامه «لن نقول عفا الله عن ما سلف»، كان هو يغرق في الذهول، كما لو كان المعني شخصاً آخر غيره. كلمات الوعيد الحادة القوية التي بدت لحظتئذ من قبيل «الزجر» لشخص لم يستطع التعرف إليه جيدا، حتى وإن كان هو نفسه، سرعان ما ستجد ترجمتها الفعلية حين اقتحم ضابطان مكتبه بعد أيام فيما كان يقوم بمهماته اليومية المعتادة. لم ينبسا ببنت شفة، بل باشرا تجريده من مقتنياته، ساعاته وخواتمه ليبدأ منذ الآن، رحلة طويلة من العذاب، سيتعرف فيها على نفسه جيدا، والعالم، مثلما يتعرف على الآخرين. لم لا نستمع له يروي قصته بنفسه:

إن الحديث عن قوة الإعلام الاجتماعي هو حديث ذو شجون! وتلك القوة التي يملكها هذا الإعلام تمكنك من الترويج للأفكار أو الدفاع عن القضايا. وبقدر ما يتمتع به الإعلام الاجتماعي من قوة في الترويج عن الأفكار والقضايا بقدر ما قد يتحول إلى أداة خطيرة قد تزج بك خلف القضبان.

لقد كنت مفتتنا بالإعلام الاجتماعي حيث أتاح لي فرصة عظيمة للمعرفة وتبادل الأفكار ولكني لم أكن أتخيل أن بضع كلمات في تويتر سترميني خلف القضبان! لقد كنت أستخدم تويتر بصورة متقطعة في متابعة الأخبار أو تغريد بعض الاقتباسات ولكن زاد شغفي به في زمن الثورات العربية.

لقد كنت متأثرا ومتعاطفا مع ثورتي تونس ومصر ووجدت فيهما إلهاما ونصرا لإرادة الشعب العربي! ولكن عندما وقعت أحداث 14 أبريل/ نيسان تألمت لسقوط الضحايا من

المدنيين واشتدت تغريداتي مرارة!

عندما وقعت أحداث 14 فبراير/ شباط كنت أحيا حياة وادعة، وكنت بعيدا عن الناس! لقد كنت متأثرا ومتعاطفا مع الناس على المستوى الالكتروني فقط! فقد كنت أتابع تلك الأحداث من وراء شاشة الكمبيوتر، وأتفاعل مع الأحداث عبر تويتر، وفجأة وجدت نفسي في بطن المحنة، هناك في المعتقلات مع هؤلاء الذين كانوا يتقدمون المسيرات ومع أولئك الذين كانوا في الخطوط الأمامية للأحداث، وإذ بي أُصبح شاهدا وشهيدا بين ليلة وضحاها.

وهكذا بسبب بضع كلمات في تويتر تم اعتقالي واحتجازي لفترة 66 يوما كنت فيها «ضيف شرف» في سجون النعيم والحوض الجاف والحورة.

إن كل ما كتبته في تويتر وكان سببا في زجي خلف القضبان كل هذه الفترة كان بضعة تغريدات تضمنت نقدا للمقاربة الأمنية التي أعقبت أحداث 14 فبراير/ شباط وتأكيدا على أهمية انتهاج الحلول السياسية لعلاج الوضع.

كما تضمنت تغريدات أخرى كتبتها انتقادا لغياب التغطية المهنية والمتوازنة في الصحافة المحلية والتلفزيون للأحداث، حيث كنت أؤكد على أهمية أن يكرس أصحاب الرأي في الصحافة المحلية أقلامهم لدعم الوحدة الوطنية، وأن يتحاشى التلفزيون ما يثير الأحقاد في تلك الأجواء المتوترة. وهكذا تضمنت تغريداتي نقدا للاستقطاب الطائفي الذي تعمق بعد الأحداث وكيف راحت الطائفية تعبث في العقول بحيث غدت العقبة الكأداء التي تحول دون الإصلاح والتغيير!

ما كنت أؤكد عليه في تغريداتي هو أن مطالبات البحرينيين هي في الأساس مطالبات ثقافية واجتماعية، وأن التحدي الذي تواجهه البحرين هو تحدٍّ ديموقراطي ولهذا كان من الضرورة إبعاد تلك المطالبات التي تتمثل في الحصول على المزيد من العدالة الاجتماعية والاقتصادية والمسأواة والحرية عن العداء المذهبي.

كانت هناك تغريدات أخرى كتبتها في تويتر ساهمت بدورها في سجني تضمنت نعيا للحوار الذي مات في رحم أمه قبل أن يرى النور، كما تضمنت نعيا للإنسانية التي فقدت حيث غاب التضامن والتعاطف بين البحرينيين في وقت الأزمة وتعالت تلك الأصوات القاسية التي تطالب بالانتقام والإقصاء!

ذلك النقد البريء العابر الذي كتبته حول المقاربة الأمنية وأهمية إحياء الحوار وانتهاج الحلول السياسية جعل مني خصما، وكانت نهايتي خلف القضبان!

## ■ لجنة تحقيق واعتقال

بدأت القصة في منتصف أبريل / نيسان 2011، في ذروة وضع السلامة الوطنية الذي كانت تمر به البلاد، عندما تم استدعائي في العمل دون سابق إنذار من قبل رئيس الشئون الإدارية إلى مكتبه، وعندما دخلت وجلست قال لي: «أنت هنا أمام لجنة تحقيق تم تشكيلها بناء على تعليمات القيادة السياسية للتحقيق في الأحداث!». تحدث ذلك المسئول بصفته رئيس تلك اللجنة، وكان في مكتبه أعضاء اللجنة وهم مسئول الموارد البشرية ومسئول الشؤون القانونية ومقرر اللجنة.

وأضاف رئيس اللجنة قائلا: «إن كل من يثبت تورطه في الأحداث الماضية سوف يعاقب»، مستشهدا بالعبارة «لن نقول عفا الله عما سلف».

لقد كنت أصغي وكلي دهشة، ثم تساءلت: «لماذا يتم استدعائي أمام هذه اللجنة؟ وما علاقتي بتلك الأحداث؟!». وهنا أخرج مقرر اللجنة ورقة تتضمن بعض التغريدات التي كتبتها في تويتر! ثم أخذ رئيس اللجنة يستجوبني عما قصدته بكتابة تلك التغريدات... تغريدة تلو أخرى!

وسأل: «كيف تكتب هذا الكلام؟ هل أنت تتحدى النظام؟ هل أنت تسخر من الحوار؟»، فأجبت: «أنا لا أتحدى النظام ولم اسخر من الحوار، إنما عبرت فقط عن ألمي لعدم نجاح الحوار! وكل ما كتبته هو وصف لذلك الوضع بصورة مجازية».

استمر استجوابي طويلا بشأن ما كتبته على تويتر، وتم توجيه الأسئلة لي بنبرة توبيخية، ومن جانبي بينت بأن ما كتبته كان مجرد تفاعل مع الأخبار ومع ما يتم تناقله في تويتر في هذا العالم الافتراضي، وأني كمواطن عادي يتأثر بالأحداث التي تجري، وما كتبته كان نوعا من الحوار مع من أتبعه ويتبعني على التويتر! أو وصفا لتطورات تلك الأحداث بصورة مجازية..وأني لم أكن أوجه اللوم لطرف بقدر ما كنت أتجأوب مع ما كان يُكتب في ذلك الموقع الاجتماعي. كما كنت أحأول الرد أو التعبير عن بعض أفكاري وآرائي الشخصية، حيث كتبت ذلك بحسن النية، دون قصد الإساءة إلى أحد!

وفي نهاية الاستجواب قال رئيس اللجنة: «إن هذا التحقيق هو أولي، وسيكون هناك استكمال للتحقيق، ثم سيتم تشكيل لجنة تأديبية ستقرر ما يتم اتخاذه ضد المخالفين!». وعند سماعي ذلك قلت بلهجة حازمة: «أنا لم أقترف شيئا حتى أخضع إلى تحقيق إضافي. لقد عملت في هذه المؤسسة طويلا وكرست نفسي لخدمة بلدي.. وإذا كنت الآن شخصا غير مرغوب فيه فلتتخذوا الإجراءات اللازمة كي أترك العمل حالا في سلام».

وهكذا مر أسبوعان تقريباً من هذا التحقيق ولم أكن أعرف ما الذي سيتم بهذا الشأن، وقلت لنفسي ربما انتهى الأمر على هذا الحد، ولكن بينما كنت في مكتبي أقوم بأداء مهامي المعتادة، فإذا بضابطين يقتحمان مكتبي برفقة مقرر تلك اللجنة، ويقومان بكل فضاضة بإبعادي عن مكتبي وتجريدي من كل مقتنياتي: ساعتي وخاتمي وهاتفي ومحفظتي. كما قاموا بتفتيش أدراج مكتبي وأوراقي وفتحوا كمبيوتري وأخذوا الرقم السري لبريدي الإلكتروني وحسابي على تويتر تحت التهديد. ثم أخرجوني من المكتب لانتظارهم بالخارج مع أحد الحراس. وقام بعدها الضابطان باقتيادي مع كمبيوتري إلى سيارة مدنية عند مدخل العمل.

كان اقتيادي من مكتبي أمام زملائي دراميا... وكانت مشاعري في تلك اللحظة مختلطة، لم يكن الإحساس بالخوف بقدر ما هو الإحساس بالغضب، ورغم ذلك فقد بقيت هادئاً.



# المحامي محمد التاجر

## كلفة الرّوب الأسود مطرّزاً بكلمة بيضاء من محكمة كرزكان إلى... دوار اللؤلؤة

في إحدى محاكم السلامة الوطنية (1) تفاجأ المحامون المتواجدون في تلك الجلسة بالقاضي وهو ينادي باسم المتهم محمد التاجر، جميعهم يعرفون أنه معتقل منذ شهرين، ولكن لا أحد كان يعلم أين ولماذا ومتى سيعرض للمحاكمة؟ أكثر من 20 محاميا شاهدوا زميلهم التاجر يدخل قاعة المحكمة فعلا، وقفوا، وبتلقائية تقدموا جميعا بطلب الدفاع عنه.

ارتفع هذا العدد إلى قرابة الخمسين محامياً حين نقلت الدعوى إلى المحاكم المدنية. كانت قضية المحامي البحريني محمد التاجر، أكبر قضية سياسية يترافع فيها عدد من المحامين، لم يكن القاضي بحاجة إلى أن يسأله السؤال الذي اعتاد أن يطرحه متأخرا على كل متهم: هل تريد أن توكل محامياً للدفاع عنك؟

هو محام متهم، وخلفه كان كل المحامين، يدافعون عن مهنتهم التي كانت محل الاتهام، في مشهدٍ أشبه بتظاهرة احتجاجية أحرجت القاضي العسكري منصور المنصور.

محمد التاجر، نموذج المحامي المستهدف من سلطة القمع. كان يكمل تشكيلة المعتقلين التي شملت الأستاذ والطبيب والنقابي والسياسي والمثقف والصحافي والشاعر والمهندس، مجموعة كان بإمكانها تشكيل حكومة كاملة من داخل السجن العسكري

سيرة التاجر بين دوار اللؤلؤة والمعتقل، تقدمها مرآة البحرين، على لسانه

## ■ الملف الأمني.. حالات إخصاء وإبادة

منذ حوالي خمس سنوات، وبشكل شخصي، أصدرت الكثير من التقارير، في ندوات أو وسائل إعلام أو الإنترنت، كنت كذلك أزود الجمعيات والمراكز الحقوقية بمادة خصبة عن التجأوزات والانتهاكات في البحرين، ليس فقط بشأن التعذيب، أو بشأن الاستهداف، بل حتى فيما يخص نوعية التهم الموجهة للأشخاص الذين دائما ما يكونون هدفا للجهات الأمنية، وكيف تستغل مواد القوانين الفضفاضة للكيل بالخصوم السياسيين

في هذه التقارير كنت أوثق كل ذلك بالأرقام، حتى نشأت لدي نتائج نوعية عن هذه الدعأوى، مثل استهداف المعتقلين الأحداث، ومثل طرق التعذيب التي اتسمت بالخسة والانتقام، كحالات الإخصاء وغيرها من ما يمكن أن يصنف كنوع من أنواع الإبادة البشرية.

قمت بإيصال هذه التقارير إلى المنظمات الحقوقية الدولية التي كان بيني وبينها تعأون وثيق، مثل "هيومان رايتس ووتش" و"انترناشيونال فرونت لاين ديفيندير ز فكان أعضاء هذه المنظمات يقصدونني للاطلاع على الوضع الحقوقي بمجرد وصولهم للبحرين وإذا منعوا من الدخول راسلوني لمعرفة الوضع في البحرين خصوصا عند اشتداد الحملات الأمنية.

هذه التقارير كان ينشرها أغلب الصحافيين، والحقوقيين كمركز البحرين لحقوق الإنسان الذي يرأسه الناشط نبيل رجب، والجمعية البحرينية لحقوق الإنسان، ولجنة الرصد في جمعية الوفاق. هذه السلطة لم تكن في يوم من الأيام معجبة بعملي.



## ■ عبد الجليل السنكيس قدوتي

لدي علاقات وثيقة بالعاملين في مجال حقوق الإنسان كنبيل رجب، و عيسى الغايب وميرزا القطري رئيس لجنة الرصد بجمعية الوفاق، والسيد هادي الموسوي القيادي في جمعية الوفاق، لكن علاقتي بالدكتور عبد الجليل السنكيس (2) كانت علاقة خاصة.

هذا الشخص أعتبره قدوتي في العمل الحقوقي، لم ألتق به مرة إلا وأثراني بأفكاره النيرة، أنا أدين له بالفضل، فقد علّم الناس الثقة في التاجر، لأنه كان يقدر عملي كثيرا، اشتركنا في الكثير من العمل، كما أننا أصبحنا صديقين قريبين جدا

أرى أن السنكيس عبقرية فذة، إنسان متمكن من العمل الحقوقي والعمل السياسي، متحدث بارع، محاور ممتاز، وموسوعة متحركة، لم أسأله في شيء إلا وأعانني عليه، هو إما منكب على المراجع، أو معد للتقارير، أو مشارك في ندوات.

حضرت معه ندوة مجلس اللوردات البريطاني عن البحرين في عام 2009 لأول مرة، وصورت بجانبه، ذهبت معه لزيارة الأراضي المقدسة في أبريل 2010، ارتبط اسمي باسمه كثيرا، وربما كان ذلك مادة أخرى مغرية لملفي الأمني عند السلطات.

## ■ المحامي الحقوقي

أعتقد أن "الحقوقي" عاش فيَّ قبل دخولي مهنة المحاماة. عندما كنت صحافيا في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، كنت كثيرا ما أكتب عن المشاكل الحقوقية والاجتماعية، فأضطر بشكل أو بآخر أن أستعين برأي محام.

من هنا نشأت لدي فكرة دراسة القانون. لكنني بعد أن صرت محاميا، مررت بفترات من اليأس وأنا أترافع في القضايا الأمنية، ليس لصعوبتها فأغلبها بمنتهى السهولة، إذ لا يوجد فيها أي دليل، لكن الهم الأكبر فيها كان الاعتراف الذي ينتزع من المتهمين تحت

التعذيب، فهل سيتوصل القاضي إلى أن هذا الاعتراف تم تحت التعذيب، فيسقط التهم؟ هل أستطيع أن أقنعه؟ أو أنه ليس على استعداد أن يقتنع من الأساس؟! هذا كان همي أول قضية مثلت لي التحدي الأكبر، واعتقدت أنها هي قضية حياتي، بحيث إنني إذا نجحت فيها، سأنجح في أن يتغير محمد التاجر المحامي إلى حقوقي ومدافع عن حقوق الإنسان، هي قضية كرزكان.

## ■ قضية كرزكان نجاحا

قضية كرزكان(3) (أبريل 2008) كانت أكبر عمل حقوقي قمت به، بعد أن أثبتُ بأن هؤلاء الأشخاص لم يقتلوا الشرطي، وأنه تم تعذيبهم تعذيباً بشع جدا ليعترفوا بذنب لم يقترفوه. لم يكن ذلك معروفا عن البحرين طوال السنوات السبع السابقة

مع باقي زملائي في هيئة الدفاع عن المتهمين وعلى رأسهم عبد الجليل العرادي، استطعنا إثبات براءة المتهمين، وأشارت المحكمة إلى وجود شبهة تعذيب نتج عنها اعترافهم بالقتل، وهي التهمة التي أثبتنا بطلانها، باستجواب الطبيب الشرعي (4) وبأدلة أخرى. بنى على هذه القضية وقضايا أخرى تقرير منظمة (هيومان رايتس ووتش) الشهير "التعذيب يبعث من جديد في البحرين"، كانت تلك إشارة كبيرة جدا إلى نجاحنا في إثبات وجود التعذيب، في وقت كانت الدولة تخفيه ولا تعترف به. حين وصلنا إلى الحملة الأمنية الأخيرة، ثبت لدى الجميع وجود التعذيب بشكل ممنهج ومنذ أمد بعيد، لا تعود بدايته إلى قضية كرزكان وإنما إلى فترة التسعينات وما قبلها.

عملي الحقوقي بدأ فعليا من قضية كرزكان، وبدءا من هذه القضية ساعدني الدكتور عبدالجليل السنكيس في تأطير عملي الحقوقي، ووجهني بأن أحفظ لعملي كمحام خصوصيته، وأن أحافظ على التوازن بين العمل الحقوقي وبين عمل المحامي، بحيث أكرس وقتي لحماية موكلي، وإظهار التجأوزات التي جرت عليهم دون الولوج في السياسة. ما بعد كرزكان، توالت القضايا والتكليفات، من أهالي المتهمين ومن المنظمات الحقوقية، حتى تكاد لا تكون هناك أي دعوى من هذا النوع، إلا واشتركت فيها مع زملائي الآخرين، مثل قضية المعامير، وقضية خلية 25 الأخيرة.(5)

هناك نماذج مشرفة في البحرين للمحامي الحقوقي، بل أنوار نستضيء بها، مثل الدكتور حسن رضي، الأستاذة جليلة السيد، الأستاذ محمد أحمد، الأستاذ عيسى إبراهيم، الأستاذ عبدالله الشملاوي، والأستاذ عبدالجليل العرادي، والأستاذ سامي سيادي، هؤلاء اعتمدوا على عملهم كمحامين لإبراز الانتهاكات الحقوقية في قضاياهم دائما.



## ■ محامي الخونة

أنا أعتقد فعلا أن الدولة يضيق ذرعها ليس بالمحامي الذي يؤدي واجبه بالدفاع عن المعتقلين، بل بكل ما يتصل بالسياسة. في الواقع سمعتها منهم بشكل مباشر، وبدون مواربة، اعتقلت لأنني كنت محاميا عن أغلب المعارضين السياسيين "الخونة" بحسب تعبيرهم، و لم يكن ذلك استهدافا لعملي الحقوقي فحسب، ولكن لوقف عملي كمحام عن هؤلاء في الأساس، الكل رأى كيف كانت الدولة تريد سجن الناس وسحق حقهم في توكيل محام للدفاع عنهم، وكيف صدرت الأحكام على كثيرين من الجلسة الأولى، ودون حضور محام.

أحسست منذ البداية بأن الاعتقال لم يكن مرتبا له، أو مؤسسا على اتهام واضح، هم لديهم شخصية مزعجة، شخصية تمنع سير القضايا بالشكل الذي هم يريدونه. في أغسطس 2010 عندما كلفت بالدفاع عن 16 شخصا من المتهمين فيما سمي بالخلية(6)، نشر اسمي في الصفحات الأولى من الجرائد على أنني جزء من "المخطط الإرهابي" فقط لأنني كنت محامي المعارضين السياسيين.

صنفتني الحكومة ضمن خصومها السياسيين، بينما كان عملي لا يتعدى أن أكون محاميا، يلتمس الجانب الحقوقي في عمله. ولأنني محام عن المعتقلين السياسيين، فلا بد أن أتكلم عن حقوقهم كمعتقلي رأي، مارسوا حقهم في الاعتصام، أو التعبير عن الرأي.

أنا كالآخرين من هذا الشعب، استهدفت لأنني جزء ممن قالوا هناك ظلم، وتجاوزات، وكما نقل لي المحامون الذين تكفلوا مشكورين بالدفاع عني، أنني سجنت ببساطة "لقرص أذني.

## ■ في منصة اللؤلؤة وخيمة المحامين

في المعتقل، كانوا يسألونني عن الدعوة إلى التظاهر والحضور إلى الدوار، وكنت أجيب، إنني كالآخرين، بعد خطاب الملك وولي العهد في التلفزيون، وتواجد الدوريات الأمنية لتنظيم المسيرات والمظاهرات، كان من غير المعقول أن لا أشارك.

شاركت في أغلب المسيرات التي كانت مرخصة بطلب من الجمعيات السياسية، كنت متواجدا بشكل شبه يومي في فعاليات خيمة المحامين، وفي فعاليات الخيام الأخرى، وكان هدفنا في الواقع تنويري، تثقيفي ؛ كنا نريد تثقيف الناس أولا بماهية الشعارات المرفوعة، بمفهوم الملكية الدستورية، باللجنة التأسيسية المطلوبة لتعديل الدستور، كنا نعمل ذلك من أجل توجيه صحيح للمطالب، أي لوضع هذه الشعارت وهذه الاعتصامات في المسار الصحيح.

وبالمناسبة، بسبب علاقتي بأغلب الموجودين على المنصة، خصوصا الذين ترافعت عنهم في قضية كرزكان وفي قضايا أخرى مثل قضية المعامير، طلب مني وبشكل رئيسي ولأكثر من مرة أن أتواجد على المنصة، لكنني لم أقبل بهذا الأمر إلا في مرة واحدة في 20 فبراير، وكان ذلك من أجل المعتقلين السياسيين.

طالبت بالإفراج عنهم، ووقف ملاحقتهم، ووقف تصرفات أجهزة سلب الأمن التي كنا نعاني منها منذ ذلك الوقت

## ■ خطابي وخطاب المحمود في 20 فبراير

قلت في خطابي في الدوار إن دولتنا بوليسية كما تصفها المنظمات الدولية، وإن هذه الحلول الأمنية لا تؤدي إلى شيء. طالبت بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين خصوصا فيما يخص دعوى ما سمي بخلية 25 (4) في ذلك الوقت، وقلت إن ملاحقتهم كانت لأنهم طالبوا فقط بتعديل الدستور، وطالبوا بالسماح للناس بالتجمهر، وبوقف التجنيس السياسي، وبوقف سرقة الأراضي، وبوقف الفساد الإداري المستشري في أجهزة الدولة.

طالبت بعدم اتخام المحاكم بهذه الدعأوى الكيدية، بحيث لا تنتهي دعوى حتى تبدأ أخرى، ما جعل أغلب القضاة وأغلب المحاكم في هوس لإنهاء هذه الدعأوى بشكل سريع، لا يمكن معه إيجاد أرضية لمحاكمات عادلة.

لا أحد يسمع لشكواه بأنه عذب، لا أحد يعترف بأي دفاع، قلت هذا الكلام في الدوار، تم تسجيله ورفعت علي الدعوى بناء عليه، بينما الرئيس الحالي لتجمع الوحدة الوطنية

قال ذات الكلام، وفي نفس اليوم، وطالب بإطلاق سراح المساجين، وصدر الأمر بإطلاق سراحهم فعلا بعد ساعات من خطبته.

## ■ سحق رجال الأمن

المفارقة أن تكون هذه الخطبة هي أساس الاتهام الذي تفتقت ذهنية أجهزة الأمن عنه لمحاكمتي، كوني ذهبت إلى الدوار، وألقيت هذا الخطاب. صار ذهابي إلى الدوار اعتصاما غير مرخص، وصار كلامي عن التجنيس وفبركة القضايا وعن عدم توافر الأمن بسبب أجهزة الأمن وبسبب رجال الشرطة، سببا لاستهدافي واتهامي بالتحريض على كراهية النظام وبث أخبار كاذبة

الأقذر من كل هذا، تحوير الخطبة بشكل يوحي أنني دعوت إلى سحق رجال الأمن، لا أعلم هل الذي سمع الخطبة لا يفهم اللغة العربية أم أنه لا يريد أن يفهم، لقد قلت إن لدينا رجال لسلب الأمن، وحين أقول تبا لهم أو سحقا لهم، فهل يفهم من ذلك أنني أدعو إلى "سحق رجال الأمن"؟

أنا معروف بخطي المتزن، ودائما ما أدعو إلى الابتعاد عن العنف وأنادي بالسلمية، وأعتقد بأن هناك ندوات مسجلة لي في الدوار رفضت فيها أي مسيرة أو تجمهر أو اعتصام خارج الدوار، و قد نهيت مثلا عن الذهاب إلى المرفأ المالي، وإلى أي أماكن أخرى، كي لا نعطي أي فرصة، لفض التجمع السلمي في الدوار.

مع ذلك كانت لدي قناعة تامة بأن فض الاعتصام قادم لا محالة، سواء ذهب الناس إلى المرفأ المالي أم لم يذهبوا، وسواء ذهبوا إلى القصر الملكي أم لا.

## ■ ما بعد هدم دوار اللؤلؤة، سأكون على موعد مع السجن لأول مرة

كيف استعد التاجر للاعتقال ؟

كيف كان اعتقاله ؟

كيف عذب، وماذا شهد في السجن؟

إرهاصات الاعتقال والسجن في هذه السيرة الفريدة

يسردها التاجر في الحلقة القادمة

■ **هوامش**

1 - محاكم عسكرية خاصة شكلت خارج إطار الدستور في 15 مارس 2011 لمعاقبة كل من كان له نشاط متصل بثورة 14 فبراير

2 - قيادي وناشط حقوقي معروف، شغل منصب مسئول الملف الحقوقي في حركة "حق" التي يرأسها السياسي المعروف حسن مشيمع، وهي حركة منشقة عن الوفاق، كان معتقلا ضمن ما عرف بخلية (25) وأفرج عنه في فبراير 2011، اعتقل مجددا ضمن (مخطط قلب نظام الحكم- مجموعة 21) إثر الدور الكبير الذي اضطلع به في دوار اللؤلؤة بعد الإفراج عنه.

3 - القضية التي اتهم فيها عدد من شباب قرية كرزكان بحرق سيارة شرطة وقتل أحد رجال الأمن.

4 - انظر حوار مرآة البحرين مع فخري محمد صالح رئيس الأطباء الشرعيين وصاحب تقرير قضية كرزكان.

http://www.bahrainmirror.com/article.php?id=1899&cid=82

5 - 6 - خلية 25 ضمت سياسيين وناشطين كبار كحسن مشيمع وعبد الجليل السنكيس وعلي عبد الإمام ومحمد حبيب المقداد وآخرين، اتهموا في أغسطس 2010 بالإرهاب والتآمر لقلب نظام الحكم ضمن سلسلة تاريخية من هذه الدعأوى، وأفرج عنهم بضغط من الشارع في فبراير 2011، ثم اعتقل أغلبهم مجددا فيما عرف بقضية 21 وفرّ الباقون للخارج أو اختفوا عن الأنظار خوفا من الاعتقال والتعذيب. تعرض المعتقلون لأشد أنواع التعذيب في المرتين، ووصفت المفوضية السامية محاكمتهم الأخيرة بالاضطهاد السياسي والعدالة الزائفة.

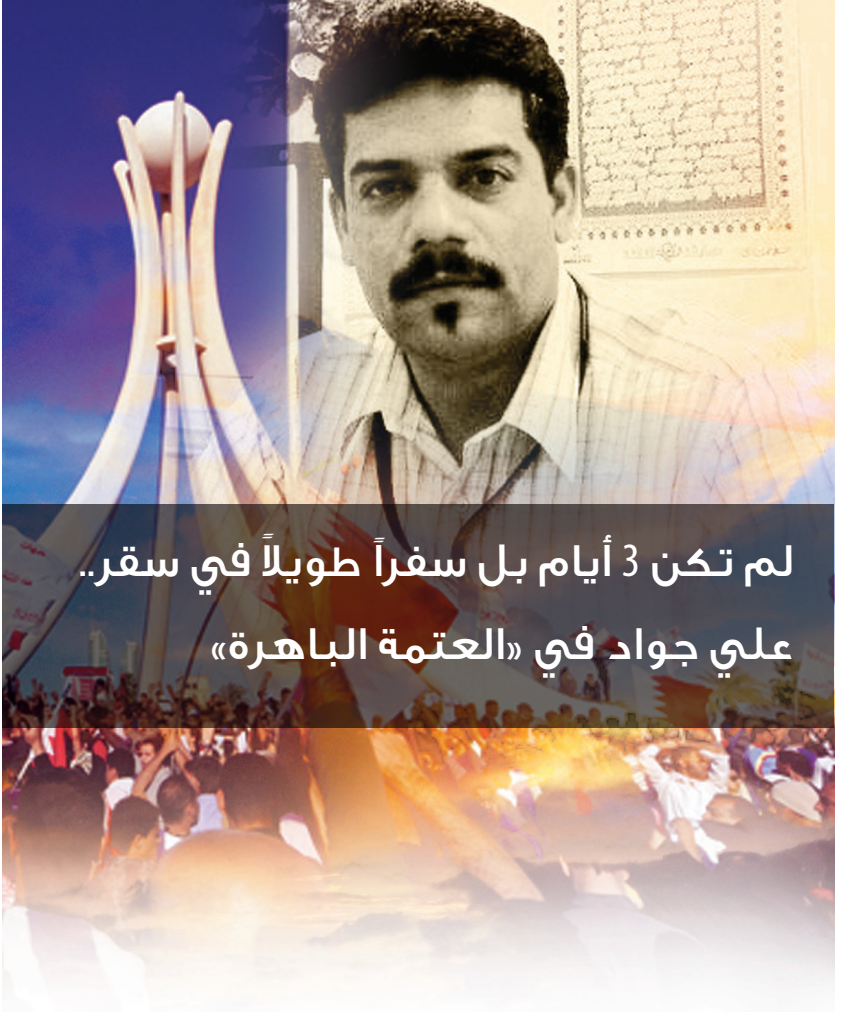

# لم تكن 3 أيام بل سفراً طويلاً في سقر..
# علي جواد في «العتمة الباهرة»

كانت السّاعة أوشكت أن تقف في منتصف نهار الأربعاء 24 أبريل/ نيسان 2011، قبل أن يرن هاتفه المحمول ويخرج بعدها صوت متمترس بصرامة العسكر، قال: "أنتمطلوب للحضور إلى مركز شرطة النعيم".



ذهب علي جواد مباشرة إلى البيت، أخبر زوجته بالأمر، كان متوهما البراعة في تمثيل لحظة التماسك. حبست زوجته زفرة ألمها، متوسلة الله بألا يصيبها بالخذلان في عودته. وضع ثقته كلها في الله، ودعها و ابنه الصغير دانيال، وملم أنفاسه للخروج متماسكاً، قالت زوجته: «سنكون بانتظارك».

ركب وصديقه السيارة وتوجها إلى مركز شرطة النعيم، وقبل أن يصلا أوقفه صديقه خلف المركز، تعثرت الكلمات في فمه، كتب له رقم هاتفه في ورقة صغيرة بعد أن ترك جواد هاتفه المحمول معه، وضعها في يده، متمنيا أن يسمع صوته بعد ساعة أو اثنتين. شعر بثقل خطواته في اتجاه بوابة المركز، كأن أنفاسه المبعثرة تخيط سراباً. سأله العسكر: «ما الذي أتى بك؟» قال: «اتصلوا بي، قالوا بأني مطلوب للحضور». لمح في نظراته جيشاً محتشدا للبطش. طلب بطاقة الهوية وما لبث أن ذهب، ثم عاد بسُرعه البرق.. أدخله وقال: «استدر.. ضع يديك للخلف». أحكم وثاقهما، وضع عصابة على عينه، دفعه للسّير، ثم سلمه إلى أحدهم، سأله: «أنت علي جواد»، أجابه: «نعم»، وسارع بتوجيه صفعة إلى وجهه، لتتسّع رقعة الضرب على خارطة جسده، كأنه أراد أن يمتحن بسالته الحُبلى جُبناً، أو شيء ما آخر غير إنسانيته، التي بدت في تلك الساعة ممحيّة.

انتهى به المطاف عند حائط وأدرك فيما بعد أنها نهاية آخر عتبة لسلم، أصوات أقدام كان يسمعها عن كثب، يبدأ إيقاعها عند أول عتبة لهذا السلم اللعين، وتنتهي بـ»لطمة أو صفعة « على أذنه. أخذ يجيب أسألتهم:

شنو أسمك ؟

- علي حسن جواد
شنو تشتغل ؟
- في صحيفة (البلاد).

كان الصّاعد والنازل يمتحن قوّة كفه وبراعته في السّب والشتم واللطم والصّفع. أوشك جواد على الانهيار، وكان المكان أشبه بجحيم لا يعرف الرأفة أبداً، صرخات الموجوعين تشرشر من حناجر ليس لها إلا الصلاة ألماً. وسط كل هذا الضجيج المعجون بآهات المُعتقلين، وجنون آلة التعذيب والتنكيل، تسرّبت إلى أذنه التي تفيض وجعاً ودماً تكبيرة أذان المغرب، آتية من مئذنة قريبة بمنطقة النعيم. وما إن انتصف الأذان حتى بادر أحد العسكر بجرجرته إلى مكان ما أدرك بعدها أنه مكتب للتحقيق، «أخطأت. إنه للتنكيل ودوزنة موسقى الألم الصاخبة»، يقول. عرف ذلك بعد أن سأله: «ما أسمك؟» أجابه: «علي حسن جواد»، يضيف «لم أعرف أن اسمي كان سيبعث كل ذلك الهياج ليبدأوا بضربي على وجهي بشكل هستيري، لتتهأوى جثتي على الأرض».

سحبه أحدهم من ياقة قميصه صارخاً: «قف يا ابن الكلب، قف يا ابن المتعة، قف أيها اللعين، أيها الجبان»، وطلب منه الاستدارة إلى الجة اليمنى حيث أدرك أنه قُبالة الحائط. توسّل جسده ألا أن يصمد، كي يبقى مرفوع الرأس. صرخ أحدهم في وجهه صرخة اخترقت طبلة أذنه: «افتح ما بين رجليك يا ابن ال(...)». لم يعرف سبب هذه الطلب، ليفاجأ بركلة احتشدت فيها كل أحقاد وضغينة العالم، استهدفت منطقته التناسلية، سرعان ما سقط في إثرها على الأرض. قال «كاد يغمى عليّ من شدة الألم».

في تلك الأثناء، دخل عدد آخر من العسكر، أوقفوا جواد، قال أحدهم: «نحن من قوة دفاع البحرين»، همس في سريرته: «ما الفرق؟»، طلب أحدهم منه رفع رأسه لتأتي اللطمة على أذنه «مجهزة على ما تبقى من سمعٍ لدي».

سقطت جثته على الأرض وبدأت حفلة اللكم والصّفع والرّكل والرفس والشتم. ثم طلب منه أحدهم أن ينبطح على الأرض فإذا بها «الفلقة» تأتي. شعر بذلك التمزق في قدميه اللتين نزفت منها الدماء وتورمتا. «كنت أصرخ متوسّلاً إنسانهم، أن يرأف ولو قليلا،

لكن دون جدوى». خاطبهم: «سأعترف بما تريدون»، فما كان منهم إلا أن أمعنوا في الأذى. صرخ أحدهم، قل ما قلت في «الدوار»، هل قلت «يسقط النظام»؟ «قلها الآن، قل يسقط النظام، يا ابن ال(...)». قلت: «لم أطالب بذلك».

فجأة، طلب أحدهم أن تتوقف آلة التنكيل، أدرك أن الاستمرار في هذه الوتيرة يعني بأن تلك الجثة لن تصمد كثيراً. وبعدها بقليل، طلب منهم فك كل تلك القيود وإيقافه، قائلاً «قف يا ابن الكلب، يا بن (...)». يقول «لكن كيف لي أن أقف وقدماي بهما من التورم ما يكفي لأن أكون عاجزاً حتى عن الإحساس بوجودهما، وقفت ولم أقف». سأله: هل ذهبت إلى دوار الؤلؤة ولماذا؟ أجابه: «نعم، حضرت تجمع الصحافيين، ولم تتعد مطالباتنا غير وجود صحافة حرة». رد سريعاً: «لكن المعلومات المصورة تقول بأنك كنت تحمل صور القيادة». رد جواد: «لا أبدا، لم يحدث هذا». وإذا بهم يتابعون اللكم والصفع.

«الوزير لم يكمل الشهر ونصف الشهر، وأنتم تطلبون منه المستحيل»، هذا الحديث للمحقق، دفعه إلى الكرسي، فسمع دقات أصابع أحدهم على لوح «الكيبورد». وبعد هنيهة «أتى شخص ودلف بي باتجاه زأوية من زأوية غرفة التحقيق. رفع عصابة العين قليلا، ومرر من جنبي الأيمن، صورة رأيت فيها نفسي وآخرين لمسيرة الإعلاميين». سأله: «أهذا أنت؟»، أجابه جواد: «نعم، هذا أنا». بعدها سأله عن شخص كان حاضرا في الصورة إلى جانبه، قلت: «لا أعرفه». عأود سؤاله: «هل هم صحافيون؟»، أجابه جواد مرة أخرى: «لا أعرفهم، أقسم لك بأني لا أعرفهم». أعاد الشخص العصابة على عينيه وقاده إلى الكرسي، وقبالته صاحب «الكيبورد» يسجل أنفاسه وكلامه. سأله: «في أي صحيفة تعمل؟». ببلادة العارف بأنهم يعرفون أين يعمل، قال جواد: «أعمل مُخرجًا فنيًا في صحيفة «البلاد».

اقتحم أحدهم سياق الحديث، وقال: «كم يبلغ راتبك؟». فما إن قال جواد إن راتبه يبلغ 750 دينارا، حتى انهالوا عليه بالضرب، وأحدهم يصرخ: «أحسن مني يا ابن (...) ماذا تريد أكثر؟».
ليسأله مُجددًا عن دراسته، فقال: «جامعة البحرين»، ليعأود الصراخ والضرب، «أحسن مني يا ابن (...)»، وكأنه السبب في عدم إكماله دراسته.

وقع جواد على كومة من الورق مُغمض العين، واقتادوه إلى غرفة التوقيف حيث رُمي على الأرض، وبقيت دقائق يلملم أوجاعيه، سحبه أحد الشّبّان «باشر في إسعافي، كان اسمه مهدي عرف فيما بعد أنه ممرض، أخذ يدلك قدمه، حتى فقد الوعي منهكاً من التعب.

في اليوم الثاني الخميس 21 أبريل/ نيسان 2011، جاء شرطي، قصير القامة، وضع قطعة قماش على عيني جواد واقتاده إلى جهة عرف أنها عيادة مركز الشرطة، وسحب منه عينات من الدم، واقتاده إلى غرفة البصمات ثم إلى غرفة التصوير، وبعدها أعاده إلى زنزانة التوقيف. هناك، أسر إليه أحدهم أنه من المُرجح أن يُطلق سراحه صبيحة يوم الجمعة «لهذا كان زُملاء الزّنزانة حريصون على أن لا أخطئ في إجاباتي مع لجنة الفحص». نصحه أحدهم أن يفعل فعلة الصدمة البصرية «التي ستجنبني تلك العين الفاحصة، كاسراً بذلك صرامة التدقيق».

وفي صبيحة يوم الجمعة، اقتادوه إلى غرفة مُجأورة وطلب منه الفاحص نزع ثيابه، فما كان منه بعد أن رفع نصف القميص، إلا أن أنزل البنطال مصحوباً بساتر عورته كي لا يشاهد ما تبقى من آثار التعذيب،
«وبالفعل نجحت معي الخطة، إذ صرخ في وجهي معنفاً، طالباً مني أن أستر عورتي». بعدها أعطاه الشرطي الهاتف، قال: «اطلب من أهلك أن يحضروا لك بعض الثياب، عصر هذا اليوم».

بعد الظهر اقتادوه إلى حيث لا يدري، ذهب مع أحدهم «فأخبرني بأنني سأخرُج، هرولت مثل مذهول كي أخرج، استجمعت كل قواي، تسلمت أشيائي، وخرجت، كان قريبي في انتظاري، رميت بنفسي عليه، حملني ووضعني في السّيارة، غفوت إلى أن وجدت نفسي داخل شقتي في قلب السّنابس، فكانت زوجتي وأولادي ينتظروني. لم أشعر بأحد، تعاملت زوجتي مع بعض آثار التورم على قدمي، وأثار الأنابيب البلاستيكية «الهوز» التي خطت حكاياتها، على جسدي. لم تكن ثلاثة أيام، بل كانت سفرًا ثقيلاً.



الفصل التاسع

# السلام والدخان



# أبيض أزرق أخضر أصفر أحمر..
## ليست ألوان الربيع،
## بل ألوان الخنق في البحرين

في الأشهر الماضية، كنا نجمع عبوات الغاز المسيلة للدموع التي تلقى علينا، نقوم بتصويرها، نقرأ ما عليها من بيانات، نتعرف عليها ونوعها ومصدرها، نريها للمنظمات الحقوقية والعالمية. النظام المعروف بخبثه غيّر آليته ليحمي نفسه، فالغازات المستخدمة في الأشهر الأخيرة، تأتي عبوتها فارغة من كل شيء، من أي معلومة أو دلالة، إلا من سُمّ الغاز الذي لا نعرف عنه شيئاً، لكنه يفعل بنا كل شيء.



ما لا يقل عن ستة شهداء، سقطوا ضحايا هذه الغازات، حالات إجهاض عديدة تسببت فيها الغازات الخانقة (1)، مع ذلك لا يزال النظام الحاكم في البحرين يستخدمها بكثافة مفرطة، ويتفنن في استخدام أكثر من نوع من هذه الغازات.

## ■ تجربتي..

قرابة أحد عشر شهراً، ونحن نتعرض للغازات التي يطلقها علينا النظام. في 14 شباط/فبراير بجزيرة سترة، أُلقيت كميات مفرطة من الغازات المسيلة للدموع، ذات لون أبيض في كثافة السحاب، تعرضت لها بنفسي، سببت لنا حرقة شديدة في العين وتهيجاً في بشرة الوجه عند الوجنتين، لكن زال أثرها بعد ساعات. الآن، ومع استمرار الشباب في الخروج والتظاهر بعد شهور من محاولة قمع الحركة الاحتجاجية، صارت الغازات ألواناً: أزرق وأخضر وأسود وأصفر، بالإضافة إلى الأبيض. لا نعلم شيئاً عن هذه الغازات، ولا نعرف آثارها البعيدة، لكننا نعيش آثارها المباشرة.

تعرضت لأكثر من نوع منها. الأبيض في دوار اللؤلؤة يوم اجتياحه في 16 مارس، ومؤخراً عند الهجوم على المشاركين في ثالث يوم من فاتحة الشهيد سيد هاشم سعيد (15 عاما) في سترة 4 كانون الثاني/يناير. في هذا اليوم شعرت للحظات أن الرؤية صارت معدومة لدي، مع اختناق كبير. عدد كبير تساقط أمامي غير قادر على التنفس، مع إفرازات لعابية كثيرة. أيضاً، شعرت أنا وصديق لي بنوع من التخدر، شعرت به في أطراف أصابع يدي، وصديقي شعر به في إحدى رجليه، كانت العبوات الصغيرة قريبة منها.

تعرضت أيضاً للغاز الأصفر في17 كانون الأول/ديسمبر، حيث فعالية احتلال شارع البديع السلمية. لمدة دقيقة كان الغاز ينفث قريباً منا قبل أن أدفع العبوة التي كانت من بين أرجلنا قريباً من مجمع (كونتري مول). تم إطلاق الغاز بكثافة عالية، البعض أغمي عليه بسرعة، والبعض الآخر كان يتخبط مبتعداً عن هذه الغازات. حين استنشقت الغاز أحسست بالاختناق وحرقة شديدة في الحلق والوجه والعين، وكانت دموعي تنهمر وأنفي يسيل، وأصبحت أفرز لعابا كثيرا من فمي مع سعال حاد استمر معي لأيام.

احتجت بعض الوقت، بعد ابتعادي عن الغاز الأصفر، لأعود إلى نفسي الطبيعي، وعندما غسلت يدي بالماء عند وصولي للمنزل أصبت بحرقة شديدة في وجهي وذراعي لفترة. حالة السعال استمرت عندي بين 2-3 أيام مع ألم وثقل في الصدر، وعانيت من صداع استمر إلى اليوم الثاني مع ثقل فوق العينين، بالإضافة إلى حالة أنفي أصبحت مثل مصاب بالزكام لمدة أسبوع. كما عانيت في اليوم التالي من ألم في البطن واضطرابات في المعدة وتقيؤ للدم.

## ■ دعوة عبر تويتر..

ما تعرضت له بشكل مباشر، أثار فضولي للتعرف أكثر على هذه الغازات التي تلقى علينا ليل نهار. في ظل وضعنا غير المحمي مما يستخدم ضدنا من أنواع الأسلحة المحرمة دولياً مثل الرصاص الانشطاري (الشوزن)، لا يمكننا أن نعرف ما إذا كانت هذه الغازات (مجهولة كل شيء) هي غازات مسموحاً بها دولياً أو العكس. دفعني ذلك لمحأولة التعرف على الآثار المباشرة لكل نوع من خلال ما يتعرض له الناس، ربما يكون ذلك هو دليلنا للوصول إلى نوع هذه الغازات ومدى شرعية استخدامها وأخطارها بعيدة المدى. قررت أن أكتب تقريراً حول هذا.

وبسبب الوضع الأمني، لم يكن أمامي غير الاستعانة بموقع التواصل الاجتماعي (تويتر) لأوجه دعوتي التالية: أرجو من كل من لديه تجربة مع الغازات السامة الملونة التي يستخدمها النظام في القمع حاليا أن يراسلني للأهمية، وأرجو من الأخوة الذين لديهم أي معلومات عن هذه الغازات أن يراسلني على الإيميل المذكور. أوضحت أنني أنوي كتابة تقرير حول هذه الغازات.

الاستجابة جاءت سريعة. تحمس الكثيرون، راسلوني وأدلوا بتجاربهم الخاصة وشهاداتهم. سأعرض هنا بعضها مما تسمح به مساحة التقرير، أتبعها بالخلاصات التي توصلت لها كاملة عن كل غاز على حدة وفق التجارب والشهادات الحية التي وصلتني.



وبطبيعة الحال سوف أتحفظ على أية إشارة لأي اسم من أسماء المغردين الذين أمدوني بتجاربهم على نحو خاص.

### ■ غاز أصفر

تروي المغردة (م) شهادتها حول تعرضها للغاز الأصفر، وهو غاز يجري استخدامه بكثرة في الأشهر الأخيرة وبكثافة غير طبيعية في الشوارع وداخل البيوت. تقول (م): «تعرضنا أنا وزوجي للغاز الخانق، كان ذلك مساء الخميس الموافق 22 كانون الأول/ ديسمبر 2011 م حوالي الساعة التاسعة في منطقة البلاد القديم. خرجنا من منزل العائلة وقررنا التوجه لشقتنا الكائنة في منطقة مدينة عيسى. في البدء كانت الرائحة قوية وتشبه رائحة الكبريت وشعرت بحرقة في الأنف والحلق وبعد لحظات قمت بالتقيؤ. كان زوجي يقود السيارة فتوقف لأتقيأ بالخارج، لكنني طلبت منه مواصلة السير، لأننا كنا نختنق. نظرت إلى وجهه فكان مليئاً بالدموع. عند خروجنا للشارع العام كانت المنطقة مغطاة بسحابة صفراء ولكنني كنت أعاني من القيئ وحرقة شديدة في العين، كنت أجريت عملية قبل ثلاثة اشهر بعيني، لم يتوقف الحرقان حتى وصولي للمنزل ولا زلت أعاني من آلام العين».

أما المغرد (س) فقد استنشق الغاز الأصفر أيضاً يوم فعالية (احتلال شارع البديع)، يقول «ألقي علينا في الشارع أولاً بشكل كثيف فشعرت وخمسة من أصحابي بالإعياء وشيء من السكر، لجأنا لأحد المنازل، ثم أتت المرتزقة مرة أخرى وبشكل همجي ألقت هذا الغاز الأصفر في المنزل وعلى بابه فتضاعفت حالنا سوءاً. تقيأ صاحبي المريض بالربو دما أولاً ثم تبعناه في ذلك. كانت أيدينا تتصلب أحيانا وترتفع ونفرك رؤوسنا

بشكل لا إرادي. كل هذا حدث لمدة ساعتين تقريبا ثم عاد إلينا وعينا لكن أيدينا بقت في وضع غير طبيعي. في اليوم التالي شعرنا بحالة غريبة من ألم المعدة والرأس لم نتمكن حتى من النوم. الغريب أيضاً أنني عانيت من إسهال قوي في اليوم التالي بينما أصحابي عانوا من إمساك!»

## ■ غاز أسود

مغردة أخرى، أرسلت تجربتها الخاصة مع الغاز الأسود، تروي «اعتدت مع زوجي واخواتي، المشاركة في فعاليات (ائتلاف 14 فبراير)، نتعرض لهذه السموم بكثرة، سأذكر ما تعرضت له في منطقة سار في فاتحة الشهيد أحمد القطان. بينما كنا نحأول تخليص أحد الشباب من يد المرتزقة أطلقوا علينا الغاز، فهربنا إلى أحد المنازل، لم يكن مفتوحاً غير بابه الخارجي، بقينا في باحته الخارجية، بكثافة أطلقوا علينا غازات بعضها أبيض وبعضها أسود. ركضنا نحو الباب الخلفي لعله يكون مفتوحاً ونتمكن من الهرب، لكنه كان مقفلاً، بقينا محصورين في سحابات الغازات الخانقة. لم نتمكن من رؤية بعضنا الآخر. سقطت عدد من الفتيات مغشياً عليهن، أما أنا فقد صمدت بحثاً عن باب، لكن قواي خارت. شعرت أني فقدت القدرة على السمع وعلى وشك أن أفقد وعيي. أخيراً فتح باب المنزل الرئيسي واستعدت التنفس بصعوبة. الغاز الأسود كان يقتلنا. ظللت لا أستطيع الكلام فقط سعال حاد وألم في القلب. طوال اليوم بقيت دقات قلبي غير منتظمة واستمر معي ضيق في التنفس. أحسست أن الأرض غير مستوية ولازلت أعاني من دوار في الرأس. خفّت الكحة في نفس اليوم وبقي معي ألم القلب وضيق التنفس. أصبت وأخواتي بإسهال وصداع وإحساس بالتعب الدائم وتهيج في الجلد»

## ■ خلاصة

ما سبق هي نماذج وضعتها لحالات تعرضت مباشرة لاستنشاق هذه الغازات، الشهادات موجودة بالكامل لكن لا يمكن تغطيتها في هذا التقرير. فيما يلي نضع جدولاً ملخصاً لأهم ما وردنا من إفادات وشهادات بخصوص الغازات التي يستنشقها أبناء المناطق المختلفة في البحرين بشكل يومي.

| الأثار المباشرة | طريقة التعرض للغاز | لون الغاز |
|---|---|---|
| حرقة في العين والوجنتين أو الوجه، دموع.<br>حرقة في الحلق واختناق شديد.<br>صعوبة الرؤية | الأماكن المفتوحة | أبيض كثيف |
| تسيل الدموع بغزارة<br><br>الشعور بالحكة في الجسد وخصوصا الوجه/ يدوم هذا الحال إلى يومين أو ثلاثة)<br><br>يسبب الرعاف (نزيف الأنف)/قد يدوم ليومين أو ثلاثة<br><br>يسبب الإغماء خصوصا لدى الصغار في السن أو المتقدمين في العمر تكون حالتهم سيئة جداً<br><br>عادة يكون هذا النوع أقل الأنواع ضرراً وتزول آثاره بسرعة (أي الحرقة في العين والحلق والوجه). | الأماكن المغلقة | أبيض كثيف |
| حرقة شديدة في العين ودموع غزيرة<br>حرقة شديدة في الحلق<br>انعدام الرؤية بشكل مؤقت لعدة ثوان عند التعرض له عن قرب<br>وبعض حالات شبه تخدر بسيط في أطراف الأصابع<br>كثرة إفراز اللعاب من الفم عند الكثير من الناس<br>نوع من التشنج عند البعض<br>حالات الإغماء عند استنشاقه عن قرب كما حصل للكثير في عالي يوم مسيرة التوجه للديوان الملكي والهجوم على دوار اللؤلؤة بتاريخ 3-16-2011. (تجربة شخصية) | أماكن مفتوحة | أبيض أقل كثافة |

| الآثار المباشرة | طريقة التعرض للغاز | لون الغاز |
|---|---|---|
| **عن قرب:**<br>حرقة في العين والوجه وحتى في الجسم عندما تكون قريباً منه (خصوصا عندما يكون الجسم رطباً)<br>حرقة وجفاف في الحلق مع كثرة السعال<br>إفراز الكثير من اللعاب في بعض الحالات القريبة<br>دوار في الرأس يصاحبه إعياء الجسد<br>اختناق وإغماء لمعظم الذين يتعرضون له عن قرب<br>تصلب في الأطراف عند البعض<br>إعياء وعند البعض إغماء<br>البعض يتقيأ دماً بعد التعرض لهذا الغاز بقليل أو يشعر بالرغبة في التقيؤ<br><br>**عن بعد:**<br>تقيؤ الدم والبعض يكح دماً لبعض الوقت<br>ألم في الصدر وضيق في التنفس (الألم قد يستمر بضعة أيام عند البعض)<br>سعال وبلغم عند البعض ويستمر السعال وقد يستمر لعدة أيام<br>سيلان مخاطي في الأنف<br>قد يسبب الرعاف بين الحين والآخر واستمر ذلك مع البعض حتى بعد عدة أيام<br>إحساس يشبه حالة الزكام في الحلق والأنف مما يسبب نوعاً من التغير في الصوت وقد يستمر ذلك لعدة أيام.<br>ألم في البطن واضطرابات في المعدة (إسهال عند الأغلبية والبعض يشعر بنوع من الإمساك)<br>إرهاق في اليوم التالي<br>صداع وقد يتسمر لعدة أيام عند البعض | الأماكن المفتوحة | الأصفر |
| كما سبق، لكن بشكل أخطر وتأثيره أسرع حيث حصلت حالات إغماء عديدة عند مدخل مجمع الكونتري مول في تاريخ 17-12-2011. | الأماكن المغلقة | |

| الآثار المباشرة | طريقة التعرض للغاز | لون الغاز |
|---|---|---|
| حرقة شديدة في الحلق والوجه<br>تدمع العيون<br>إحساس بألم في الصدر عند استنشاقه وضيق في التنفس<br>رائحته قوية جداً ويشعر الشخص بالاختناق بسرعة<br>الكثير يشعرون بدوار وانهيار القوى إن كان قريبا منهم<br>قد يسبب الإغماء إن لم تبتعد عنه بسرعة | الأماكن المفتوحة | الأسود |
| انهيار القوى بشكل سريع<br>اختناق سريع وحالات إغماء<br>كثرة السعال وصعوبة التنفس<br>ألم شديد في الصدر<br>دوار الرأس<br>آثار الغاز فيما بعد (وهي تختلف اختلافا بسيطا من شخص لآخر وتعتمد على الكمية والمكان):<br>قد يستمر السعال عدة أيام<br>ألم في الصدر وضيق في التنفس<br>البعض يشعر باضطراب في دقات القلب لبضعة أيام<br>اضطرابات في المعدة<br>صداع في الرأس<br>الإحساس بالتعب الدائم لبضعة أيام يصاحبه شعور بالنعاس<br>تهيج الجلد عند البعض | الأماكن المغلقة | |

## ■ أحمر وأزرق وو..

كل من الغاز الأزرق والأحمر ونظراً لحداثة استعمالهما لم نتمكن من الحصول على عدد كاف من الشهادات. لكن يشير البعض إلى أن التعرض للأزرق يتسبب في ضيق في التنفس بشكل سريع ويؤدي شمه إلى دوار الرأس والتقيؤ وبعد ذلك يسبب صداعاً في الرأس.

أما الأحمر، فلا تزال الإفادات بخصوص التعرض له نادرة، وهناك تخوف من كونه غازاً ساماً مع ما تابعنا من خلال بعض القراءات لمجموعة من المواقع المهتمة (2).

لا تزال الغازات الخانقة التي تلقيها قوى الأمن على المواطنين المحتجين تتعدد ألوانها، لا تزال تخلق سحابات بكل الألوان، لكنها ليست ألوان الفرح، ليست ألوان الربيع، لا تبتكر الحياة، بل تبتكر صنوفاً لا نعرفها من الموت القريب، أو المؤجل، ولا نزال بانتظار جهة مختصة عالمية تتمكن من معرفة ما تحتويه هذه الوجبات اليومية من سموم الموت.

## ■ هوامش:

(1) انظر. مركز البحرين لحقوق الإنسان: حالات إجهاض نتيجة الاستخدام المفرط للغاز المسيل للدموع والعنف

http://bahrainrights.hopto.org/ar/node/4932

(2) انظر. بحوث متعددة عن الغازات وأعراض مشابهة في الصفحات التالية:

http://www.arab-oil-naturalgas.com/articles/safety/articleS_16.htm

CS: http://en.wikipedia.org/wiki/CS_gas

CR: http://en.wikipedia.org/wiki/CR_gas

CN: http://en.wikipe

General info: http://emedicine.medscape.com/article/833315-overview#showalldia.org/wiki/Phenacyl_chloride



# عاصمة أدخنة الموت..

## الحد الأدنى لميزانية خنق هذا الشعب:٤ ملايين و٣٢٠ ألف دينار

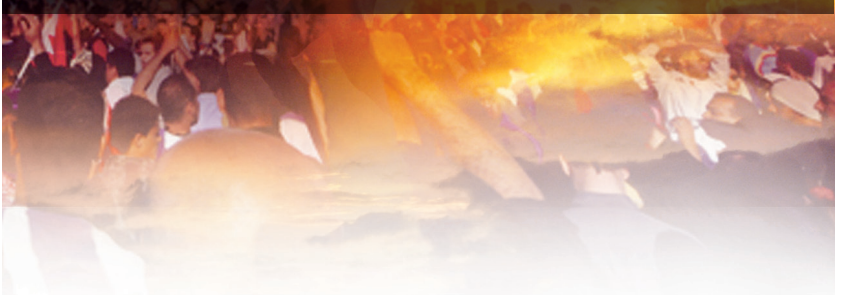

في المناطق التي تنتفض ساحاتها كل يوم، تأتي الغازات الخانقة من كل مكان في العالم، تحل ضيف رعب على بيوت الآمنين، ضيفاً يستحضر لعنة الموت (1). من الولايات المتحدة حتى البرازيل، كلها شركات كونت أرصدة ثرواتها عبر أرواح الأبرياء، الذين يقتلون في هذه الجزيرة الصغيرة. المواطنون يقضون محاصرين بهالات الغاز الخانق، لا فرق بين رضيع أو عجوز، رجل أو امرأة، عاقل أو غيرذلك، الكل أمام موت لا ينتقي، يقطف فقط. يقطف الأضعف ومن لا يجد له مهرباً.



■ **فظاعة الخنق..**

وسط ضباب الغاز الكثيف، قضى أحد عشر مواطناً مختنقاً، تحديداً منذ 25 آذار/مارس وحتى 17 كانون الأول/ديسمبر. بعضهم أصغر سناً من أن يدرك أن الحياة بهذه الفظاعة، وبعضهم أكبر من أن تدركه هذه الفظاعة، وبعضهم فيما بين هذين الإدراكين، وفي وسط الفظاعة تماماً.

كعادة سترة الصمود المطحونة بكل أشكال القمع، والتي لا تتوقف عن تقديم قرابين الحرية لهذا الوطن، كان نصيبها الأوفر من الشهداء عموماً، ومن شهداء الاختناق خصوصاً. لم تعلم الطفلة ساجدة فيصل جواد (5أيام)، أنها خرجت من رحم والدتها لا لتتنفس الحياة، بل لتستنشق الغازات الخانقة حتى الموت. ولم يعلم الطفل محمد فرحان (6 سنوات) أنه لن يغادر روضته إلى المدرسة، بل إلى القبر. من سترة أيضاً، قضى كل من الشهيد عيسى الطويل (50 سنة)، والشهيد السيد جواد السيد احمد (35 عاماً)، والشهيدة زينب (47 عاماً) التي كانت سجينة جسدها المقعد، الذي لم يسعفها على الهرب من الغازات التي ملأت منزلها بعد أن استهدفها المرتزقة بعبوات المسيل داخل المنزل.

أما منطقة السنابس المغرقة بالغازات الخانقة والقمع، ذهبت شهيدتان اختناقاً: خديجة آل عبدالحي، وزينب التاجر. ومن المعامير قضى الشهيد الحاج عيسى محمد من المعامير

(67 عاماً)، ومن الدراز الشهيد السيد عدنان السيد احمد حسن (44 عاماً)، اختنق بالدراز أثناء مشاركته في إحياء مراسم عزاء. ومن منطقة أبو صيبع ذهب الشهيد الحاج جعفر لطف الله من أبوصيبع (74 عاماً)، ثم الشهيد الحاج عبدعلي الموالي من المقشع (58 عاماً).

## ■ جنون الإغراق..

لكل منطقة وجباتها الخاصة من الغازات الخانقة، المناطق الأكثر اشتعالاً تشهد إغراقاً هستيرياً انتقامياً (2)، يخف في المناطق الأقل اشتعالاً. القرى والمناطق الشيعية لا يخفف عنها من أنواع الجحيم وسحابات الغاز الثقيلة شيء، المناطق المختلطة أقل.

(مرآة البحرين) استطلعت سكان بعض المناطق في محأولة منها لمعرفة عدد العبوات الخانقة الملقاة عليهم بشكل يومي أو وقت حدوث احتجاجات. المناطق التي تشهد احتجاجات محدودة مثل دمستان وكرزكان وسند، يترأوح العدد بين 15 – 55 عبوة. لكن يرتفع هذا العدد في مناطق مثل كرانة وأبوصيبع ليصل إلى 100 – 150 عبوة عند المواجهات اليومية، فيما يبلغ ذروته في عاصمة الصمود سترة، إذ يصل في اليوم الواحد إلى 350 عبوة مسيلة للدموع، إنه الإغراق المتعمد حد الموت. وفي بعض الأحيان يتجأوز جنون الإغراق حد المقبول ليصل عدد الغازات الملقاة خلال دقيقة ونصف فقط إلى 75 عبوة في منطقة عالي دون توقف. مقطع فيديو يظهر من بعيد إغراق هستيري بالغازات الخانقة لمنطقة بني جمرة عبر إلقاء متواصل للغازات دون توقف (3)، (4).

كمية وجبات المناطق من الغازات الخانقة يحددها مقدار حركة الاحتجاجات التي



شهدتها هذه المنطقة أو تلك التي لا تزال تشهدها.

البيوت في هذه المناطق لم تعد مكاناً آمنا للسكن، لا يكفي أن تغلق عليك باب بيتك لتنجو من القمع والخنق، سيأتي مرتزقة الأمن ويلقون داخل بيتك قنابلهم الغازية، وسيمضي هؤلاء غير مكترثين. مشاهد فيديو كثيرة تم توثيقها في أماكن مختلفة تظهر قوات المرتزقة تقوم بإلقاء الغازات الخانقة داخل البيوت الآمنة والمغلقة (5). وأخرى تظهر حرائق نشبت في بعض البيوت بسبب إلقاء كثيف لقنابل مسيلات الدموع (6).

## ■ ميزانية القمع..

النظام الذي اعتاد نهب ثروات البلد وأراضيها وأموال نفطها ليكدسها ضمن ثرواته الشخصية، لا يهمه أن يهدر ما تبقى من أموال عامة، يستخدمها في قتل هذا الشعب. لا يمكن تخيل أن تسخّر دولة إمكانيات ضخمة ومبالغ طائلة من ميزانيتها لتوفير هذه العبوات السامة التي تضاعف حدّة مشكلاتها مع الشعب، وتضاعف نقمته عليها. لا يتورع هذا النظام عن دفع ثروة الوطن لقتل الشعب وتسميمه بدلاً من الاستجابة لمطالبه أو التعاطي معه بحضارية.

تختلف أسعار عبوات الغازات حسب النوع والمصدر ومكان الصنع، كما يختلف السعر حسب مواصفات الغاز. متوسط سعر عبوة الغاز المسيل للدموع يتراوح بين 7 - 15 دينارا، يتم شراؤه من شركات أمريكية وبرازيلية في العادة.

إذا افترضنا في تقدير بأدنى مستوياته، أن 10 مناطق تتظاهر بشكل يومي في البحرين،






وأنه يتم توجيه 6 دوريات أمن لكل منطقة (يصل عدد الدوريات بين 50-30 دورية في بعض المناطق)، الدورية الواحدة بها 4 عساكر، ولنفترض أن كل منهم سيطلق خمس طلقات فقط (يطلق عشرات الطلقات على أرض الواقع)، فإن تكلفة القمع اليومي تصل 12 ألف دينار (10 دنانير للعبوة)، ويكون متوسط ما تنفقه الحكومة في قمع الشعب خلال عام واحد هو 4 ملايين و 320 ألف دينار. ومع أخذ الاعتبار أن هذه الافتراضات غير حقيقية، وتمثل أحد أدنى غير واقعي من خلال مشاهداتنا، فإنه يمكننا أن نؤكد أن المبالغ التي يصرفها النظام على هذه الغازات هي أضعاف هذا المبلغ. وهي ميزانية الغاز الخانق وحده فضلاً عن أدوات القمع الأخرى المستخدمة.

### ■ غاز الـ SC

في السابق كانت مسيلات الدموع لوناً واحداً هو الأبيض، ولها مفعول محدد، حرقة الأنف والعينين وبعض الدموع، أما اليوم فالألوان مختلفة، بين الأبيض والأصفر والأخضر والأزرق أيضاً (أفردت مرآة البحرين لها تقريراً خاصاً)، بعضها يسبب حرقةً في الأنف والبلعوم، والآخر في الجلد، وبعضها يسبب الاغماء والقيء والإسهال. بعضه يمكن غسل الوجه بالماء عدة مرات ليزول مفعوله، آخر يسبب حروقاً وآثاراً سيئة بالغسل.

أحد الأسلحة المستخدمة المصنوعة في الولايات المتحدة الأمريكية كما يظهر من المعلومات على العبوة(7). تحتوي غاز الـ «CS»، وهو من المواد الكيميائية الأكثر شعبية نظرا لتأثيره القوي وكميته القليلة مقارنة مع غيره من المواد الأخرى، ويعتمد مدى تأثيره على

طريقة وكثافة استخدام الغاز والحالة الصحية للأشخاص.

تتفاعل المواد الكيميائية المكونة للغاز مع الرطوبة الموجودة على الجلد والعيون، يسبب حرقاناً شديداً في العينين وانغلاقاً فورياً لهما وعدم القدرة على السيطرة عليهما، وعادة ما تشمل آثاره الجانبية عدة أعراض مثل الدموع المتدفقة من العيون، السعال، وسيلان الأنف، وحرقاً في الأنف والحنجرة، والارتباك، والدوخة، وصعوبة في التنفس، وقد يصاب البعض بحروق في الجلد عند تعرضهم لأشعة الشمس والغاز في الوقت ذاته، ويحدث أيضاً عند تعرض الشخص لجرعات عالية التركيز من الغاز أن يصاب بنوبة حادة من السعال والقيء، وتعتبر هذه الأعراض من الأعراض قصيرة المدى والتي يحتمل أن تزول في غضون دقائق.

## ■ إجهاض وأكثر..

ورغم تصنيف غاز ال « CS » سلاحاً غير قاتل، إلا أن عددا كبيرا من الدراسات التي شككت في صحة هذا التصنيف، تشير إلى أنه يمكن أن يخلق أضرارا رئوية حادة، وأضرارا كبيرة في القلب والكبد، ويؤدي إلى الإجهاض، وهو ما أصاب عددا من نساء المناطق التي تتعرض لإغراق كثيف بالغازات السامة بشكل يومي في البحرين.

وبحسب «مركز الجيش الأمريكي لتعزيز الصحة والطب الوقائي» فإن هذا الغاز تنبعث منه «أدخنة سامة جدا» عند تسخينها، وعندما يتم استخدامه بتركيزات عالية فإنه يشكل خطرا مباشر على الحياة والصحة، وأن أولئك الذين الذين تعرضوا لغاز « CS » يجب عليهم الحصول على عناية طبية على الفور.

أيضاً، قد يسبب التعرض للغاز المسيل للدموع، عندما يتم استنشاق كمية كبيرة منه ولفترة طويلة، أضراراً خطيرة على الجلد والعينين والرئتين، بالإضافة إلى تورم العينين، والعمى، وحروق شديدة في الجلد، وتوقف التنفس وقد يتسبب في فشل الجهاز التنفسي، ويكون الأشخاص الذين لديهم أمراض القلب والربو ومشاكل التنفس الأخرى بشكل خاص عرضة للموت من جراء التعرض للغاز، فإمكانية حدوث حالات وفاة بسبب التعرض لهذا النوع من الغاز قائمة وبشكل كبير.

## ■ غاز الـ SR

لم يكتف النظام باستخدام الغاز المسيل للدموع الذي اعتاد المواطنون عليه لعقود طويلة، بل عمد إلى استجلاب غازات أخرى لم يعرفها الشعب قبل الآن، وأشهرها مادة الـ CR




وتعد هذه المادة أشد خطراً من الـ CS، إذ تصنف على أنها مادة مسيلة للدموع، ومسببة للشلل المؤقت، تم تطويرها بواسطة وزارة الدفاع البريطانية لتوظف في تفريق المظاهرات في أواخر خمسينيات القرن العشرين وبداية الستينيات من ذلك القرن.

وتبلغ قوة غاز الـ CR 6 عشرة أضعاف قوة غاز الـ CS، يسبب تهييجاً شديداً للجلد وتشنجاً في الجفن، وقد يسبب حدوث عمى مؤقت، وسعالاً، وصعوبة في التنفس، وبالطبع الهلع. تدور حوله الشكوك في كونه مادة مسرطنة، وقد يتسبب في الوفاة خلال دقائق في حال التعرض لكميات كبيرة منه وهو سام في حالة ابتلاعه والتعرض له على حد سواء ولكن بدرجة أقل من غاز سي إس، وقد يتسبب في الوفاة في حالة التعرض لكميات كبيرة منه، وهو ما يمكن أن يحدث خاصةً في الأماكن سيئة التهوية، حيث يمكن أن يستنشق الشخص جرعة مميتة منه خلال دقائق معدودة. وسبب الوفاة في هذه الحالات هو الأسفكسيا أو الوذمة الرئوية، ويستمر تأثير مادة CR لفترات طويلة، وقد يظل على الأسطح، وخاصة الأسطح المسامية، لمدة تصل إلى 60 يوماً.

وعلى النقيض من الغاز الأول، الذي يمكن إزالة آثاره باستخدام كميات كبيرة من الماء، فإن استخدام الماء في حالة هذا الغاز قد يؤدي إلى تفاقم آثاره. البشرة الملوثة به يتسبب غسلها بالماء في ألم شديد يستمر لمدة 48 ساعة بعد التعرض.

وتعتبر الإجراءات العلاجية في هذه الحالات هي مجرد إجراءات لتخفيف الأعراض. تنزع الملابس الملوثة، وتغسل العينان والجلد، ويمكن استخدام قطرات العين لتخفيف آلام العينين، كما استخدمت حديثاً مادة ديفوتيرين للوقاية من آثار التعرض للغاز المسيل للدموع على العينين والجلد وللعلاج السريع لهذه الآثار على حد سواء.

وقد صنف الجيش الأمريكي مادة CR حالياً كسلاح كيمأوي قتالي يتسبب في آثار



جانبية خطيرة على البشر وتبتعد الولايات المتحدة عن استخدامه في تفريق أعمال الشغب لما يدور حوله من شكوك حول كونه مادة مسرطنة (8).

### ■ ويستمر الموت...

ضباب الغاز صار علامة مدينتنا، هذه المدينة التي تحتفي بتتويج نفسها عاصمة للثقافة العربية 2012، فيما يحق لها أن تحتفي بتتويج نفسها عاصمة لضباب الربيع العربي، ضباب الخنق حد الموت.

■ **هوامش:**

(1) إلقاء متعمد للغازات الخانقة داخل البيوت

http://inagist.com/14febahrain/155335760034271233/

(2) فيديو يوتيوب آخر يظهر قوات المرتزقة تغرق منطقة سكنية بالغازات الخانقة رغم عدم وجود محتجين.

http://www.youtube.com/watch?v=JTfrC6BpsSw&context=C3faf146ADOEgsToPDskIwECKiUevpKVh5C7DfZa6h

(3) يوتيوب القاء هستيري للغازات الخانقة لمنطقة بني جمرة

http://img441.imageshack.us/img441/4750/7h5.mp4

(4) إغراق همجي بالغازات الخانقة لمنطقة النويدرات

http://www.youtube.com/watch?v=Mvp2ULoH-3Q

(5) يوتيوب إلقاء مسيلات دموع داخل المنازل بدون سبب

http://www.youtube.com/watch?v=qTnynqiFW6A

(6) يوتيوب احتراق منزل في منطقة السنابس بسبب الغازات الخانقة

http://www.youtube.com/watch?v=RTNR0i10CNc

(7) تصنع هذه القنينة في مصانع «Non-Lethal Technologies Inc» الأمريكية وموقعها على شبكة الإنترنت:

http://www.nonlethaltechnologies.com/sales.htm.

(8) انظر: غاز سي آر – ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%BA%D8%A7%D8%B2_%D8%B3%D9%8A_%D8%A2%D8%B1



# البحرين:
# سيرة المقاومة المدنية

**في المناطق التي تنتفض ساحاتها كل يوم، تأتي الغازات الخانقة من كل مكان في العالم، تحل ضيف رعب على بيوت الآمنين، ضيفاً يستحضر لعنة الموت (1). من الولايات المتحدة حتى البرازيل، كلها شركات كونت أرصدة ثرواتها عبر أرواح الأبرياء، الذين يقتلون في هذه الجزيرة الصغيرة. المواطنون يقضون محاصرين بهالات الغاز الخانق، لا فرق بين رضيع أو عجوز، رجل أو امرأة، عاقل أو غيرذلك، الكل أمام موت لا ينتقي، يقطف فقط. يقطف الأضعف ومن لا يجد له مهرباً.**



تقرير تأملي تتبّعيّ -وليس تأريخيا، لثورة 14 فبراير- ومن خلال مسبر مُحدّد هو مقولة: المقأومة المدنية. تهدف القراءة إلى رصْد أهم وسائل النضال السلمي التي اعتمدتها هذه الثورة، وتسليط الضّوء على السياق الحاضن والمولِّد لها، إضافة إلى النقاشات التطورية والحجاجية التي تزامنت أو تأثرت بها. يعتمد التقرير/ القراءة منهجيا على كتاب «المقأومة المدنية» للباحث البحريني عبدالهادي خلف، كما أنها تستضيء بكتاب جين شارب «من الدكتاتورية إلى الديمقراطية»، وتعدّ كتابات شارب واحدة من إحالات خلف المرجعيّة. تمثّل هذه القراءة اقتراحا تمهيدياً لأي جهد توثيقي مفصّل لأيّام الثورة، وهو مشروع وطني يُراد له الإنجاز في أقرب وقت.

كانت الثورة المصرية -ومن خلفها ثورة الياسمين في تونس- هي محطّ أنظار البحرينيين. يسجّل المتابعون أنّ النموذج السلمي للثّورة لم يكن عصيا تطبيقه في البحرين، ولكن السؤال الذي ظلّ يشغل كثيرين هو: ما مدى السلمية التي يمكن الالتزام بها، لاسيما في ظلّ سجالاتٍ سابقة داخل البيت المعارض حول أساليب النضال والإستراتيجيات، والاختلاف على الوصفة السّلمية؟

حينما خرج البحرينيون يوم 14 فبراير، انكسرت الهواجس تلقائيا. لم يخضع الجميع لدورات تدريبية في المقأومة المدنيّة، ولم تكن برفقتهم فرق منظّمة تجيد فنّ الاستنزاف اللا عنفي لقوات الأمن. اكتفي البحرينيون بخبراتهم المتراكمة وصدى الرّبيع العربي،

وبالمعجم الثقافي والقيمي الذي يتمثّلونه في إدارة سلوكهم الخارجي. على هذا النحو مرّ ذلك اليوم.

### ■ مشهد مختبري: سلميّة اليوم الأوّل

المكان: قرية الديه عند الشارع المقابل لمجمع جيان التجاري. الزمان: 14 فبراير 2011. الساعة: الثالثة والنصف عصرا. المناسبة: يوم الغضب في البحرين.

تتقدّم القوات إلى التجمع السلمي الذي بدأ للتّو. كان الضابط يأمر القوات بالتقدم، فيما عيونه مشغولة في جهاتٍ شتى. عندما تُدير الوجه نحوه أكثر، تتأكّد أن أعصابه تتجه ناحية قرية سنابس، وتحديدا على ضفافها المحاذي لبؤرة الأنظار يومها؛ دوار اللؤلؤة. المشهد من جهة جيان يبدو شبيهاً بسيل من الألوان الرمادية. القوات تتجه بهيبةٍ مفتعلة نحو مجموعات مختلطة (شباب، شابات، أطفال) تضجّ باللافتات. لا يستوعب المرء الحدث المرتقب. أيّ متابع حريص على الوقائعية سيضطر لأن يترك الزوايا الآمنة والاقتراب نحو نقطة الاحتشاد أملاً في التقاط الصّورة المحفوفة بالغموض.

المفاجئ أن المتظاهرين كانوا ثابتين في أماكنهم، لا يعتريهم الخوف من الفوّهات التي تكاد تلتصق بهم. تقترب من القوات فتجد حيرةً صفراء تخيّم على الوجوه المختبئة تحت الخوذات. لم يتغيّر الموقف السلمي حين تمّ الإطلاق. تفرّق الجمّع تحت وابل الغازات، ولكن ليعود من جديد. تلك كانت الالتقاطة الأولى لأنفاس المقأومة المدنية للثّورة الجديدة. القرية المعروفة سابقا بمواجهاتها الشديدة مع القوات، بدت مختلفة هذه المرة. في واحدة من الإعادات، تقدّم شبان يعرضون على القوات لافتات مطلبية هاتفين: «سلمية سلمية». على مقربة من المشهد، يراقب القيادي في جمعية الوفاق، سيد هادي الموسوي، فتى صغيرا يحمل حجرا، ليقترب من الأخير شابٌ آخر ويُذكّره بالدّرس الأول: «سلمية». ونجح الاختبار.

### ■ الاعتصام المركزي في دوّار اللؤلؤة

دخل المحتجون دوّار اللؤلؤة ظهيرة 15 فبراير محمّلين بملفين متبادلين سيمثلان جوهر المناقشات الداخلية للحركة الاحتجاجية: الأول الشعار المطلبي وتوحيده، والثاني: إستراتيجيّة المقأومة المدنية القادمة.

نظرا لسقوط اثنين من الشهداء (الشهيد علي مشيمع 14 فبراير، والشهيد فاضل المتروك 15 فبراير)، فقد وجد شعار إسقاط النظام بيئته المؤاتية. ونظرا لذلك، لم يكن مستغربا أن المتظاهرين الذين تقاطروا لاحتلال الدّوار والاعتصام فيه كانوا يهتفون بذلك الشعار. كان ذلك، على الأقل، المشهد الأكثر اتساعا وتقبّلا. سيؤثر ذلك لاحقا على إدارة العمل اللا عنفي المنتظر، إلا أن الاعتصام في الدوار، واستطاعة المعتصمين تنفيذ ورش عمل مفتوحة، سيمكّن من إعداد تدريجي وغير مكتوب لمانفيستو المقاومة السلمية.

ينبغي تسجيل أن شعار إسقاط النظام لم يخضع لشطب إرادي من جانب المشاركين في الاعتصام، وبدلا من ذلك جرت عمليات مراجعة أو تحسين أو تركيب توافقي للشعار. لم يكن الأمر مثاليا، وبرزت بعض ردود الأفعال غير المتوازنة، ولكن في كل الحالات، ظل الشعار ثابتا في مكانه، واعتلى المنصة الرئيسية للاعتصام. ويمكن استنتاج أنّ المفهوم الواضح للمقاومة المدنية لدى المعتصمين كافة؛ أسهم في اقتراح المعالجات التوفيقية، كما هي محاولة إبراهيم شريف – أمين عام جمعية وعد – في تفسير مفهوم إسقاط النظام بما يجعله مسأويا للشعار المطلبي المنافس آنذاك: المملكة الدستورية. لقد أدرك الجميع أن تقديم تنازلات، ولو على مستوى الشعار، يُفقِد الاعتصام جوهره في التحدي والنضال الجاد. وفي الحدّ الأدنى، فإن مقولة التوازن القوي – التي بلورها غاندي – تفقد اعتباريتها لو جرت تنازلات على هذا الصعيد، حيث تتمسك المقاومات الحقيقية بمواقف سياسية صلبة تفرض قدرا من التوازن مع السلطة المدجّجة بالسلاح، في مقابل الشعب الأعزل الذي قرّر السلوك اللا عنفي في النضال.

جوهريا، سيؤدي الاعتصام في الدوار، وبالكيفية التي تمّت، إلى تحقيق أثرين أساسيين يؤكد عليهما المهتمون بالنضال السلمي وفنونه. فقد عزّزت النقاشات المفتوحة الإقدام المدهش على تجأوز الخوف، وإسقاط جدار الخشية من السلطة وقمعها، وهي من مستلزمات التحدي السلمي الناجح. ومن ناحية أخرى، رسّخت تلك العادة المدنية التقبل الديمقراطي لوجهات النظر الأخرى، والتسامح الواقعي مع الأيديولوجيات المتعددة التي يمكن أن تنخرط في العمل الجماهيري السلمي. لاحقا، وعندما تشتد إجراءات السلطة، ستتبلور الفائدة القصوى للتعزيزات المعنوية والتثقيفية التي وفّرتها طأولات الحوار في الدوار.



■ **اختبارات السّلمية: الوردة، العلم الوطني، الصّدور العارية**

بعد الهجوم الوحشي والغادر على المعتصمين فجر الخميس، 17 فبراير – وقد أدى إلى سقوط أربعة من الشهداء – انتقل مسار التحدي السياسي إلى حدود جديدة من المواجهة. استخدام العنف الذي تسبّب مزيدا من الشهداء، سوف يعيد ممارسة الأسلوب المتكرر للمقأومة المدنية، وهو تحويل الجنائز إلى احتجاجات غاضبة ضد النظام. عملت الجنائز على إبراز الفجيعة وبالتالي تعرية وجه النظام من ناحية، وأكّدت على الزخم الثوري من جهة أخرى. وهذه وسيلة مركزية على امتداد ثورة اللؤلؤة كون الأخيرة تميزت بقوافل متتالية من الشهداء، وهو ما سيبرر ظهور عدد من الوسائل الرفضية الخاصة ببيئة الجنائز وتشييعها، من قبيل فعالية الشموع، التي ستجد حضورها الأبرز والأوسع بعد الهجوم الثاني على الدوار، وانتقال الاحتجاجات إلى القرى والمناطق في أغلب الأوقات.

في يوم 20 فبراير، دخل التحدي المقأوم مرحلة جديدة، كان عنوانه العريض: الصدور العارية. وكان الشهيد رضا بو حميد رمزه الكبير (1).

كان المطلوب التغلّب على إستراتيجية الالتفات والاجراءات الاستيعابية للنظام، وذلك بعد إثبات القدرة على إجهاض إجراءاته القمعية المختلفة.

في المرحلة الثانية من اعتصام الدأور، استطاعت الثورة السلمية أن تُكرّس ثقافة الإقناع والتحدي بالأسلوب المدني (2). برز شعار «أنا الشهيد التالي» في هذا السياق، ولم يكن يحمل رسالة عنفية أو رغبة في الموت العبثي كما صوّره الإعلام التابع للنظام. في الواقع، مثّل هذا الشعار، والسلوكات الاحتجاجية التي صاحبته – من قبل ارتداء الأكفان والتقدّم



العاري نحو القوات المعتدية – أجلى مظاهر التمرّس على إسقاط الخيار القمعي، وهو مشهد احتفلت به الصحافة العالمية ودلّت عليه العبارة الشهيرة «مثخنون بالجراح ولكن لا ينحنون».

اشتغل المعتصمون في هذه الفترة على ابتكار الرموز والثيمات، وتنوعت الأساليب التعبيرية وأدوات الفن. أعطى الاعتصام – إضافة إلى مشاعر الإقدام – فرصة هائلة لإطلاق المواهب والإشارات الاحتجاجية، وتم توظيف كل شيء في هذا الاتجاه (القدو (النارجلية) (3)، النفيش (الذرة)، اللوحات الجدارية، التعبيرات الساخرة. ظهر في هذه الفترة تعبير «شحوال» (4) (كيف حالك؟) تعبيرا عن الإيذاء النفسي لمعنويات النظام، وتذكيره بقرب الرحيل.

### ■ دوّار الؤلؤة: الاعتصامات والمسيرات الدّوارة

إعادة الاعتصام في دوار اللؤلؤة عزّز قيمة التحدي السياسي وجدوى المقأومة المدنية، وقد سارع المعتصمون إلى توسيع نطاق النقاشات في ساحة الاعتصام. تعبيرا عن المشاركة الشعبية العارمة في الاعتصام، انطلقت من ساحاته المسيرات المختلفة. وهي وسيلة هامة لإعطاء الزخم العام للاحتجاجات، وتجديد انطلاقتها، والتحشيد المتواصل للمطالب المرفوعة، وصولا إلى محاصرة النظام وتحقيق التوازنات المطلوبة.

في هذا السياق، سيّرت المعارضة مسيرة الشهداء الحاشدة (5)، والمسيرة التي طافت على مبنى الحكومة (6) والمرفأ المالي(7). وصولا إلى الاعتصام الجزئي الذي أريد له الاستمرار يوميا قرب قصر القضيبية(8).

في هذه الفترة، بدأ تجمع الفاتح يأخذ تصعيدا لجهة التشكيك في النضال المطلبي لثورة فبراير، وأخذت تظهر على السطح بدايات الاصطفاف الطائفي. في هذا الإطار، خاضت الثورة جهدا مضنيا للوقوف في وجه هذا التشطير، وأكّدت على البعد الوطني للحركة الاحتجاجية من خلال ابتكار الشعارات الوطنية (إخوان سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه) والسلسلة البشرية التي انطلقت من مسجد الفاتح ذهابا إلى دوار اللؤلؤة(9).

## ■ دوّار اللؤلؤة: توسيع الدائرة الخانقة..الإضراب العمالي والمرفأ المالي

بحسب طبيعة الأعمال الاحتجاجية، فقد كان من الطبيعي أن تزداد وتيرة التصعيد النضالي على مستوى العدد والكيف. ومن حيث تنويع المبدارات، تم توجيه المسيرات لتتخذ أدوار مركبة في التعبير الاحتجاجي من جهة، وإلحاق المزيد من الضغط المعنوي على النظام. وفي هذا السياق، تم توجيه مسيرات إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون، والمسيرة التي تحرّكت باتجاه الديوان الملكي (10)، والأخيرة التي انطلقت إلى قصر الصافرية (11) وطوّقت أسواره.

أجّج من هذا الصعيد، انكشاف خطة الاحتواء للنظام، وسعيه الدؤوب لتطويق الاحتجاجات من خلال وسائل استيعابية وتفريغية واستخدام الأدوات التلقيدية في إثارة الخلاف الطائفي. وكان من الطبيعي أن تأخذ المقأومة المدنية حراكا تصعيديا، قد لا يكون محسوبا تماما، رداً على منأورات النظام، التي كان يمكن أن تُهدِّد أساس الحركة الاحتجاجية برمتها.

في هذا الإطار، كان إغلاق المرفأ المالي(12)،والتي عدّت خطوة تصعيدية متقدّمة في مجال المقأومة المدنية، وتعدّد بشأنها الآراء. وبرغم أن هذه الخطوة أحيطت منذ بداياتها بالنقاشات المتعددة، فإنها لم تكن مفاجئة، وقد عمِد المحتجون منذ الأيام اللاحقة للاعتصام في الدوار، إلى توسيع الخيام، وتم تثبيت خيمة خاصة بالمعتصمين عند المرفأ المالي نفسه، كما كان ساحة مفضّلة لعدد من الاعتصامات في هذه الفترة. وعدا عن رمزية هذا المكان، والذي ارتبط بعملة الدينار (قيمة شراؤه من جانب رئيس الحكومة)، فإنه يمثّل في نظرية المقأومة الإيجابية هدفا مطلوبا وبإلحاح، وبمعزل عن الاختلاف الذي ورد بشأن التوقيت.

## ■ ما بعد دوّار اللؤلؤة: التاريخ المفصّل للمقأومة المدنيّة

من دخول قوات درع الجزيرة (13)، وإخراج المعتصمين من الدوار وتدمير نُصب

اللؤلؤة، وإعلان الطوارئ، وعودة النظام لاستخدام عمليات القمع الواسعة، تكون المقأومة المدنية في ثورة فبراير قد دخلت تاريخها الحقيقي.

في الفترة الأولى لهذه المرحلة، ستكون الجنائز هي الوسيلة الاحتجاجية الأبرز، وذلك نظرا إلى أعداد الشهداء وتوالي الأنباء بشأن سقوطهم. يمثل خبر الشهادة حافزا لتنظيم استعدادات واسعة للتشييع، وفي حين انتهت أغلب الجنائز في هذه الفترة دون تدخل القوات، إلا أن الأهالي كانوا يحرصون على تجديد الاحتفاء بالشهداء ليلا من خلال مسيرات الشموع (14)، وهي الفعالية التي برع البحرينيون في تقديم معانيها النضالية. كما أن إنهاء مراسيم العزاء (كسار الفاتحة) تكون عادة مناسبة لتجديد الزخم الثوري، وهي عادة ما تكون عرضة لتدخل القوات واندلاع المواجهات.

برز التكبير (15) من أسطح المنازل باعتباره الفعالية الليلية المركزية. ويشير تدخل القوات وبطشها الهمجي إلى الدّور المعنوي والاحتجاجي لهذه الفعالية التي التزم بها الأهالي في توقيتات معينة وبأساليب تكاد تكون متشابهة.

جنبا إلى ذلك، اتسع في هذه المرحلة استخدام الأبواق لعزف النغمة المعروفة (تن تن تتن) (16). كانت النغمة في فترة الاعتصام بالدوار تؤدي دور التعريف بهوية المحتجين، وعبّرت عن تصاعد المطلب الثوري من جانب آخر. ولذلك فقد كان توظيفها وقتئذ يحمل طابعا مطلبيا وكرنفاليا. بعد ذلك، أضحت النغمة وسيلة احتجاج وترهيب نفسي للقوات، وتشير المواد الفلمية إلى حضورها الدائم في الاحتجاجات التي بدأت تعود في فترة الطوارئ على مستوى القرى، وهي تصدر في الغالب من البيوت وأسطح المنازل لإعطاء المتظاهرين زخما معنويا وإظهار الاعتراض في وجه القمع الذي يزحف باتجاههم.

مع الإعلان عن موعد إنهاء الطوارئ، بدأت المقأومة المدنية تستعيد التقاطتها الثورية الجديدة. بدأت برامج التحشيد للعودة إلى دوار اللؤلؤة (17) على مدى زمني متواصل. وتم ابتكار فعالية متنقلة بين القرى والمناطق تحت عنوان «تقرير المصير» والذي بدأ لأول مرة في منطقة جدحفص (18) متزامنا مع وصول لجنة تقصي الحقائق التي شكلها النظام.

أعادت فعاليات تقرير المصير الأنماط الخاصة بالنضال اللا عنفي في البحرين. فبرز الإبداع في مقأومة العنف بوسائل لا عنفية، مع إظهار مستويات عالية من الشجاعة في وجه القمع العنيف الذي خلّف المزيد من الشهداء والضحايا (19).

وبصحبة هذه الفعاليات الشعبية، بدأت المعارضة (وعلى رأسها الوفاق)، وفور انتهاء الطوارئ، بإعادة الحضور الشعبي، وبدأت تدشين سلسلة من الاعتصامات الأسبوعية السّيارة في مناطق البحرين. وقد أفادت هذه الاعتصامات في تثمير الحراك الدبلوماسي في الخارج، وفرض معادلات جديدة في التحدي السياسي.
نوّع المحتجون وسائل في الاحتجاج، ومن ذلك تدشين فعاليات شعلة «تقرير المصير» (20) والتي جالت على مختلف مناطق البحرين. وهي فعالية ذات طابع معنوي، وتقوم على الاعتصام الجزئي، وإلقاء البيانات والخطب الثورية، مصحوبا برمزيات معينة، في مقدمتها الشعلة التي تنافست المناطق في طريقة تقديمها لجمهور المعتصمين. وتشهد المناطق بعدها موجة جديدة من المسيرات والتي تلجأ القوات إلى قمعها وتفريقها بالقوّة.

ضمن المناقشات الداخلية، تم التأكيد على ضرورة الحشد الاحتجاجي قريبا من العاصمة ومحأورها الرئيسية. وفي ذلك، كانت فعاليات العودة إلى دوار اللؤلؤة، والتي أخذت أشكالها متنوعة، وأبرزها مع دخول فعالية طوق السيارات (21)، والتي استخدمت بفعالية بهدف غلق الشوارع الرئيسية، ولاسيما المحيطة بالعاصمة ودوار اللؤلؤة.
في هذه الفترة، كان مفهوم تحرير الدوار مسيطرا على الفعاليات الاحتجاجية المختلفة، وقد أُعطي بعدا بطوليا ومؤثرا مع إقدام بعض الأفراد على دخوله في مشاهد أعادت تصوير الشجاعة والسلمية.

واستتباعاً لفكرة العودة إلى الشوارع الرئيسية، تجددت الاعتصامات المركزية في شارع البديع ومناطق أخرى، تحت عنوان «احتلوا شارع البديع» (22) و«احتلوا الكورنيش».

## ■ ملحق مسرد: أساليب العمل اللا عنفي في ثورة 14 فبراير

### ■ أولاً: أساليب الاحتجاج والإقناع

• تصريحات رسمية: صدور خطابات عامة مؤيدة للثورة من جانب الرموز الدينية والسياسية، واجتهاد الرموز لأجل وضع الثورة في سياقها المحلي والإقليمي. وتأكيد هذه الخطابات على الأسلوب السلمي، وعدم التنازل وتقديم التراجعات، بما يفيد الإجماع على المفهوم «المقأوم» للاحتجاجات القائمة، وعدم القبول بأية تسويات مبهمة أو الحلول الرمادية.

• مخاطبة الجماهير العريضة: ابتكر المحتجون يوميا الشعارات والهتافات، وعبر ذلك عن وعي شعبي لتطورات الأوضاع، والإصرار على المضي والثبات (من بعد الخميس أنهينا الكلام.. الشعب يريد إسقاط النظام، بلطجية بلطجية يا حكومة يا غبية...) / الرسوم الكاريكاتيرية، وقد استخدمت بطرائق مختلفة، مع الاستثمار الكبير لوسائل الاتصال الاجتماعي، وكانت وسيلة فعالة في تسخيف المواقف الرسمية وإبطال مزاعم النظام بطريقة الفكاهة والسخرية / الكتابة عبر اللافتات، وهي أداة حاضرة في المسيرات كلها، وقد اختزلت الموقف الشعبي من الإرجراءات والتطورات الراهنة / الكتابة على الجدران وفي الجو وفي الأرض. وقد توسّعت هذه الطريقة على امتداد يوميات الثورة، وباستخدام تجهيزات فنية متنوعة من قبيل الطائرات الورقية والبالون والأصباغ العريضة للكتابة على الأرض.

• احتجاجات جماعية: الاعتصامات استمرت على امتداد الثورة، وتنوعت بين الاعتصام المركزية (اعتصام اللؤلؤة، اعتصامات تقرير المصير، اعتصامات احتلال شارع البديع..) والاعتصام المناطقية التي لم تتوقف.

• أعمال رمزية عامة: رفع الأعلام البحرينية، وفي أقسى لحظات القمع والمواجهة مع القوات/ إقامة الصلاة في المساجد المهدّمة / الاستخدام المتواصل لنغمة «تن تن تتن»
• ممارسة الضغط على الأفراد: بفضل وسائل الاتصال الاجتماعي الحديثة، كان للمسئولين نصيبا واسعا من النقد والضغط النفسي، حيث كان من السهل البوح بالتوبيخ والملامة ومن غير الخشية الأمنية.

• المسرح والموسيقى: لجأ المحتجون إلى إنتاج مواقف مسرحية مصورة، وأغلبها

ساخرة، للردّ على إدعاءات النظام، وقد أثرت بشكل واضح في فضح هذه الإدعاءات، كما يوضح الموقف الرسمي والمناصرين له من الإعلام والإخفاق في هذه المعركة / الأناشيد الثورية والموسيقى التعبيرية، وقد برع فيها المحتجون على امتداد الثورة، وأسهمت في ترسيخ الثورة وتأكيد انتشارها الشعبي.

• المواكب: لم تتوقف المسيرات على امتداد أيام الثورة وظلت الشوارع حاضرة بالجماهير/ بعض الأعمال الموكبية كانت عبارة عن استعراضات خاصة لبعض المجموعات الثورية، بغرض التأكيد على الحضور في الشارع، أو لأجل تقديم رسائل رمزية ونفسية / مثلت المواكب الدينية والعزائية رسالة ثورية مباشرة في حياة الثورة، وكان التمسك بها أثناء قانون الطوارئ، وما صاحبها من مواجهات، تأكيدا على التواجد النضالي وعدم الاستسلام/ ابتكر البحرينيون قوافل السيارات الاحتجاجات في إطار العودة إلى محيط العاصمة والشوارع الرئيسية، وضمن محأولات الرجوع إلى الدوار. وكانت هذه القوافل ذات رسائل قوية في إبراز التأزم السياسي القائم وفاعلية المبادرة الشعبية.

• تكريم الشهداء: وهي وسيلة لم تغب عن المشهد الثوري، فكانت جنائز الشهداء بمثابة الدعوة المتجددة للتواجد الثوري، ومثلت مراسيم (كسار الفواتح) موعدا لإظهار الشجاعة في مقأومة العنف الرسمي/ وقد لجأ المواطنون إلى إقامة تشييع رمزي لبعض الحالات (حال شهيدة السيخ، وحالات الضحايا الذين يموتون تحت تأثير الإصابات).

## ■ ثانياً: أ- أساليب اللا تعأون الاجتماعي:

• نبذ الأشخاص: لجأ المحتجون إلى سلوك بعض أشكال المقاطعة الاجتماعية لبعض الرموز الرسمية والشخصيات المهتمة بارتكاب الانتهاكات، وتبع ذلك حجب العواطف الإيجابية عن الشخصيات الإعلامية والصحافية شاركت في الدفاع عن حملات القمع ومؤازة النظام في سياساته المختلفة. إلا أن هذا السلوك لم يخضع للتقنين أو الإدارة التحريمية من الجهات المعتبرة.

• اللا تعأون مع المؤسسات: ويمكن الإشارة هنا إلى إضربات الطلاب عن المدارس في أوقات القمع الشديدة، أو حين تكون هناك فعالية احتجاجية قريبة، أو حينما يتعلق

الأمر بالاحتفالات الرسمية (احتفالات 16 و17 ديسمبر)/ وكذلك مقاطعة الطلاب للمهرجات الرسمية التي تُقام في المناسبة المذكورة.

### ب- أساليب اللا تعاون الاقتصادي:

• الإضراب: وقد تم تنفيذه في فبراير ومارس ردا على عنف السلطة، وتعبيرا عن فقدان الأمن والأمل تجاهه. وكان الإضراب مؤثرا، بسبب شموله لمختلف المؤسسات الحكومية والشركات والمصانع الكبرى، وهو ما استدعى وجود مداخلات متكررة لإيقافه، وهو ما تم بالفعل بعد اشتراط الاتحاد العام لعمال البحرين ضمان سلامة العمال والطلاب.

• الإغلاق: ويمثل غلق المرفأ المالي الخطوة التصعيدية الأكثر تأثيرا في أحداث الثورة.

• المقاطعة الاقتصادية: وتمثل ذلك بمقاطعة المحلات التابعة لرموز النظام، أو تلك التي أبدت دعما علنيا له ووقفت في وجه المحتجين بشكل سافر وقمعي/ فعالية تصفير البنوك، بسحب الودائع والرواتب من البنوك التي شاركت في استهداف المواطنين/ سياسة التقشف بالامتناع عن ارتياد المراكز التجارية، وخاصة في بعض المواقف، من قبيل مقاطعة مركز «السيتي سنتر» جزئيا بعد اعتقال النساء وإهانتهن داخل المجمع أثناء فعالية للعودة إلى الدوار.

### ج - أساليب اللا تعاون السياسي:

• نبذ السلطة: اشتعل ازدراء النظام طوال أيام الثورة، تتابعا مع سقوط الشهداء والضحايا، وجرى تعميم الرفض العام للنظام والدعوة لمقأومته. وصدرت هذه الدعوات بشكل مباشر من الأوساط الثورية، والجماعات التي تتولّى تسيير التظاهرات والاحتجاجات.

• امتناع المواطنين عن التعأون مع الحكومة: مثّلت مقاطعة الانتخابات التكميلية، مثل اسنحاب كتلة الوفاق، خطوة هامة على صعيد تفريغ الشرعية الشرعية والشعبية من النظام، وإظهار الرفض الشعبي له/ ومن جهة أخرى، عبّر رفض حلّ النظام لبعض المؤسسات تعبيرا عن الاعتراض السلبي تجاهه ومقأومة قراراته وعدم إتباعها (حل

جمعية المعلمين، الموقف من جمعية المحامين، وجمعية الأطباء)/ كان لرفض المساعدات الخاصة بشهر محرم شكلا مباشرا لعدم التعاطي مع رأس النظام، وكانت بمثابة رسالة حية على كشف إزدواجية النظام في الموضوع الديني لجهة هدمه المساجد/ كان لمقاطعة اللجان والجمعيات الحكومية دوره المتواتر في إبراز التحدي، ومثال ذلك كان انسحاب الوفاق من لجنة الحوار الحكومية، وعدم مشاركة المعارضة في لجنة متابعة توصيات لجنة بسيوني.

• بدائل الجمهور للطاعة: تمثّل هذا اللون من المقأومة في رفض التفرّق أثناء الاعتصامات والاحتشاد، والإصرار على متابعة الاعتصام مرة بعد أخرى.

ثالثاً: أساليب التدخّل اللا عنيف

التدخل النفسي: وأبرز أمثلته كان في الصيام (الإضراب عن الطعام)، والذي لجأت إليه المعارضة في أوقات مختلفة، مثل فعالية جمعية وعد، وفعالية المتضررين من وزارة التربية/ التحرّش باستخدام العنف، وهي وسيلة جدلية، رأتها بعض المجموعات الثورية وسيلة نفسية رادعة، وكانت تمارس بشكل محدود، بغية التخويف، وليس إيقاع الأذى أو القتل.

• التدخل الجسدي: ومن أساليبه كان الاعتصام المتكرر، في مواجهة العنف، واستخدام الغارة العارية اللا عنفية أثناء الاعتصامات والتظاهرات/ الاحتلال اللا عنيف لبعض المواقع أو الشوارع الرئيسية، مثال فعالية «احتلوا شارع البديع»

• التدخل الاجتماعي: ومثاله المقاطعة الإعلامية والكلامية/ التعويل على وسائل اتصال وإعلام خاصة وبديلة عن الإعلام الرسمي، كما هو الحال مع الإعلام الإلكتروني مثلا.

• التدخل الاقتصادي: وعبرت عنه بوضوح حملات التضامن الاجتماعي عن المفصولين والمتضررين من سياسات النظام.

• التدخل السياسي: ومن أمثلته كشف هوية العاملين مع أجهزة الأمن والمجموعات الأمنية المدنية / إظهار الرغبة في السجن وعدم الخشية منه، كما عبر عنه الأفراد الذين اقتحموا الدوار، وكذلك السلوك اللا عنفي للناشطة زينب الخواجة



# هدايا الطفل البحريني

## في العام ٢٠١١: قتل واعتقال وتهديد وتعذيب وإهانات ومحاكمات عسكرية والسجن مدة ١٥ عاماً

**قيل إن الطفولة السعيدة، إعداد (سيّىء) للتعامل مع البشر، ويبدو أن حكومة البحرين ترغب في إعداد أطفالها (جيداً) للتعامل مع البشر، أو معها على وجه الخصوص؛ لذا راحت تتعهدهم بطفولة تعيسة، طفولة مهددة، منتهَكة الحقوق.**

## ■ قبل العام 2011

1990: حكومة البحرين تنضم إلى اتفاقية حقوق الطفل الدولية من دون تحفّظ.

1992: حكومة البحرين تعلن دخول اتفاقية حقوق الطفل الدولية حيّز التنفيذ.

2001: حكومة البحرين تقدّم تقريرها الأول عن أوضاع حقوق الطفل البحريني لمجلس حقوق الإنسان.

2001: لجنة مناهضة التعذيب وحقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة تزور البحرين للاطلاع على أوضاع السجون.

2002: لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدّة تنتقد التمييز الذي يتعرّض إليه الطفل والمرأة في القانون البحريني.

2002: لجنة حقوق الطفل التابعة لليونسيف تعرب عن أسفها لعدم ذكر تقرير البحرين معلومات عن الادعاءات الخطيرة الواردة بتقارير أخرى بممارسة التعذيب والقبض العشوائي على الأشخاص دون الثامنة عشرة.

2007: تأسيس مركز حماية الطفل البحريني تابع لوزارة التنمية الاجتماعية.

2008: تدشين الخطة الوطنية لحماية الطفل من سوء المعاملة والإهمال.

## ■ في العام 2011

2011: حكومة البحرين تقتل 8 أطفال على خلفية احتجاجات تطالب بالديمقراطية تعيشها البلاد.

13 مارس، يستشهد الطفل علي الدمستاني (16 سنة)، بعد تعرض لحادث دهس من قبل بلطجية النظام، على الكوبري المطل على دوار اللؤلؤة، وذلك إبان فترة الاحتجاجات.

30 مارس، يستشهد الطفل أحمد سعيد شمس (15 سنة)، أصيب بطلق مباشر في الوجه عندما كان يلعب مع رفاقه محاذياً لمنزل جدّه في منطقة سار، فاجأتهم حينما سيارات الأمن تتقدم ناحيتهم بسرعة عالية قبل أن تبدأ بإطلاق النار عليهم، أصيب أحمد بطلق ناري فوق حاجب العين اليسرى، وسقطت بقربه عبوة غازلة مسيل للدموع سببت له صعوبة في التنفس حتى أغمي عليه، وتركته قوات الأمن ينزف دون إسعافه..



13 أبريل، يستشهد الطفل محمد عبد الحسين فرحان (6 سنوات)، اختناقاً بسبب استنشاق غازات خانقة في منطقة سترة.

31 أغسطس، يستشهد الطفل علي الشيخ (14 سنة)، أصيب بطلقة مباشرة في الوجه من قوات النظام.

6 أكتوبر، يستشهد الطفل أحمد القطان (16 سنة)، أصيب بطلقات الرصاص الإنشطاري (الشوزن) أثناء احتجاجات بمنطقة أبو صيبع.

19 نوفمبر، يستشهد الطفل علي يوسف بداح استشهاد(16 سنة)، تم دهسه من قبل سيارات قوات النظام في منطقة الجفير على إثر احتجاجات.

11 ديسمبر، تستشهد الرضيعة ساجدة فيصل (5 أيام)، بسبب تعرضها لاستنشاق كميات كبيرة من الغازات الخانقة التي ألقيت بكثافة على منطقة البلاد القديم.

31 ديسمبر، ساعات قبل نهاية العام 2011، يستشهد الطفل سيد هاشم سيد سعيد (15 سنة) من منطقة سترة، بطلقة مباشرة في الوجه، لم تنفع معه محاولات التنفس التي امتدت لساعات قبل إعلان وفاته.

بشكل يومي، يتعرض أطفال القرى والمناطق المغضوب عليها من قبل النظام، لاستنشاق أصناف مختلفة من الغازات السامة المجهولة الاسم والمصدر، والتي بدأ النظام البحريني باستخدامها، تلقى بكثافة مبالغ فيها، وتسبب حالات اختناق وإصابات

مضطربة، وبطبيعة الحال، فإن الأطفال وكبار السن يسجلون يومياً العدد الأكبر من بين المختنقين بها. نعم، هكذا حرصت حكومة البحرين على حماية أطفال البحرين، وعلى توفير البيئة الأكثر أماناً لهم في العام 2011.

ليس هذا فقط، أيضاً، في البحرين 2011، توثيق 250 حالة انتهاك لأطفال دون سن الثامنة عشر، منها 188 حالة اعتقال (المصدر: لجنة الرصد والمتابعة بجمعية الوفاق)، وهي أرقام تمثل ما تم توثيقه، من بين حالات أكثر لا يتم توثيقها، تتكرر يومياً.

## ■ محاكم عسكرية

تمكين الطفل من التمتع بطفولة سعيدة وحمايته من جميع الجهات، هو أول ما تستهدفه اتفاقيات حقوق الطفل التي وقعتها البحرين في سنوات ماضية، لكن البحرين في العام 2011 تعرض أطفالها للاعتقال من صفوف دراستهم، ومن قاعات امتحاناتهم، ومن غرف نومهم، وتعرضهم للمحاكمة في محاكم عسكرية، لا مدنية فقط.

الطفل علي عبد الكريم سلمان 16 سنة (مواليد 1995)، هو واحد من أصغر من تمت محاكمته في محاكم السلامة الوطنية سيئة الصيت، حكم عليه من قبل القاضي العسكري يوسف راشد فليفل بالسجن لمدة 15 عاماً مع آخرين. نعم، ليس في هذا مبالغة، محاكمة طفل لم يتجأوز الخامسة عشر من عمره في محكمة عسكرية.

اعتقل الطفل علي بتاريخ 7 أبريل، تم اقتحام منزل عائلته فجراً في منطقة مدينة حمد، 40 من الملثمين انتشروا بين الدور الأرضي من المنزل والدور الأول مثل جراد، لم يسلم مكان في المنزل من النبش والتخريب والعبث، وكعادة رجال الأمن التي صارت لازمتهم في البحرين فقط، تمت سرقة أجهزة الحاسوب والكاميرا وحتى ألعاب الأطفال (game boy).

اقتحم غرفة علي ما يقارب 15 من الملثمين، قاموا بسحبه من فراش نومه فزعاً مرعوباً، ثم غطوا وجهه وقاموا بسحبه للخارج وزجّه داخل سيارة الأمن. لمدة شهر ونصف بقيت عائلة علي لا تعرف عنه شيئاً. لم تفلح محأولات والده المستميتة بين مراكز الشرطة ليمسك خيطاً يقوده إلى طفله. أخيراً تتلقى العائلة اتصالاً من التحقيقات الجنائية، يطلب إحضار ملابس له فقط، لا أكثر. بعد انقطاع شهر آخر جاء اتصال يُخبر عن موعد المحاكمة: غداً محاكمته، أحضروا محاميا. هكذا فقط. في الجلسة الأولى عرف الجميع، بمن فيهم علي نفسه التهم الموجهة له: الشروع بالقتل، التجمهر وتخريب أملاك الدولة.

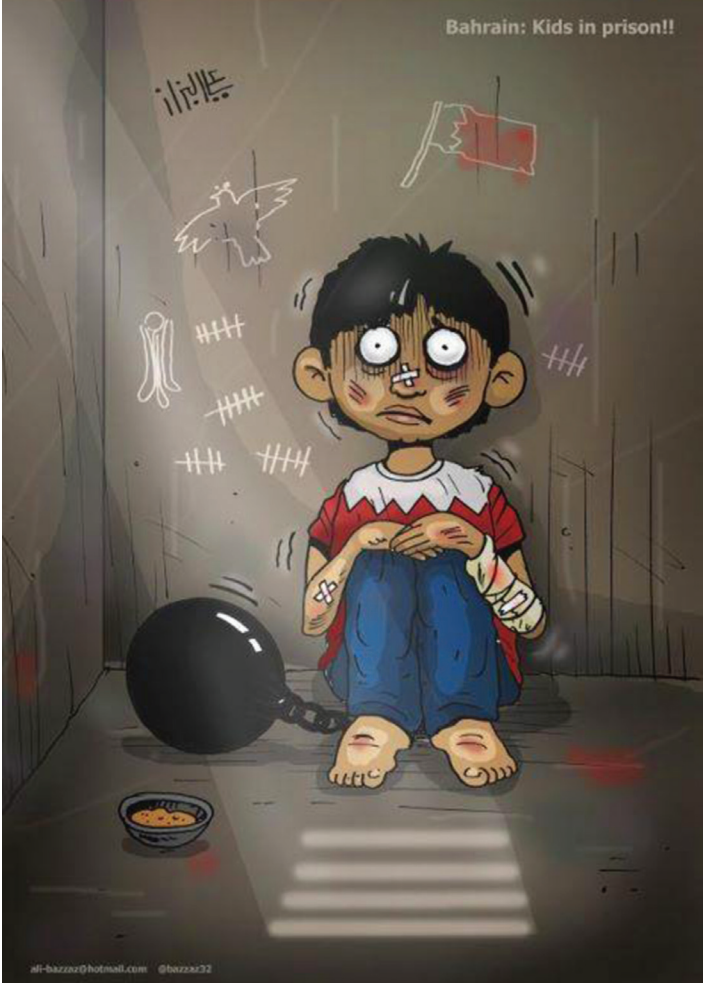


بعد الجلسة، يسمح للعائلة بالجلوس إلى طفلها المحروم منها منذ أكثر من شهرين ونصف، تلبّدت الأحضان بالدموع، القلب الصغير الذي لا يعرف ماذا ينتظره في هذا المكان المليء بقسوة العسكر، يخبر أهله بما تعرض له من تعذيب وصعق بالكهرباء من أجل الاعتراف بتهم لا يعرف عنها شيئاً. الشروع في القتل؟! أي قتل وقد كان نائماً في البيت، في الوقت الذي قيل فيه، إن صبية قد هاجموا عسكرياً.

بعد 6 أشهر و4 جلسات في المحكمة الجنائية الكبرى في القضاء العسكري، يحكم على الطفل علي بالسجن 15 عاما مع مجموعة هو أصغرها بتاريخ 6 أكتوبر 2011، وتم نقلهم إلى سجن جو، وهو السجن الذي يشتكي المعتقلون فيه سوء المعاملة، وتعرض بعضهم إلى العزل الانفرادي، وإبقائهم في الزنازين لمدة طويلة، ومنعهم من إدخال الكتب إلى السجن أو الاتصال بالعالم الخارجي، بالاضافة إلى شكأوى متعلقة بسوء نظافة دورات المياه، وعدم توافر وسائل الترفيه، فكيف يقضي طفل أوقاته في مثل هذا المكان المعدوم فيه كل شيء.

## ■ لا يُخفف عنه..

لا توجد إحصائية دقيقة تفيدنا بعدد المعتقلين دون سن الثامنة عشر، نعني العدد الفعلي الموجود في السجون الآن، ذلك لأنه تدخل كل يوم مجموعات -11 18 سنة، ويغادرها آخرون.

الطفل ناجي عبد العزيز معتقل عمره 11 عاماً، والطفل علي حسين حمازو معتقل عمره 13 عاماً، والطفل عبد العزيز جعفر عمره 13 عاماً، اعتقل خلال شهر سبتمبر وتم تحويله إلى المحاكمة الجنائية متهماً بالتحريض على كراهية النظام والاعتداء على رجل الأمن (1). والطفل يوسف البصري عمره 16 عاماً، متهم بتفجير أسطوانات غاز وحرق إطارات، حكم عليه في 26 ديسمبر 2011 بالسجن لمدة عامين (2). أشواق المقابي عمرها 17 عاماً - مصابة بسكلر حاد - حُكم عليها بالسجن 6 أشهر مع أخريات بسبب تجمهر في مجمع السيتي سنتر. أطفال آخرون كثيرون في السجون، بين موقوف أو محكوم عليهم، لا يسع التقرير لهم جميعاً، هناك توثيقات سنعرض هنا بعض صور منها.

لن يحمي الطفل أن علامات الطفولة لم تغادر براءة وجهه بعد، ولا أن شاربه لم يخط رسمته على وجهه بعد، لن يخفف عنه جسده النحيل الذي لم تفرده علامات الرجولة، لن يخفف عليه أن طوله لا يتجأوز ارتفاع سيف، أو أن يكون مرعوباً لحظة اعتقاله مثل عصفور واقع بين مخالب أسد، لن يخفف عنه. مقطع فيديو نشر على صفحة اليوتيوب، يُظهر صبيا هزيلا في الثانية عشرة من عمره، محاطاً بعدد كبير من رجال الأمن الذين قاموا باعتقاله، يحزه أحدهم من رقبته والآخر من ذراعه، ورغم التصوير عن بعد، يمكنك أن تلمح علامات الرعب على وجه الصبي، وبكاءه الذي قويل بضربات على الرأس من قبل رجل الأمن (3).

## ■ من المدرسة..

أحد أكثر المشاهد امتهاناً، كان اقتحام قوات الأمن للمدارس خلال فترة السلامة الوطنية، الفترة التي غابت فيها السلامة عن الجميع، وغاب فيها الشعور بالأمن في أكثر الأماكن التي يفترض لها أن تكون حصنا: المستشفيات والمدارس والجامعات. وزير التربية العسكري جعل بوابات المدارس مفتوحة للاقتحام في أي وقت وكل وقت، وجعل الطلاب فريسة للهتك من باحة المدرسة (4)، ومن الصفوف، ومن قاعات الامتحان

(5)، ومن باص المدرسة (6)، لم يبق مكان يأمن الطفل فيه على نفسه.

الطلاب الأكثر تفوقاً من طائفة معينة، صاروا أكثر تقصداً لأن يتم نزعهم من كراسي الامتحان، وكأن الوقت سينفد، وكأنه لا يحتمل الانتظار حتى ينتهي هؤلاء من إكمال أداء امتحاناتهم. هذا ما حدث في 22 مايو 2011، الشرطة النسائية تداهم قاعة الامتحان في مدرسة النور الثانوية، ترتاع جميع الطالبات في أكثر وقت يحتاجون فيه إلى السكينة والطمأنينة، تُنتزع طالبتان (زينب السترأوي ونوف الخواجة) من كرسي امتحانهما النهائي، وتُجران لسيارة الأمن وسط ذهول زميلاتهن ومعلماتهن، ووسط غمز الواشيات. الطالبتان متفوقتان، زينب هي الأولى على المدرسة ومرشحة لجائزة مسابقة الشيخ حمدان من الإمارات، ونوف يفوق معدلها ٪95، ابتعثت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في نشاط تبادل الثقافات بسبب تميزها. تم الافراج عنهما بعد ساعات من الاحتجاز وتعرضهما للضرب المبرح.

ما لا يقل عن 12 مدرسة من مدارس البنات، تعرضت إلى مداهمات متكررة من قبل رجال الأمن، واعتقال طالبات تتروح أعمارهن بين 12-17 عاماً من صفوفهن، يتم ضربهن وأخذهن إلى مراكز الاحتجاز وتعذيبهن وإهانتهن واحتجازهن لأيام قبل الإفراج عنهن، دون أن يحظين بفرصة وجود مرافق قانوني خلال التحقيق.

مدرسة يثرب الإعدادية في منطقة مدينة حمد، كان لها السبق في المداهمة، في 18 أبريل، وإثر ترديد طالبات لشعارات منأوئة للحكومة، داهمت الشرطة النسائية وقوات الشغب المدرسة بشكل هائج، اعتقلت ما يصل إلى 50 طالبة تتراوح أعمارهن بين 11-14 سنة، اقتيدت الطالبات بعد ضربهن إلى مركز شرطة مدينة حمد (دوار 17). وهناك كانت رؤوسهن محلاً لضربات قبضات أيدي الشرطة النسائية، والرطم بالجدار لعدة مرات، وكانت وجوههن محلاً لرش مادة غير معروفة، وأجسادهن محلاً للضرب بالهرأوات، والتوقيف لعدة ساعات. أُجبرت الطالبات على كتابة اسم «حسن مشيمع» على أحذيتهن وكتابة شعارات موالية للنظام على أحجبتهن ثم غسلهن قبل الخروج. وفي نهاية يوم هستيري، أجبرت الطالبات على إمضاء تعهد للحضور في اليوم التالي وإلا سيتم إحضارهن بالقوة، استلم الأهالي بناتهن بحالة مزرية من الانهيار النفسي

والجسدي. كثير من الحالات الأخرى التي لا تسعها هذه المساحة وثقها مركز البحرين لحقوق الإنسان (7).

إحدى الطالبات (16 عاماً) تروي لقناة الجزيرة ما تعرضت له بعد اعتقالها من مدرستها مع 3 من زميلاتها في شهر أبريل، وكيف احتجزت وضربت وأهينت لثلاثة أيام، وتهديدها بالاغتصاب، وإجبارها من قبل رجل الأمن على خلع الحجاب، وضرب رأسها بالجدار عدة مرات بقوة، ومضاعفة الضرب عندما لا تصرخ، وضربها بخرطوم غليظ على رأسها حتى بدأ الدم بالنزيف، وسقطت على الأرض (8).

### ■ تلاعب في البعثات..

اعتمدت وزارة التربية والتعليم في العام 2011، للمرة الأولى آلية جديدة لتوزيع البعثات التي كانت تعتمد ٪100 على التحصيل الدراسي النهائي، لصالح الآراء الشخصية. جعلت الوزارة شرط الفوز بالبعثة ما نسبته ٪60 للتحصيل الأكاديمي و40 ٪ للمقابلات الشخصية. وفي المقابلات كانت الأسئلة التي توجه للطلاب هو حول معنى الوطنية وماذا تعني لهم البحرين وكيف سيمثلونها في الخارج وعما إذا كان لديهم أقارب معتقلون. كما لم تعلن الوزارة عن نتائج توزيع البعثات في الجريدة الرسمية كما جرت العادة خلال السنوات السابقة، اكتفت بإطلاع الطلاب على نتائجهم الشخصية على موقع الوزارة. ومن أصل 2426 بعثة متوفرة عند وزارة التربية والتعليم، فإن المتفوقين المحسوبين على المعارضة، لم يحصلوا على بعثات تتفق مع خياراتهم الأولى، بل الأخيرة أو ما قبلها. زينب عيسى، الحاصلة على معدل تراكمي 99.3% لم تحصل على أي من رغباتها الأولى في دراسة الطب، منحت العاشرة بدراسة الأعمال المصرفية في جامعة محلية. تم توثيق حالات كثيرة مشابهة (9).

### ■ وشاة ومخابرون..

أقذر أنواع الانتهاك التي تعرض لها الطفل البحريني في العام 2011، هو تجنيد الطفل للعمل كواشٍ أو مخبر. بدأت في المدارس حين فتح لكل طالب أن يأتي لإدارة المدرسة واشياً على زميله أنه ضد النظام، أو الاتصال مباشرة على واحد من الخطوط الساخنة التي هيأتها وزارة الداخلية للوشايات. الوشاية صارت خصلة تستحق أن تكافأ عليها، ستسمى شريفاً ومخلصاً للوطن حين تشي على زميلك في مدرسة كنت أو في العمل. هكذا

تحولت المدارس إلى مراكز تغذي أخلاق الوشاية بدل أن تكون مراكز تعليم التحرير.
الأقذر، هو ما كُشف مؤخراً من استغلال السلطة للاطفال، للعمل معها كأفراد مخابرات سريين يقومون بالتبليغ عن المطلوبين للسلطة وتوفير المعلومات لها، وسبق أن كشف في 2010 عن اعتراف لطفل يفيد أنه يعمل مخبر للشرطة بعد أن تعرض لاعتداء جنسي بواسطة رجال السلطة وقيامهم بابتزازه لإجباره على العمل لصالحهم. ومؤخراً بث نشطاء 14 فبراير، شريطاً مصوراً يظهر اعترافات أحد المخبرين من منطقة عالي والذي ضُبط في منطقة بني جمرة ممن تمكنت وزارة الداخلية تجنيدهم في أوساط الشباب تحت إشراف الضابط تركي الماجد، أدلى بأن الماجد قام باغتصابه وتهديده بفضحه إن لم يتعأون مع «الداخلية» (10).
بهذا كله، حرصت حكومة البحرين في العام 2011، على إعداد أطفال البحرين للتعامل مع الحياة، يكفي أن تكون من طائفة معينة لتكون تعيساً ولتكون مراقباً ومهدداً ومحروماً من حقوقك ومعرضاً للاعتقال والتعذيب والوشاية والمحاكمة والإهانة والسجن والقتل.

■ **هوامش:**

مرآة البحرين: عزيز الطفولة.

http://bhmirror.no-ip.org/article.php?id=1909&cid=74

مرآة البحرين: محاكمة الطفولة، من أقفاص الطيور إلى أقفاص السجون.

http://bahrainmirror.com/article.php?id=2614&cid=74

يوتيوب يظهر اعتقال طفل عمره 12 سنة يبكي مرعوباً ورجل الأمن يضربه على رأسه.

http://www.youtube.com/watch?v=kWaSakVpE0s

مهاجمة الأمن لإحدى المدارس

http://www.youtube.com/watch?v=1LbzNV9nyeU&feature=related

مقطع صوتي لاعتقال طالبة من قاعة الامتحان من مدرسة الحورة 29 مايو

http://www.youtube.com/watch?v=aqWkn_-T1qk

يوتيوب يظهر اعتقال طالبة من باص المدرسة.

http://www.youtube.com/watch?v=4j541pMZEJA

مركز حقوق الإنسان: طلاب المدارس دفعوا ضريبة انتمائهم لطائفة تشكل غالبية نسيج البحرين واستهدفوا مع معلميهم في حملة انتقام روج لها إعلام السلطة.

http://bahrainrights.hopto.org/ar/node/4441

فيديو طالبة تروي ما تعرضت له بعد اعتقالها من باص المدرسة.

http://www.aljazeera.com/news/middlee-

ast/2011/05/20115118146679800.html

مركز حقوق الإنسان: طلاب المدارس دفعوا ضريبة انتمائهم لطائفة تشكل غالبية نسيج البحرين واستهدفوا مع معلميهم في حملة انتقام روج لها إعلام السلطة.

http://bahrainrights.hopto.org/ar/node/4441

الاعتداء الجنسي على الأطفال وتعيينهم مخبرين

http://www.youtube.com/watch?v=l_tAdI76hUI&feature=youtu.be

توثيقات أخرى:

مركز حقوق الإنسان: إطلاق النار على طفل خارج بيته

http://bahrainrights.hopto.org/ar/node/3718

مركز حقوق الإنسان: انتهاكات حقوق الطفل أسوأ من أي وقت مضى: القتل بالقوة المفرطة، ومحاكمات عسكرية في الخامسة عشرة من العمر

http://bahrainrights.hopto.org/ar/node/4187




# «شحوال» و«الأباتشي» و«كابتن الطائرة العمودية».. كوميديا ١٤ فبراير السوداء

يروي عادل حمودة في كتاب قديم له ممنوع من التوزيع في البحرين: "النكتة السياسية في مصر: كيف يسخر المصريون من حكامهم؟"، أن "الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر كان يستقبل على مكتبه تقريراً أسبوعياً من وزارة الإرشاد عن أهم اتجاهات الرأي العام، ويضم بين دفتيه أهم النكت السياسية الأسبوعية وتحليلها". كما ينقل على لسان وزير الداخلية المصري السابق حسن أبو باشا (1982 - 1984) "أن مباحث أمن الدولة تقوم بجمع النكت من خلال أجهزة تحليل وقياس الرأي العام، لا سيما النكت السياسية والتي تُعرض في تقرير أسبوعي على وزير الداخلية".

ومع اندلاع أحداث ميدان التحرير في يناير/ كانون الثاني 2011، شاهدنا سيلاً من النكات التي أمطر بها الثوار المصريون رئيسهم المخلوع، كما أفردت لها مساحات متفأوتة في تغطيات الصحافة العربية، من بينها تلك النكتة التي تقول: "مبارك بعد ما مات قابل السادات وعبد الناصر، سألوه: هاه؟ سم ولا رصاص؟ رد عليهم بحرقة: لأ، فيسبوك".

وحين استولى الثوار البحرينيون على "دوار اللؤلؤة" وسط العاصمة (المنامة) كانت التجربة المصرية في النكتة ماثلة في أذهانهم، وليس فقط إلهامها الثوري. وعلى حين برع الثوار المصريون في استيلاد النكات، بمزاج تأليفي، وعكسها على واقعهم، فقد برع البحرينيون في استيلاد "اللوازم". بمعنى تكرار كلمة معينة أو إخفاق خطابي ما لأحد من أنصار السلطة، بشكل هستيري، إلى حد جعلها "لازمة" خطابية صالحة الاستثمار في كل شيء ومع كل شيء.

قد لا يكون خطر في ذهن ذلك الشاب "الممتلىء" الذي حمل يافطة كتب عليها عبارة "خليفة شحوال" وراح يدور بها بين عشرات الخيام التي نصبها المعتصمون في "اللؤلؤة"، أنها ستغدو منذ ذلك اليوم "ماركة" حصرية لثوار 14 فبراير/ شباط، وعلامتهم المسجلة. بحيث ستصبح مادة التفكه الأشهر في أيام الإقامة في الدوار والأيام التي تلتها لغاية الساعة، عند الرغبة في السخرية من رئيس الحكومة منذ 42 عاماً حتى اليوم خليفة بن سلمان آل خليفة.

"شحوال" أي "كيف الحال؟" في لهجة أهالي القرى، كما جرى تعريفها لاحقاً في "ويكيبيديا"، حيث أفردت صفحة خاصة لها. غير أن الصفحة التي حررها نشطاء، وألقموها بتعريف دقيق لكلمة "شحوال" سرعان ما اختفت تالياً على يد "أبو حمزة" بسبب سهولة التحكم في المحتوى، الخاصية التي تتيحها الموسوعة. لكن ذلك لم يحل دون انتشار وسمها التعريفي، فلا شيء يضيع في زمن ويب 2.0، التطبيق المشبع بالخصائص الملائمة لكل ما هو جديد وشعبي.

## ■"شحوال" في ويكيبيديا

وقد شكل دخول "شحوال" إلى "ويكيبيديا" مادة للاحتفاء لدى أنصار ١٤ فبراير/

شباط الإنترتيين في المنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي وتم تدأولها على نطاق واسع من خلال عشرات الروابط، مثلما يمكن اكتشاف ذلك بسهولة لدى إدخال كلمة "شحوال" في المساحة المخصصة بمحرك "غوغل".

شهدت استعمالات "شحوال" توسيعاً ضافياً مع العودة الثانية إلى الدوار 20 فبراير/ شباط2011، وجرى ضخها بالمعاني الجديدة الطريفة.

وكانت عبارة: "خليفة شحوال رجعنا الدوار" المصاغة على إيقاع "فعولن فعلن فعولن فعلن" سيدة الهتافات لمئات الناشئة وطلبة المدارس والمراهقين الذين كانوا يتشكلون في مجموعات تقوم بالدوران المتكرر على "اللؤلؤة"، مرددين "خليفة شحوال رجعنا الدوار"، تعبيراً عن تمكنهم من العودة والاستيلاء على الدوار مرة ثانية بعد ٣ أيام من اقتحام قوات الجيش له وإفراغه من المحتجين، العملية التي راح ضحيتها ٣ شهداء.

وحين تمكن المحتجون من الوصول بمسيرة إلى الديوان الملكي بالصافرية ١١ مارس/ آذار، وهي المسيرة التي شهدت انقساماً في صفوف شباب ١٤ فبراير/ شباط بسبب اختلاف التقييم حول تداعياتها الخطرة، كان أحد الشعارات التي رفعت "يا حمد شحوال وصلنا للديوان". ويمكن العثور على كثير من الفيديوهات على موقع "يوتيوب" التي تظهر ذلك.

كما جرى اشتقاق - حسب ويكيبيديا - من "كلمة شحوال: شحولَ يشحولِ شحوَلةً، وصارت تستخدم للإشارة إلى الطرد والإبعاد". وهي الكلمات التي دخلت بعد الهجوم الثاني على الدوار ١٧ مارس/ آذار إلى قاموس موالي السلطة. فكان يقال إن "الجيش شحول الخونة"، أي طرد المحتجين من "اللؤلؤة".

وسُجل قيام النائب السابق بمجلس النواب وممثل جميعة المنبر الوطني الإسلامي (إخوان) الشيخ محمد خالد استخدام كلمة "شحوال" في تجمع للموالاة بساحة الشرفاء في البسيتين. وهو ما انفك يرددها في كثير من التغريدات على حسابه في "تويتر". ويقول




معترضاً على إرجاع المفصولين عن العمل إلى وظائفهم "كل واحد يقول الملك قال والملك عطه والملك عفه والملك رجع اللي شحولوهم".

وتنتشر على "يوتيوب" مونتاجات مصورة تظهر أطفالاً صغاراً أو طيورا ناطقة، وهي تردد "خليفة شحوال". كما أخرجت كثير من الأغاني والأناشيد الكوميدية التي تستثمر العبارة نفسها، من بينها أغنية تقول "آنا خليفة حالتي كسيفة وتقولوا لي شحوال".

### ■ "أباتشي" سعيد الحمد

احتلت شخصية الصحافي بجريدة "الأيام" سعيد الحمد الذي قدم أحد أسوأ البرامج على تلفزيون البحرين للتنكيل بالثوار موقعاً فريداً في عالم النكتة الفبرايرية. وكانت عبارته: "ولا عندنا أباتشي يا علي سلمان" التي أطلقها لنفي قيام قوة دفاع البحرين باستخدام طائرات "الأباتشي" لما أسمته "تطهير" دوار اللؤلؤة. وعلى حين أن تقرير بسيوني أثبت أن الطائرات التي استخدمت في الاقتحام الثاني للدوار، هي من نوع "كوبرا" إلا أن نعت "أباتشي" ظل التسمية الفضلى للنشطاء لدى الإشارة إلى الحمد، وقد ضمنت إطلالاته البذيئة في برنامج "حوار مفتوح" - وصفها بسيوني، وكذلك البرامج الأخرى التي خصصت لشتم الثوار، بالمهينة والحاطة بالكرامة - التصاقها به. فيقال "سعيد أباتشي".

وتحولت عبارة "ولا عندنا أباتشي يا علي سلمان " إلى "لازمة" لسانية تتكاثر بأسلوب "فطري" في مداخلات نشطاء ١٤ فبراير/ شباط عند رغبتهم في السخرية من بيانات وزارة الداخلية وموالي السلطة لسرد كيفية وقوع الأحداث التي يصفونا بـ"الكذب".

فأصبح يقال "ولا عندنا مفصولين يا علي سلمان" للإشارة إلى نفي السلطة وجود مفصولين عن العمل بسبب مواقفهم المؤيدة إلى المحتجين. وكذلك "ولا عندنا ناس تبوق طبيلات في الجفير يا علي سلمان" تعليقا على فيديو يصور قيام قوات الأمن بسرقة محتويات مرآب للسيارات في منطقة الجفير. إضافة إلى استثمارات أخرى كثيرة للعبارة، من بينها: "ولا عندنا دوار شالته البلطجية يا علي سلمان (...) ولا عندنا أجياب سووهم مسخرة يا علي سلمان (...) ولا عندنا طوق كرامة يا علي سلمان (...) ولا عندنا ناس قاموا يصيحون يا علي سلمان".

معجبو قائد الطائرة العمودية

لم يسلم "كابتن" الطائرة المروحية التي كانت ترابط على رؤوس المعتصمين في "ميدان اللؤلؤة" على مدى ٢٤ ساعة من "كوميديا" النشطاء. وعلى حين أن وزارة الداخلية قالت على لسان قائد طيران الشرطة وليد ربيعة سنان في تصريح ٢٨ مارس/ آذار إن الطائرة "غير مسلحة، وهي معدة في الأساس للقيام بأعمال البحث والإنقاذ والتصوير والمراقبة الجوية فقط"، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوعها ضمن مادة السخرية الدسمة بيني يدي الثوار.

وقام نشطاء ١٤ فبراير/ شباط بإنشاء صفحة على "فايسبوك" تحت مسمى "معجبو قائد الطائرة العمودية" حوت كثيراً من النكات بحق "كابتن" الطائرة، ومعظمها تتعلق بطاقته على التحمل في الحوم "فوق" لساعات طويلة. من بينها تلك النكتة التي تقول "ليكن قائد الطائرة العمودية مصدر ثقافتنا الصحية. ولنلقي نظرة على ماهية الباسور والناسور".

وتلك النكتة "عزيزي قائد الطائرة العمودية: بخصوص أن رد بول بيعطيك جوانح، مدمن على رد بول مثلا؟!". ونكتة أخرى "قائد الطائرة العمودية لا تفهمني غلط: بس خذ لك لفة طويلة، ما نبغي المباريات تقطع علينا". ونكتة عبارة عن سؤال "إذا هو حصران مثلا شنو يسوي؟". وأخرى "الله يعينك يا طيار الهيلوكوبتر، زاد عليك اللود: دوار اللولو ومسجد الفاتح"، إضافة إلى العديد من النكات الأخرى.




# «تن تن تتن» ماركة ١٤ فبراير المسجّلة: قل للطاغية إنهم يغنّون أيضا !



بتواضع، فهذه ثورة أتت بموسيقاها. كان يمكن للحناجر أن تستمر في ترجيع الهتافات الصاخبة، وللقبضات أن تظل معلقة في الهواء، أبداً. لكن لحسن الحظ أن الثوار البحرينيين لم يتأخروا في العثور على شاراتهم، ورمزياتهم ذات المعنى العميق، التي تشاركهم ملحمة التوق إلى الحرية، والتخلص من الديكتاتورية.

كان المفكر إدوارد سعيد يعول على الأبعاد الاجتماعية والثقافية للموسيقى، وراح لذلك يؤسس أوركسترا تعزف للحرية وتنفتح على اتساع حلمه الفلسطيني المستلب. ومثله وضع مفكر اللاعنف الأميركي جين شارب، الموسيقى ضمن مصفوفته المنتخبة لأدوات الكفاح اللاعنيف. العملية، هي: أنك تحاصر الديكتاتورية ورموزها، بشاراتك ورموزك، التي تتوافر فيها القدرة على النفاذ من المسارب الضيقة، بحيث يتعذر على الديكتاتور ألا يراك.

حين اخترق الناشط البحريني الشاب موسى عبدعلي موكباً رسمياً للحكومة البحرينية في العاصمة البريطانية (لندن) 13 ديسمبر/ كانو الأول 2011، كان كافياً أن يشرع في الطرق على مقدمة إحدى السيارات في الموكب وفقاً للإيقاع التالي: "تن تن تتن"، لتصل الرسالة. وقد وصلت. أدى الطرق لتلفيات طفيفة في السيارة فغرم في محكمة بريطانية 6 آلاف جنيه إسترليني.

وفي محأولات قوات الأمن البحريني المتكررة وشبه الليلية لإعادة بسط السيطرة على القرى الفقيرة المعدمة التي تشهد احتجاجات يومية، كانت تستطيع باستمرار، مستغلة تفوقها النوعي باستحواذها الكلي على وسائل العنف والإكراه، استعادة السيطرة عليها فعلاً، وإشعار الساكنين بقوتها الماحقة. لكن من بعيد، كانت الاحتجاجات تتخذ صيغة أخرى، شبحية. إذ سرعان ما تنطلق مدقات الطرّق الرهيفة محاكية الإيقاع نفسه: "تن تن تتن"، مستمراً دون انقطاع حتى ساعات متأخرة من الليل.

يبدو الأمر كما لو أنه قسمة عادلة: تملك قوات الشرطة الأرض، أما الهواء ومساحاته المثلى للتعبير فيظل ملكاً للمتظاهرين. يختفي وجودهم المادي من الساحات، من دون أن يعني ذلك اختفاء أثرهم الذي يبقى مقيماً في الأجواء مثل "بصمة شبحية". في أحيان كثيرة، لاحقت قوات الأمن مصدر انبعاث الصوت، لكن عبثاً، فهي تبدو كمن يلاحق السراب.

في الحقيقة، إن كل الجهات يمكن أن تغدو مصدراً لهذا الابتكار الصوتي الأقل كلفة. إنها "موسيقى" الضعفاء، والشكل الأمثل لـ "المقأومة بالحيلة": كيف يهمس المحكوم من وراء

■ ظهر الحاكم!

فجأة، صارت أبواق السيارات تتكلم، وتلهج بلغة الاحتجاج. ولدى المطالعة في محرك "غوغل"، تطالعنا عشرات التقارير لمقيمين أو صحافيين أجانب، عن كيفية تلقيهم إلى الإيقاع الأمثل لمعارضي الحكومة، مترجماً وفق الصيغة الرقمية التالية: 1010t10. كما لو كان وسماً برمجياً مستلاً من لغة عصر "الديجيتال": نحن هنا، لم نمت بعد، وسنظل نقلق الطاغية.

بالطبع، فليست في كل مرة تسلم الجرة. وقد دفع كثيرون كُلَفَ ذلك، ضرباً أو سجناً. يتناقل المعارضون حكايا كثيرة لقيام قوات الشرطة بالتصويب عليهم خلال الفترة التي تلت فرض "قانون السلامة الوطنية" الذي يقول محامون إنه أشد من الأحكام العرفية، بدءاً من منتصف مارس/ آذار، لدى استخدامهم أبواق السيارات وفقا للإيقاع المذكور. وفي مرات كثيرة، اعتقل أشخاص للسبب ذاته.

كان الشاب حسن جواد القصاب أحد ضحايا نغمة "تن تن تتن" الذين ألقي القبض



عليهم في مارس/ آذار عند إشارات منطقة الديه الضوئية، إحدى بؤر الاحتجاجات العنيفة شرق العاصمة (المنامة)، كما تمت مصادرة سيارته. في الواقع، إن هذه الحكايا لم تكن ضرباً من المبالغات التي يختلقها معارضو الحكومة لإثبات وحشية من يعارضونه. لقد قام محمود شريف بسيوني رئيس لجنة تقصي الحقائق الملكية التي أمر بتشكيلها الملك بتوثيق حالات لأشخاص ألقي القبض عليهم في مارس/ آذار عند حواجز التفتيش التي أقامها الجيش، ولم يكن السبب غير إحداثهم للنغمة المذكورة بواسطة أبواق السيارات. وقد أشار مرتين في الأقل في ثنايا التقرير الذي قام بعرض موجز له في قصر الملك بالصخير 23 نوفمبر/ تشرين الثاني، ونقلته شاشات التلفزة.

ففي معرض سرده للأحداث التي وقعت في 10 مارس/ آذار، قال "أقيمت بعض نقاط التفتيش الأمنية في مناطق مختلفة من البحرين (...) كان يتم استيقاف السائقين وتفتيشهم واحتجازهم لاستخدامهم أبواق سياراتهم بطريقة معينة في إشارة لشعار (يسقط حمد) وهو الشعار الذي يحظى بشعبية كبيرة بين المحتجين".
وفي إشارة أخرى للأحداث التي وقعت يوم السبت 26 مارس/ آذار، أفاد أن "دوريات الشرطة واصلت القبض على الأفراد الذين يطلقون أبواق سياراتهم بطريقة تحاكي الهتاف (يسقط حمد)" حسبما جاء في التقرير.

أدت حملات الضبط المستمرة، واستهداف المارة، مع تعريضهم لحفلات العقاب الانتقامية، إلى اختفاء النغمة من الشوارع العامة بشكل مؤقت. لكنها ظلت هناك في القرى الخأوية، الغارقة في العتمة المطبقة، الشكل الاحتجاجي المفضل للمعارضين الذين أعادتهم القبضة الأمنية الشرسة مع إطلاق يد العسكر إلى داخل قراهم، بعد أن كانوا يحتلون الساحات الرئيسة وسط العاصمة (المنامة). غير أنها لم تلبث أن عادت بقوة مع رفع قانون السلامة أواخر شهر يونيو/ حزيران 2011.

صار معتاداً الآن سماع نغمة "تن تن تتن" بواسطة أبواق السيارات في الشوارع الرئيسة، وفي المظاهرات غير المرخصة. بل إن نشطاء يتناقلون قصصاً عن قيام شرطة مدنيين باستخدامها من أجل استدراج المتظاهرين إلى كمائن في الصدامات الليلية التي عادة ما تنتهي بانتشار كثيف لقوات الأمن.

وهي وإن اتخذت شكل "التنفيس" العام لجماعات مقموعة لم تعد تجد ما توصل به رسائلها بعد التضييق على التجمعات العامة، إلا أنها تتخذ شكل الهتاف "المتبنى" لدى الجماعات الراديكالية التي تتبنى إطاحة النظام. فهي بمغزاها المحول على "سقوط الملك" اسم على مسمى لمن ينشد السقوط الفعلي له، ضمن قناعة تفيد: إنّ أوان الإصلاحات قد فات.

يتفنن هؤلاء في إطلاق النغمة لإغاظة السلطات والجماعات الموالية لها على السواء. ومؤخراً، قام مختصون بإعادة توزيعها موسيقيا من واسطة آلات موسيقية حديثة معروفة لدى المختصين في مجال الموسيقى، لتكتسي؛ بذلك طابع المرح إلى جانب خلفيتها الاحتجاجية. وقد استطاعت "مرآة البحرين" الوصول إلى أحد هؤلاء الذين قاموا بتوزيع "تن تن تتن" فنياً لتغدو نغمة صالحة الاستخدام في الهواتف المحمولة.

وقد صرح في حديث معه "هذه النغمة تقع على بار كامل في النوته الموسيقية، وهي موزونة بشكل صحيح في إيقاع يسمى الرباعي"، موضحاً "نهايتها تمكّن من العودة بكل بساطة إلى النغمة الأولى، وتكرارها مراراً دون وجود خلل نغمي".

وأضاف "الزمن المنطلق فيها موزع بشكل سليم وسهل التدأول، ما يجعلها سهلة العزف والإنشاد من دون عناء بكل الآلات الموسيقية من دون استثناء".
وتابع في السياق نفسه "إنها موزونة تحمل نفس النغمة الموسيقية الواحدة فلا تحتاج للتنغيم. يستطيع أي شخص ترديدها حتى لو كان طفلاً أو غير منشد لسهولة نطقها وتوازنها الموسيقي السلس". ويقول إن ذلك ما يجعلها "سهلة التدأول بين الناس" على حد تعبيره.

بالتواضع نفسه، فهذه ثورة حفرت رسمها عميقاً في وجدان البحرينيين. وأدواتها لم تعد قصراً على الحناجر الملتهبة والقبضات المعلقة في الهواء، أبداً. إنها الموسيقى يا غبي!



الفصل العاشر

# الإعلام وصناعة الكذب



# بين مؤيد للنظام الملكي ومعارض
# حصاد عام..
# الصحف العربية

**مع اندلاع الاحتجاجات في البحرين خلال شهري فبراير ومارس الماضيين، بدا أن هناك محأولات واضحة من بعض الإعلام العربي والخليجي للتعتيم على ما يحدث في هذه المملكة الخليجية الصغيرة. فما كان يعتبر ثورة في تونس ومصر ولاحقاً في ليبيا واليمن وسوريا، كان في البحرين اضطرابات على خلفية مذهبية، ومعارضون مرتهنون للخارج ينفذون أجندة خارجية من أجل التدخل في الشؤون الداخلية للدول الخليجية.**

الموضوعية والحياد باتا مع تغطية بعض الصحف العربية والخليجية لما يجري في المنامة الغائب الأكبر، فالاصطفاف السياسي فرض نفسه بين مؤيد للنظام في البحرين ومتعاطف مع المعارضة وفق خريطة مصالح يصعب فهمها في أحيان كثيرة.

وقد برزت محطات مفصلية في سياق مجريات الأحداث، أظهرت خلفية بعض هذه الصحف وموقفها من العائلة الحاكمة وجمعيات المعارضة المطالبة بإجراء إصلاحات تحقق العدالة بين مواطني البلد الواحد.

وهنا برز فرز واضح، إذا باتت بعض الصحف اللبنانية "السفير" و"الأخبار" و"الوفاق" الإيرانية الناطقة باللغة العربية، متعاطفة إلى حد كبير مع المعارضة البحرينية وتنشر مواقف هذه الجمعيات من الأحداث الجارية، وتكشف ممارسات السلطة القمعية بحق المتظاهرين السلميين، وتعرض بيانات المنظمات الحقوقية التي أدانت القمع والقتل وانتهاك حرمات المساجد والحسينيات، والمؤسسات الاستشفائية، وسياسة العقاب الجماعي التي تمثلت بفصل المشاركين في الفعاليات الاحتجاجية من وظائفهم في القطاعين العام والخاص والأساتذة من المدارس والجامعات.

على المقلب الآخر كانت الصحف السعودية والإماراتية وبعض الصحف الكويتية والمصرية داعمة للعائلة الحاكمة في البحرين، وتروج مواقف ورؤية المسؤولين الرسميين؛ لذلك كانت تغطيتها للاحتجاجات وما يتخللها من قمع أو سقوط شهداء وجرحى يجري بطريقة سريعة بحيث لا يتجأوز نشر خبر بسيط في زأوية مهملة من صفحات هذه الصحيفة أو تلك.

وقد بدا هذا الأمر جلياً خلال قمع السلطات البحرينية للاعتصامات في دأور اللؤلؤة ومن ثم هدم الدوار فيما بعد وتغيير معالمه، وتأكيد الرواية الرسمية التي تتحدث عن تنفيذ المعارضين لمخططات خارجية، واتهام إيران وحزب الله بدعم المتظاهرين والتدخل في شؤون البحرين ودول خليجية أخرى؛ وذلك من أجل ممارسة هذه الصحف للتحريض على المعارضة وإعطاء الصراع صبغة مذهبية من شأنها الحد من تعاطف الرأي العام مع المطالب المحقة للمعارضة.

هذه السياسة برزت بشكل واضح في تغطية دخول قوات درع الجزيرة العربية في 14/ آذار / مارس 2011،إذ أكدت افتتاحيات ومقالات التحليل في الصحف السعودية والاماراتية خصوصاً، بأن دخول هذه القوات إلى المنامة كان بطلب من المسؤولين البحرينيين لحماية المنشآت الحيوية في البلاد، وبناءً على الاتفاقيات المعقودة ضمن مجلس التعأون الخليجي، ولوضع حد لما أسمته هذه الصحف التدخل الإيراني!

وفي جولات الحوار الوطني في تموز / يوليو الماضي، اجتهدت معظم الصحف للترويج لديمقراطية النظام وروحه الحوارية من خلال دعوة الملك حمد بن عيسى آل خليفة للحوار الوطني، والتشديد على دعوة الجمعيات المعارضة للمشاركة فيه، والتشكيك في وقت لاحق بنية جمعيات المعارضة خصوصاً "الوفاق" بجدية المشاركة، والتأكيد على جديّة العائلة المالكة في الحوار.

وفي هذا السياق برز بشكل واضح الاهتمام السعودي من خلال صحف المملكة الصادرة في السعودية وخارجها، وأخذت هذه الصحف تنشر مواقف ورؤية المسؤولين البحرينيين أو الجمعيات المؤيدة للسلطة البحرينية من مجريات الحوار وتفنيد مواقف الجمعيات المعارضة والتأكيد على مماطلة المعارضة واتخاذها مواقف مسبقة من الحوار وعزمها الأكيد على التعاطي بسلبية مع المجتمعين وإدانة موقف "الوفاق" بمقاطعة بعض الجلسات والجزم بأن هذا الموقف كان متوقعاً!



وقد حرصت "الشرق الأوسط" السعودية بشكل لافت على نشر مواقف رئيس تجمع الوحدة الوطنية في البحرين الشيخ عبد اللطيف آل المحمود وهو تجمع موال للسلطة عقب زيارة له للملكة العربية السعودية في (18/7/2011)، وتوسعت صحيفة "الرياض" في نشر الخبر نفسه وقالت إن عبد اللطيف المحمود ثمّن عالياً موقف السعودية خلال المرحلة الحرجة التي مرت بها مملكة البحرين "ما اقتضى تدخلها ووقوفها المشرف كشقيقة كبرى لها الموقف الأكبر أثراً في تلك الظروف" واعتبر أن "مملكة البحرين جزء لا يتجزأ من المملكة العربية السعودية لما يربط البلدين من أخوة وتواصل عاطفي وتاريخي وعائلي".

وفي سياق سياستها التحريضية ضد المعارضة، دأبت "الشرق الأوسط" على نشر مواقف وتصريحات الشيخ محسن آل العصفور وهو رجل دين من المسملين الشيعة لشن حملات منتظمة على المعارضة البحرينية خصوصاً جمعية "الوفاق"، وقد نشرت "الشرق الأوسط" للشيخ المذكور أكثر من موقف وتصريح ومقابلة خاصة، ينتقد بشدة الوفاق وسياستها ويتهمها بالعمالة لإيران وسعيها لتنفيذ أجندة خارجية ويروج للحوار الوطني معتبراً إياه فرصة ذهبية لا ينبغي تفويتها!

أما مع انتهاء جلسات الحوار، فكان تركيز الصحف العربية والخليجية على نتائج لجنة تقصي الحقائق برئاسة محمود شريف بسيوني الذي صدر في تشرين الأول / نوفمبر 2011، وقد اعتبرت الصحف العربية والخليجية المؤيدة للنظام أن موافقة الملك على تشكيل لجنة تقصي الحقائق دليل على عدالته ونيته الصادقة في معالجة الأحداث وتأكيد جديد على ديمقراطية النظام وسعيه لتحقيق الإصلاح، وقد حأولت الصحف السعودية والإماراتية والقطرية التأكيد في مقالاتها على أهمية لجنة بسيوني والتقرير الذي صدر عنها وموضوعيته والتشديد على أن تنفيذ توصيات التقرير من شأنه معالجة الأزمة الراهنة.

أما الصحف المتعاطفة مع المعارضة، كالصحف اللبنانية أو الإيرانية وبعض الصحف الكويتية، فنقلت عن المعارضة ترحيبها بالتقرير خصوصاً أنه "أثبت وطنية الثورة البحرينية" على حد تعبير جمعية "الوفاق"، وجاء هذا التقييم بعدما دأبت السلطة

البحرينية وحلفاؤها في الداخل والخارج على اتهام المعارضة بالارتهان للخارج. ونشرت هذه الصحف مواقف المعارضة الداعية لاستقالة الحكومة بناء على نتائج التحقيق، وكذلك اتهام المعارضة للحكومة بترويج نسخ مغلوطة عن التقرير، وكذلك اعتبار المعارضة أن تشكيل اللجنة الوطنية واللجنة الحكومية للمتابعة مخالف لتوصيات بسيوني.

وبعد تقرير بسيوني ولجنته والحديث عن تنفيذ توصياتها التي أقرت بوقوع انتهاكات ضد المتظاهرين السلميين، عاد الانقسام إلى الصحف العربية والخليجية مرة أخرى عقب إعلان الدوحة عما أسمته "اكتشاف خلية إرهابية لتنفيذ هجمات على منشآت حيوية في الدوحة، واتهمت إيران بتمويلها وتدريبها"، وهكذا سارعت الصحف السعودية والإماراتية والكويتية والمصرية أيضاً، إلى تلقف الخبر ووضعه في سياق سعي إيران الدائم للتدخل في شؤون الدول الخليجية، وهو ما نفته طهران أكثر من مرة عبر وزارة الخارجية لكن هذا النفي لم يلق قبولاً لدى هذه الصحف.

وبطبيعة الحال، تبدو أزمة البحرين خلال العام 2011 قد وجدت حيزاً مهماً على صفحات الصحف العربية والخليجية سواء كانت تلك الصحف مؤيدة للحكم أو متعاطفة مع المعارضة، واستطاع بعض الإعلام العربي وإن بخجل أن يسلط الضوء على الأزمة وأن يبقي أحداث البحرين حاضرة وإن بصورة نسبية، وهنا لا يمكن إنكار أن نظام البحرين بدا في مراحل معينة محرجاً من وسائل الإعلام التي نبهت المنظمات الحقوقية لما يجري من انتهاكات ضد حقوق الإنسان، وطاردت الحكومة بالبيانات والإدانات،حتى أن الأخيرة لم تتورع عن توبيخ هذه المنظمات واتهامها بعدم الموضوعية وانعدام الحرفية.




**شكلت ثورة 14 فبراير/ شباط اختباراً قاسياً للصحافة والإعلام في البحرين. وجاء تصنيف منظمة "مراسلون بلا حدود" للعاصمة المنامة ضمن قائمة أخطر 10 مناطق في العالم على ممارسي العمل الصحافي للعام 2011، ليلقي بالضوء الفاقع على المنحدر الذي انتهى إليه مستوى الحريات الإعلامية.**

في الحقيقة، لم تكن هناك وسائل إعلام ولا صحافة؛ بل هناك رأي واحد مفروض، ولا شيء غيره، وكل الإعلام هو رسمي. فقد تم التضييق على الصحيفة المعارضة الوحيدة، وهي "الوسط"، وأجبر رئيسها ومدير تحريرها إضافة إلى رئيس قسم المحليات على الاستقالة، وسيقوا إلى المحاكمة. كما قتل تحت التعذيب أحد مؤسسيها.

وكشف رئيس تحريرها منصور الجمري في حوار أجرته معه مؤخراً قناة "الحرة" أنه لم يكن مقبولاً نشر أي شيء منذ أن تسلم الجيش إعادة الأمن منتصف مارس/ آذار2011، استثناء الأخبار الرسمية التي كانت توزعها وكالة أنباء البحرين (بنا). بل إنه جرى تهديد مجلس إدارة الصحيفة بأن الجيش سيقوم بوضع اليد على الصحيفة إن لم تتم إقالة رئيس التحرير.

ووثقت رابطة الصحافة البحرينية 123 حالة لصحافيين انتهكت حقوقهم بالقتل أو السجن أو التعذيب أو الضرب أو الإقالة أو التسفير، بمن فيهم الصحفيون الأجانب. فيما خيم على جمعية الصحافيين التابعة إلى الحكومة الصمت. بل لعبت دوراً عكسياً في وقوفها ضد حقوق الصحافيين المعارضين، وقادت حملة ضد صحيفة "الوسط".

وقتل أحد "آدمنية" المنتديات الإلكترونية تحت التعذيب. وألقي القبض على المدون الشهير محمود اليوسف ومحمد المسقطي، كما قُدّم الناشط نبيل رجب إلى المحاكمة العسكرية بسبب نشره صورة على "تويتر".

ولعب تلفزيون البحرين ضمن البرامج التي خصصها للنيل من المحتجين، وخصوصاً "الراصد"، دور محاكم التفتيش. فكان يجري عرض صور المشاركين في الاحتجاجات، ووسمها بدوائر للفت انتباه السلطات إلى هويات أصحابها، فلم تكد تمضي أيام إلا واعتقلتهم قوات الأمن. وذلك مثلما جرى مع الرياضيين والأطباء والإعلاميين وغيرهم. ووصف تقرير اللجنة الملكية لتقصي الحقائق ما قام بعرضه تلفزيون البحرين في خلال الأحداث بأنه "مهين وحاط بالكرامة".

ولم يكن الإعلام العربي بأحسن حالاً. فقد تفتتت صورة قناة "الجزيرة" التي وقفت

مع جميع الثورات العربية استثناء الثوار في المنامة. حيث نقلت الصورة مبتورة في بعض الأحيان ولم تنقلها في أحيان كثيرة، وكذلك "العربية" وغيرها من وسائل الإعلام العربية والعالمية.

## ■ "الداخلية" داخل شاشة العائلة

من صور معلمة عرضها تلفزيون البحرين قبل اعتقال من فيها
"المخربون"، "الإرهابيون" و"الخونة" هي النعوت التي يلقاها طالبو التغيير، في الإعلام الرسمي. وقد استبدل دوره السابق الذي كان يقتصر على تجاهل الأحداث وتغطيتها من وجهة نظر واحدة، لينخرط ضمن الحملة الأمنية التي قادتها السلطات ضد المحتجين. ولعب دوراً في محاكمة الرياضيين، والأطباء، والمعلمين، والصحافيين، وبعض الوزراء، وتشويه مضمون الاحتجاجات أو نداءات المعارضة وشعارات المحتجين بما يتناسب والقصص المفبركة التي تصنعها الجهات الرسمية.

كما قام التلفزيون الرسمي بعرض أفلام قصيرة مجهولة التفاصيل، واعترافات لمعتقلين من
المعارضة في جرائم لم يرتكبوها، وتم الأخذ بهذه الاعترافات في المحكمة، وأخيرا وليس آخرا استغنت هيئة شئون الإعلام عن زهاء 50 موظفا لأسباب طائفية.

أما تلك المؤسسات الإعلامية شبة الرسمية، كالصحف اليومية الخاصة والتي تتبع الخط الحكومي والرسمي فاتبعت النهج ذاته ولكن بطريقة أكثر عمقا، تخلو من المهنية وتفوح منها رائحة الانحياز، فقد قامت باختراع قضايا وجرائم قامت بها الجماعات المحتجة، لا تفتقر للدليل فقط وإنما لم تأت على ذكرها لا المحاكم ولا السجلات الرسمية، كقضية المؤذن الذي قطع لسانه وسائق التاكسي الذي قتله المتظاهرون وغيرها من قضايا اختطاف.

كما قامت هذه الصحف بتجريم وتخوين وضم نصف شعب أو أكثر إلى قائمة العمالة للخارج، وتجريد الاحتجاجات من مضمونها المطلبي وتأجيج النزعة الطائفية.

كما لم تستحصل "فضائية اللؤلؤة" على الإذاً للبث من المنامة فأطلقت في لندن يوليو/



تموز الماضي بمبادرة من ناشطين في المعارضة البحرينية، ونالت نصيبها من التشويش المستمر منذ إنشائها فيما لايزال نقلها المباشر متعذرا في البحرين.

ومن ضمن الأرقام التي رصدتها رابطة الصحافة البحرينية، التضييق على 123 صحافيا ومدونا ومصورا ومنعهم من ممارسة عملهم الصحافي، منهم 27 تم اعتقالهم وتعرضوا للتعذيب وسوء المعاملة. وصُنِف قرابة 25 منهم ضمن قوائم العار، وتم التشهير بنحو 7 صحافيين علانية والطعن في نزاهتهم وتلفيق التهم لهم على شاشة التلفزيون الرسمي، إضافة إلى عشرات الصحافيين الذين تم الضغط عليهم للكتابة مع التوجهات الحكومية وتبني آرائها وأجنداتها.

وما تزال الصحافة الرسمية وشبة الرسمية تمارس نفس الدور في بث الفرقة والشحن الطائفي والدفاع عن تصرفات الجهات الحكومية التي تضمنت القتل والاعتقال والتعذيب والتهديد والتخريب، وامتد حتى إلى السرقة.

في حين بقي المراسلون من أبناء البلد مراقبين في كل تحركاتهم، حيث يمنعون من تغطية المحاكمات ولا يتم دعوتهم للمؤتمرات الصحافية الرسمية ولا تضمن السلطات سلامتهم.

### ■ الإعلام الاجتماعي

مع تجاهل الإعلام الرسمي وشبه الرسمي البحريني والعربي للاحتجاجات في البحرين، ومنع الإعلام الأجنبي من الدخول إلى البلاد، جاءت أهمية الإعلام الاجتماعي

الإلكتروني، المتمثل في المواقع الإلكترونية الاجتماعية، فبرز دور الإعلام الإجتماعي المتمثل في المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي الذي يمارس فيه غالبية المحتجين دور الصحافي، عبر التصوير الفوتوغرافي والفيديو وتوثيق الوقائع، والكتابة عنها.

فأصبحت هي المادة اليومية التي يعتمد عليها غالبية البحرينيين للتعرف على المستجدات على الساحة، كما أنها فضحت الكثير من الممارسات اللاخلاقية واللإنسانية التي مارستها القوات الأمنية في البحرين، من تعذيب وضرب ومهاجمة المتظاهرين المسالمين، أو حتى الآمنين في بيوتهم من أبناء القرى الشيعية تحديدا في ظل العقاب الجماعي الذي تمارسه السلطة يوميا.

وبلغ الأمر من السوء أن يسقط المواطن زكريا راشد حسن قتيلا في المعتقل جراء تعرضه للتعذيب بعد سبعة أيام من اعتقاله بتهم "التحريض على الكراهية" و"نشر أنباء كاذبة" و"تعزيز الطائفية" و"الدعوة إلى إسقاط النظام على المنتديات الإلكترونية"، لأنه كان يدير منتدى إلكترونياً للنقاش.

وبين يونيو/ حزيران وسبتمبر/ أيلول، حجبت السلطات عددا من المواقع الإلكترونية مثل خدمة الدردشة الصوتية والفيديو "بالتوك"، ولاسيما غرفة الدردشة "بحرين نيشن" التي كان المعارضون يستخدمونها للتواصل، وموقع صحيفة "مرآة البحرين" الإلكترونية الذي ينتقد الحكومة، إضافة إلى موقع "حركة البحرين للعدالة والتنمية" والذي يفضح الانتهاكات المرتكبة ضد حقوق الإنسان في البحرين ويدعو إلى تنفيذ إصلاحات ديمقراطية، وموقع livestream الذي يبث المعلومات مباشرة على تويتر. وقامت منظمة "مراسلون بلاحدود" بتوثيق كل هذه الانتهاكات في تقريرها للعام 2011.

### ■ قضية الوسط

صحيفة الوسط، الصحيفة الأكثر اعتدالا في البحرين، التي لعبت خلال الحركة الاحتجاجية منذ فبراير/ شباط2011 دورا كبيرا في نقل مجريات الأحداث بتفاصيلها، ولكنها اتهمت من قبل السلطة بفبركة الأخبار في محاكمة تلفزيونية، ورفعت دعوى ضدها في المحكمة الجنائية العليا في المملكة بتهمة ارتكاب انتهاكات خطيرة ونشر

معلومات كاذبة ومضللة من شأنها أن تسيء إلى صورة البلاد وسمعتها في الخارج. ومن ثم منعها من الصدور لمدة يوم واحد وإقالة 3 من قياديي التحرير فيها، وهم رئيس التحرير منصور الجمري، ومدير التحرير ليد نويهض ورئيس قسم المحليات عقيل ميرزا، وإحالتهم إلى المحاكمة. وتمت تبرئة المتهمين على استحياء وفرض غرامة مالية فقط، ثم عادوا لأعمالهم، كما تعرضت مطبعة الصحيفة للتكسير والتخريب من قبل رجال مسلحين.

تلا ذلك إعلان لجنة حماية الصحافيين في نيويورك مطلع أكتوبر/ شرين الأول منح رئيس تحرير صحيفة "الوسط" الجمري، الجائزة الدولية لحرية الصحافة للعام 2011، عازية ذلك إلى "دور الجمري في الدفاع عن حرية الرأي والتعبير في الظروف القاسية".

## ■ الأكثر خطراً

وجاءت البحرين في المرتبة الثانية ضمن قائمة أخطر 10 مناطق في العالم على حياة الصحافيين للعام 2011 حسب منظمة "مراسلون بلا حدود" مسجلة قتل أحد النشطاء الإلكترونيين على يد قوات الأمن البحرينية، وكذلك أحد مؤسسي الصحف، واعتقال 36 صحافيا، في حين تم الاعتداء على 11 صحافياً، فيما أجبر 40 صحافياً على الاستقالة. كما قامت السلطات بترحيل نحو 6 صحافيين أجانب، ضمن تقرير خاص وضعته عن أوضاع الإعلام في دول الربيع العربي "تونس، مصر، البحرين، اليمن، سوريا وليبيا".

وجاء في تقرير المنظمة أن السلطات البحرينية "تحأول السيطرة على المعلومات الواردة

عن التظاهرات والانتهاكات التي ترتكبها القوى الأمنية من خلال استخدام ترسانة هائلة من التدابير القمعية من خلال اعتقال وترحيل الصحافيين الأجانب الذين يواجهون صعوبات كبيرة في الحصول على تأشيرات دخول، وتخويف كل من يرغب في الإدلاء بشهادته لوسائل إعلام أجنبية، ومضايقة المدافعين عن حرية التعبير، واعتقال المدونين والمصورين ومستخدمي الإنترنت (الذي توفي أحدهم في خلال فترة الاحتجاز)، ورفع الدعاوى القضائية ضد ناشطين في مجال الدفاع عن حرية التعبير وغيرها". في الوقت نفسه، تم إطلاق حملة دعائية ضد أبرز شخصيات الحركة الاحتجاجية عبر اتهامهم بالخيانة والإرهاب.

كما سجلت المنظمة القبض على أكثر من 30 صحافيا بحرينيا، ترأوحت مدد الاحتجاز بين بضع ساعات وعدة أشهر، منهم مراسلة راديو مونتي كارلو وفرانس 24 نزيهة سعيد، الصحافي الرياضي فيصل هيات، الصحافي عبدالله علاوي، الصحافي الرياضي حسين الدرازي، ومراسل وكالة الأنباء الألمانية مازن مهدي، وتعرضوا جميعهم لسوء المعاملة والتعذيب.




# الاحتلال العسكري لمجمّع السلمانية الطبي

احتلال السلمانية، الكذبة التي أعقبتها عشرون كذبة وكذبة

«اكذب ثم اكذب ثم اكذب، فلا بد من أن يصدق الناس في النهاية» بول غوبلز

النظام البحريني، لم يفتأ يعتمد في سياسته البالية، هذه المقولة الشهيرة لوزير الدعاية الألماني في عهد هتلر. الأنظمة المستبدة لا تزال تستخدم هذه اللعبة؛ لتسويق أكبر أكاذيبها وتضليل الرأي العام محلياً وعالمياً. البسطاء والسذج من الجمهور العام، والذين يمثلون قطاعاً غير قليل، تنطلي عليهم الكذبات السياسية بسهولة، لا لأن السيناريو الذي ترسمه معد باتقان، ولا لأنه يحتوي منطقاً أو معقولية، بل لأن التكرار المطنطن الذي يأتي على شكل وجبات يومية مستمرة عبر وسائل الإعلام المجير، وعبر المطنطنين المتكسبين، يرسِّخ في العقول السطحية والمنحازة، صوراً ذهنية مفرغة من العمق والمعنى، تقوم بترديدها تلقائياً بشكل تلقيني ساذج وغبي.

لكن ما لم يعرفه النظام، أن «من يكذب كذبة لا يدرك مدى ضخامة الفعل الذي يفعله، فهو مجبر على اختراع عشرين كذبة أخرى لكي يحافظ على الكذبة الأولى»، وهذا ما وقع في شره هذا النظام، فكل كذبة هزيلة يخترعها لتبرير قمعه وانتهاكه المفضوح أمام العالم، يحتاج لترتيقها لختراع كذبة أخرى، كما حدث في أكبر كذبتين وأخطرهما على الإطلاق، فيما يتعلق بقضية الكادر الطبي واحتلال مجمع السلمانية، وكذبة ولاية الفقيه بما فيها تبعية ثورة 14 فبراير لإيران.

هذا التقرير سيحأول الوقوف عند كذبة واحدة فقط: كذبة احتلال مجمع السلمانية. وستكون هناك تقارير أخرى لكذبات أخرى بعضها سنتمكن من إلقاء الضوء عليه في حصاد الثورة هنا، وبعضها الآخر سنفصل له مساحة أخرى فيما سيأتي.

## ■ مفاتيح الكذب..

لكل كذبة مفتاح هو فاتحة الكذبة، خيط يمسك به الكاذب؛ ليبني عليه سيناريو كذبته، بحيث تبدو وكأنها حقيقية. يستخدم الكاذب هذا المفتاح لرسم السيناريو وللتدليل عليه وللربط بين تفاصيله وللشرح والتفسير وكل شيء. البسطاء والسذج تكفيهم المفاتيح ليصدقوا الكذبة، ليست لديهم قدرة على الذهاب أكثر. في المفتاح جزء من حقيقة، وفي الكذبة يصنع المفتاح كل الرواية. ما هي مفاتيح كذبة احتلال السلمانية؟

## ■ مفتاح الخيمة

بعد مجزرة 17 فبراير ومحاصرة دوار اللؤلؤة بقوات الجيش، صارت باحة الطوارئ في مجمع السلمانية الطبي ملجأً ومتنفساً للجماهير الغاضبة التي شيعت شهداءها وجلبت جرحاها، توافدوا إلى هذه الساحة واعتصموا عندها، كما اعتصموا بها. إدارة مجمع

السلمانية وعلى رأسها الوزير فيصل الحمر لم يتخذ أي إجراء لمنع التجمهر.

مع تقاعس إدارة مجمع السلمانية عن القيام بواجبها تجاه المصابين في اليوم الأسود (1)، شكل الطاقم الطبي في مجمع السلمانية الطبي لجنة للكوارث والطوارئ على مدار الساعة. هدفها لم يتجأوز تنظيم وجود فريق من الأطباء للتناوب استعداداً لأي طارئ، ومباشرة تنفيذ الخطة المجدولة. بعد انسحاب قوات الجيش المحيطة بالدوار وعودة الجماهير إلى الاعتصام في اللؤلؤة، بدأ جدل يحتدم بين المتجمهرين من شباب 14 فبراير والأطباء، بعض الأطباء يرى أنه مادام سمح للشباب بالعودة إلى الدوار والاعتصام، لينته الاعتصام الموجود في باحة مجمع السلمانية الطبي، لكن شباب 14 فبراير كانوا يرون خلاف ذلك: لا بد من وجود نقطة تجمع ثانية غير الدوار، فإذا ما تمّ ضرب الأولى، لجأ الناس إلى الثانية. المتجمهرون من شباب الثورة نصبوا خيمة في اليوم التالي، وعقدوا منصة خطابية، ومكاناً خاص بالشاي، و بدؤوا بفعاليات سياسية من فوق هذه المنصة. كان هذا هو المفتاح الذي وقع بيد السلطة؛ لفتح نار كذبتها، وضرب الكادر الطبي واتهامه باحتلال المجمع. صارت التهمة جاهزة. ورغم أن المجمع يقع فعلياً تحت مسؤولية إدارة المجمع ووزير الصحة فيصل الحمر، الذين لم يصدر منهم أي إجراء، أو منع، فإن الكادر الطبي هو من حُمل المسؤولية، وبدلاً من معاقبة الإدارة على تقاعسها، يحاكم الأطباء اليوم.

بقيت الأمور هادئة بعد 19 فبراير، التجمهر أيضاً كان محدوداً. لكن مع عودة النظام لاستخدام العنف عن طريق البلطجية (كثير منهم كُشف أنهم رجال أمن في ثياب مدنية)، بدأت الحالات والإصابات الطارئة ترد المجمع، وعاد التجمهر قوياً مرة أخرى.



## ■ مفتاح اللجنة الشعبية

ثمة مفتاح آخر استخدمته السلطة بقوة، إذ تكونت لجنة أهلية وشعبية لمساندة اللجنة الطبية في أداء وظيفتها، تمثلت مهمة اللجنة الشعبية في منع التجمهر عند مدخل الإسعافات، وعدم السماح للمتجمهرين دخول أروقة قسم الطوارئ وإعاقة إسعاف المصابين. ولمزيد من التنظيم، تفرعت من هذه اللجنة أيضاً، وبشكل شعبي، لجنة إعلامية، لعبت دوراً كبيراً في الرصد والتوثيق بالصوت والصورة وتدوين المعلومات الدقيقة لجميع الانتهاكات ضد المتظاهرين القادمين في سيارات الإسعاف أو بالسيارات الخاصة لتلقي العلاج في المجمع. كان دور اللجنة الإعلامية المنظم إيجابياً وبارزاً في نقل حقيقة ما يجري لوسائل الإعلام المحلية والخارجية عن طريق الفيديو وكتابة التقارير وتنظيم عملية دخول وخروج الصحافيين والمراسلين وتزويدهم بالمعلومات اللازمة. كان هذا هو الأشد قصماً لكاهل النظام، انكشفت فضائحه أمام العالم عن طريق وكالات الأنباء العالمية التي دخلت المجمع وقامت بالتصوير وإجراء المقابلات مع الأطباء والجرحى.

## ■ شهادة..

ولأن لي شهادة شخصية في هذا الجانب، فسوف أقوم بذكرها هنا، فقد ذهبت بنفسي إلى مجمع السلمانية مساء 13 مارس بصفة إعلامية، وإن كنت لا أمثل صحيفة رسمية. كان الانفلات الأمني على يد البلطجية قد بدأ يقوى. العديد من المناطق تتعرض لهجوم بالآلات الحادة والعديد من الإصابات تصل المجمع، بعضها بليغ، ذهبت لأشهد الحالات. الإسعاف يصل محملاً بإصابات. التجمهر حاشد وغاضب، رأيت بنفسي كيف يصطف الممرضون والممرضات المتطوعون، يشكلون سلسلة بشرية تفصل بين المتجمهرين ومدخل الإسعاف. رأيت بعض الحالات غير الخطيرة والتي تمت معالجتها تفترش مكاناً على الأرض في باحة الطوارئ. كنت أحمل كاميرتي وأصور، حاولت الدخول إلى مبنى الطوارئ، مُنعت، أخبروني أن الدخول ممنوع لغير المرضى والحالات والكادر الطبي والإعلام. وأن علي أن أحضر بطاقة تسمح لي بالدخول أستلمها من اللجنة الإعلامية. ذهبت إلى خيمة صغيرة كتب عليها اللجنة الإعلامية، طلبت بطاقة دخول، ساعدني اسمي أن أحصل على بطاقة لشخص واحد فقط، لا يُسمح بدخول أكثر من إعلامي واحد منعاً للفوضى. دخلت وشاهدت بعض الحالات التي سبق وصولها. كان الكادر الطبي في حركة سريعة كما لا يمكن أن تراه في أي وقت آخر. جميع الأطباء من جميع التخصصات

متواجدون في غير وقت عملهم الرسمي لتقديم ما يمكن من مساعدة. أجريت بعض اللقاءات مع بعض الجرحى والمصابين الذين تم إحضارهم من المرفأ والجامعة صباحاً، أو من مناطقهم مساء.

تواصل دخول الإسعاف بحالات جديدة، وشهدت كيف يتم إحاطة الحالات لتسهيل دخولها، وكيف تلقى العناية الفورية. رأيت الدور الذي كانت تقوم به هذه اللجنة، في منع المتجمهرين من تعطيل الكادر الطبي عن أداء مهماته، ومنع الاقتحام العشوائي لمبنى الطوارئ، ولدي صوري التي التقطتها تلك الليلة.

قلت إن تلك اللجنة التي كان الهدف منها تنظيمياً، كانت هي المفتاح الثاني الذي استخدمته السلطة، لتُظهر أن الدخول للطوارئ لم يكن مسموحاً به لمرضى الطائفة السنية، وأن المحتجين وضعوا نقاط تفتيش، تسأل من يدخل عن طائفته التي ينتمي إليها، وغيرها من السخافات التي روجت للعب على عقول جماهير الطائفة السنية، وإظهارها على أنها هي المستهدفة من الحركة بدلاً من النظام الفاسد. وهو ما حشد له النظام عن طريق التلفزيون والصحافة والأقلام والأصوات والرسائل الإلكترونية التي انتشرت بكثافة تنقل قصصاً وهمية حول ذلك.

## ■ أول الكذب..

بدأت الكذبة نهاية فبراير، تحديداً بعد صدور الأمر الملكي بتسليم حقيبة وزارة الصحة للدكتور نزار البحارنة (الشيعي الأصل) في 25 فبراير، لم تمض أيام حتى بدأ استخدام مصطلح «احتلال مجمع السلمانية»، والتلميح التدريجي بتواطؤ الوزير (2)، رغم أن كل ما حدث تم وحقيبة الصحة لا تزال بيد فيصل الحمر (السني الأصل). الإعلام المحلي بأدواته المختلفة عمل على تسويق الكذبة، كذلك الإعلام الخليجي. البرامج التلفزيونية المباشرة في كل من قناة البحرين وقناة وصال السلفية، جندتا مكالمات مفبركة تشكو وتبكي وتنتحب عدم السماح للسنة بدخول مجمع السلمانية وتلقي العلاج. نجحت هذه الفبركات الركيكة في تجيير أطراف خارج اللعبة لم تحرك نفسها مسافة طريق لتتأكد مما يحدث حولها في بلد صغير، ونجحت الكذبة في استدراج عواطف جمهور عريض من (الشارع السني) وتخويفهم من (الاحتلال الشيعي!).

## ■ تباكي أم خليفة

دأب الإعلام الرسمي خلال أشهر الأزمة على الطنطنة حول موضوع ما كل عدة أيام؛

ليظهر أمام الرأي أن النظام استجاب لإرادة الشعب الذي ضاق ذرعاً. هكذا صار يُعرف ما ينوي النظام القيام به من خلال ما يشن من حملات موجهة عن طريق تلفزيونه وصحافته. الاتصال الشهير (لأم خليفة) (3)، هو أحد نماذج (البكائيات) التي استخدمها النظام عبر قناته الرسمية بافتعال متصنع وفاضح، تمهيداً لإنزال الجيش بمجمع السلمانية. الهدف هو إظهار أن ما سيقوم به النظام في اليوم التالي هو استجابة لمطالب الشعب الذي ضاق ذرعاً بما يحدث. وكان ما استدلت به (أم خليفة)، على معرفتها بما يحدث داخل السلمانية، قولها إنها تتكلم من مكان قريب من السلمانية! وأكدت أن الأطباء السنة الآن (أي في وقت اتصالها) يختبئون في غرفة واحدة لأن الشيعة يريدون أن يقتلونهم علناً! وأن الشيعة يستخدمون السنة كرهائن بشرية في السلمانية! وأمرت الملك بعد تعظيمه وتبجيله مراراً وتكراراً وبصوت يبكي كثيراً، أن «يرسل جيش درع الجزيرة الذي وصل إلى البحرين، للتدخل الفوري في مجمع السلمانية من أجل إنقاذ أهل السنة من احتلال الشيعة!».

لا نعرف لماذا طالبت أم خليفة أن يتدخل جيش درع الجزيرة بدلاً من رجال الأمن، لكن ما هو معروف أنه رغم كل ما وجه إلى الكادر الطبي من اتهامات خطيرة في محاكم السلامة الوطنية، إلا أن شيئاً من الكذب الذي قالته الممثلة أم خليفة الشهيرة ببكائها المصطنع حول القتل العلني والرهائن البشرية، لم يقله أحد، بمن فيهم الأطباء الذين شهدوا زوراً ضد زملائهم.

### ■ شهادة أم محمد

ورغم ما بسطت السلطة من يدها في الكذب، فإن الحقيقة لا بد تخترق عبر أصوات صادقة من الشارع الذي أريد له أن يكون في هذه أعمى. قناة وصال الفضائية السلفية السعودية، والتي عملت جنباً إلى جنب مع الإعلام الرسمي البحريني على كذبة الطائفية وولاية الفقيه وتبعية الحركة لإيران، تلقت اتصالاً مستنكراً من (أم محمد) من الطائفة السنية، التي كذّبت كل ما يقال في الإعلام الرسمي، وشجبت دور هذه القنوات في ممارسة الكذب والتضليل الإعلامي، وذكرت أنها ترددت على المجمع أكثر من مرة خلال تلك الفترة، ولم يتم تفتيشها ولا سؤالها عن أصلها ولا فصلها ولا تعطيل وصولها، وأن قريبتها التي ترقد في المجمع تحظى بعناية واهتمام من الكادر الطبي الذين عبرت عنهم أنهم من المذهب الشيعي، وأن كل ما يتم تناقله هو إشاعات مغرضة بهدف النيل من الوحدة الوطنية وشق الصف وإثارة الفتنة (4).

## ■ فضح علي

كما تفاجأ أحد برامج تلفزيون البحرين، باتصال غير متوقع من أحد أبناء الطائفة السنية اسمه (علي الياسين)، ولم يتمكن المذيع من إخفاء تغير ألوانه وملامحه وهو يسمع كلمات المتصل التي باغتتهم على الهواء مباشرة، قال علي الياسين بصوت محروق ومخنوق: «الأحداث التي صارت في البحرين كاملة، أحمّلها تلفزيون البحرين؛ لأن تلفزيون البحرين وعلى مدى عشرين يوما، وطوال 24 ساعة، يطحن ويزيد وينشر الطائفية في البلاد، 24 ساعة الناس يتصلون، اللي يسب، واللي يسب الشيعي واللي يسب المذهب واللي يغلط على العلماء، ومع ذلك المقدمين يقولون له: مشكور، صح لسانك، جزاك الله خير، هذا اللي وصل البلاد لما نحن فيه، المقدمين كلكم المفروض تكونوا حياديين، توصلون رسالة إعلامية، ناس تسب وتشتم الشيعة وانتو ساكتين؟ وين ردكم، إذا ولي العهد، تاج راسكم طلع وقال يجب على الجميع الهدوء، وقال اللي يطلعون مسيرات الدستور كفلهم، وانت في كل يوم، إنت وزملائك تحملون المعارضة اللي يصير» ثم تساءل «البلطجية اللي في سترة شنو هوياتهم؟ من وين؟ هل هم معارضة؟ واللي صار في الجامعة شنو هوياتهم؟ هذي كلها تجهيزات حق ينزل الجيش، تبون تنزلون الجيش ما عرفتو قمتوا زعزعتوا الأمن، حق ينزل الجيش وتبررون. اللي قاعد يصير الآن من تدخل في مجمع السلمانية حق باجر ينزل الجيش ويحوط (يحاصر) السلمانية. هذي خططكم. نحن في 2011 مو ما نشوف» (5).

هكذا فضح (علي الياسين) بكل بساطة وبكل صدق، ملخص السيناريو الذي سار عليه النظام، وفضح الكذبة التي جرى لوكها على لسان جميع أدوات السلطة حول «احتلال السلمانية»، تمهيداً لمحاصرتها؛ لأنها معقل فضح، لا لأنها معقل احتلال، كما كان واضحاً لجميع من يفهم.

## ■ زيارة المعلم

وكآخر نموذج، انتشر فيديو مصور لمعلم من أهل السنة، اختار أن يذهب إلى مجمع السلمانية بنفسه ليتأكد مما نقل عنه في وسائل الكذب الحكومية، وألقى في الجماهير المحتشدة كلاماً مرتجلاً، لكنه فصيح وبليغ، لخص فيه الكذبة التي لعبها الجهاز الرسمي حول احتلال السلمانية، مما ذكره: «في الحقيقة كانت عندي حالة مرضية، وصممت أن آتي إلى هذا المجمع لعلمي اليقين والقطعي أن بعض ما سمعته كذب وزور عن



إخواننا الكرام جميعاً. لقد حُذرت وخُوّفت قبل أن آتي إلى هذا المكان الذي اعتدت أن آتي إليه، وأنا أعرف إخوتي وأبنائي الذين درستهم وإخواني الذين صحبتهم من الشيعة، وأعرف أخلاقهم جميعا وأستبعد بل أعده من المستحيل أن يصدر بعض الذي سمعته في بعض وسائل الإعلام المغرضة من إخواني الكرام الذين عرفتهم (الجمهور يهتف: إخوان سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه). ويوجد بينكم الآن بعض من عرفني عن قرب وعلمته ودرسته في مدرسة الهداية الخليفية (الجمهور يهتف: بالروح بالدم نفديك يا سني)..

ثم قال «جئت إلى هذا المجمع وأنا كلي ثقة ويقين على أنني سأجد فيه كل ترحيب واحترام، وهذا الذي رأيته، وهذا الذي لمسته، في الوقت الذي أسمع فيه كلمات أتعجب منها، أسمع فيه أمورا أتعجب منها، وأنا قاطع بأن هذا الذي سمعته من بعض الناس ما هي إلا إشاعات كاذبة ونفوس مريضة مغرضة تريد أن تزرع الفتنة وتضرب إسفين الكراهية بين الأخ وأخيه. جئت إلى هذا المجمع الكريم، كثيرون لا يعلمون شخصيتي(...) لأرى كيف يقابلني الإخوة وكيف يبادلوني التحية والسلام، فما رأيتهم فرقوا بيني وبين إخوتهم في التحية والسلام والإخاء (الجمهور يهتف: إخوان سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه).

ثم فضح الكذب الإعلامي «لقد اطلعتم جميعا على بعض ما ألقي في بعض القنوات المغرضة، أو لنقل بعض البرامج التي حضر فيها من لا يتقون الله في هذا الوطن، وألقيت كلمات كنت أحاول أن أكذبها للتو واللحظة، وأحاول أن أخبر بعض من أحاط بي من الإخوة الكرام، بأن هذا الذي أسمعه لا يمكن أن يكون له رصيد من الواقع والحقيقة أبداً».

### ■ الكذبات العشرون..

هكذا بدأت كذبة احتلال السلمانية، لم تلق قبولاً في وسط الرأي العالمي، بدا الأمر ساخراً وهزلياً، خصوصاً لمن حضر بنفسه من الإعلاميين والمنظمات الحقوقية، الكذبة

كانت من الهزالة بحيث لم تحرك سوى السذج الذين تعودوا تكرار ما تكرره عليهم الآلة الإعلامية الرسمية، وما تمارسه عليهم من كذب وتضليل، فكان على النظام أن يبحث عن كذبات أخرى، أكثر تأثيراً على الرأي العام العالمي، لعله يقنعه أن الكذبة الأولى ليست كذبة، وأنها حقيقة. كان عليه أن يخترع عشرين كذبة وكذبة كي يغمغم كذبته الأولى، وكلما كذب أكثر انفضح أكثر، الكذبة ترهل ما قبلها أكثر بدلاً من أن تصلحها، فمن اتهام الأطباء باحتلال السلمانية إلى اتهامهم بعدم معالجة المرضى من الطائفة السنية، إلى اتهامهم بالتعدي على الآسيويين، إلى حيازة الأسلحة، إلى سرقة الدم، إلى إجراء عمليات أدت إلى قتل بعض المحتجين، إلى غيرها وغيرها من الكذبات التي يحتاج فضحها إلى تقرير مفصل آخر. ولا يزال النظام يغمغم في كذباته التي تورط بها فيما يخص قضية الكادر الطبي، ولا يزال غير قادر على التصرف في هذا ملف كذبه الذي صار حبلاً ملفوفاً حول عنقه، مخنوقاً بأي جهة ما حركه.

## ■ هوامش

(1) مرآة البحرين: شوكة الأطباء – الحلقة الأولى

http://bhmirror.no-ip.org/article.php?id=1194&cid=105

(2) انظر لقاء وزير الصحة نزار البحارنة مع صحيفة الأيام قبل استقالته بأيام

http://www.alayam.com/Articles.aspx?aid=70251

(3) أم خليفة تباكت وتباكى معها المذيع

http://www.youtube.com/watch?v=h5OyX7YRneo&skipcontrinter=1

(4) يوتيوب مكالمة أم محمد لقناة وصال

http://www.youtube.com/watch?v=aUcdojWxb7M

(5) يوتيوب مكالمة علي الياسين لتلفزيون البحرين

http://www.youtube.com/watch?v=vuHy2fi9RxU

(6) يوتيوب الكلمة التي ارتجلها المعلم السني في مجمع السلمانية

http://www.twitvid.com/7TYVP

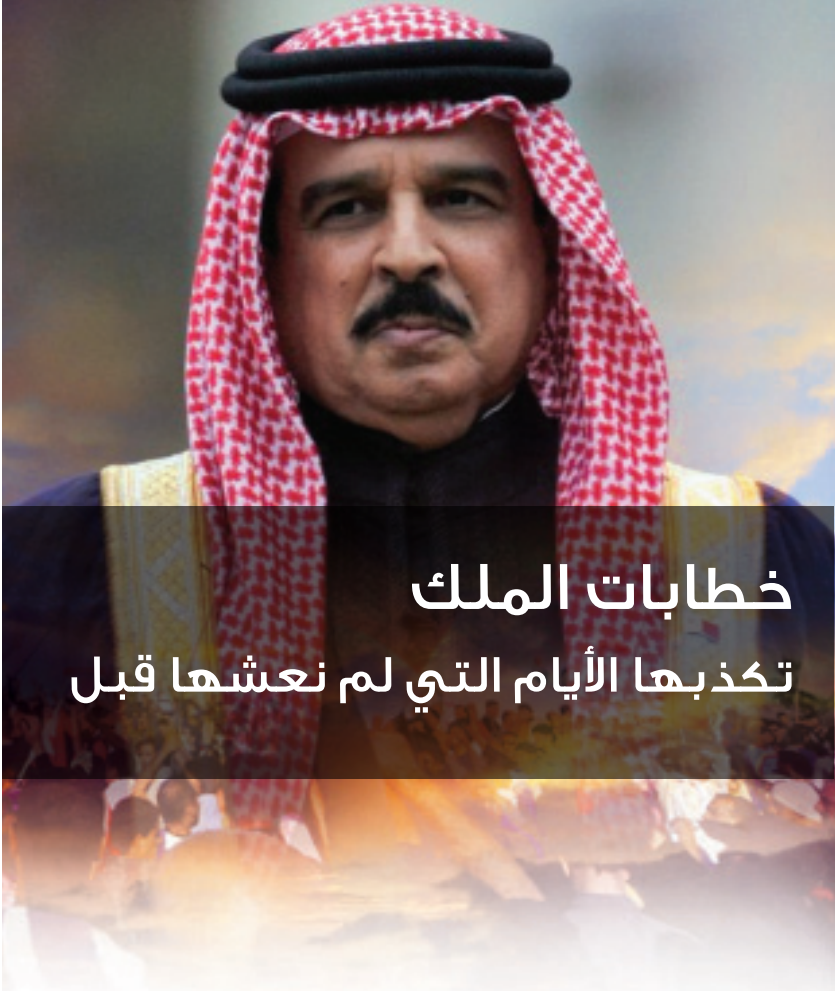

# خطابات الملك
## تكذبها الأيام التي لم نعشها قبل

"على ضوء ما جرى من حوادث متفرقة يوم أمس واليوم وكانت هناك للأسف وفاة لاثنين من أبنائنا الأعزاء، وعليه نتقدم بتعازينا الحارة لذويهما وأن يلهمهم العلي القدير الصبر والسكينة والسلوان. كما ليعلم الجميع بأننا قد كلفنا سعادة الأخ جواد بن سالم العريض نائب رئيس مجلس الوزراء بتشكيل لجنة خاصة لمعرفة الأسباب التي أدت إلى تلك الأحداث المؤسفة".

كانت تلك فقرة من أول خطابات الموت التي أرسلها ملك البحرين وإذاعه تلفزيون البحرين في الخامس عشر من فبراير 2011، بعد يوم من سقوط أول شهداء الثورة علي مشيمع، وفي نفس يوم سقوط ثاني الشهداء فاضل المتروك، رسالة بدا أنها تحمل شيئا من الأمل، غير أنها لم تكن سوى التدشين الفعلي لحفلات الزار الدموية، صورة بدأت تتكشف لحقيقة النوايا التي أضمرها الملك حمد بن عيسى لأبناء شعبه.

خطاب أول مقتضب، لم يزد على مئتين وأربع وسبعون كلمة، لم يدر في خلد الملك نفسه أنه سيمنح الشعب الثائر جناحين للتحليق عاليا بحثا عن سماء حرة، بعيدا عن حقيقة النوايا المتوارية بين سطوره، اعتصم الناس في دوار اللؤلؤة، نصبت الخيام، وتوالى تدفق الناس.

وبعد يومين فقط من ذلك الخطاب، تحديدا في 17 فبراير، سقط أربعة شهداء في اليوم ذاته، الشهيد محمود أحمد، الشهيد علي خضير، الشهيد عيسى عبدالحسن، والشهيد علي المؤمن، فيما عرف بالخميس الدامي، لفض الاعتصام بالقوة والخداع، عندما هجمت قوات الأمن على المعتصمين فجرا، وحولت الدوار إلى ما يشبه ساحة الحرب.
الخطاب الأول أسقط أربعة شهداء دفعة واحدة، توارى بعده الملك خلف ستار، وخرج نيابة عنه نجله وولي عهده، ليطالب الناس بالهدوء والعودة إلى عقولهم، وكان من ملامح ذلك تحديد يوم لتأبين الشهداء، أصيب خلاله الشهيد عبدالرضا بوحميد أثناء مسيرة لاستعادة الدوار قبل أن يلتحق بركب الشهداء بعد ثلاثة أيام، عندما نجح الثوار فعلا في تحرير الدوار واستعادته.

اعتصامات ومسيرات استمرت حوالي شهرا أو أقل، تحركت في كل مكان، دار الحكومة، المجلس الوطني، الديوان الملكي، قصر الصافرية، هزت العرش الخليفي، ودفعته إلى طلب المعونة من الشقيقة الكبرى المملكة العربية السعودية التي أعلنت رفضها القاطع لأي تنازل يعطي الشعب ولو النزر اليسير من حقوقه.

اختفاء الملك في تلك الفترة، صاحبه، فتح المجال أمام ولي العهد ليقود حملة للتفأوض

مع المعارضة، المهمة التي أجهضت في السادس عشر من مارس في الهجوم الغادر المدعوم بقوات درع الجزيرة على المعتصمين في دوار اللؤلؤة، حلقت الطائرات، ولوحق المعتصمون في كل مكان، لتبدأ بعدها مرحلة من تبادل الأدوار، ولي العهد يختفي ليعود الملك إلى لعبته المسلية، لعبة الخطابة وهذه المرة بلغة عنترية فتحت المجال أمام اتساع رقعة التخوين.

لغة المهادنة والسلام التي غلفت لغة الخطاب الأول، اختفت تماما من الخطاب الثاني، في الثامن عشر من مارس، ظهر الملك في تلفزيونه ليلقي خطابا موتورا، أعلن خلاله إفشال مخطط خارجي يحاك منذ ثلاثين عاما ضد البحرين ودول مجلس التعأون الخليجي.

ولعل أبرز ما ذكره الملك خلال زيارته لقوات درع الجزيرة، تصريح واضح يفسر كل عمليات القتل التي حصلت لاحقا وتواصلت حتى نهاية العام، قال متباهيا: "هذا اليوم هو يوم عيد لرؤيتكم وحضوركم للقيام بالواجب على أكمل وجه وبأسرع ما يمكن وهذه هي عهود ومواثيق وثقتها المحبة والمودة بين شعوبنا وقيادتنا في المنطقة عبر السنين وليست وليدة أمس أو اليوم إنما هي من أصل قديم وهذا هو الصحيح".

واصل قائلا: "أن تواجد قوات درع الجزيرة في البحرين ليس للقيام بدور حفظ النظام الداخلي حيث أن هذه القوة قد شكلت بواجب الدفاع العام عن أي بلد من دول مجلس التعأون كما كلفهم جلالته بنقل تحياته إلى ضباط وضباط صف وأفراد هذه القوة الباسلة في مختلف مواقعهم"

مثل هذا الإيعاز الصريح لا يترك مجالا للملك للتلاعب بالتاريخ، حيث يحاصره الحساب والجغرافيا، أزيل الدوار وبدأت مرحلة سحق المحتجين وملاحقتهم في كل مكان، تحت شعار النيل من الخونة وهو ما تجسد فعليا في الحالة المكارثية التي بات عليها مؤيدو النظام، وكان تلفزيون البحرين لاعبا أساسيا فيها.

مع الدخول في حالة السلامة الوطنية التي استمرت ما بين 15 مارس 2011 وحتى نهاية شهر يونيو من العام ذاته، دخلت البحرين في قبضة المشير، المئات من المواطنين أرسلوا إلى السجون ومحاكم السلامة الوطنية، وسط شعور مخادع أن الثورة أجهضت

مبكرا، لترفع حالة السلامة الوطنية قبل موعدها المحدد بأسبوعين.
صدر ذلك على شكل مرسوم ملكي يوم الأحد الموافق للثامن من مايو 2011 برفع حالة السلامة الوطنية. وجاء في المادة 1 من المرسوم أنه ترفع حالة السلامة الوطنية في جميع أنحاء مملكة البحرين اعتبارا من أول يونيو/ حزيران 2011. كما جاء في المادة 2 أنه على رئيس مجلس الوزراء والقائد العام لقوة دفاع البحرين ورئيس الحرس الوطني والوزراء كل فيما يخصه تنفيذ أحكام هذا المرسوم، ويعمل به من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية.

مع قرب حلول شهر رمضان المبارك، سارع الملك بصورة مؤقتة إلى خلع بدلته العسكرية وارتداء بدلة الورع والتقوى، خرج للناس في خطاب كان ظاهره حلول الشهير الفضيل، أما باطنه فهو التأكيد على وجوده في الساحة بعد فترة من تزايد نفوذ المشير.
وكما لو أن الملك يحتفل بنفسه مع نفسه حين قال في كلمته: "فإنا في الوقت ذاته نشكركم خالص الشكر مقدرين ما أظهرتموه من مشاعر الفرح المخلص بمناسبة عودتنا إلى ربوع الوطن والتئام شملنا معكم بفضل الله ورعايته".

الخطاب التالي للملك، كان بمناسبة العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، منأورة جديدة، هدفت إلى نقل البحرين إلى مرحلة جديدة، تنسيهم حفلات الزار التي أقامها رجال الأمن خلال فترة السلامة الوطنية التي كان حصيلتها استشهاد ثلاثة مواطنين تحت وطأة التعذيب في السجون هم كريم فخراوي، علي صقر، وزكريا العشيري، بخلاف المئات من المصابين وضحايا التعذيب، والموقوفين والمفصولين من أعمالهم.

الملك حأول في خطابه أن يقفز على هامة الواقع، ودخل في رهان خاسر مع نفسه حول قدرته على الانتقال بالوطن إلى مرحلة حقيقية من الإصلاح، أسهب في الحديث عن الوطن الواحد، الوئام، الاستقرار، والإصلاح كما لو كان المختار المرسل من السماء لتخليص الناس من عذاباتهم.

يقول في ذلك الخطاب: "يطيب لنا أن نتحدث إليكم ونحن نسعد بالأيام والليالي المباركة من هذا الشهر الفضيل الذي نعيش في أيام عشره الأخيرة المفعمة بالمغفرة والرضوان،

ونهنئكم تهنئة عطرة صادقة ببلوغكم موسم الخير في رمضان معتزين بإحيائكم المجالس الرمضانية، وتلاقيكم الجميل في رحابها، فالالتقاء ونبذ الفرقة بين أبناء الشعب الواحد من العادات الحميدة التي ينبغي أن تستمر دائماً وأبداً".

كانت اللجنة المستقلة لتقصي الحقائق، قد بدأت أعمالها منذ حين، فكانت إحدى قراءاته الخاطئة، لأنه ظن أنها ستبرئه من مسئولية الدمار الذي انتشر في الوطن، أرضه وبحره وهوائه، قال إنها ستعطي كل ذي حقه، كما لو كان يقول ستعطي لكل مواطن قبره.

.خطاب طويل، تحدث عن نقل المحاكمات إلى القضاء المدني بعد حين من سريان المحاكم العسكرية، عن عفوه الخاص عمن وصفهم بأنهم أساءوا إليه شخصيا، وتحويل عدد من رجال الأمن للمحاسبة مع تزايد الشكأوى من الانتهاكات التي تعرض له المئات من معتقلين، ثم ختم خطابه بوعد المتضررين بالتعويض!

يشير في خطابه قائلا: "ونود أن نؤكد إننا لا نتطلع إلى محاكمة الجميع، فهناك من اتهموا بالإساءة لشخصنا ولرجال المملكة ونحن في هذا اليوم نصفح عنهم، آملين أن يعوا أن الإساءة لنا ولغيرنا هي إساءة للجميع ولا تفيد بشيء.
وهناك من مواطنينا من تعرض للإصابة وللمعاملة السيئة وللوفاة من مختلف الأطراف. فهناك رجال أمن استشهدوا وهم يقومون بواجبهم تجاه وطنهم ونحن مسئولون عنهم وعن عوائلهم. وهناك من قبض عليه ومن ثم اثبت التحقيق بأنه قد تعرض، وبصفة فردية، للمعاملة السيئة والإساءة وهو قيد الاحتجاز وهذا شيء لا يرضي الله سبحانه وتعإلى ولا يرضينا. فمن مسؤولية الدولة أن توفر لهم الحماية اللازمة حتى يأخذ القانون مجراه".

ويضيف: "ولا بد أن يعلم الجميع أن في البحرين لدينا قانون يسمح للمتضررين من سوء المعاملة بطلب التعويض، وربما لا يفهم البعض هذه القوانين أو يظنون إنها لن تطبق بعدالة، لذلك سنطلب من المجلس الأعلى للقضاء لمتابعة تحقيق ما تقدم، وما اللجنة المستقلة لتقصي الحقائق إلا خير دليل على التزامنا الكامل لمعرفة الحقيقة، ولإعطاء كل ذي حق حقه".

في العيد وبعد أيام قليلة، سقط الشهيد علي الشيخ، بعد حملة قمع قامت بها قوات الأمن في منطقة سترة، وكانت تلك ترجمة فورية وواضحة لحالة الإصلاح التي كان يتحدث عنها ملك البحرين.

لجنة تقصي الحقائق المشكلة بأمر الملك نفسه، كانت تقوم بمهامها وسط حالات القمع وتساقط الشهداء، إلى أن انتهى فريق بسيوني من تحقيق ما جاء من أجله، وسلم التقرير، ليأتي دور الملك للرد في المكان والزمان إياهما.

تقبل الملك كما قال كل ما جاء في التقرير كما لو كان يعيش في كوكبا آخر لينفي عن نفسه العلم بما يدور في الشوارع والغرفة المغلقة في السجون، لكن ذلك لم يغير من الواقع شيئا، تواصل القمع وأعداد المصابين، فالخطاب الذي زادت كلماته على ألف و400 كلمة، ترك الكلمة العليا لوزارة الداخلية في التعامل بالطريقة التي تريد مع مختلف أوجه الاحتجاج، كان حصيلة ذلك سقوط أكثر من خمسة مواطنين قتلا بنيران رجال الأمن خلال الفترة اللاحقة للخطاب نفسه.

يقول الملك في رده على رئيس لجنة تقصي الحقائق: "إن تقريركم هذا يغطي مسائل خلافية هامة، ولقد سعيتم للوصول إلى حقائق تتعلق بفترة صعبة آلمتنا جميعاً، وعرفتم التحديات الغير مسبوقة التي واجهتها الجهات الرسمية، والاستفزازات العدائية المتواصلة من مختلف الجهات، داخل وخارج البلاد، وقدرتم مسؤوليتها في إعادة بسط النظام وسلطة القانون في مواجهة العنف وأساليب الترويع ضد المواطنين وضد المؤسسات الحيوية في الدولة، وفي نفس الوقت وجدتم تقصيراً حقيقياً من جانب بعض الأجهزة الحكومية، وبالأخص في عدم منع حالات من التعامل الأمني المفرط وسوء معاملة الأشخاص قيد الاحتجاز من قبل البعض".
يعود لأداء دور البريء حين يقول: "وإن تسائل البعض عن سبب طلبنا لجنة من الخبراء من خارج البلاد للنظر في مجريات أحداث شهري فبراير ومارس 2011، وما نجم عنها من تداعيات لاحقة، فإن جوابنا هو أن أية حكومة لديها الرغبة الصادقة في الإصلاح والتقدم، يجب أن تعي الفائدة من النقد الموضوعي الهادف والبناء".
الملك دأب في كافة خطاباته على التأكيد والإشادة "بالدور الوطني للقوات المسلحة

لحفظ الأمن وسلامة البلاد من كل ما يهددها من أخطار"، في حالة انفصام واضحة في الشخصية بين ما يردده على المستوى الإعلامي، وما يحدث يوميا في القرى. والمحصلة أكثر من 50 شهيدا، آخرهم فتى في الخامسة عشرة من عمره قتل عشية الاحتفال بالسنة الميلادية الجديدة



# تلفزيون المكارثية العربية:
# صناعة الفبركات والأوهام

"إذا أردت السيطرة على أحد فأوهمه أنه خائف"، يمكننا أن نقول إن الإعلام الرسمي البحريني بكل أنواعه، قد لعب على هذا الوهم تحديداً، وأنه سخّر كل إمكاناته البشرية والمادية من أجل جعل هذا الوهم يبدو حقيقة، فيما يتعلق بالموقف من المحتجين والحركة الاحتجاجية منذ 14/فبراير 2011.

مرآة البحرين (خاص):»إذا أردت السيطرة على أحد فأوهمه أنه خائف»، يمكننا أن نقول إن الإعلام الرسمي البحريني بكل أنواعه، قد لعب على هذا الوهم تحديداً، وأنه سخّر كل إمكاناته البشرية والمادية من أجل جعل هذا الوهم يبدو حقيقة، فيما يتعلق بالموقف من المحتجين والحركة الاحتجاجية منذ 14/فبراير 2011.

الفرق بين الإعلام القائم على نقل الحقيقة، والإعلام القائم على الفبركة والتزييف، أن الإعلام الصادق يقول لمتابعه: سأخبرك بما رأيت من حقيقة، وإن لم تصدق اذهب لترى بنفسك ولتتأكد. أما الإعلام المزيف والكاذب سيقول لك: تعال لأعطيك كل الحقيقة، وحذار أن تذهب لترى، سيكون الخطر متربصا بك بشكل شخصي. إعلام الحقيقة لا يخشى ذهابك مكتشفاً، يحرضك عليه لتزول شكوكك. أما المزيف، فسيضع لك من العراقيل النفسية والعملية، ما يصرفك عن أن ترى بنفسك خوفاً من فضح كذبه.

كان هذا تحديداً ما حدث في البحرين، فبقدر ما كان الإعلام المعارض يتمنى على كل أبناء الشعب، بل كل العالم، أن يحضر جهة الحدث ليرى بنفسه، كان إعلام السلطة يحظر على الحدث ويضع العراقيل لوفود الخارج، ويوهم أتباعه في الداخل أنهم مستهدفون ومحاطون بالخطر.

### ■ عسكرة..

منذ تسلم فواز بن محمد آل خليفة (ابن وزير الداخلية السابق) رئاسة هيئة شؤون الإعلام، عمل على استبعاد عدد من الإداريين الإعلاميين واستبدالهم بآخرين عسكريين. فبعد الرئيس التنفيذي راشد بن عبدالرحمن آل خليفة، عُين علي الرميحي في منصب مدير عام التلفزيون والإذاعة، كما تم إعفاء القائم بأعمال مدير إدارة الأخبار ناصر الذوادي الذي كان يعمل قبل ذلك في ديوان ولي العهد، مقابل تعيين الضابط السابق بوزارة الداخلية محمد القوتي، وإقصاء رئيس القناة الرياضية أحمد عاشور واستبداله بعبدالعزيز الأشراف وهو الآخر عسكري سابق.

ارتداء تلفزيون البحرين البزة العسكرية، لم يكن خارجاً عن السياق العام الذي عاشته البحرين منذ 16 مارس، أي منذ بُسطت يد العسكر للسيطرة على جميع المفاصل المدنية



■ قاد مكارثي عام ١٩٥٠ هجمات مكثفة ضد سياسيين ومثقفين وأصدر (قوائم سوداء) وقضى على الحياة المهنية لكثير من الناس

في الدولة، وبعد أن صار المشير هو المتحكم في كل شيء في الدولة. من يتابع تلفزيون البحرين الرسمي لن يشك لحظة أنه أمام جهاز مخابرات أو قناة تلفزيونية تابعة لوزارة العسكر، لكنه سيشك كثيراً، لو أخبر أنه أمام قناة تابعة لوزارة يفترض أن تكون مستقلة هي الإعلام.

## ■ اختلاق..

يسميه الشارع المعارض "تلفزيون العين الواحدة". أرى أن هذه التسمية تبسيطية. العين الواحدة اقتطاع، بمعنى أن صاحب العين الواحدة يعمل على إظهار الجانب الذي يخدم توجهه أمام العالم ويخفي الجانب الذي يسيء اليه، لكن الدور الذي مارسه تلفزيون البحرين أخطر بكثير، لقد عمل هذا الجهاز على الاختلاق وليس الاقتطاع فقط. اختلاق السيناريوهات والشهادات والأكاذيب والتهم والجنايات والتزييف والفبركة والتأليب والتحشيد وتقسيم فئات المجتمع بتنوعاتها المختلفة إلى قسمين فقط: شريف مخلص (موال للنظام)، وخائن عميل (معارض للنظام).

باشر تلفزيون البحرين بعد 14 فبراير القيام بهذا الدور، بلغ أوجه منذ منتصف مارس 2011. الداخلية تمد الإعلام بالأسماء والمعلومات والصور والتهم والأوامر،

تحدد الدور المطلوب في الترويج أو التثبيت أو الاتهام أو النشر أو التحويل إلى الاستهلاك العام. يمكننا إيجاز الاختلاقات الكبرى للإعلام البحريني والتي شارك فيها تلفزيون البحرين في نقاط:

✓ اختلاق رواية أن الحركة الاحتجاجية تستهدف المكون السني بأكمله، لا النظام، وأنها تستهدف ترحيل المكون السني وتهميشه وإقصاءه ونهب حقوقه والاستفراد بالسلطة.

✓ اختلاق رواية أن المحتجين الشيعة يحملون كراهية وحقداً وعداوة تجاه شركائهم في المجتمع وتجاه الجاليات الآسيوية فقط لانتمائها لعقيدة مختلفة وطائفة مختلفة.

✓ اختلاق رواية أن الحركة الاحتجاجية مخطط يعمل وفق أجندة خارجية تستهدف تخريب البلد والعبث بأمنه.

✓ اختلاق رواية أن المحتجين أتباع ولاية الفقيه وحزب الله، وأنهم يستهدفون الاطاحة بالنظام الحاكم لإقامة حكم ولاية الفقيه مكانه.

✓ اختلاق رواية أن المحتجين سعوا لإقامة جمهورية إسلامية جعفرية تابعة لجمهورية إيران الإسلامية.

✓ اختلاق رواية الدولة المهدوية التي تسعى إليها الحركة الاحتجاجية.

✓ اختلاق رواية العلاقة المباشرة بإيران وحزب الله وتلقي التعليمات والأوامر منها والتدريب فيها.

✓ إظهار المحتجين على أنهم خونة، عملاء، متآمرون، مخربون، إرهابيون، عصابة محتلين، قتلة، صفويون .

✓ اختلاق رواية قتل المحتجين وإجراء العمليات الطبية لهم وسكب الدماء عليهم من أجل كسب التعاطف والتأثير على الرأي العام الخارجي.

✓ اختلاق رواية احتلال مستشفى السلمانية ومنع علاج أبناء الطائفة السنية ومنعهم من دخول المستشفى

✓ تكذيب وسائل الإعلام العالمية ومهاجمتها واتهامها بالتآمر لبيع البحرين.

✓ إظهار أن المحتجين لا يمثلون غير فئة قليلة من الشعب وأنه لا أثر لهم.

✓ المطالبة بفصل الناس من أعمالهم والتحقيق معهم ومعاقبتهم قانونياً بسبب

مشاركتهم في الاحتجاجات في الدوار.

### ■ وهم الاستهداف..

كانت هذه الاختلاقات خلاصة لعبة الوهم التي مارسها النظام ضد المكون السني في المجتمع. عبر ترديد هذه الروايات ليل نهار وبكل طريقة ووسيلة وفي كل مكان. مارس النظام لعبته في تخويف المكون السني من شريكه الشيعي. صار الأخير يتلقى من الإعلام الرسمي كل ما يُسكب فيه دون تفكير. الخوف يشل تفكير صاحبه ويجعله متلقيا فقط. يصير مثل قنينة يجري ملؤها بسوائل قابلة للاشتعال، تنتظر فقط لحظة إشعال الرأس لتنفجر.

في الحقيقة، لم يكن الإعلام البحريني يستهدف الرأي العام العالمي. ليس لأنه غير مكترث به، بل لأنه ليس في يده. لعبة الإيهام الغبي لا تنطلي على الإعلام الخارجي والمنظمات الإنسانية الخارجية التي راحت تفد إلى البحرين لتنقل للعالم ما تشهده بعينها. لم تسلم هذه من الاتهام الصريح بالعمالة والتآمر طبعاً.

الجمهور المستهدف من الإعلام المحلي هو الشارع السني وحده، كان من الضروري إبقاؤه مستفزاً ضد الحركة الاحتجاجية مقاوماً لها. يعلم النظام أن القشة التي تقصم ظهره هي وحدة الشارعين حول المطالب، ونجاته منها في تعميق الانقسام وإظهار أحدهما مستهدفاً من الآخر. نجح إعلام السلطة في جعل الوهم يبدو كحقيقة عند فئات كبيرة من الشارع السني.

### ■ استنجادات طائفية..

ومن أجل إظهار الوهم أنه حقيقة، سيتم التنسيق بين جهاز الإعلام الرسمي وأجهزة المخابرات عبر توجيه العسكر وأطراف متعاونة معها لإجراء مكالمات هاتفية لتلفزيون البحرين، تروي قصصاً مفبركة وتشكو قيام اعتداء المتظاهرين على المواطنين السنة وتهديدهم وإرعابهم وإرهابهم. ثم يطلب أصحاب هذه المكالمات التدخل الفوري العسكري، أو إنزال أقصى العقوبات وأشدها وأغلظها على (الخونة، العملاء، المتآمرين، المخربين، الإرهابيين، المحتلين، العصابة، أهل الفتنة، الفئة الضالة، أصحاب أجندات

خارجية، أتباع حزب الله، أتباع ولاية الفقيه، موالين للخارج، خارجين عن القانون).

وكان الجديد الذي ابتكره تلفزيون البحرين عبر هذه المكالمات الوهمية المفبركة، هو إظهار أن ما يقوم به النظام من تعامل أمني (القمع، القتل، الاعتقال، الخطف، التعذيب، المحاكمات العسكرية، الإذلال، الانتهاك)، هي استجابة لمطالب الشعب الذي راح يستنجد بعد أن عانى من إرهاب المحتجين وإجرامهم. وكان اتصال المدعوة (أم خليفة) وطلبها من الملك دخول قوات درع الجزيرة إلى مستشفى السلمانية قبل أقل من 48 ساعة من احتلال المستشفى أحد هذه النماذج الكثيرة.(1)

ابتكر النظام البحريني المكارثي أيضاً، طريقته الخاصة في النيل من المحتجين والانتقام منهم ومحاكمتهم. سيقدم أكثر من برنامج مكارثي، لكل برنامج وظيفة خاصة تنسجم مع طبيعة مقدميه، لكن سيشترك جميعهم في طبيعة المعلومات الاستخباراتية التي تصل إليهم لاستخدامها في برامجهم، والتقارير المسجلة ذات الطابع الواحد، التي تعرض خلال خلال البرنامج.

### ■ استجوابات علنية..

سيقوم تلفزيون البحرين بما لم يسبقه إليه أحد في العالم، استجوابات ومحاكمات على الهواء مباشرة. سيأخذ معدو البرامج دور رجال المخابرات، ومقدمو البرامج دور المحققين، الذين لن يتورعوا عن تثبيت التهم، وسوق الأحكام، والمطالبة بإقرار العقوبة.

سيحاكم تلفزيون البحرين عبر برنامجه الرياضي (حدث خاص)، الرياضيين الذين شاركوا في مسيرات احتجاجية، وسيقوم بالتحقيق معهم علناً بشكل مذل ومهين على الهواء مباشرة، وسيضع صوراً تُظهر مشاركاتهم، ويحيط وجوههم بدوائر حمراء مع كتابة أسمائهم، وسيطلق عليهم تهمة الخيانة، وأنهم ناكرو جميل سقطت أقنعتهم، ثم يطالب بإيقاع أقسى العقوبات عليهم (2)، (3). سيطلب منهم تقديم الاعتذار الذي لن يقبل منهم، وتقريعهم بأبشع النعوت على الهواء مباشرة. ثم سيتم اعتقال الرياضيين بعد أقل من 48 ساعة من البرنامج.

برنامج (راصد) أيضاً، كانت وظيفته القيام بالدور الاستجوابي نفسه، وبطبيعة الحال الآليات نفسها: عرض الصور، رسم الدوائر، التحقيق المذل، المحاكمة العلنية. سيتم في هذا البرنامج عمل تحقيق إداري فني، لـ علي رضي (الشيعي)، المدير التنفيذي لهيئة تنظيم سوق العمل التابعة لولي العهد، وستوجه اليه اتهامات مباشرة بالتواطؤ مع الموظفين الذين شاركوا في الاحتجاجات. المحاكمة العلنية المكارثية ستتدخل في أدق التفاصيل الإدارية لمدير الهيئة، والتي يفترض أن يكون مكانها تحقيقاً إدارياً.

مقدم البرنامج وضيفه النائب البرلماني، سيقومان باستجواب علني لـ (رضي) على الرغم من وجود لجنة تحقيق رسمية منعقدة في الهيئة، على خلفية الأحداث ذاتها. سوف لن يخجل التلفزيون المكارثي من توجيه اتهامات صريحة بأن هذه المؤسسة "تجذرت فيها أذرع الفئة الضالة"، وأنها "ساهمت في تنفيذ المؤامرة على الوطن"، وأنها "تعود لتختبئ وتحاول أن تمحي جريمتها في حق الوطن"، يحدث كل ذلك، قبل أن تنتهي لجنة التحقيق الرسمية من أعمالها داخل الهيئة، وسوف لن يخجل التلفزيون من عرض صور لبعض موظفي الهيئة يشاركون في مسيرات احتجاجية، ويطلبون من مديرها التصريح بأسمائهم أمام المشاهدين، ثم يسائلونه عن إجراءاته التي سيتخذها بحقهم، ويأمرونه بالفصل دون الرجوع إلى دوائر القانون وشؤون الموظفين في الهيئة (4)، (5). تم إقالة (رضي) من الهيئة بعد البرنامج بيومين دون إجراء قانوني مبرر.

### ■ تجهيزات القمع..

وكما أشرنا سابقاً، كان تلفزيون البحرين مكلفاً بالقيام بدور تجهيز الرأي العام لما ستقوم به السلطة في المرحلة المقبلة، إعطاء المقدمات والمبررات لما ستقوم به السلطة، وهو ما حدث بالإضافة إلى ما سبق، لمقر جمعية وعد المعارضة التي تم تشميعها في الأسبوع الأول من ابريل، بعد يوم من الحملة الإعلامية التي استهدفت الجمعيات المعارضة، وكان إغلاق جمعية الوفاق هي الخطوة التالية، لولا تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في منع ذلك.

صار متعارفاً بين الجمهور المعارض المقولة التالية "إذا أردت أن تعرف ما الذي تنوي السلطة القيام به في نهار اليوم التالي، شاهد تلفزيون البحرين مساءً". هكذا بدأت الحملة على الأطباء والرموز السياسية، وبعد احتلال السلمانية واعتقال الكادر الطبي والرموز، عرج على المعلمين، وبعد اعتقالهم عرج على الرياضيين، وبعد اعتقالهم، على الصحافيين ثم الأدباء والكتاب وهكذا..

## ■ اكذب ثم اكذب..

برنامج الراصد الذي استفز بطريقته الإباحية حتى موالي السلطة الذين استنكروا محاكماته الهزلية، سيمعن في الكذب وفي فبركة الصور والأحداث التي وثقها كل العالم. سيستنكر مقدم هذا البرنامج فعل تهديم المساجد الشيعية، وسيقول عن من فعلها أنه مجرد من الدين ومن الإنسانية وأنه يستحق سحب الجنسية وترحيله خارج البلاد، لكنه بشكل قاطع، سيتهم المحتجين الشيعة أنهم هم من فعل ذلك من أجل كسب تعاطف العالم معهم (6). تقرير بسيوني سيثبت لاحقاً هدم السلطة للمساجد وستعترف السلطة بذلك بمن فيهم الملك. لكن سيبقى هذا الاتهام نموذجاً للكذب في هذا الجهاز وفي هذا البرنامج.

في هذا البرنامج أيضاً، سيتم فبركة عدد من الصور التي التقطتها كاميرات المحتجين، كما حدث مع صورة الشهيد أحمد فرحان الذي فجر الجيش رأسه، ليتم عرض الصورة في تلفزيون البحرين أن المحتجين قاموا بفبركة الصورة بأخذها من أحداث فلسطين، وأنه لا يوجد من تعرض لهذا القتل البشع. الفيديوات المتعددة للشهيد في مستشفى السلمانية أظهرت الحقيقة، لكن بقى أتباع الإعلام يرددون أن الصورة مفبركة من حدث فلسطيني. صور أخرى تم فبركتها من قبل تلفزيون البحرين، لا يسع التقرير تناولها كاملة، تم فضح عدد منها وكشفها من قبل شباب الثورة وإظهار الصور الحقيقية (انظر يوتيوب (7)).

وكان أصدق اتصال تلقاه هذا البرنامج المحموم بالكذب، هو اتصال غير متوقع من الشاب علي ياسين (السني الأصل)، والذي فاجأ الجميع بتحميل تلفزيون البحرين كل ما

حدث في البحرين، ووصفه بأنه يعمل على نشر الطائفية والفتنة وتعزيز الكراهية بشكل متواصل طوال اليوم، وأنه يساهم في زعزعة الأمن تمهيداً لإنزال الجيش والتبرير المسبق له (8). وبالفعل صدق ياسين، فهذا ما كان فعلاً.

## ■ فضائحيات الحمد..

برنامج حوار مفتوح مع سعيد الحمد، لعب دورا آخر غير الدور الاستجوابي العلني الذي كلّف به الراصد. كان دور برنامج سعيد الحمد فضائحياً. لن يتوانى المثقف اليساري النضالي السبعيني من التعرض لأدق تفاصيل الحياة الشخصية لأي من المحتجين الذين يريد أن ينال منهم. سيتعرض لهم في برنامجه بكل فضائحية. بدا هذا البرنامج متخصصاً في النيل الاعتباري والشخصي من كل من صدر منه موقف مؤيد للاحتجاجات خلال الأزمة أو بعدها، واتهامه بالخيانة والعمالة وولاية الفقيه وخدمة أجندات إيرانية صفوية. لا فرق بين أن يكون صاحب الموقف من داخل البحرين أو خارجها.كان ممن تعرض لهم الحمد في برنامجه كل من الصحافي عباس بوصفوان، والناشط عبدالله الماحوزي، والطالبة آيات القرمزي، والدكتور علي العكري، والصحافي عادل المرزوق، ورئيس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين سلمان المحفوظ، والدكتور غسان ضيف، وغيرهم الكثيرون.

لم ينجُ من تشهير الحمد وطعوناته الفنان والمثقف العربي مارسيل خليفة، الذي اعتذر عن المشاركة في ربيع الثقافة 2011، استدعى حرباً وطعوناً تجاه شخصه وغنائه والتزامه كمثقف، شنها الحمد في برنامجه، كال خلالها الشتائم إلى مارسيل، قبل أن يقول له "لا نحتاج لغنائك بعد أن دافعت عن نظام الملالي ضدنا فنحن نستطيع أن نغني بدونك مع أشراف هذه البلد".أما الإعلامية التونسية الأصل كوثر البشرواي، والتي أعلنت في مقابلة تلفزيونية استهجانها لإنكار ثورة البحرين والسكوت عما يحدث فيها، فإن الحمد لم يتردد في الطعن في أخلاقها بدلاً من الرد على منطقها. الأمر ذاته يحدث مع كل إعلامي وصاحب رأي محلي أو خارجي، لم يتفق طرحه مع الرواية الرسمية البحرينية.

برنامج الحمد أرسى ثقافة جديدة في الإعلام البحريني، أسماها الشارع المعارض بثقافة

"العبو والربو والتجمبز"، وهي ثقافة جديدة على الشارع البحريني الذي لم يعتد الهبوط باختلافه إلى حد الإسفاف اللغوي. لكن الأزمة الأخيرة كشفت عن إسفاف إعلامي جمعي، غزا الشارع البحريني الذي أُريد تحريكه من خلال هيجان غرائز الغضب والعصبيات المذهبية، بدلاً التعقل في التعاطي مع الحدث السياسي. هذا الإسفاف، سيؤكده تقرير بسيوني بشكل غير متمعن، لكنه سيوضح في كل الأحوال أن التلفزيون عمل على استخدام لغة مهينه وتشهيرية.

أحد أمثلة هذه الثقافة الدخيلة، هي ثقافة التشفي والاستهزاء بمن تعرضوا للتنكيل من طائفة معينة، إذ عمل الإعلامي سعيد الحمد على التشفي والاستهزاء والنيل من جميع الذين تم توقيفهم عن العمل أو فصلهم إثر الاحتجاجات الشعبية، وكان يسخر منهم بقوله : "خلوا علي سلمان والمحفوظ يشغلونكم ألحين".

الجانب التشهيري الآخر الذي ظهر في برنامج الحمد، هو سلسلة الاعترافات والاعتذرات التي يتم تسجيلها في مخابئ السجون، لعدد من الموقوفين والمعتقلين، يقدمون فيها اعترافاً واعتذاراً، عما صار منهم وما صرحوا به أو قالوه خلال فترة الأحداث، وهو ما حدث للطالبة آيات القرمزي التي كان اعتذارها مقدمة لإطلاق سراحها عقب الضغط الدولي (9)، وما قدم من اعتراف لأحد الأطباء (جعفر طوق)، الذي كان واضحاً من توجيه الاعتراف اتهام الوفاق بفبركة الحقائق من أجل نقلها لقنوات خارجية ضمن الحملة التي استهدفت إغلاقها (10). هذه الاعترافات تكشف كيف تحول الإعلام إلى تابع لوزارة الداخلية بالكامل.

### ■ تلقين الشاعر..

أما برنامج كلمة أخيرة لسوسن الشاعر، فله أسلوب آخر. ستلعب الشاعر دورها المطلوب منها، وهو الدور التلقيني المفرط في الاستغباء. ستلقن متابعيها رواية الخوف ورواية الاستهداف ورواية الدولة المهدوية ورواية ولاية الفقية ورواية حزب الله ورواية الجمهورية الإسلامية، وغيرها من الاختلاقات التي سبق وأشرنا إليها. ستمعن في تلقين متابعيها أن الحركة الاحتجاجية طائفية وليس لها مطالب وطنية، وأن المعارضة لا تستهدف سوى تحقيق أجندتها الطائفية، وستستخدم مخزونها الفائض من الكراهية والشحن

والتشويه والاجتزاء والابتسار للصور والمواقف والشواهد لتثبيت تلقينها. وسيكون هذا مرتكزا أساسيا لبرنامجها للنيل من الحركة الاحتجاجية. سينفي تقرير بسيوني في سبتمبر 2011، أن هناك ما يثبت تورط إيران في أحداث البحرين، لكن ما لقنته سوسن لمتابعيها عبر مقالاتها وبرنامجها التلفزيوني سيبقى غير قابل للتغيير.

ستستخدم الشاعر استراتيجيتها الفضلى مع ضيوفها الذين يختلفون معها في الاختلاق: أنا أعرف أكثر منك (11) لتحذيرهم من المعارضة (الوفاق تحديداً) وتحركاتها وأهدافها ونواياها وما تخفيه هذه وما تظهره وقياداتها ومرجعياتها. ستمارس دائماً دور الملقن لما يجب أن يقوله ضيوفها، وستقوم بالإجابة نيابة عنهم، ستكون دائماً هي المتحدثة أكثر من الضيوف. وستحاول دائماً تعليم ضيوفها، سواء أكان هذا الضيف ولي العهد نفسه، أو القائم بأعمال السفير الأمريكي ستيفني ويلمز (12)، أنها تفهم أكثر منهم وترى ما لا يرون من تفاصيل وحقائق.

ستعرض الشاعر خلال برنامجها صوراً لمواجهات منذ التسعينات على أنها تمثل عنف أحداث فبراير ومارس 2011. وستمارس الفبركة والتضليل والتزييف لتلقن متابعيها عنفية المحتجين. ستقدم من خلال إحدى حلقات برنامجها مسرحية هزيلة تلقينية أخرى، تظهر تلفزيون البحرين وكأنه ذهب إلى منطقة احتجاجات لإجراء لقاء مع ملثمين يغلقون بعض الشوارع وأجرى معهم لقاء، لكن المسرحية الهزلية الهزيلة لن تأخذ باعتبارها، التفاوت الفاقع في حجم أجساد وأعمار الملثمين الممثلين، عن أحجام وأعمار الصبية الصغار الذين يقومون بممارسة الاحتجاجات في الشوارع وإغلاق الطرق. كما ستنسى المسرحية أن الأقنعة التي تم استخدامها في المسرحية هي نفسها تلك التي يرتديها رجال الأمن والعسكر في كل مكان، وهي تختلف تماماً عن تلك التي يغطي الصبية بها وجهوههم.(13)

## ■ لم ننته..

لم ينتهِ هذا التقرير. هناك سببان، الأول أن ما قام التلفزيون من مكارثية، لا يمكن تغطيتها في تقرير محدود مثل هذا، والثاني أن التلفزيون لا يزال يقوم بالدور نفسه وإن تغيرت بعض أساليبه. سينتهي هذا التقرير حين ينتهي الحدث بانتصار إرادة الشعب وانتصارهم على الوهم والخوف، وحتى ذلك الحين سيبقى هذا الملف مفتوحاً على الزيادة.

**هوامش:**

1- يوتيوب أم خليفة تستنجد من الشيعة.

http://www.youtube.com/watch?v=h5OyX7YRneo&skipcontrinter=1

2- يوتيوب حلقة من برنامج (حدث خاص) ومحاكمة الرياضيين.

http://www.youtube.com/watch?v=p_-jCVliF8U

3- حلقة أخرى من محاكمة الرياضيين.

http://www.youtube.com/watch?v=F-SH9oqgl84

4- يوتيوب حلقة برنامج الراصد ومحاكمة استجوابية لرئيس هيئة سوق العمل.

http://www.youtube.com/watch?v=QzG0K0kbBEc

5- جزء 2 من حلقة الراصد وسوق العمل.

http://www.youtube.com/watch?v=a8SFXVHXg4c

6- مقدم برنامج الراصد يتهم المحتجين بهدم المساجد.

http://www.youtube.com/watch?v=CT2Vce7wl3Y

7- يوتيوب يوضح بعض فضائح فبركات تلفزيون البحرين.

http://www.youtube.com/watch?v=UrujbcjNMLE

8- يوتيوب اتصال المواطن الشاب علي ياسين.

http://www.youtube.com/watch?v=vuHy2fi9RxU

9- يوتيوب اعتذار آيات القرمزي في برنامج سعيد الحمد.

http://bahrainmirror.no-ip.org/article.php?id=3029&cid=117

10- اعتراف واعتذار الدكتور جعفر طوق.

http://www.youtube.com/watch?v=V4qloZdvQqk

11- انظر مرآة البحرين: سوسن الشاعر مع ستيفني: أسئلة كاذبة وأجوبة صادق.

http://bhmirror.no-ip.org/article.php?id=1048&cid=96

12- يوتيوب يظهر سوسن الشاعر عبر أسئلتها لكل من ولي العهد، والقائم بأعمال السفير الأمريكي كل على حده، وفيها يظهر الشحن الموجه للأسئلة واستراتيجية: أنا أعلم منك.

http://www.youtube.com/watch?v=_txYrAuyl2k&feature=related

13- يوتيوب المسرحية الهزلية التي عرضت في تلفزيون البحرين لجماعة تخريبية على أنها تمثل الصبية المحتجين في الشوارع.

http://www.youtube.com/watch?v=apBa3HI589I



الفصل الحادي عشر

# مقالات في الثورة



# البحرين:
# الهوية العربية الضامنة للتغيير

* إبراهيم الأمين

بعد أقل من أسبوعين على اندلاع التظاهرات المطالبة باصلاحات شاملة في البحرين. تحدثت إلى صديق نافذ في قناة "الجزيرة" المملوكة من دولة قطر. برر لي سلوك القناة الأكثر شهرة في العالم العربي، المتجاهل لما يجري في البحرين بالقول : إن ما يجري تحرك طائفي تقوده إيران. ولا يمكن مقارنته بما يجري في بقية الدول العربية. بل قال أكثر من ذلك : اسمع، أنا أنصحكم في "الأخبار" بعدم إيلاء موضوع البحرين الكثير.



لم يكن الموقف مفاجئا، بل كان لتأكيد انخراط القناة ومن خلفها دولة قطر في لعبة سياسية كبيرة، تهدف إلى الانخراط في الحراك العربي القائم، لكن ضمن رؤية تقود إلى جعل النتائج تصب في مصلحة قيام محور عربي واسع يكون قادرا على التصدي لايران.

لم أفهم يومها، ولم أفهم حتى اليوم، كيفية ربط المطالب الإصلاحية بالقواعد الطائفية للجمهور. أعرف هذا الأمر جيدا في بلدي لبنان. حيث ادت العصبية الطائفية والسياسية إلى مواقف خرقاء من عمليات إصلاحية تعود بالخير على جميع المواطنين. لكن ما لم أفهمه في حالة البحرين، هو كيفية ربط الموقف من أي ثورة شعبية بالخلفية لطائفية للناشطين فيها. فيكون ذنب المطالبين بالإصلاحات في البحرين أنهم شيعة، وبالتالي هم – برغبتهم او بدونها – صاروا حلقة في مسلسل النفوذ الشيعي الذي تقوده ايران.

وفق هذا المنطق، وليس وفق أي نوع من الحسابات الاخرى، كان قرار دول الخليج إرسال قوات لحماية الملك وعائلته. ووفق هذا المنطق نفسه، تمنعت القنوات العربية الاكثر شهرة، إلى تجاهل حدث البحرين. ووفق المصلحة الكبرى للغرب القائمة على قيام تفاهم مع حكومات الجزيرة العربية تبقي على نفوذ الولايات المتحدة والغرب، جاء الموقف الغربي من أحداث البحرين، مقتصرا على مواقف تشبه بيانات التضامن لجمعيات حقوق الانسان. ووفق هذا المنطق، يتجرأ رئيس وزراء قطر حمد بن جاسم على اعتبار حدث البحرين امرا لا يستأهل تحركا فعالا للجامعة العربية.

وإذا كانت نتيجة كل ذلك، إبقاء الظلم قائما، وعدم توقع تغييرات كالتي يستحقها شعب البحرين، فانه من غير المنطقي توقع تراجع الحراك عن سعيه إلى تحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافه حيال السلطة ومؤسساتها.

لكن هل يمكن لنا إيراد ملاحظات من النوع الذي يساعد على التفاعل مع حدث البحرين بطريقة تقل فيها الانفعالات ، الطائفية منها أو السياسية؟

■ **أولا**، كان ولا يزال على قيادة القوى الحركية في البحرين، البحث دون كلل، عن الإطار الأفضل الذي يجذب فئات كثيرة من المجتمع إلى صفها. وهو امر يحتاج إلى مبادرات مفتوحة طوال الوقت، ويحتاج إلى صبر وإلى عدم الاستسلام لكل الوقائع التي يعمل الاخرون على فرضها لجهة الانقسامات الطائفية والمذهبية.

■ **ثانيا**، يجدر بالقائمين على الحراك، فهم المسافة المنطقية، بين الشعارات التعبوية التي ترفع لاجل ثبات حركة الجمهور، وبين الاهداف الواقعية والتي ان تحققت تفتح الباب امام واقع سياسي من نوع آخر. وهذا يتطلب في هذه اللحظات، الإقرار بأن انفجارا كبيرا سوف يقع في منطقة الخليج، إن سعت المعارضة إلى إسقاط النظام القائم بصورة كلية.

■ **ثالثا**، وجب على قيادة هذه المعارضة، التصرف على أساس أن شعب الجزيرة العربية، والمفروز الآن في إمارات وممالك، ليس خصما وليس هدفا يجب النيل منه، بل على العكس، فان من واجب هذه المعارضة البحث عن أكبر قواسم مشتركة، من شانها تحويل مطالب شعب البحرين في الإصلاحات، نموذجا لكل شعوب الجزيرة العربية التي تحتاج دولها إلى إصلاحات عميقة في طريق التخلص من آليات الحكم القائمة.

■ **رابعا**، من الافضل لقوى الحراك ابراز الهوية العربية، تلك التي لا تلزم احدا بان يكون قوميا عربيا على طريقة البعث او على الطريقة الناصرية، لكن انطلاقا من العالم العربي يحكمه اكثريتان، واحدة اسلامية، وثانية عربية، والثانية، لا تزال تمثل ارضية

جاذبة لكل اصحاب المشروع التغييري في العالم العربي، وهي الهوية التي تشكل حلا لازمة الاقليات التي ترافق الحراك في غالبية الدول العربية.

اليوم، ونحن ندخل عاما جديدا سوف يشهد فصلا جديدا من المواجهة القاسية بين المحور الذي تقوده الولايات المتحدة والمحور الذي تقوده ايران، سوف نجد أنفسنا أمام خيارات ضيقة وأمام هوامش أكثر ضيقا، لكن الأساس، الذي يصلح لبناء هوية قوية تعيد الاعتبار إلى مفهوم المواطنة، هو تمسكنا بالسعي إلى استقلال مثلث الأضلاع، استقلال من الوجود العسكري الغربي في بلادنا، واستقلال من التبعية الاقتصادية أو الثقافية لهذا الغرب، واستقلال يعيد الاعتبار إلى الهوية العربية التي لا يخشاها الإسلام، ولكنها تشكل عنصر الوحدة في عالم عربي تمزقه العصبيات الهادفة إلى إبقاء العرب في أسفل درجات سلم الترقي والازدهار.

ليس بمقدور أحد وقف حراك البحرين متى أراد أهل البلد الاستمرار به. وليس بمقدور أحد تجاهل الحدث حتى ولو تعاون إعلام العالم كله على حجب الصورة.

* رئيس تحرير صحيفة الأخبار اللبنانية.



# 14 فبراير
# ملحمة الحرب والسلم

* عباس المرشد

في إحدى الليالي الأخيرة في دوار اللؤلؤة كان اجتماع عابر جمعني مع أصدقاء من جيل السبعينات والثمانينات ومن الطبيعي أن تدور أحاديثنا عن تطورات الساحة الأخيرة وتزايد تأكيدات تدخل القوات السعودية والجيش البحريني لقمع الثورة والإجهاز عليها، لم تسعفنا خبراتنا كأجيال متعاقبة أن نجاري جيل الثورة الشاب فكلما انطلق حديث مر علينا صاحبنا وهو يجر الترسانات الإسمنتية لتحصين منطقة الدوار. وقتها عرفنا أن هذا الجيل قد قرر إكمال حلقة الغضب وفق إرادته، حتى مقاومة حالة قانون الطوارئ التي نوقشت مع الصديق العزيز عبدالهادي الخواجة لم تكن متقدمة على أفكار شباب الثورة.



كنت أعتقد و لا زلت أن شباب هذا الجيل قد انتصر قبل المعركة وفي أثنائها ومن بعدها حتى وإن لم يسقط النظام كما يريد، بل حتى وإن رجع الشباب لمنازلهم وهم لم ولن يفعلوا فهم منتصرون أيضا. أقول ذلك لسبب بسيط جداً هو أن هدف الثورة كان البحث عن الكرامة والعيش فيها وقدرة شباب الثورة هي أنهم جعلوا جميع فئات الشعب أن يعيشوا بكرامتهم وعزتهم رغم كل ألوان القمع والعزل الطائفي الذي طال أفراد هذا الشعب.

إنها المرة الاولى التي يخرج فيها أبناء الشعب غير منكسرين ولا مبالين بالمدرعات والدبابات والجيوش المتكالبة عليهم. المشهد متداخل جداً لمشاهد كبرى في الذاكرة الإسلامية خصوصا الشيعية منها فالإمام الحسين لم يسقط يزيد ولم يستطع أبوه من قبل أن يعزل معاوية لكن الأب والابن كانوا منتصرين في حركتهم وشهد لهم التاريخ بالانتصار وفي الذاكراة الحديثة لم تسعف آلة القمع الإسرائيلية الكيان الصهوني في كسر شوكة المقاومة رغم الدمار التي لحق بلبنان ومقدراته. إنها معادلة صعبة مادياً فالأنظمة التي سقطت في مصر وتونس وليبيا، لا تزال جماهير الثورة فيها تبحث عن تتمة الكرامة والحرية، وشباب هذا الجيل الصامد حقق الكرامة والحرية وإن لم يتممها بإسقاط النظام.

النظام الآن لا يواجه قادة سياسيين تقليديين، ولا يواجه حركة حزبية مؤدلجة يمكن

محاصرتها والقضاء عليها، بقدر ما يواجه حالة متعاظمة من الكرامة والحرية والعزة. فتسعة شهور من الفصل والحرمان من العمل لم تؤثر على نفسيات المفصولين، وجرعات قاسية من التعذيب وامتهان الكرامة لم تركع معتقلاً واحداً ليكف عن مطالبه أو الخروج مجدداً في فعاليات سياسية، ووعود كبيرة ومغرية لم تستطع أن تغير من قناعة أحد. الخاسرون هم الفئة الضالة والكلاب المسعورة التي انتهجت طائفية قل مثيلها في العالم، وهم الآن ينهزمون مرة بعد أخرى. الخاسرون هم الذين سيأتي الزمن عليهم لاحقاً ليذيقهم جرعات ما فعلوه في حق أبناء هذا الشعب طوال عام كامل وطوال عقود طويلة.

لا أختلف مع من يقول إن النظام أصبح أكثر قوة من قبل وحظي بدعم لم يحلم به أي نظام عربي، إلا أن هذه القوة المادية والعسكرية عديمة الفائدة شأنها شأن أسلحة الدمار الشامل التي لا يستطيع أحد استخدامها رغم امتلاكه لها، لأن معادلة الردع صادقة في حال الشعوب «وهي اقتلونا أكثر فشعبنا سيعي أكثر». فمشهد البطل رضا ليس مشهداً مبتكراً وجديداً، ففي أحداث انتفاضة 1965 خرج بعض الشباب يستقبل رصاص الجنود بصدره العاري أيضاً، وسقطوا كما سقط بوحميد. وحالة الفصل من العمل ليست سياسية جديدة أيضا، بل هي تكرار وتكريس لسياسات قديمة جربت منذ قمع حركة 1954. وإذا تسنت لنا الفرصة للاستماع لما عاناه جيل الثمانينات من تعذيب واعتقال للنساء وتعذيبهن بأبشع أنواع التعذيب، سنعرف أن السياسية المنهجة في السجون لم تتغير، لأنها تصدر من نزعة وحشية كما يقول السيد بسيوني.

إن الثورة كفعل سياسي، رغم غموضه، فإنه يحمل دائماً طابع المفاجأة، إذ لم يستطع أحد أن يصنع ثورة على نار هادئة، ففي لحظة تاريخية غامضة تتحرك جماهير غاضبة وتقرر أن تستبدل نظامها بنظام آخر وتعلن بشكل لا لبس فيه أن الحاكم الحالي لم يعد حاكماً، وأن بقاءه غير شرعي. هكذا هي معظم الثورات في التاريخ، أناس غير معنيين بالسياسية وغير منضوين تحت راية حزب ما يتفاعلون مع شرارة سياسية أو اجتماعية، ويقودون ثورة شعبية ضد النظام الذي يواجههم بالقمع والتنكيل، لكنه أمام حدة الغضب وتصلب الإرادة يسقط ويغور بعيداً ليحل مكانه نظام آخر عادة ما يكون هو الصوت الأكثر جلبة قبل الثورة وأثناءها.

من وجهة نظر شخصية، يبدو لي أن استباق لحظة سقوط النظام والرغبة في الحصول على الصوت الأكثر جلبة كان سببا أساسيا في تفريغ غضب الناس وتشتته، بما أتاح للنظام أن يعيد ترتيب أوراقه كاملة لاحتواء ومواجهة لحظة انطلاق الثورة وعنفوانها. فالإرادة التي خرجت بشكل مذهل ومفاجئ وجدت نفسها منشطرة ومنقسمة، وكان من الصعب توجيهها ناحية هدف واحد هو إسقاط النظام عملياً مع أن عبارة إسقاط النظام لم تبارح فعاليات الثورة وأوراقها حتى الآن.

بدلاً من تقديم إجابات مقنعة وبدائل سياسية شغلت ساحة الثورة بمعيار التخطئة والتصويب وتحميل المسئولية لطرف دون آخر، حدث ذلك في وقت ضاعف فيه «لنظام من ترسانة دفاعه وصارت الثورة أمام ستة أنظمة بدلاً من نظام واحد. التجارب التاريخية تعلمنا أن الثورة لا تموت لكنها تتراجع أو تبطىء من مفعولها، وفي الوقت نفسه فإن البقاء في المنطقة نفسها تقرير البقاء في الصندوق نفسه كفيل بأن يذبح الثورة ويطفئها انتظاراً لسنوات كي تشتعل شرارتها من جديد.

الوقت لم ينتهِ والانتصار الحقيقي متحقق ونبقى أمام حقيقة الوحدة وتنويع الأدوار بدلاً من الانشغال في جدالات غير مجدية تكذبها معطيات الواقع والمهمة الملقاة على عاتق الجميع هي استجماع لحظة الغضب وتوحيدها بدلاً من الانقسام حولها.

* كاتب بحريني



# المستحيل ... ممكن

* عادل مرزوق

"ليس هناك من معنى لأن نكون منفتحين على فرضية لا نفهم منها شيئاً" كارل ساغان.



الطريق من توبلي مروراً بالسلمانية ودوار اللؤلؤة إلى مجمع سيتي سنتر. خط السير اليومي لزوجتي إبان فترة تعليمها قيادة السيارة. اجتياز دوار اللؤلؤة أكثر ما يربكها. وكان شرط السماح بقيادتها السيارة بمفردها مرهوناً بعبورها الدوار دون ارتباك أو قلق. في الحقيقة، لم يخطر في بالي حينها، أن عبور هذا الدوار سيكون رهان مستقبل البلاد بأسرها!

في الوصول الثاني لدوار اللؤلؤة، كنت والزميل حسين مرهون من أوائل الواصلين، انسحاب مجنزرات قوة دفاع البحرين وقوات وزارة الداخلية خلّف وراءه الأسلاك الشائكة التي كانت تحيط بالميدان. وفيما كان المتظاهرون يحاولون نزع الأسلاك للمرور وفتح الطريق لباقي المتظاهرين، لم يبال آخرون بما ستتركه تلك الأسلاك على أيديهم وأرجلهم من إصابات وجروح، أتذكر ذلك التدافع، كانوا دون وعي، يتسابقون دون أن يلاحظوا أو يكترثوا للدماء التي كانت تنزف من أجسادهم بالفعل.

دماء الضحايا من الهجوم الأول على الدوار تصبغ العشب الأخضر بلونها الأحمر. هنا، وهناك، كان كل حبيب يبحث حيث شربت هذه الأرض دماء حبيبه. لم يستح أحد من البكاء. كل من يصل إلى الدوار كان يسقط باكياً، أو مغشياً عليه. لم يكن للسياسة في تلك اللحظات أي حضور، لم يطلب أحد من المتظاهرين إصلاح النظام، أو إسقاطه، كانت لحظات تاريخية بالفعل، لحظات من نوع خاص، هو إحساس الكرامة والحرية الذي

تذوقه الناس بلهفة. تسابق الجميع في استنشاق تلك النسمات الرقيقة من ريح الحرية. عشر دقائق من البكاء والنحيب. التقطت صورة للذكرى، وأرسلتُ تغريدتي على تويتر، كانت ولا تزال أثمن ما كتبته بالنسبة لي: «هذه الأرض أرضي، أقف عليها وقت ما أشاء، كيف ما أشاء».

كان لا بد من سرد هذا المشهد الذي لا يزال يستوطن ذاكرتي لأفتتح به هذه المقالة عن حصاد الثورة. هي لحظة – بالنسبة لي – من أدق اللحظات وأكثرها دلالة ضمن مجمل الأحداث التي عايشتها أيام الثورة. لن يعود هذا الشعب لما قبل الرابع عشر من فبراير من العام 2011 دون إنجاز يحتفي به، لن يعود ليقتات من المواطنة الناقصة/المواطنة المنحة/ المواطنة المؤقتة. لن يعود هذا الشعب لفضاء «الممكن». الشعب بات «يريد»، وشتان بين ما تصنعه الشعوب بـ «الإرادة»، وما قد يتيحه «الممكن» في السياسة.
لم يكن عبور دوار اللؤلؤة من «الممكن»، لم يكن الاعتصام في الدوار من «الممكن»، لم يكن الاعتصام قبالة قصور الحكم من «الممكن»، لم يكن تحمل ثلاثة أشهر من الظلم والقهر والقتل والجرائم والانتهاكات لحقوق الإنسان من «الممكن»، لم يكن الكثير مما أنجزته هذه الثورة من «الممكن»، كل ما كان هو استثنائي حقاً. وعليه، الذي لا يمكن أن يكون «، ممكناً» هو أن ينتهي هذا الفصل من تاريخ هذه الشعب العظيم دون انتقال ديموقراطي حقيقي، يؤسس لمستقبل جديد يكسر فضاءات «الممكن» كلها.

استنفدت الدولة كل ما لديها من علاقات وقدرات وفبركات وألاعيب سياسية، ولا يزال شباب الرابع عشر من فبراير، لا يزال أبناء وبنات هذا الشعب، يبدعون في احتجاجاتهم وطرقهم السلمية في التظاهر والاحتجاج لتجاوز هذا الحصار. أخطأت الدولة في حساباتها، اعتقدت أن العصا كفيلة بكسر إرادة هذا الشعب وإعادته لمنطقها هي، إرادتها هي، منحها هي، أكاذيبها هي، الممكن الذي تعرفه هي.
ختاماً، فلنسأل بصدق: ما حصاد هذه الثورة؟، أعتقد أن أثمن ما استطعنا حصاده من هذه الثورة في عامها الأول هو المعرفة أولاً، والإرادة ثانياً. عرفنا أن الدولة التي نعيش فيها ليست أكثر من أكذوبة كبرى، عيدها الوطني أكذوبة، مواطنتها أكذوبة، دستورها أكذوبة، قوانينها أكذوبة، قضاؤها أكذوبة، وزراؤها وهياكلها أكذوبة، مؤسساتها أكذوبها،

إعلامها أكذوبة، مجلسها النيابي أكذوبة، مشروعها الإصلاحي أكذوبة، ديمقراطيتها أكذوبة. عرفنا أن ما عشناه لعشرة أعوام كان أكبر أكذوبة صدقناها. عرفنا – وبما لا يدعو للشك – أننا نكتب أكبر حماقاتنا إن قبلنا بتسوية منقوصة او مؤجلة نأمل لها أن تكبر أو أن تتطور مع الوقت. عرفنا أن هذا النظام لن يتردد في العودة لديكتاتوريته وهمجيته إن تركنا له باباً واحداً إليها.

حصادنا الثاني هي ثقتنا بـ «إرداتنا» التي اختبرها النظام بعسكره المسعور وإعلامه الكاذب فكانت رهاننا الكبير، والرابح. اليوم، عرفنا ماذا نريد، وكيف نريد. هتفنا بأصواتنا وقلوبنا «الشعب يريد»، واختبرنا النظام في هذه الإرادة: في قوتها، في ثباتها، في صمودها، في تحملها لهمجية السلاح والمرتزقة المجرمين، في وفائها للراحلين المضحين بأرواحهم ودمائهم. اجتازت إرادتنا الاختبار. كسرت إرداتنا في الحياة إرادة النظام في الموت، طوقت إرادتنا التواقة للحرية إرادة النظام في إبقائنا رازحين تحت نار العبودية والذل.

الشعب يريد حريته، يريد كرامته، يريد مواطنته على هذا التراب كاملة، يريد إنسانيته المسلوبة وحقوقه غير منقوصة أو مجزوءة. يريد أن يرفع عن رقبته حبال الطائفية وأثقالها، يريد ثرواته التي سلبت منه لعشرات السنين، يريد أن ينجز مشروعه المدني ودولته الديمقراطية. يريد أن يرسم في قلب الخليج العربي حلمه القديم ليراه العالم شعباً أصيلاً حراً موغلاً في الحضارة والمدنية، يريد أن يدق أجراس الديمقراطية، ليتلو نشيده الجميل في الرابع عشر من فبراير من كل عام، وفاءً للمضحين والشهداء من أبناء هذا الوطن الكريم.

* كاتب بحريني



# المفارقة:
# 1995: الشعب يريد النظام..
# 2011: الشعب يريد إسقاطه النظام

* عباس بوصفوان

**في هذه العجالة، ضمن ملحق يقارن بين أحداث التسعينات وأحداث ما بات يعرف بثورة / انتفاضة / حركة اللؤلؤة، أود الإجابة عن سؤال مركزي: لماذا خرج الناس بجل أطيافهم وطبقاتهم على هذا النحو غير المسبوق في حدث 14 فبراير 2011، في حين لم تنخرط القطاعات المختلفة والطبقة الوسطى والتجار وعموم النخبة بهذا الزخم في أحداث التسعينات.**



هناك أسباب كثيرة بالطبع، تتعلق بالتغيرات الدولية والإقليمية، والتطور الإنساني، وثورة الاتصالات والميديا، والسياقات التاريخية والربيع العربي، ووجود المعارضة الرسمية على الأرض، وخبرتها الكبيرة بالنظام، والتشكيلات الشبابية التي فاجأت نفسها والجميع، إضافة إلى الدور الاستثنائي للمرأة والطبقة الوسطى والتكنوقراط الذين أسميهم عقل الثورة.. كل تلك النقاط وغيرها لعبت دورا ساحرا في انطلاق الحدث، فيما فرضت المعالجة الأمنية العنيفة والتطهيرية استمراره وتطوره.

لكن النقطة التي أرى وجوب التأكيد عليها مرة أخرى، والتي أظن أنها أكبر محفز للثورة، تتعلق بالفارق الجوهري بين الحكم إبان عهد الأمير الراحل عيسى بن سلمان آل خليفة، والملك الحالي حمد.
ولضيق المساحة، سأكتفي بسرد الفكرة الرئيسية التي أراها تعطي تفسيرا للخروج العارم.

تتلخص هذه الفكرة في أن الإقصاء الكلي، أو الشعور بالإقصاء، لدى القطاعات الشعبية، والمؤسسات المدنية والعمالية والحزبية والتجمعات التقلددية/ العائلية/ القبلية والدينية، خلال مرحلة حكم الملك حمد، خلق ردة فعل راغبة في ممارسة إقصاء شبيه لآل خليفة من المشهد السياسي.

وتجلت الرغبة الشعبية في الإقصاء من خلال شعارين اثنين:
الشعار الأول: الشعب يريد إسقاط النظام، أو المطالبة بالجمهورية أو يسقط حمد.
الشعار الثاني: يتمثل في الدعوة إلى تشكيل ملكية دستورية.
وفي الحالتين يحضر تقليص أو إلغاء صلاحيات العائلة الحاكمة في جوهر الحركة المنادية بالتغيير والديمقراطية.
وعند مقارنة ذلك بحركة التسعينات، فإن الانتفاضة المطلبية حينها دعت للشراكة على أساس دستور 1973، الذي يبقي آل خليفة الرقم الأساس في المعادلة السياسية.
وجاءت تلك الحركة ردا على التهميش (وليس الإقصاء) للقطاعات المختلفة، في عقود الثمانينات والسبيعات والتسعينات.
ويمكن ملاحظة الفارق بين سياسية التهميش التي اتبعها الحكم إبان عهد الشيخ عيسى، وسياسة الإقصاء والتطهير التي اتبعت في العقد الأول من القرن الجديد، في النقاط التالية:

## ▪ التطهير

لم يجعل تقرير البندر مجالا للشك في رؤية الملك حمد الإقصائية لقطاعات واسعة من المواطنين، وحرمانها من فرص العيش الكريم والترقي وتحقيق الذات.

ولا بأس الآن من القول بأن كاتب هذه السطور تسلم نسخة من التقرير قبل نحو 6 أسابيع من طرد المستشار صلاح النبدر من البحرين. كانت لحظة مخيفة جدا.. وقد اتضح سريعا عدم قدرة القوى السياسية على استثمار ذلك التقرير الخطير، في لحظة سبقت الانتخابات النيابية 2006، فقرر كاتب هذه السطور تسريب التقرير إلى جهة لتقوم بتوزيعه على النطاق الذي تم.

ذلك كان تاريخا، ويهمني الإشارة إليه كي أُقوم بتعرف التقرير في كلمات قليلة، بحسب ما أفهمه من خلال اللقاءات التي كانت جمعتني مع كاتبه في شقته في منطقة السيف.
لقد وُضع تقرير البندر بعد دراسة التجربة الشيعية في البحرين. والتي خلصت إلى أن قوة المعارضة الراهنة تعود إلى: وجود مرجعية دينية مؤثرة، وسيطرة معارضة شبه كاملة

على مؤسسات المجتمع المدني، وزخم النشاط الشعبي الاجتماعي المعارض، وانخفاض الصوت الموالي إلخ.

وضع التقرير خطة عمل من أجل تقليد ذلك النموذج القادر على الوقوف ضد للسلطة، فاقترح تشكيل مرجعية دينية سنية موالية، وتأسيس جمعيات أهلية/ مدنية قريبة من الحكومة، وتشجيع الأصوات التحشيدية للجماعات الموالية، وإنشاء صحيفة الوطن، ومنتديات الكترونية، وزيادة البعثات الدراسية للموالين من خلال وزارات الدفاع والداخلية إضافة إلى التربية، وزيادة معدلات الزواج، وخطوات أخرى كثيرة، تمتد إلى زيادة مساحة السيطرة على قطاع الخدمة المدنية والشركات الكبرى والقطاعات التجارية والاقتصادية.

باختصار، السعي للسيطرة على الفضاء العام، بما هو أبعد من السطيرة على السلطة التنفيذية والقضائية والتشريعية.
في الواقع، فإنه بينما سارت السلطة في نهج الإقصاء الكلي المنهج والمعبر عن حالة عداء سافرة، وعالية الدرجة لقطاعات واسعة من المواطنين، فإنها توقعت ثورتهم، لذا استعدت لذلك، وكان تجمع الفاتح تجربة عملية لما حققه التقرير من نتائج نحو تأسيس تيار مضاد للمعارضة.

الخلاصة، أنه في عقود السبعينات والثمانينات والتسعينات لم يشعر الناس بأن حاضرهم ومستقبلهم مسدود ومهدد كليا، لذا ثاروا ضمن حدود. لكنهم في السنوات الأخيرة راودهم الحلم السلبي، بأن الذهنية الحاكمة في الرفاع لا تنوي خيرا بمستقبلهم ومستقبل عيالهم فصرخوا من «قمة رأسهم»: الشعب يريد إسقاط النظام»، وليس الشعب يريد النظام ودستور 1973، كما في ديسمبر 1994.

## ■ الدستور

حافظ الشيخ خليفة بن سلمان، الذي كان الرجل القوي في عهد أخيه الأمير عيسى على دستور 1973.

بالطبع لم يكن يطبقه، بيد أنه لم يتجرأ على الغائه. وحتى عندما تم تشكيل مجلس الشورى المعين، فإن التخريجات الدستورية لم تكن لتلغي البرلمان الدستوري (المجلس الوطني)، فيما كان رد المعارضة أنه يمكن للحكم تشكيل مجالس شورية للنصح، لكنها ليست بديلا للمؤسسة التمثيلية المنتخبة.

بيد إن قيام الملك حمد بتغييرات دستورية من طرف واحد، وإعلان نفسه حاكما مطلقا، خدش كثيرا اللعبة السياسية القائمة، حين بدا أن الملك يريد صراحة صيغة لا يكون للشعب فيها رأي ولا تأثير. وبذلك تم الانتقال من مرحلة التهميش المخالف للدستور المكتوب، إلى إقصاء يقره دستور 2002!

## ▪ التشكيل الوزاري

يعبر التشكيل الحكومي، عموما، عن رؤية رأس الدولة لطريقة الحكم في البلاد وتوازناتها. ولم يكن مجلس الوزراء ذا أهمية في الحكم في الفترة من 1975 إلى 1999، بل كان رئيس الوزراء هو الذي يقرر، ومع ذلك اتخذ التأليف الوزاري طابعا يوصف بالتوازن، ثلث من آل خليفة، وثلث من السنة، وثلث من الشيعة.

قد يقال هذه محاصصة، وهذا صحيح، الصحيح أكثر أن ذلك لم يغير من معادلة السلطة التي تحتكرها العائلة الحاكمة، بيد أن المحاصصة، كفكرة سياسية، قريبة من معادلة الديمقراطية، التي هي أقل أنظمة الحكم سوء، وهي كالتصويت الذي «يقسم» الجمهور، بدل توافقه.

المحاصصة، ضمن ضوابط أخرى، قد تحفظ استقرارا البلاد. إن كسر الصيغة الشكلية للمحاصصة، مع مجيء الملك حمد، أدى إلى ما رأيناه في 14 فبراير 2011، حين كان الوزراء الشيعة ثلاثة من أصل نحو 23 وزيرا، ثمانية منهم من السنة، والباقي من آل خليفة.

إنه شكل فاقع للإقصاء، إقصاء النخبة هذه المرة، التي انخرطت هي الأخرى في حدث

14 فبراير، مؤيدة الرغبة في إحداث إصلاحات حقيقية في مؤسسة الحكم مادامت غير مستفيدة منها.

## ▪ التجنيس

التجنيس سياسة ليست جديدة، لكنها ظلت تتبع بحذر قبل تسلم الملك حمد الحكم. والذي اعتبر التغيير الديمغرافي جزءا من أولوياته ضمن رؤية غير خافية الآن بأن الشيعة خطر استراتيجي على النظام ينبغي تطهير المؤسسات المدنية والعسكرية منهم.. ضمن نظرية تجفيف الينابيع، التي تشمل التجهيل والإفقار وسحب أطر النفوذ.

وبدخول مرتكزات «الحرب الشاملة» ضد الناس، فإن الشعور الشعبي بالإقصاء يبلغ مديات غير مسبوقة، تجلت بين 14 فبراير ومنتصف مارس، ومازالت واضحة.

تلك النقاط، ضمن نقاط أخرى مهمة، دفعت بالجمهور بأن «يخرج من ثيابه»، مطالبا بالتغيير والخلاص من حكم تجاوز خطوطا ظلت حمراء عقودا طويلة.

وإذ يبدو الملك مركز هذه السياسة غير المسئولة، فقد تحول الشعار الشعبي الأكثر تداولا: يسقط حمد بدل تنحى يا خليفة.

وذلك بحد ذاته فارق بين الخطاب المعارض في التسعينات، الذي لم يوجه نقدا إلى رأس الدولة الأمير عيسى بن سلمان إلا نادرا جدا جدا، وتركز الجهد على انتقاد رئيس الوزراء.

أما حاليا، فإنه رغم الجهد الخارق الذي يبذله الخطاب المعارض لعدم انتقاد الملك حمد، فإن الشعور يتنامى يوما بعد آخر بأنه (الملك حمد) في جزء من الأزمة، بل جوهرها. وبصراحة، فإن ذلك يزيد من التحديات التي تواجهها البلاد، ويضاعف من أحمال الحركة المطلبية، ويحد من قدرة عائلة آل خليفة والإقليم والغرب على التغيير.. إذ كيف يمكن الخروج من أزمة مَن بيد جزء كبير مِن مفاتيح حلها هو جوهرها؟

تلك الإشكالية لا تواجه الملك عبدالله والحركة المطلبية في الأردن، ولا تواجه الملك محمد السادس في المغرب، والأمير صباح الأحمد في الكويت.

في تلك البلدان لا يرتفع شعار الإسقاط لرأس الدولة، في حين يرتفع بقوة في البحرين.. مما يستدعي أن يسأل الملك حمد نفسه: لماذا؟

ولا أدري إن كان الجيل الجديد يعرف أن الشيخ عيسى بن علي أطيح به في العشرينات من القرن الماضي بعد لجنة تحقيق بريطانية، أظهرت انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان وفسادا في مؤسسة الحكم.. ولست متأكدا إن كان الملك سيتعض، بيد أن المحكومين يجدر بهم أن يدركوا أن تغيير الحاكم في 1923 لم يغير شيئا!. لأنه غير أشخاص ولم يغير بنى.. وأظن أن التركيز على الدستور في التسعينات كما الآن في محله، بيد أنه سيكون خطأ استراتيجيا نسيان مراكز القوى الأخرى في الصراع، وأبرزها المورد البشري الذي يجدر دائما الحرص على تنميته.

* صحافي بحريني.



# سنة أولى انتفاضة
# ما لها وما عليها

* أنور الرشيد

وتستمر الأيام وتتوالى الشهور ويستمر نزيف الدم كما يستمر المعتقلون قابعين بين أربعة أركان كنكوريتية وتستمر معهم معاناتهم من إهانة وتحقير إنساني ومذهبي، وها نحن نقترب رويداً رويداً نحو السنة الثانية ولا زال الوضع مستمراً على ما هو عليه. لم تستطع القوة الغاشمة أن تحقق الأمن والشعب مُصر على مطالبه، والواضح بأنه مستمر بهذه المطالب إلى ما لا نهاية أي أننا في مرحلة عض الأصابع من يصرخ أولاً. لذلك وبالرغم من استخدام كل انواع الأساليب الترهيبية، لم تستطيع الأسرة المالكة أن تحل الأزمة، ولم تصل معاناة أهل البحرين لحل. هذه هي الحقيقة الوحيدة اليوم الماثلة أمامنا بعد انطلاق انتفاضة الرابع عشر من فبراير للمطالبة بحقوق مشروعة.



المتتبع للتاريخ سيجد أن الأسرة المالكة البحرينية لها تجربة طويلة وخبرة تمتد لعشرات السنين بصراعها مع شعبها، إلا أنها مع الأسف الشديد لم تستثمر تلك الخبرات التي اكتسبتها طوال تلك الفترة بما يخدم مشروعها ومشروع شعبها، فما زالت تستخدم نفس الأساليب التي استخدمتها قبل خمسة أو ستة عقود ماضية، غير مدركة بأن كل مرحلة من مراحل الصراع تحتاج إلى استراتيجية تتواكب مع مستجدات تلك المرحلة، لا بل أجزم بأنها مدركة ولكنها تتعامى عن هذا الإدراك، لذا فإن الانسداد الحاصل في آلية الصراع بين الأسرة المالكة البحرينية وبين شعبها هو انسداد سيفضي لمرحلة ستكون بها الغلبة أو الكفة ستميل نحو الشعب كنتيجة حتمية لصراع دام وطويل. ولنا في بطون التاريخ القريب والبعيد والمتوغل بعمق التاريخ دروس ومواعظ وعبر يمكن الاستفادة منها، ولكن هناك من لا يريد أن يرجع للتاريخ لا القريب ولا البعيد وهنا الحتمية التي يجب أن يصل لها أي صراع في الكون طالما أن اللاعب الرئيس يغمض عينه عن حقائق ولا يريد أن يراها أو يستفيد منها، وبالتالي سينصدم مع الواقع الذي يعتقد بأنه بمنأى عن إرهاصاته.

بعد أقل من شهرين ستعبر مملكة البحرين سنتها الأولى بعد انطلاق شرارة الرابع عشر من فبراير، ومن الإنصاف التاريخي أن يتم عمل جرد حساب لمجريات أحداث سنة أولى انتفاضة والتي لا زالت مستمرة ولن تتوقف بكل تأكيد ومن يعتقد بأن انتفاضة الرابع عشر من فبراير ستتوقف فهو واهم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، ويجب أن تدرس بشكل محايد بعيداً عن الانحياز لمصلحة أي من طرفي النزاع لكي نخرج بنتيجة قابلة

للتطبيق على الأرض وترضي طرفي النزاع، ويمكننا أن نعدد بعض الجوانب وليس كلها بكل تأكيد لأنها كثيرة جداً وقد أثرت على مصداقية أى خطوة يمكن أن تتخذها الأسرة المالكة البحرينية كنوع من التطمين أو الإصلاح.

■ **أولاً:**

العدد الكبير الذي سقط كشهداء للحرية والديموقراطية وقد فاق الخمسين ولا زال يسقط يوميا شهداء وقد اختتم عام الثورات2011 بشهيد (السيد هاشم سعيد).

قد يرى البعض بأن هذا الرقم بسيط لا يعتد به، أقول لهم إن أهل البحرين من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها يعرفون بعضهم البعض بشكل متداخل وذلك نتيجة لصغر حجم المجتمع بشكل عام فلا تستغرب عندما تسأل من يمشي بأي شارع من شوارع المنامة أو المحرق عن اسم شخص إلا وتجده يقول لك انه يسكن في المنطقة الفلانية وابن عمه فلان الفلاني، لذلك عندما يسقط شهيد في هذا الصراع تجد كل أهل البحرين يحضرون تلك الجنازة من سنتهم وشيعتهم.

■ **ثانيا:**

عدد الذين تم اعتقالهم بلغ عدة آلاف من شباب وفتيات ورجال وأطباء ومدرسين وطلبة وعمال وصحفيين، أي أن الأسرة المالكة لم تترك أي مجموعة إلا وأصابها نوع من الاستبداد والقهر، ففئات المجتمع كلها لحقها أذى بشكل مباشر من الأمن واستخدام القوة بقمع كل صوت يظهر على السطح، حتى الطائفة السنية التي وقف من وقف من أبنائها ضد تلك الممارسات زج بهم بالمعتقل، ولا زال البعض منهم حتى الساعة يرزح في المعتقل يواجه كل انواع الذل والمهانة والتعذيب، لذا لم توفر الأسرة المالكة أحداً إلا وأصابه ما أصاب الجميع من ذل ومهانة.

■ **ثالثا:**

لاشك بأن الأسرة المالكة اليوم تشعر بامتنان عظيم تجاه الأسر الحاكمة الخليجية وبالأخص الأسرة المالكة السعودية، التي دفعت بكل قوتها لمساعدة الأسرة المالكة

البحرينية لقمع تلك المطالبات المشروعة التي رفعها الشعب البحريني، وهي مطالبات كادت أن تتحقق في الأسبوع الثالث تقريبا، عندما كلف ولي العهد بفتح حوار مع المعارضة للاتفاق على الخطوات المقبلة لتحقيق مطالب المعارضة. ولكن هناك من أجهض هذا التوجه في مهده وتم القضاء عليه بالقوة العسكرية، مما فوت على الأسرة المالكة الفرصة الثمينة والتاريخية التي كان يمكن بها أن تُجسر بها الهوة بينها وبين شعبها الذي تعايشت معه طوال عقود طويلة، وكان يمكن أن تختم هذه العلاقة الطويلة بخاتمة طبيعية وصلتها كل الأسر المالكة في العالم المتحضر، إلا أن حساب البيدر دائما ما يختلف عن حساب الدفتر. فمن المؤكد بأنه حينما تنحو الأسرة المالكة هذا المنحى في ظل ظروف الربيع العربي سينتقل بكل تأكيد لبقية المجتمعات المحيطة وعلى الأخص المجتمع السعودي، الذي يعتبر مجتمعاً مهيئاً للانفجار طال الزمن أو قصر، لأنهم يتعاملون بنفس العقلية التي تعاملوا بها مع شعبهم منذ عشرات السنين، مغمضين العين عن حجم المتعلمين والذين احتكوا مع الثقافات الأخرى خلال على الأقل الأربعين سنة الماضية، ويقدر عددهم بالملاين من الشباب المتعلم في أرقى الجامعات الأجنبية، مما يجعل منهم قنبلة موقوته يمكن أن تنفجر نتيجة للاحتقان الداخلي بأي فرصة تتاح له.

**■ رابعا:**

قد يكون العالم الغربي اليوم غير مهيئ للانتقال بمنطقة الخليج بشكل عام من أنظمة أسر مالكة إلى أنظمة ديمقراطية على غرار ما حصل في دول شمال أفريقيا: تونس وليبيا ومصر والجزائر (بكل تأكيد سيأتي عليها الدور) واليمن وسوريا، وهذا الأمر معقول ويدعمه الواقع على الأرض فالغرب يريد كما هو واضح أن يرتب أوراقه في تلك الدول التي تعتبر دولاً خطيرة ومحورية وعدد سكانها يبلغ بالملاين ويريد أن تترتب الأمور بها قبل أن يشرع باستكمال مشروع الربيع العربي، ولكن ماذا لو تم استكمال مشروع الربيع العربي والتفّ الغرب على أسرنا المالكة وطلب منها أن تتحول لممالك دستورية؟ كيف ستواجه الأسرة المالكة البحرينية استحقاق تلك الدماء التي سالت وعذابات المهجرين والبيوت التي انهارت على رؤوس أصحابها نتيجة لفقدانهم معيلهم؟ هل ستنفع هنا وثيقة أخرى أو عفو عن من ارتكب جرائم بحق الإنسانية مثل ما حصل مع سيئ الصيت فليفل ربيب هندرسون؟

أنا لا أعتقد بأن الشعب البحريني يمكن أن ينحو هذا المنحى فيما لو تغيرت الظروف وأجبرت الأسرة المالكة على فتح صفحة جديدة بعلاقتها مع شعبها، فالجرح اليوم أعمق من أن تستطيع الأسرة المالكة أن تحاول تنظيفة وعلاجه لذلك ستواجه مصيبة ومعضلة، يمكن أن لا تستطيع أن تجد لها حلولاً مناسبة مهما تكن تلك الحلول، فالمجتمع البحريني اليوم هو الذي دفع ثمن إصراره على امتلاك الحرية والديمقراطية، ومن يدفع هذا الثمن الغالي الذي تجسد على أرض الواقع لا يمكنه أن ينسى شهداءه من شبابه ونسائه ورجاله وأطبائه ومدرسيه وعماله، فالكل شعر بمرارة الجرح فمن الصعوبة بمكان أن يتغاضى شعب كامل عن كرامته التي أهدرها مرتزق جلب من بلده لكي يقمع أبناء البلد. لذلك فالوضع بالنسبة للأسرة المالكة البحرينية سيكون صعباً جدا، خصوصا، مع استمرار المطاردات اليومية التي تجرى في مختلف القرى.

■ **خامسا:**

هنا تتجسد مأساة شعب البحرين في أوضح صورها، فالشعب لا يستطيع قبول مرور تلك السنة بدون أن يرى الثمن مقابل ما دفعه من أرواح وجرحى ومفصولين، ثمناً ترضي به الأم الثكلى والطبيبة المفصولة والمدرس الذي أهين أمام طلبته والعامل الذي فصل من عمله لا لسبب سوى أنه عبر عن رأيه بما يراه كفرد من أفراد المجتمع الذي تأثر برياح الربيع العربي، والابنة التي رأت أباها يسحل أمامها من قبل قوة غاشمة خجلت لا بل خشيت من أن تتعرف عليهم طفلة فوضعوا على وجوههم أقنعة يتوارون وراءها خوفاً من أن تتعرف عليهم طفلة صغيرة، وهم يدركون بأن مشهد الاعتقال من المنزل وأمام كل أفراد الأسرة الصغيرة لن يمحى هذا المشهد من ذاكرتهم، لا بل سيحفظون أشكالهم واحداً تلو الآخر، ولا يستطيع أحد أن يمحي تلك الذاكرة، لذا يتوارون خلف أقنعة خوفا من طفلة، لذلك فإن استمرار تلك المأساة ستكون هي الفيصل بين تاريخين سينجر على كل الأسر الخليجية الحاكمة بكل تأكيد، فالتاريخ يتغير والذي لا يستطيع أن يتواكب مع التاريخ ويُجمد نفسه عند نقطة معينة من ذلك التاريخ يكون قد كتب نهايته بكل تأكيد والشواهد التاريخية أكثر من أن تحصى.

■ **سادسا:**

الدمار الذي ألحقته الأسرة المالكة البحرينية في النسيج الاجتماعي البحريني يصعب اندماله، خصوصا وأن هناك من هو مستمر بتغذية ذلك الخرق الواضح، والتمزيق المتعمد لهذا النسيج الذي تعايش مع بعضه البعض عشرات القرون، دون ذكر لصراع بين تلك الطائفتين الكريمتين، ولكن السياسة ومتطلباتها هي التي تحث تلك الأسرة على سلوك هذا النهج لكي لا تتفق تلك الطائفتان عليها وخوفا من أن تنقلب عليها الطاولة ولا تستطيع أن تفرض سيطرتها على المجتمع، لذلك لابد من خلق هذا الصراع والقاء تبعاته على الخارج وما الصفعة التي وجهها تقرير بسيوني بهذا الجزء إلا دليل واضح على أن هناك من يتبع سياسة فرق تسد، ومن المؤكد بأن الأسرة المالكة بحد ذاتها لا ترتكب هذه الحماقة بشكل مباشر ولكن عن طريق أتباعها من كتاب وممثلين بالبرلمان ومجلس الشورى فهم الذين ينفخون بالكير بإيعاز وتنسيق بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، والمصيبة أن معالجة هذا الأمر يحتاج إلى سنوات طويلة لكي تمحى هذه الحماقات التي ترتكبها الأسرة المالكة بتفكيك مجتمعها لتسهل السيطرة عليه، و على ذلك لذلك فإن المسئولية التاريخية تقع على تلك الأسرة التي مزقت نسيجها الاجتماعي بيدها وعن سبق الإصرار والترصد، فكيف يمكنها لاحقاً أن تطلب من مجتمع ممزق حتى شحمة أذنية الصفح وفتح صفحة جديدة هذا ما لا أتوقع حدوثة بعد تجربة عام 2001 عام الميثاق.

■ **سابعا:**

العشرات لا بل المئات من الرسائل التي تصلني عبر الإيميل الكثير منها يقدم الشكر والثناء على ما أطرحه من رأي حول أحداث انتفاضة الرابع عشر من فبراير، والقليل منهم بكل صدق وإخلاص يطلب مني عدم التدخل بشأن داخلي، لذلك و كنت دائما أرد عليهم ويهمني أن ارد عليهم ولعلني أكشف ذلك للمرة الأولى للقراء، بأن الشأن الخليجي اليوم لم يعد حكراً على شعب هذه الدولة أو تلك، فكلنا اليوم كشعوب خليجية بقارب واحد، وعندما تحاول إحدى الأسر الحاكمة أن تخرق هذا القارب بحجة أنها أدرى بشئون شعبها؛ فهذا أمر غير مقبول وأسمح لنفسي أن أتدخل وبشكل مباشر محاولاً أن أوقف تلك الأسرة عن خرق مركبنا الخليجي. فما تتبعه من سياسات خرقاء وعمياء لا ترى مدى الضرر الذي يصيبنا كمجتمعات خليجية منها، يتحتم علينا الواجب أن ننبه

لهذه المخاطر وأخطرها التمزيق الطائفي الذي تتبعه فهو يؤثر على كل المنطقة وهناك من يتربص بها من كل جانب ولكي تتخلص الأسرة المالكة البحرينية من متطلبات واستحقاقات شعبها تحرق علينا المنطقة طائفياً، لن نسمح لها وسنعري سياستها الخرقاء وهذا أقل واجب علينا القيام به، فبالدرجة الأولى هو حفظ المجتمع البحريني، والثانية هي عدم تصدير ذلك الشرر للمجتمعات الأخرى. فالمصيبة التي ترتكبها الأسرة المالكة البحرينية لن يقف ضررها عليها فقط، وإنما ستحرق كل الخطوط وكل المراحل؛ لذا أسمح لنفسي أن أتدخل وأبين الضرر الفادح الذي ترتكبه بحق نفسها وبحق شعبها.

**■ ثامنا:**

ما أتمناه في هذه الجردة أن تتحول البحرين لمملكة دستورية حقيقة لكي تقود الإصلاح بمنطقة الخليج كلها، فلا زال في الوقت متسع لكتابة تاريخ جديد لهذه المنطقة التي أعطت الأسر الحاكمة كل شيء، وحان الآن دور الشعوب، فقد كتبتم تاريخاً طويلاً امتد ببعضكم ثلاثمائة سنة، وحان الوقت الذي تترجلون فيه عن صهوات جيادكم، وتركبون صهوة المجد والتاريخ معززين مكرمين، لا نريد فتح جراح الماضي الذي دفعت به الشعوب الخليجية الكثير من دماء أبنائها وحان دورها الآن لتمتلك ناصية قرارها.

**■ تاسعا:**

لقد ذكرت فيما سبق ما لانتفاضة الرابع عشر من فبراير، ومن الإنصاف والموضوعية أن أذكر ما عليها، فخلال المتابعة اليومية وما يحصل في مختلف القرى من صدامات بين متظاهرين وقوات الأمن وقوات مكافحة الشغب. فأني أرى بكل شفافية بأن من يحاول أن يحول ذلك الحراك الاجتماعي السلمي الذي لازال يذهل العالم بسلميته ويستمد منها الشعب البحريني تعاطف العالم والمجتمعات المحيطة به ويحصل يوميا على تأيد من مختلف المشارب رغم التعتيم الإعلامي، إلى صدامات دامية مع قوات الأمن، يجب أن نقول له توقف عند هذا الحد، ولا تدمر ما بناه أبناء البحرين بدماء شهدائهم وعرقهم وسجونهم وفقدانهم أعزاء من ذويهم، فلا تعسكروا هذا الحراك السلمي مهما كانت ردود الفعل من قبل قوات الأمن، فهم يجرونكم لمثل تلك المعارك السخيفة، لكي تلقون عليهم قنابل المولتوف، ليجدوا لهم حجة ليسحقوا بها هذا الحراك.

فهذه الظاهرة التي اتسم بها الحراك الأخير في البحرين يجب أن يتوقف ومن يخرج عن سقف وثيقة المنامة يجب أن تتخذ اتجاهه كل الجميعات السياسية المعارضة دون إبطاء موقف واضح وجلي لا لبس فيه. أطلق الشيخ علي سلمان زعيم جمعية الوفاق تصريحا يطالب بعدم استخدام تلك القنابل الحارقة، ولكني أعتقد بأنه تصريح غير كاف للجم تلك المجاميع التي تحاول أن تسيء للحراك في مملكة البحرين، أكثر من أنها تريد أن تحقق نصرا قد لا يكون لا بل من المؤكد بأنه لن يكون بصالح شهداء انتفاضة الرابع عشر من فبراير خصوصا، ونحن مقبلون على عيد ميلاد تلك الانتفاضة الباسلة التي ستحقق مبتغاها، طال الزمان أو قصر، ففجر الحرية قريب والثمن الذي دُفع غال، لذا فإن ضبط النفس مطلوب في هذه المرحلة و بلا شك ستقوم قوات مكافحة الشغب بكل أنواع الاستفزازات الممكنة، لكي تجد لها ذريعة تقدم لها على طبق من ذهب، قد لا تحلم بها.

Zwayd2007@gmail.com

* الأمين العام للمنتدى الخليجي لمؤسسات المجتمع المدني.



# عندما يُصبح علم البحرين "جريمة"!!

* ناصر زين

منذ أن انطلقت ثورة الرابع عشر من فبراير في البحرين واندلعت الاحتجاجات الجماهيرية العارمة المستمرة حتى الآن، تميزت الثورة بعدّة سِمات دون سواها من الثورات العربية ضمن نسائم الربيع العربي، كان أبرزها سِمتان، سِمة السلمية الحضارية (المفرطة) التي أبهرت العالم وكسبت احترامه ولازال الحراك يصر عليها، والسِمة الأخرى هي كثرة الأعلام البحرينية التي ترتفع في أيدي المحتجين - التي تنضح ولاء للوطن - في مسيراتهم المطالبة بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية.



بدءاً من أول يوم اشتعلت فيه شرارة الثورة استلهاماً من بواعث ثورات الربيع العربي، شهد العالم الحر والمجتمع الدولي والشعوب المستضعفة والمواطن البحريني المنصف والمراقبون مدى الالتزام بسلمية الحراك الثوري المطلبي في البحرين رغم آلة القمع الهمجية التي تتصدى لكل ما هو حضاري ببطش ووحشية.

ففي ذلك اليوم، لا يستطيع المراقب إلا أن يُذهل حينما يرى الموقف السلمي الحضاري الذي قام به المتظاهرون في احتجاجاتهم في المنطقة الواقعة بين بلدتي جدحفص والسنابس – بحسب ما أظهرته إحدى الصور المشفوعة بخبرٍ نشرته صحيفة الوسط البحرينية حينذاك – حينما تركتْ قوات مكافحة الشغب سيارة الشرطة للمتظاهرين (تعمداً) بغية اقتناص الفرصة لتشويه الحراك السلمي ووأده في بداياته، ولكن المتظاهرين السلميين اكتشفوا الخطة، فبدلاً من أن يقوموا بتكسيرها مثلاً أو إحراقها – في أوج غضبهم بعد شياع خبر استشهاد على مشيمع – عمدوا إلى وضع علم البحرين عليها يرفرف وتداعبه نسائم الوطن المتعبة، وانصرفوا عنها دون إحداث أي ضرر فيها مجسدين بذلك مدى سلمية وحضارية هدا الشعب الواعي في حراكه.

لكن من المفارقة العجيبة/الحقيقة المزعجة لكل مواطن يعشق تراب البحرين وكأنه عُجن من طينته، وتمثل عاراً على جبين السلطة التي توظف في أجهزتها الأمنية الأجانب والمرتزقة وتحرم المواطن البحريني الأصلي من ذلك، هو حينما نشاهد – في فلم انتشر

على (اليوتيوب) كالنار في الهشيم – قيام أحد أفراد (قوات الأمن) بنزع علم الوطن الذي وضعه المتظاهرون على ذلك «الجيب» وإلقائه في الأرض والمرور عليه تعمداً، في حين أنه على الأقل – وفي أسوء الأحوال – كان يجب على رجل الأمن هذا أن يقوم بإزالته ووضعه في السيارة كونه يمثل رمزاً للوطن بدلاً من رميه على الأرض، الأمر الذي يدلل على مدى اعتزاز هؤلاء الأجانب برمز الوطن وهويته وشموخه وولائهم إليه، وليس الولاء للمال والمنصب والسلطة.

مشهدان متناقضان، حينما تعمل يد على رفع علم وطنها عالياً ليرفرف في سماء الولاء، ويد أخرى (أجنبية) – تعمل في (الشرطة الوطنية) – ترمي بالعلم في التراب وتدوسه وتهينه أمام أعين (أبناء العلم). !!

ولكن من الأمور المخزية أكثر ضمن حماقات/ انتهاكات السلطات البحرينية بجيشها وقواتها الأمنية في إطار الحراك المطلبي في ربيع الثورة، هي ما سنته ضد المتظاهرين السلميين والمواطنين عموماً من عقاب وتنكيل في الشارع على كل من يحمل (علم الوطن) معه، سواء في مظاهراته ومسيراته السلمية أو يضعه حتى في سيارته، فيكون مصيره أما الضرب والتنكيل والشتم (على الهوية المذهبية) أو ربما الاعتقال التعسفي في أحايين كثيرة، وكأنه يحمل معه ( كلاشنكوف ) بغية ارتكاب الجرائم، وليس علم بلاده الذي يعتز به رمزا لوطنيته وولائه لتراب أرضه. !!

ولأن ثورة البحرين تميزت بهاتين السِمتين اللتين كانتا تحرجان السلطة وتعكسان مدى سلمية وحضارية و(ولائية) هذه الحركة المطلبية لتراب وطنها المزروع في دمها، عمدت السلطة – عبر أبواقها الإعلامية وشاشاتها التحريضية الطائفية – على تشويه صورة الحراك السلمي من هاتين الناحيتين، بحيث حاولت بشتى السبل أن تخرج الحراك المطلبي عن إطاره السلمي وتصوره بأنه انزياح نحو العنف بكثرة المسرحيات الأمنية التي كانت تخرجها بشكل (غبي).

أو عبر محاولاتها بما استطاعت من تزيف للحقيقة بأن تظهر أن لدى الثوار والحراك

أجندة غير وطنية وعلم غير وطني ذي اثنتي عشرة سنا (علم الدولة المهدوية الاثنتي عشرية) بحسب تخرصات وأوهام السلطة التي أردت أن تزرعها في عقول المراقبين والمجتمع الدولي ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً في ذلك.

بل حتى هذا الوهم (الغبي) الذي أردت السلطة وأجهزتها الأمنية وأبواقها الإعلامية أن تحشوه في عقول الأغبياء، هي وأجهزتها ومناصريها وقعوا فيه سواء في السابق أو بعد اندلاع الثورة، فتجد مثلا بعض الأعلام (الاثنتي عشرية) مرفوعة في بعض تجمعات (تجمع الوحدة الوطنية) في حراكه المضاد للحراك الوطني المطلبي. !!

وتجد وزارة التنمية الاجتماعية و(حقوق الإنسان) – بحسب مسماها الرسمي – توزع على المواطنين أعلاماً (اثني عشري) ضمن احتفالاتها «الوطنية» بالعيد «الوطني» قبل أن تعتذر عن هذا الخطأ (غير المقصود) في إحدى الصحف المحلية لحفظ ماء الوجه والفضيحة!!،

وتجد أيضاً صورة مشهورة لملك البحرين نفسه وهو يرفع علما (اثنا عشريا) في وقت سابق بإستاد البحرين الدولي ضمن الاحتفال بالعيد الوطني.

والأدهى والأمر، حينما حاولوا أيضا – عبر أصابع خفيَة – أن يزرعوا هذا الوهم (الاثني عشري) حتى في تقرير اللجنة الملكية لتقصي الحقائق (تقرير بسيوني) في نسخته العربية خلافا لما في نسخته الانجليزية عبر ترجمة (مدسوسة) متعمدة، فادّعوا أن الأطباء كانوا يرفعون هذا العلم في احتجاجاتهم، حتى عمد بسيوني نفسه ولجنته إلى تغيير ترجمة التقرير مجددا في نسخته العربية وحذف هذا الهراء.

*صحافي بحريني



# نافذة
# على خطى الثورة

* إيمان شمس الدين

في وقفة مع جمالية المشهد الثوري المتنقل من جسد البوعزيزي إلى لؤلؤة ميدان الثورة في البحرين حيث المشهد يحمل في جعبته الكثير من الأحداث، وترفرف في سمائه رايات تحمل عبارة مجمع عليها: " الشعب يريد .. " والصراخ يملأ المكان بشعارات تختلف باختلاف المكان وحيثياته وظروفه ،فمن إسقاط النظام إلى إصلاح النظام تعلو المطالبات بصرخة من حناجر شابة ، أرّقها الحرمان الذي برز إلى وعيها بعد عولمة تكنولوجية نجحت في اختصار ممكنات المعرفة والمسافات الجغرافية ونهضت بالفكرة في ذهنية شباب محروم من حقوقه في ظل أنظمة مستبدة تنهب ثروته وتسلب حقه في العيش الكريم.



هبت رياح التغيير وعصفت في أذهان جيل شاب تتحكم في بنيته البيولوجية في هذه المرحلة العمرية حميّة واندفاع وحب للحياة، ليعلن الثورة على الاستبداد ويطالب بالعدالة والحرية التي كان دافعها الحرمان حتى من رغيف الخبز.

إذًا هي الثورة بدأت ولن تنتهي كما يعتقد البعض مع مأساوية المشهد وحجم التضحيات الكبيرة، إلا أنها بكلها تعطي مؤشرات لأمر لا خلاف عليه وهو تحقيق المطالب ولو بعد حين.

في البحرين لا يختلف المشهد بل علّه أكثر عمقاً في المطالب من غيره ،فبعد الميثاق الذي قدمت من خلاله وعود الإصلاح والنهوض بالدولة إلى مصاف الدول الحديثة لم يظهر إلى النور من هذه الوعود إلا النزر اليسير وعلى مضض واستحياء، واستمر مسلسل انتهاك الحقوق والتمييز بين المواطنين رغم تهدئة المعارضين الحراك المطلبي في الشارع لمدة عشر سنوات لم تحقق فيها الدولة البحرينية إلا شذراً من وعودها لا ترقى لمستوى كرامة الإنسان وعيشه في وطنه كما يليق، إذ إن الأوطان التي لا تحفظ كرامة أبنائها لا تستحق أن تكون لهم وطناً.

**وعل أهم ما في المشهد البحريني الثائر في قضية تعثر تحقيق المطالب وتحويل البحرين إلى ملكية دستورية هو عدة أمور أهمها :**

صراعات بيت الحكم بين أجنحة تؤمن بالديموقراطية وأجنحة راديكالية تؤمن بالنظام

الشمولي القمعي إضافة إلى هواجس مذهبية كون الأكثرية البحرينية قبل عملية التجنيس السياسي يشكلون غالبية في البحرين ، كان منشأها الدول المجاورة التي يقوم نظام حكمها على ثلاثية معقدة التركيب هي التحالف بين السلطة والقبيلة والفتوى أي السلطة الدينية التي لا تؤمن بالآخر وتكفر كل من يخالفها عقديا، وترسخ وجود السلطان حيث تشكل يده الضاربة، وامتدادات هذه الدولة في داخل بيت الحكم البحريني سواء بعلاقات مصاهرة أو التقاء مصالح ومنافع ومن هذه الأمور أيضاً النفط والقواعد العسكرية الأمريكية حيث تعتبر البحرين النافذة الطيعة في بناء جسر تبادلي بين الخليج والغرب وأمريكا.

في ظل هذا المشهد الذي يكابد فيه المواطن البحريني بشكل عام والشيعي بشكل خاص، كانت هناك نار مطلبية شابة تحت رماد الوعود الحكومية الهشة والممارسات الديموقراطية الصورية وحركة التجنيس التي تهدف للتغيير الديموغرافي الذي لا يدلل إلا على نية واضحة في الانقلاب على كل المواثيق بعد التمكن من الحصول على الأكثرية المذهبية التي يتم شراؤها بمال أبناء البحرين الحقيقيين، كي يصبحوا شركاءها كسلطة في الوطن من خلال الديموقراطية التي أقر عليها أبناء البحرين في الميثاق لتتحول فيما بعد إلى السيف الذي سيستأصلهم من أرضهم ويسلب منهم حقوقهم في محاكمة سياسية أشبه ما يكون بمحاكمة سقراط. حيث آمن هذا الفيلسوف بالقانون ونظر له ومن ثم تم إعدامه بالقانون.

في ظل هذا المشهد هبت رياح التغيير منطلقة بشرارة جسد البوعزيزي من تونس وكأنها أوقدت في قلوب الأحرار جذوة عشق الحرية والتحرر من قيود الاستبداد والانطلاق نحو قيم العدالة والحقوق والكرامة وقيامة وطن على أرض المحبة الإنسانية، تقوم في ظله دولة حديثة هي دولة القانون والمؤسسات يكون دستورها حبرا على أرض الواقع وليس حبرا على ورق.

وحيث إن العولمة فتحت أبواب الدول بعضها على بعض على مصراعيها وكانت تكنولوجيا الصورة والمعلومة وسيلة المعرفة التي تنتقل فقط بكبسة واحدة من شخص يجلس على شرفة منزله ويتابع حدث الثورة ويلتقط الصورة ويحولها إلى مشهد سياسي ثوري

يحرك الوجدان في أعماق الشباب الثائر، بدأت من هنا الحكاية التي كانت جذورها كفكرة مترسخة في نفوس الشباب وتنظر من يطلقها، وأعلن الشباب عن قيام الثورة يوم 14فبراير في 2011 في ظل اختلاف في وجهات النظر حول جدوى الحراك وآلياته ومنهجه ،لينطلق صوت الشباب في ذات اليوم معلناً الحركة المطلبية السلمية في دوار اللؤلؤة، وتنضوي الجمعيات السياسية تحت شعار الثورة وعنوانه إصلاح النظام وفق مطالب واضحة أهمها:

ملكية دستورية، برلمان منتخب كامل الصلاحيات، رئيس وزراء شعبي وحكومة منتخبة ودولة مدنية حديثة هي دولة المؤسسات والقانون.

وفي الدوار بدأت الحكاية تنسج خيوطها من مشاهد كان جمالها يعكس ثقافة شعب وحضارته في الإصرار على سلمية الحراك وأحقية المطالب. خيوط الحكاية كانت بأيدي الشباب الثائر الذي كان يعمل كخلية نحل كي ينقل للعالم ماذا يريد، وتحول الدوار إلى مسرح للجميع تمايزت فيه الرؤى والأطروحات تمايزاً حاداً إلا أن القرار هو : «للجميع حق أن يعبر عن رأيه ووفق ما يريد»،وهو قرار يتماهى مع مطلب الديموقراطية.
وفي مسرح الدوار لم يكن المشهد واحدا وإنما تعددت المشاهد بتعدد الرؤى والمناهج ولكن كلها كانت تحت سقف السلمية والحق في التعبير الحر عن الرأي، ورغم أن هناك من انطلق من معطيات الواقع والظروف التي تتحكم بالمشهد البحريني الداخلي والخارجي إلا أن هناك أيضا في مطلبه للإصلاح تحرك وفق رؤية قد تصنف أنها تصعيدية غير مرحلية قفزت على الواقع ولكن لها مبرراتها وأهمها « قد وصل السيل الزبى « فلم تعد تؤمن بوعود الحكومة لتاريخها في التنصل والانقلاب على وعودها.

طلت برأيها كثعبان بعد هذه الأحداث مرحلة السلامة الوطنية التي كان من أهم أسبابها أمور عدة هي تعطيل المرفأ المالي والذهاب إلى الرفاع وما شكله، هذان الحدثان من تصعيد دراماتيكي منشأه اختلاف الرؤى والمنهجية في» كيف « الثورة، وهو ما اعتبر رسائل للجوار البحريني قبل الداخل البحريني المنقسم أصلا على نفسه داخل بيت الحكم في الرؤى والمناهج.

ولا ننكر أن مواجهة سلمية الحراك بالدماء كان له أثر كبير في التصعيد، وكانت رسالة واضحة في كبح جماح الثورة في التخويف بالموت، وهو مشهد تكرر في كل من تونس ومصر أيضا.

■ **وكان من أهم أهداف السلامة الوطنية:**

وأد الثورة في مهدها ومذهبة الحراك المطلبي دليل صارخ على وأدها وتحويلها إلى هاجس إقليمي كي يتم قمع الحراك ورفض دعمه حتى من الشعوب وحماية دول الجوار من انتقال عدوى الحراك إليها خاصة مع وجود جذور لهذه الحراكات تتحرك من فترة لفترة رافعة شعار المطالب ذاتها، وأخيرا قمع شعوب المنطقة من خلال تأديب ثوار البحرين حتى لا تنتقل عدوى الحراكات المطلبية لها.

■ **والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا درع الجزيرة؟**

درع الجزيرة وفق الاتفاقية الأمنية لا يتدخل إلا في حالة العدوان الخارجي، وتدخل درع الجزيرة كان يهدف إلى إيهام الخارج والداخل بأن هذا الحراك هو حراك تدعمه دولة خارجية فقاموا أولا بمذهبة الحراك ومن ثم إلصاقه بدولة خارجية كمحرك رئيسي له. واعتباره حراكاً مذهبياً من فئة من الشعب كان لهدفين:

■ **أولهما:** هدف خليجي يكرس من سلطة الأنظمة ووجودها وهو: إخافة السنة في البحرين وفي المنطقة خاصة بعد مواقف تأييد من قبل نخب سنية وشيعية في المنطقة للحراك البحريني مما اعتبر مؤشراً خطراً في دعم خطى الثورة، وبذلك تتراجع شعوب الخليج من دعم الحراك وتعين الأنظمة على وأده بدعوى مذهبيته، وقد يكون مطلب الكونفدرالية في مؤتمر عقد في البحرين من قبل نخب خليجية مطلبا يأتي في هذا السياق.

■ **ثانيهما:** هدف إقليمي يصب في صالح مشروع محاربة دول الممانعة ويكرس من الإيرانوفوبيا ويحاول جر إيران لمواجهة من أجل حماية البحرينيين من بطش السلطة وبطش درع الجزيرة الذي دخل أصلاً وفق المعلومات بقرار سعودي تداعت له دول الخليج بعد ذلك، وهو يأتي في ظل صراع الوجود والنفوذ في المنطقة بين كل من إيران والسعودية.

**السؤال هنا : أين يكمن الخطأ؟**

هو سؤال يفترض أنه طرح من قبل الرموز والقيادات كإعادة تقييم للحراك المطلبي الذي انطلق في 14فبراير، وأعتقد إجابة السؤال تتضح جلية الآن من خلال اتضاح الرؤية لدى الجميع ووضع سقف للمطالب وإن اختلفت المنهجيات والاتفاق على أمور أهمها:

أولا المرحلية في تحقيق المطالب وثانيا سلمية الحراك مهما رفعت السلطة من أدوات القمع والمواجهة.

وأعتقد أن التنسيق بات واضحا بين الجمعيات السياسية والثوار الشباب في حركة 14 فبراير والحركات الأخرى التي يفترض أنها جلست على الطاولة المستديرة وقيمت الحراك وأعادت بلورة رؤية تحقق المطالب وتنجز وعد الدم للشهداء.

لا ننكر أن سلمية الحراك كان له أثر كبير في تقدم خطى الثورة خاصة في قلب العالم الغربي حيث نظمت المعارضة صفوفها بين الداخل والخارج ووضعت لها خارطة طريق ووزعت الأدوار.

واستطاعت من خلال العمل الحقوقي التوثيقي أن تعولم حراكها المطلبي وأن تضغط من خلال هذه المنظمات الحقوقية الغربية على الحكومات الغربية والحكومة الأمريكية كي تضغط على الحكومة البحرينية باتجاه تحقيق المطالب وإن كانت حركتها خجولة لارتباط مصالحها ببقاء الوضع على ما هو عليه واجراء فقط إصلاحات طفيفة كحبة مسكن للثوار، وتأتي في سياق حرجها من شعوبها نتيجة تجلي الحقيقة في الإعلام الغربي والمنظمات الحقوقية الغربية التي نشطت بها المعارضة البحرينية في الخارج ونقلت الوقائع كما هي موثقة بالصورة والدليل .

وبعد تقرير بسيوني وأهم ما جاء فيه من إقرار بانتهاكات لحقوق البحرينيين وبسلمية الحراك وأهم من ذلك كله براءة الثورة من أي تدخل خارجي وخاصة الإيراني وهو ما أفشل محاولة مذهبة الحراك وتخوينه في ولاءاته للخارج كي يتم الانقضاض عليه، وهو ما يعيد مجددا الثورة البحرينية إلى حضنها الخليجي والعربي والاسلامي ويعمق من

وجودها الوطني ومطلبها المحق.. يطرح بعد كل هذا تساؤلا هو: الثورة إلى أين؟

باعتقادي أن هناك مجموعة ثوابت في خطى الثورة، الاستمرار عليها سيكون الأثر في تحقيق المطالب وإنجاز الإصلاح الكبير وأهمها: وضوح الرؤية، وتنسيق الجهود، ووضع خارطة طريق توزع فيها الأدوار بين المعارضة في داخل البحرين من جهة وبين المعارضة في الداخل والمعارضة في الخارج من جهة أخرى.

والإيمان بالمرحلية وسياسة النفس الطويل، سلمية الحراك واستمراره وتنظيمه أكثر، الحراك الحقوقي التوثيقي، التشبيك والتنسيق مع الثورات الأخرى ومحاولة التشبيك مع شعوب المنطقة في توضيح مظلومية الثورة البحرينية، وأخيرا الإيمان بالقضية كحق يجب أن ينتزع لقيام وطن للجميع والتخلص من المذهبية من خلال بناء جسور للتفاهم مع الشريك في الوطن مهما أساء هذا الشريك ومحاولة الالتفاف على كل الثغرات التي فتحتها السلطة وهدمت من خلالها جسور التواصل بين شركاء الوطن لإضعاف الحراك المطلبي.

**■ أيها الثوار البحرينيون:**

ثورتكم تضيء شعلة الأمل في نفوس شعوب المنطقة، التي بدأت تتطلع لفضاء الحرية خارج عيون الأنظمة الحاكمة، لتبحث لها عن نفس نظيف يحقق لها العدالة، ويخرجها من عنق زجاجة الحكام إلى فضاء الدولة الحديثة كدولة قانون ومؤسسات يتساوى فيها المواطنون تحت مظلة دستور يكتبه حبر العدالة، وترسم فضاءاته الحريات، وتقيم أعمدته منظومة الحقوق والواجبات.

فلكم آلاف التحايا ...ولدماء شهدائكم العزة والخلود.

chamseddin72@gmail.com

* كاتبة كويتية.



# نحن وأمريكا

* جاسم العويك

يورد الكاتب إدوارد سعيد أسباب إخفاق الفلسطينيين في إخراج روايتهم إلى حيز أوسع وخاصةً في المجتمع الأمريكي في( كتاب الثقافة والمقاومة) لعدة أمور من بينها : رغبة القيادة الفلسطينية في ولوج الطريق المختصر أي التأثير على الإدارة الأمريكية بطريقة مباشرة وشخصية، وهو ما يعدهُ جهلاً فاقعاً بطبيعة عمل المؤسسات في هذا البلد، ثم تأتي حالة الإحباط العامة لدى الفلسطينيين الذين يشعرون بتجاهل العالم لهم وسط الحصار الجغرافي الاقتصادي فيبادلون العالم ذات المشاعر، ثم عدم استغلال الطاقات الشابة في أرض الشتات وعدم انتظامها لتشكل قوة حقيقة تعرض الحكاية الفلسطينية للشعب الأمريكي بحيث تستطيع اجتذاب الأصدقاء والمساندين، فما زالت صورة الفلسطيني ترسمها المنظمات الصهيونية التي تملك الأدوات اللازمة والعمل المنظم.



إذن بالنسبة لإدوارد سعيد هناك طريقٌ أطول - بعيداً عن محاولة التأثير في المسئولين الأمريكيين والذين قطعاً لاتلتقي مصالحهم مع الفلسطينيين، لكنه الطريق الأضمن، وهو التأثير على منظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام الأمريكية بما يخلق رأياً عاماً ضاغطاً ويزيد من أعداد المؤيدين والمساندين للقضية.

وفي حالة البحرين، حيث من مصلحة الأمريكان الإبقاء على النظام القبلي الديكتاتوري نظراً لاعتبارات النفط (السعودية) والقاعدة الأمريكية، خصوصاً في ظل وجود نظام إيراني معادي للغرب، فإن وجود ديكتاتور مستعد لفتح بلاده وقبوله بالمخاطره أهم من الديمقراطية التي قد تجلب أغلبية تعرقل أي عمل حربي تجاه إيران، وجلُّ ما تصبو إليه أمريكا في البحرين أن تخف وتيرة انتهاكات حقوق الإنسان فقط، منعاً للإحراج، وذلك دون تحول ديمقراطي حقيقي، وإنني استغرب من نظرية (المؤامرة الأمريكية - الإيرانية) ضد البحرين التي يسوّقها إعلام السلطة والتي لم يخرج لنا فطحل منهم ليشرح لنا خيوطها ونقاط المصالح المشتركة.

حقاً، إن صداقة أمريكا خضوع ومعاداتها معاناة، وأفضل شيء أن لا تنتبه إليك، فهي ما أن تنشب قواعدها في البلد، حتى يصبح كل شيء ديكوراً، فهي تمنحك الصورة والاسم، وغاية الوجود، ولنأخذ اليابان مثالاً، حيث تم تعميم صورة نمطية لليابان (الكفاءة الإنتاجية / الفلكلور الجميل) دون أن نعرف طبيعة الديمقراطية مثلاً التي صاغها الجيش الأمريكي والتي تعتبر من أضعف الديمقراطيات إذا ما قورنت بالدول المتقدمة، لأن هدف أمريكا في ذلك الوقت الإبقاء على اليابان كقاعدة حربية غير قابلة للغرق،

وضمان عدم قيام حكومة تتقارب مع الاتحاد السوفييتي خلال الحرب الباردة، ولم تضعف تبعية اليابان لأمريكا إلا بعد انهيار جدار برلين.

ترسمُ أمريكا صورة من تشاء وتسوقها لشعبها وللعالم، فإن كانت بلادك تستضيف قاعدة أمريكية أو كنت حليفاً، فإن صورتك سيتم فرزها بما يتلاءم والمعايير المطلوبة ، فتركيا التي انتخبت حزباً دينياً، سيتم اعتبارها أداة التغيير الثقافي في المنطقة حيث الإسلام المعتدل والمنفتح كما في المسلسلات التركية التي تروج لها قنوات مملوكة سعودياً، والبحرين البلد الذي لابد أن تظهر صورته مع المرفأ المالي ليدل على النجاح الاقتصادي والانفتاح الاجتماعي لتكتمل الأسطورة التي تقول إن كل بلد تحط فيه قواعد الجيش الأمريكي تحل عليه البركة، حتى أن بعض الأجانب عندما يخطىء في بعض الشوارع ليدخل في القرى يتفاجأ بانكسار الصورة النمطية التي تم رسمها لهُ في مخيلته.

أمريكا لاتهتم إن كنت دينياً أو ليبرالياً، فبداوة بن لادن همجية وإرهاب، بينما بداوة الحلفاء حكمة رصانة واتزان، وقس على ذلك نماذج عديدة للأفلام الأمريكية ( الملك فيصل في فيلم لورانس العرب مثلاً )، وقارن أيضاً بين الإمبراطور الياباني في الأفلام الأمريكية وبين الإمبراطور الصيني، رغم أنهم من ذات الفصيلة، لكن الأول محب لشعبه بينما الآخر رمز للديكتاتورية، كل ذلك لأن أمريكا استعانت بالحرس القديم المتهم بجرائم الحرب لتدعيم الديمقراطية في اليابان إبان الاحتلال !

هل الحل إذن يكمن في الجفير (القاعدة الأمريكية)؟

هل يكمن في الشعب الذي عليه أن يقاوم أمريكا قبل النظام؟

وكيف يستطيع شعبٌ صغير العدد كشعبنا أن يرسم صورته التي يريدها في المحيط، أي في أمريكا؟

هل يضيّع المعارضون وقتهم في بريطانيا بدل أن يكونوا في واشنطن؟

ماهي الوسائل والأساليب التي تمكننا من رسم صورتنا ومن جذب التعاطف والأصدقاء؟

هذهِ الأسئلة أتركها للنقاش العام في صفحة المرآة، ولنا لقاء آخر.

* كاتب بحريني



# استبداد النّظام: حكاية فشل

* نادر المتروك

في الإستراتيجيا ونظريات الحُكم -كما في الوجدان الشّعبي- خسر النظام الحاكم في البحرين المقوّمات المعتبرة لأية شرعية في إدارة البلاد. أسوأ ما في كلّ ذلك، أنّ النّظام تلبّس لباساً كلّه الخداع وتقطيع الوقت، ولم يُقدِّم طوال الأشهر الماضية حلاً سياسياً مقبولاً لإنقاذ الوطن، وتلبية طموحات النّاس. أعطى ذلك انطباعاً متكرّراً، مفاده أنّ النظام لا يسعى لمصلحة النّاس، وأنه كان دائماً في وارد البحث عمّا يحفظ امتيازاته في تحصين الاستبداد وتمديده.



أوافقُ على أنّ هذه الخلاصة السّياسية كانت حاضرةً قبل 14 فبراير، ولكنّها قبل هذا التاريخ لم تحظ باختمارٍ وإجماع بين اتجاهات المعارضة، كما أنّها –الخلاصة– لم تكن شديدة الوضوح، وما كانت مُعزّزة بأكبر عملية توثيق في تاريخ البحرين السّياسي، مثلما هو الحال بعد تلك القطيعة الزّمنية. وعليه، بات النظام اليوم أمام كومةٍ ملعونة من الإخفاقات، وليس مُتاحاً –كما السّابق– المناورة عليها وإجراء التعديلات طمعاً في العودة إلى مربعات الصّفر الأولى.

ببساطة، لقد تهاوت عملياتُ التحايل والمراوغة، واحدةً واحدة. وسائل الاحتيال والكذب باءت بالفشل الكامل، وعلى مرأى من العدوّ والصّديق. إنه مسلسلٌ متوال من الفضائح والفكاهيات معاً. لنتذكّر، مثلاً، روائح الخيام المحروقة في دوّار اللؤلؤة، وكيف احتشد حولها الجميعُ في الشاشة «العورة»، وأرسلوا على الملأ الحرائقَ ودعوات الاجتثاث. عفْطةُ العنز، والأميرُ الخارق، وبائعاتُ الرّوث، كلهم زايدَ بعضهم بعضاً لإسقاط «الطّوفة» على رؤوس الأشهاد. كان النظام يتابعُ المشهد باستمتاع حذر، لأنه يتحسّسُ قبل غيره لحظةَ الانتهاء السّريع لبطارية الدّمى المتحرّكة.

وبالتوالي: الإعلام المحلي تحوّل إلى مادة إضحاكٍ للأهالي. وزارة الخارجية هُزمت سلفاً عندما برّرت تدمير نُصب اللؤلؤة وتدخُّل الجيش بمبرّراتٍ أقلّ ما يُقال عنها بأنها شنيعة. وهكذا دواليك، عُرّيت حفلات الرّشى في الداخل والخارج، كما انفضحت المافيا

المكارثيّة التي عاثت الفسادَ والأحقاد في الوزارات والمؤسّسات. في فترةٍ وجيزة، قدّم النّظام شواهد غير مسبوقة لإثبات أنّه ليس بصدد بناء دولة حديثة تجمعُ كلّ المواطنين. يقولون إننا أصبحنا بين يدي عصابات مجنونة. وأقول إنّه نهوضٌ دفين لموروث القبائل. في المحصّلة، أُصيب النّظام بطلقتين قاتلتين: الخسران المبين للشرعيّة الدّستوريّة، والإخفاق المرير في بناء الثقة المتبادلة مع الشّعب ومكوّناته المدنيّة، أي اضمحلال الشرعية الشعبية أيضاً. والمطلوب الآن، إمعان النّظر في ملامح الخطّة التجميليّة المراوغة التي عوَّل عليها النظام لإضفاء النعومة على بنيته الاستبداديّة، وتوفير مناخات التّسويق لها، وكيف أنّ رياح 14 فبراير حوّلتها إلى رميم.

خلال السنوات الماضية، عمل النظامُ البحريني على تحديث الحكم التّسلطي القائم، وليس إصلاح منابع الاستبداد وإزالتها. ولم يكفّ عن هذه السّياسة في الأشهر الماضية (ليست لجنة بسيوني-مثلا- الوسيلة الأول في ذلك، ولن تكون الأخيرة). وبحسب الباحثين، فإن هذه الظاهرة سارعت إليها بلدانٌ عربية كثيرة في العقد الأخير، وتحديداً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بغية إعادة التموضع في المناخ الدّولي الجديد الذي رفعَ شعارات الحرّية والديمقراطية.

سيكون مهمّا الاستفادة من الباحث الأمريكي ستيفن هايدمان والذي يملك خبرةً واسعة في تحليل الأنظمة التّسلطية، وهو أحدُ المدركين جيداً لأثر الأحداث الجارية في البحرين على الخريطة الإقليمية. يضع هايدمان أربعة عمليات تستخدمها نظم الاستبداد في إسباغ التطوير الخادع عليها. وهي:

- الاستيلاء على المجتمع المدني واحتواؤه
- إدارة عملية الاعتراض السّياسي
- حيازة فوائد الإصلاح الاقتصادي
- تنويع الرّوابط الدولية.

تصلح السلطة في البحرين لتكون دليلا ناجحا على إخفاق نموذج «تطوير الحكم التسلطي». فقد استعملت الإجراءات الأربعة جملةً وتفصيلاً، وبكلّ طاقتها في الجذب

والإكراه. إلا أن النتيجة في خاتمة المطاف –وتحت تأثير سخط اللؤلؤة– كانت مزيداً من التهاوي وفقدان الاحترام والمصداقية.

عندما لمست السلطةُ،قبل سنوات قليلة، خطرَ التنظيمات السّياسية، سارعت لفرض قانون الجمعيات، وبذلك تحوّلت الأخيرة إلى مراكز نفع عام، لا قدرة لها ولا حرية حقيقيّة. تبع ذلك، وسبقه، خطوات عديدة في تقويض المجتمع المدني، والاكتفاء بمظاهر شكليّة على طريقة «الكونغو». أُغلقت جمعيات، وهُدّدت أخرى، وتولّى النظام تجنيد أتباعه للسيطرة على جمعيات مهنية مختلفة. والأمثلة كثيرة. هذه الخطوة، رغم تداعياتها الخطرة، لم تربح السلطة الوقت الكافي للاستمتاع بخيراتها طويلا. وكانت ثورة 14فبراير سبباً أساسياً في ذلك. فقد خرجت الجمعيات والنقابات عن الطوْق، وإلى حدودٍ تجاوزت السّقوف التقليديّة، وهي تواصل اليوم جدالاً محتدماً لانتزاع دورها المستقل وكامل الصلاحيات. فشل النظام في الاحتواء إذن.

من بين أسوأ الأدوار التّسلطيّة للنظام هو دخوله المباشر وغير المباشر في إدارة عمليات الاعتراض السّياسي. كانت إدارته تقوم على الكبح (العين الحَمْرة)، والتّقنين، وإثارة المخاوف (الطائفية خصوصا)، والإشغال بالملفات الجانبيّة، واقتراح البدائل الملغومة. أمّلَ النظامُ نفسَه حصْر العملية السّياسية في حدودها الدّنيا، وبنحو لا تُشكّل تهديداً لمخزون النظام الاستبدادي، وتُعطي في الوقت نفسه انطباعاً موهوماً بانفتاحه الديّمقراطي وعزْمه على الإصلاحات. إجهاض الفعاليات التي ترفع الصّوت وتخييرها بين القمع أو التدجين، إجراء القوانين سيئة الصّيت (قانون الجمعيات، قانون المطبوعات، قانون العقوبات..)، حيثيات تقرير البندر، المداولات المسرحة في البرلمان، وبرمجة عمل ال (إنْ دي آي).. أراد النّظام من كّل ذلك أن يهيمن على المعارضة بالريموت كونترل، ويُحدِّد اتجاهاتها وأجندتها وشعاراتها. لاشكّ أنه استطاع، وبشكل ما، تنعيم المعارضة وتليينها، وزجّها في أتون العبثيّات، وهو الرّابحَ الأكبر من معاركها العابرة. لكن، وفي أشهرٍ معدودات من ربيع البحرين؛ تبخّر حصادُ العشريّة الغادرة وبلمْح البصر.

تملك العائلة الخليفية عصب الاقتصاد. يمنحها ذلك القدرة الفائقة على التحكّم

بالولاءات، وإخراج اللاعبين غير المرغوبين. إنه الفانوس السّحري بالنسبة للنّظام، وبسببه خيّم الاطمئنان لديه والشّعور الدّائم بالاستقرار. إضافة إلى الاحتجاجات ذات الاستهداف الاقتصادي، فقد انخلع مفعول المال عندما أعادت «14 فبراير» صياغة قانون المعيشة والتضامن الاجتماعي، وتمّ ذلك بتنظيم لقمة العيش من جهة، وتأميم غريزة الكسب والرّفاهيّة من جهة أخرى. وهكذا، فإنّ الخاسر لا يضرّه خسارة المزيد.

من بين الأمور القليلة التي يُجْمع عليها المعارضون والموالون هو فشل النظام في الإعلام الخارجي وتثمير علاقاته الدّوليّة. أثبت دبلوماسيو النّظام، على الدّوام، عدم صلاحيتهم لشغْل مناصبهم. «سفيرة» شعبها، مريم الخواجة، كانت أبرع من سفراء النّظام قاطبة، هؤلاء الذين لم يزد دورهم عن الاستقبالات الرّسمية وإقامة الحفلات المغلقة واستئجار الأقلام والأقنية. من المؤكّد أن حماقات النّظام وفّرت الوقت، إلا أن إبداع البحرينيين في فنون الإبلاغ، وإيمانهم بعدالة قضيّتهم، مكّنهم من اكتساب الاحترام والتأييد في عواصم العالم. الجوائز الدولية التي تُوِّج بها البحرينيون المتعاطفون مع ربيع اللؤلؤة، وخلوّ وفاض النّظام إلا من الإدانات الدّوليّة، يختصر قصّة الفشل المدوّي.

والسّؤال: إلى متى؟ النّفق الذي دخله النّظام لا يصلح الاستبداد مخرجاً منه. ربّما يحاول النظام إقناع نفسه بحياة الأنفاق والتكيّف معها، إلا أنها حيلة العاجز، بل الغبي، الذي يدمّر نفسه بنفسه. شاهدوا مراراً القذافي ونفوقه، لعلّه يكون لكم عبرةً أخيرة.

* كاتب بحريني



الساحات العامة هي حصاد البحرينيين في 2011.

**ماذا فعل البحرينيون بساحاتهم؟**

حرروها من قبضة السلطة التي تشدهم للماضي، فتحوها على المستقبل، عرّوا السلطة في هذه الساحات، أحدثوا قطيعة لتاريخها القبلي، جعلوها ذكرى سيئة لاستبدادها، جعلوا العالم يراهم من بؤرة لؤلؤة الحرية لا فوهة بئر النفط، أعلنوا من هم فيها، شكلوا هويتهم الجديدة، رسموا ملامح دولتهم المدنية، دخلوا الربيع العربي، حولوها من الجغرافيا إلى التاريخ، أخرجوا أجمل ما فيهم.

twitter
@bahrainmirror
bahrainmirror.com
مرآة البحرين Bahrain Mirror